

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية  
جامعة أم القرى  
كلية التربية  
مكة المكرمة

# أثر العلمانية

في التربية والتعليم في العالم الاسلامي  
بحث مكمّل  
لمنطلقات الماچستير في التربية

اعداد الطالب



محمد بن عبد العزيز السريسي

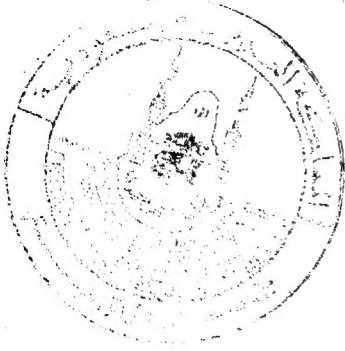
اشرف الدكتور

بشير حاج التوم

لعام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

١٠٠٢٤٦٨

١١١٩٧٧



سید علی بن ابی طالب  
و بنی  
استغیث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«... ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»

الباقية « ١٨ »

«... وَلَئِن أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ»

البقرة « ١٤٥ »

«... وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا هَدَىٰ  
مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»

المقصود « ٥٠ »

«... وَأَن آحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ  
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا  
أُنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ»

المائدة « ٤٩ »

«... أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ  
اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ»

المائدة « ٥٠ »



## المحتوى

### المقدمة

أ- ١

٢٥-١

تمهيد للدراسة يشتمل على

- ١- تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشي من تاريخها في الغرب
- ٢- العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح
- ٣- العقيدة والشريعة التي ارسل بها عيسى عليه السلام

١١-١٢

٢٥-١٢

### الباب الأول

٢٩١-٢٦

عوامل العلمانية في العالم الغربي والعالم الاسلامي

١٥١-٢٦

الفصل الاول : عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي

١٠٦-٢٦

المبحث الاول : عوامل اساسيه

٢٦

المطلب الاول : تحريف النصرانية

٢٦

أ - تحريف العقيدة

٥٠

ب - تحريف الشريعة

٦٦

المطلب الثاني : بدع استحدثها رجال الكنيسة

٦٦

اولا : رجال الدين " الاكليروس "

٧٠

ثانيا : الرهبانية واثرها في العالم المسيحي الغربي

٧٩

ثالثا : صوك الفجران ، وحق الحرمان ، وحق الثحلة

٨٧

المطلب الثالث : طغيان رجال الكنيسة

٨٧

١- تعريقه الطغيان

٨٨

٢- اسباب الطغيان ودواعيه

٨٩

٣- انواع الطغيان

٨٩

اولا : الطغيان الديني لرجال الكنيسة

٩٧

ثانيا : الطغيان السياسي لرجال الكنيسة

١٠٠

ثالثا : الطغيان الاقتصادي لرجال الكنيسة

المبحث الثاني : عوامل مساعده

١٥٩-١٠٧

فرضية التطور واثرها في الفكر والعلم والفلسفة في العالم الغربي

١٠٨

اولا : المناخ او الجو الفكري الذي ظهرت فيه الفرضية

١٠٩

ثانيا : الفرضيات التي سبقت فرضية دارون

١١٠

ثالثا : درجات الاستدلال العلمي عند معارضي الاديان

١١٢

رابعا : الاسس والافكار الرئيسية التي تقوم عليها فرضية دارون

- ١١٨ خامسا : اقوال العلماء المعاصرين واللاحقين لدارون  
في نقضها .
- ١٢٥ سادسا : اثار فرضية التطور
- ٢٩١-١٥٢ الفصل الثاني : عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي
- ٢٥٠-١٥٢ المبحث الاول : عوامل داخلية
- ١٥٢ المطلب الاول : عوامل ذاتية
- ١٥٢ أ - الانحراف الذاتي للمسلمين وآثره في تقبل العلمانية
- ١٩٢ ب - مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .
- ج - المستغربون وآثرهم في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي
- ٢١٩ المطلب الثاني : نصارى العرب وآثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .
- ٢٢٩ المبحث الثاني : عوامل خارجية \* المخططات الصليبية واليهودية
- ٢٥١ تمهيد : .....
- ٢٦١ ١ - قوى الاستعباد وآثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني
- ٢٦٨ ب - التبشير - التصير - وآثره في نقل الفكر العلماني
- ٢٨٠ ج - الاستشراق وآثره في نقل الفكر العلماني

### الباب الثاني

- ٥٩٥-٢٩٢ أثر العلمانية في المجالين التربوي ، والتعليمي في العالم الاسلامي
- ٣٦٥-٢٩٢ الفصل الاول : في التربية عامة
- ٢٩٢ المبحث الاول : الافكار والمذاهب التربوية التي اثرت في التربية والتعليم
- ٣١٣ المبحث الثاني : نماذج من افكار التربويين من خلال كتبهم
- ٥٩٥-٣٦٦ الفصل الثاني : أثر العلمانية في التعليم الرسمي

### ملحمة

المبحث الاول : الجهود الفكرية والعطية التي بذلت لسياسة التعليم  
منذ اوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقلال

المبحث الثاني : الوضع التعليمي بعد الاستقلال

المطلب الاول : الموترات والقرارات الرسمية حول اهداف التعليم

المطلب الثاني : الخطط الدراسية وتضبيب مواد الدين فيها

المطلب الثالث : الاختلاط في التعليم

المطلب الرابع : نماذج من مقررات دراسيه

المطلب الخامس : آثار العلمانيه في التربية والتعليم

٥٩٦-٦٣٥

### الخاتمة وتشتغل على

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية اى مبرر لدعوتهم ؟

٢- حكم الدعوة الى العلمانية في العالم الاسلامي

٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانيه واثارها ؟

المفترضة

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا  
ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له .  
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده  
ورسوله .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون "

ال عمران : ١٠٢ .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها  
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله  
كان عليكم رقيبا " النساء : ١ .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم  
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " الاحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

وبعد : فقد انعم الله على هذه الامة واكرمها بأن بعث فيها خاتم  
رسله وافضلهم باكمل شريعة واقومها ، فاحرجهم الله بذلك من الظلمات الى  
النور ، من عبادة غير الله من الاوثان بانواعها - حجرا او بشرا او نظاما - الى  
عبادة الله الواحد الاحد ، ومن جور الاديان - المحرفة او البشرية - الى عدل  
الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة . واعتلق هذا الدين  
رجال نشره في انحاء المعمورة وهيمن هذا الدين عن طريقهم على ثلثي الارض  
المعمورة في ذلك الزمان في اقل من نصف قرن ، واستمر الدين مهيمنا على  
شئون الحياة عدة قرون ،

ولم يكف اعداء الاسلام من اليهود والنصارى <sup>منه</sup> بزوغ شمس الاسلام على  
الجزيرة من تدبير المكاييد ضد نبي الاسلام واتباعه ومن تجهيز الجيوش العسكرية  
لسحق كيان المسلمين والقضاء على وجودهم ولعمل اكبر الحملات العسكرية ضد  
المسلمين هي الحملات الصليبية التي بدأت حملتها الاولى عام ١٠٩٩ م وبدأت  
حملتها التاسعة عام ١٢٢٠ م .

" وبعد الفشل الذريع قررت اوربا تغيير استراتيجيتها ، واخذت

تستعد لحملة جديدة في عالم الاسلام .

وكانت خلاصة التفكير الجديد ان يتعلم الغرب علوم المسلمين ثم يهزمهم  
باسلحتهم وفنونهم ذاتها .

وسمي الاوربيون الحرب الجديدة بـ " الصليبية الروحية " *spiritual crusade*

وكانت غاية الصليبية الروحية ان يتعلم الاوربيون علوم المسلمين  
فيشوهو العقائد الاسلامية وتاريخ الاسلام . . " ( ١ )

وهكذا بدأ الاوربيون حرب المسلمين فكريا وعقديا عن طريق التبشير  
والاستشراق ونجح المبشرون والمستشرقون ،

على ان القضية ليست مقتصره على ماعمله اعداء المسلمين بل وقع الانحراف  
من المسلمين ساعد على نجاح حركتي التبشير والاستشراق بدأ الانحراف منذ  
ان دخلت الفلسفات اليونانية والهنديّة وغيرها الى المسلمين قاعتنق افكارها بعض  
المشبهين ، وبعض المسلمين قليلي العلم والفقه لدين الله ، ثم اتسع الانحراف  
حتى شمل المجتمع الاسلامي كله ، وبذا فقد المسلمون في القرون الاخيرة خاصّة  
القرنين التاسع عشر والعشرين ذاتيتهم التي تميزهم عن غيرهم من الامم ، واتصلوا-  
وهم على هذه الحالة من فقدان الذاتيه باوروبا عن طريق المدرسين الاجانب  
والبعثات المرسله الى اوربا في وقت كانت فيه اوربا تموج بالافكار <sup>اللا</sup> لادينية  
وكانت فرنسا بعد الثورة الفرنسيه قد اتخذت العلمانيه نظاما لها في الحياه ،  
ونقل المدرسون الاجانب الموفودون الى العالم الاسلامي ، والمبعثون من ابنا  
المسلمين بعض الافكار <sup>اللا</sup> لادينية " بغية اصلاح حال البلاد الاسلامية وقبض  
جهل المبعثون الاسباب الكامنه وراء مايعاني منه المسلمون من انحطاط فكري  
وعلمي وعقدى فكان التشخيص الخاطى " سببا في العلاج الخاطى " الذي اتى  
بمضاعفات جديدة ، لقد خيل لهؤلاء <sup>اللا</sup> ان داء فقدان الذاتيه - المتغل فسي  
الانحطاط الفكري والعلمي والعقدى - الناشىء عن الانحراف عن مفاهيم الاسلام  
في العقيدة والسلوك ، يمكن معالجته باستعاره انظمه البشر التي سنّها الكفار  
من اليهود والنصارى ، الذين لم يعرفوا دينا صحيحا بل ماعرفوه وماكانوا يدّينون  
به هو الدين المحرف - كما سيتضح ذلك بالنسبة للنصارى في ثنايا البحث .

---

( ١ ) تاريخ قسطنطين القديم : ١٨٩ هامش " ٢ " .

وهكذا كان الشحراف عن مفاهيم الاسلام او بعضها عاملاً مهماً في التهيئة لقبول المسلمين للانظمة والافكار والمخالفة للاسلام .

ومن ثم انتشرت في الساحة الاسلاميه شتى المذاهب والافكار وطبقت جميعها . فمنها الاشتراكية والوطنية والقومية والديمقراطية والليبرالية - التحررية - وفي التربية والتعليم خاصة انتشرت مذاهب وفلسفات تربوية " لادينيه " فمنها الفلسفة الواقعية ، والفلسفة الطبيعية ، والبراجماتية ، والوضعية المنطقية وغيرها .

لقد رأيت - وانا أعلم شيئاً من النتائج السيئة التي احدثها اعتناق بعض المسلمين لمثل هذه الافكار والنظريات والفلسفات - ان اختار للدراسة الخاصة - بعد ان التهمت متطلبات الدبلوم - مذاهباً فكرياً كان وما زال له اثار سيئة كثيرة على العالم والعالم الاسلامي بخاصة ، وكان ان وفقني الله لاختيار مذهب " العلمانية " وقد دعاني لاختيار هذا المذهب سببين هما .

١- فموض المدلول الحقيقي لهذا المذهب او المصطلح بالنسبة لجمهور كبيرة من المثقفين في العالم الاسلامي ، نتيجة للمغالطة التي قام بها العلمانيون الغربيون في اول العهد بالدعوة الى العلمانية والتي قام بها العلمانيون في العالم الاسلامي والتي كانت ترتكز على الادعاء بان العلمانية تعنى العلم ومشتقاته وليست تعنى عزل الدين عن توجيه الحياة ومن ثم جميع الناس بهذه المغالطة .

٢- ان بين المدلول الاصطلاحي للعلمانية - عزل الدين عن توجيه الحياة - وبين الواقع الاسلامي المعاصر توافقاً تاماً ذلك ان الواقع الاسلامي المعاصر - للأسف - عزل الدين فيه عن توجيه الحياة ، وحصر في الشرائع التمهيدية ، فليس للدين هيمنة على شئون الاقتصاد ، وكما قال على ذلك انتشار المصارف الربوية في العالم الاسلامي ، كما انه ليس للدين هيمنة على قوانين العقوبات والا فمعنى عدم اقامة القصاص على القاتل ، او حد الخمر على السكارى ، او حد الزنا على الزناة في اكثر البلاد الاسلامية ليس ذلك عزلاً للدين عن توجيه الحياة ؟

لقد كنت شغوفاً بتتبع ما تصدره المطابع من الكتب عن العلمانية - جهد طاقتي - واقتنيت عدداً من هذه الكتب وقرأت بعضها من امثال كتاب سقوط العلمانية للاستاذ انور الجندي ، وتهافت العلمانية للدكتور عماد الدين خليل

ورسالة العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق للدكتور محمد البهى وغيرها واستفدت من هذه الكتب ونقلت عن بعضها نصوصها ، ثم نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ سفر بن عبد الرحمن احمد للحصول على درجة الماجستير في العقيدة من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة ، وكان ذلك بعد ان سجلت في هذا الموضوع بفصل دراسي واحد ، واقتنيت نسخة من الرسالة واستفدت من بعض المراجع التي رجع اليها الباحث ونقلت نصوصا من افكاره . ثم سمعت بمناقشة رسالة في الماجستير في الموضوع نفسه بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ولكنني لم اطلع عليها .

لقد سجلت في هذا الموضوع تحت اشراف استاذي الفاضل الدكتور/ بشير حاج التوم ، وكان ذلك في بداية الفصل الدراسي الثاني لعام ١٣٩٩/٩٨ هـ . وقد تمت المخطوط للاستاذ المشرف بقسم اياه الى تمهيد وبابين وخاتمه . وقد تضمن التمهيد الحديث عن

- ١- تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشئ من تاريخها في الغرب .
  - ٢- العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح .
  - ٣- العقيدة والشريعة التي ارسل بها عيسى عليه السلام .
- اما الباب الاول فقد تحدث فيه عن عوامل العلمانية في العالم الغربي والعالم الاسلامي وذلك في فصلين .

الفصل الاول : خصصت للعوامل نشوء العلمانية في الغرب وقسمته الى بحثين  
البحث الاول : خصصته للعوامل الاساسية لنشوء العلمانية وقسمته الى ثلاثة مطالب .

- المطلب الاول : خصصته لبيان تعريف النصرانية - عقيدة وشريعة -
  - المطلب الثاني : وخصصته لبيان البدع التي استحدثها رجال الكنيسة .
  - المطلب الثالث : وخصصته للحديث عن طغيان ورجال الكنيسة .
- البحث الثاني : عوامل مساعده ، وتحدثت فيه عن فرضيه التطور واثرها في الفكر والعلم والفلسفه في العالم الغربي .

اما الفصل الثاني : فقد خصصته لعوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وقسمته الى بحثين ايضا .  
البحث الاول : وخصصته للعوامل الداخليه التي ساعدت على انتقال



مطالعته

العلمانية الى العالم الاسلامي وقسمته الى

المطلب الاول خصصته للعوامل الذاتية التي تمثلت في

١- الانحراف الذاتي للمسلمين واثره في تقبل العلمانية

ب- مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

ج- المستغربون واثريهم في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي

المطلب الثاني : وخصصته للحديث عن نصارى العرب واثريهم في انتقال

العلمانية الى العالم الاسلامي .

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عن العوامل الخارجية التي ادت الى انتقال

العلمانية الى العالم الاسلامي وتمثلت في :

أ - قوى الاحتلال واثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني

ب - التبشير - التنصير - واثره في نقل الفكر العلماني

ج - الاستشراق واثره في نقل الفكر العلماني

واما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن اثر العلمانية في المجالين التربوي

والتعليمي في العالم الاسلامي ، وذلك في فصلين اثنين :

وتحدثت في الفصل الاول عن اثر العلمانية في التربية وقسمته الى بحثين

المبحث الاول : خصصته للحديث عن بعض الافكار والمذاهب التربوية

التي اعتنقها بعض التربويين واثرها في التربية والتعليم .

المبحث الثاني : وخصصته لمناقشة بعض افكار التربويين التي سطروها

في كتبهم .

اما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن آثار ومظاهر العلمانية

في التعليم الرسمي وجعلته في بحثين .

المبحث الاول : وخصصته للحديث عن الجهود الفكرية والعلمية التي

بذلت لعلنه التعليم منذ اوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقلال

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عن الوضع التعليمي بعد الاستقلال

وقد قسمته الى خمسة مطالب هي :

المطلب الاول : وتحدثت فيه عن اهداف التعليم من خلال مصادره ومن

المؤتمرات والدول من قرارات .

المطلب الثاني : وتحدثت فيه عن نصيب المواد الشرعية من الخطط

الدراسية .

المطلب الثالث : وتحدثت فيه عن الاختلاط في التعليم

المطلب الرابع : وثقلت فيه نماذج من مقررات دراسية

المطلب الخامس : وتحدثت فيه عن آثار التعليم العلماني على الدارسين ،

وعلى المجتمع الاسلامي ، وعلى التعليم الاسلامي عموما وتعليم علوم الشرع واللغة  
على وجه الخصوص .

اما الخاتمة فقد تضمنت الحديث عن :

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية اى مبرر لدعوتهم ؟

٢- حكم الدعوة الى العلمانية في العالم الاسلامي .

٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانية واثارها ؟

وأسأل الله ان يتقبل مني هذا العمل المتواضع وان يجعله خالما لوجهة

الكرام .

وانشئ اذ احمد الله واشكره على ما وفقني اليه في هذا البحث ، لا تقبلوا

بالشكر والعرفان من بعد الله لمعالى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الذى اتاح لى فرصة مواصلة الدراسة العليا ، ولسعادة عميد كلية التربية

ولسعادة استاذى الفاضل بشير <sup>المكثور</sup> حاج التوم على ما بذله من توجيهات مفيدة حتى

استوى هذا البحث على سوقه ، ولكل من اعاننى باعارة كتب ، او ترجمة بعض

من الانجليز الى العربية . والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد

وعلى آله وصحبه اجمعين .

فَهْبَدُ

## تمهيد للدرك المستشتمل على :

- ١ - تعريف وتحليل لمفهوم العائمانية وشئ من تاريخها في الغرب .
- ٢ - العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح عليه السلام .
- ٣ - العقيدة والشريعة التي أرسل بها عيسى عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

١- تعريف العلمانية وتحليلها وبيان تاريخ منشؤها

تعريف العلمانية : العلمانية كـ الرهبانية في الوزن اللفظي ، والرهبانية

هي نظام للعبادة المتواصلة ابتدعه النصارى ونمى الله عليهم ذلك .

... وردبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ٣٧/٥٧

فالرهبانية وصف للعبادة المتواصلة ، والرهباني هو الشخص المتبتل

المنقطع عن الناس في الدير لاداء شعائر تعبدية ابتدعها ابتغاء لرضوان الله

ولكنه لم يرمها حق رعايتها .

فهل العلمانية وصف للعلم ؟ وهل العلماني هو المطرزم بالاسلوب

العلمي في دراساته وابحاثه ؟ أم أن العلمانية ليس وصف للعلم . هذا هو

ما سأجليه في الصفحات الآتية .

ولا يمكننا ذلك الا بمراجعة مفردات اللغتين - الانجليزية والفرنسية

عن طريق الرجوع الى القواميس الانجليزية العربية والفرنسية العربية . فماذا

تقول هذه القواميس والمفاهيم ودوائر المعارف ؟

تقول دائرة المعارف البريطانية عن هذه اللفظة ( Secularism )

" الدنيوية : العلمانية : هي حركة في المجتمع ابتعدت كثيرا عن العالم الآخر،

واتجهت الى هذا العالم "العالم الدنيوي" ."(١)

وورد في المعجم الدولي الثالث الجديد عن اللفظة السابقة مايلي :

٣ العلمانية : الدنيوية هي وجهة النظر - في الحياة او أي قضية خاصة - المرتكزة

على ان الدين او الاعتبارات الدينية يجب ان تهمل او تستثنى عن قصد - او هي

نظام من التقاليد الاجتماعية يعتمد على اساس ان القواعد الاخلاقية والسلوك  
يجب ألا تحد بشكل كامل بالرجوع الى الدين .

والعلماني : الدنيوي : هو الشخص الذي يتبع الامور الدنيوية  
ويدعولها ( كل فلسفة في الحياة اما ان تكون دينية او دنيوية ) كما يقول  
والتر مورلي .

القاعدة الدنيوية للانسان لا ترجع مفاهيمنا الى افتراضات غير معروفة  
دنيوية الامور : عمل الامور دنيوية - حالة كونه دنيويا ( جعل المدارس تهتم  
بالامور الدنيوية ) " زيادة ثقافتنا الدنيوية " .

دنيوي تعنى :

( ١ ) احتفالات دنيوية ( لكاهن الابرشيه )

( ٢ ) علماني . (١)

وورد في معجم اكسفورد شرحا لنفس المادة . ما يلي :

" العلمانية : الصفة منها علماني : وتعنى دنيوي او مادي ، ليس  
دينيا او روحيا :

أمثلة ذلك : تعليم دنيوي - فن دنيوي - موسيقى دنيوية - القوة  
الدنيوية - انظمة الدولة غير المطابقة للكنيسة .

العلمانية : الرأي القائل بان الاخلاق والتعليم يجب ان  
على الدين .

العلماني : هو الشخص الذي يعتقد بالعلمانية او يكون من دعاةها

ومؤيديها " . (٢)

(1) Webster's third new international Dictionary  
(2053) (2) Oxford advanced Dictionary of current  
English (785) .

وورد في قاموس العالم الجديد شرحا لنفس اللفظة ما يلي :

"الحلمانية : (١) - الحياة الدنيوية : دستور من الانظمة والاعمال التي لا تعتبر او تعارض اي شكل من اشكال العقيدة الدينية والعبادة .

(٢) - الاعتقاد بان الدين وقضايا الكنيسة ~~يجب~~ أن لا تتدخل في امور الدولة وخاصة تعليم الجمهور" (١) .

وورد في قاموس المورد " ما يلي :

- ١ - (أ) دنيوى ( interests ) Secular  
(ب) غير دينى Drama  
(ج) مدنى ، الكيركى ( Jurisdiction )
- ٢ - عالم ، غير قانونى ، غير منتسب الى رهبانية ( Priests )  
الدنيوية : عدم المبالا بالدين او بالاعتبارات الدينية . (Secularism)
- ١ - شئ " دنيوى الخ .. ( Secularity )
- ٢ - الصفة الدنيوية او المدنية الخ ..
- أ - يدنى : يجعله دنيويا ( Secularize )
- ب - يحلمن ينزع عنه الصفة او السيطرة الكيركية .
- ج - يشبع بالنزعة الدنيوية (٢) ( Secularization )

(١) Websters Newworld Dictio ( 1288 ) .

ويقول " البرت الريحاني وزملاؤه " :

" علمانية : ، ال : حركة اقترنت بالثورة الفرنسية ومفادها فصل

الدين عن الدولة : عن التشريع والتعليم والمراسم " (١) .

وورد في الكنز ما يلي :

" دنيوية : علمانية ( Secularism )

دنيوى : يتعلق بالدنيوية ( Secularist )

دنيوية : علمانية ، عالمية ( Secularity ) ( ٢ )

وورد في المنهل ما يلي :

" دنيوية ، علمانية ، عالمية ( Secularite )

عالمى ، علمانى ، دنيوى ( Seculier ) ( ٣ )

وهكذا يتضح مما سبق ان مدلول هذه اللفظة ( Secularism )

يعنى قيام احوال الفرد والمجتمع واخلاقياتهم وتعليمهم على غير اساس دينى ،

وبمعنى ان لا يكون " للكنيسة " ومن يمثلها اى تدخل في شئون الدولة .

من هذا يتضح ان هذه اللفظة لا تؤدى معنى العلم : اشتقاقية

الا اذا فهم العلم على انه يعنى انكار الدين ، او عدم الاعتراف بدور

واهماله في الفرد والمجتمع .

لكن ماهو اللفظ الذى يعنى اطلاقه ، العلم ومشتقاته ؟

لابد لنا لمعرفة ذلك من الرجوع الى المعاجم الانجليزية العربية والفرنسية

العربية فماذا تقول هذه المعاجم والقواميس ؟

( ١ ) البرت الريحاني وزملاؤه : الموسوعة العربية : ٥٠٦

( ٢ ) جروان السابق : الكنز : ٦١٩ .

( ٣ ) المنهل " قاموس عربي فرنسي " : ٩٤٥ .



انجليزى	ورد فى مجمع اللغات مايلى : " فرنسى
Science	" علم اختصاصى عال Science
(Scientific) (١١)	النسبة الى العلم (Seientifique)
	وورد فى قاموس الياىاس " انجليزى ، عربى " :
(Scientific)	" مختص بعلم
(Scientist) (١٢)	رجل علم
	وورد فى الكنز مايلى :
(Scientific)	" علمى ، مدرّس علميا ، مبحوث علميا :
	دقيق علميا ، منسوب الى العلم . (٣)

وهكذا يتضح الاختلاف بين الفاظ العلم ومشتقاته ، والالفاظ التى تعنى اللادينية ويتضح لنا مدى المغالطة التى ترتكب فى ترجمة اللفظية سواء عند رجال الفكر الغربيين المناهضين للكنيسة ورجالها ، او عند المتأثرين بهم ممن دعاة اللادينية فى العالم الاسلامى سواء كانوا افرادا او منظمات أو دولا .

والذى دعا الغربيين الى هذه المغالطة هو محاولة اجتذاب تاييد الناس عموما الى هذه الحركة لان احدا منها كان اتجاهاه الفكرى لا يمكن أن يحارض الدعوة الى العلم ، وهكذا استطاع رواد الفكر الغربى اللادينى انشاء حركة مضادة للكنيسة ورجالها ، ثم للدين بصفة عامة ، واصبح الدين النصرانى بل وكل دين فى حس من تأثر بهؤلاء\* يعنى ما يضاد العلم ويعاديه ، ولا ريب ان رواد للفكر اللادينى فى الغرب شبهة فى خروجهم على الكنيسة ورجالها

(١) مجمع اللغات : ٦٣٤ ، ٦٣٥ .

(٢) قاموس الياىاس الحديث : ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٣) الكنز : مصدر سابق : ٦٠٨ .

بسبب ما رأوه منهم من معاداة للعلم ورجالہ الامر الذى وصل بهم السوء  
 حد تمزيق كتب بعض علماء الطبيعة ، بل واحراق وتعذيب بعض رجسالة  
 العلم . وهكذا حصل الفعل المضاد للكنيسة ورجالها ثم عم على كل دين .

أما المتأثرون بالفرنبيين فى العالم الاسلامى فاننى لا أجـد  
 لهم شبهة كالشبهة التى تشبث بها الفرنبيون للدعوة الى العلمانية  
 " اللادينية " فلئن انحطت الامة الاسلامية فى العصور المتأخرة من الناحية  
 العلمية فان ذلك ليس بسبب ما تعتنقه من دين ، فهذا كلام اللسبحانه  
 وتعالى بين ايدىهم - لم يتعرض للتحريف كما تعرضت التوراة والانجيل  
 فهو محفوظ بحفظ الله - لم يحارب العلم بل دعا اليه على ان يكون سائرا  
 على المنهج الذى وضعه الله للعلم وهو ان يؤدى الى التفكير والتدبير  
 فى آلاء الله ، والانتفاع بحصيلة العلم وتوجيه نتاجه فيما ينفع البشرية  
 لا فيما يدورها .

وعلى هذا فان سبب الانحطاط العلمى فى العالم الاسلامى هو  
 سلوك المسلمين وتصرفهم ومنهم بعض علماء الدين لاشك ، وليس الاسلام  
 بقرآنه وسنته . ولقد كان لبعض الافراد والمنظمات التى نشأت فى اواخر  
 القرن الماضى وفى هذا القرن ، صلة مباشرة او غير مباشرة بالمنظمات  
 اليهودية بل كانت ~~المنظمات اليهودية توجه هؤلاء الافراد والمنظمات~~  
 بطريق مباشر او غير مباشر وليس أدل على ذلك من أن احزابا كـ ~~حزب~~  
 تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى الذين اسسوا فى اواخر <sup>عهد</sup> الدولة العثمانية  
 كانوا مدفوعين من قبل يهود الدونمه فى سالونيك بتركيا . (١)

(١) انظر فى بيان ذلك الكتب التالية : أ - اسرار الانقلاب العثمانى  
 ب - القومية والغزو الفكرى ج - يهود الدونمه  
 د - اسرار الماسونية .

وكذلك كان للنصارى المحليين المدعومين من الصليبية العالمية

دور في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي . (١)

ومن المؤسف حقا ان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يصرح بانسه  
يسمى لاقامة الدولة الديمقراطية العلمانية . فقد اجاب عن سؤال الصحفية  
اللايطالية وماذا عن الدولة الفلسطينية ؟ فقال :

" . . نعم لقد قلت هذا الكلام ومن على منبر الامم المتحدة فسق  
شهر تشرين الثاني ١٩٧٤ م وقلت ايضا ان مثل هذا الكلام يبدو الان ،  
وكانه الحلم ولكنه حلم يستحق النضال ويستحق التضحيات . فاذا كان  
بناء الدولة الديمقراطية العلمانية المنفتحة على جميع المواطنين  
تعاملهم بمساواة في الحقوق والواجبات بالرغم من تعدد مذاهبهم  
وعقائدهم . . اذا كان بناء مثل هذه الدولة لا يستحق النضال والتضحية  
فاي دولة تاذن تستحق النضال والتضحية . . " (٢)

أما عن تاريخ الدعوة الى العلمانية والمراحل التي مرت بها العلمانية  
ومميزات كل مرحلة وخصائص الفكر الفلسفي العلماني في اوربا فاضحه فسق  
الفقرات التالية :

١ - تاريخ الدعوة اليها : جاء في دائرة المعارف البريطانية بمعد تعريف  
لفظ ( Secularism ) ما يلي :

( ١ ) انظر البحث الخاص بنصارى العرب واثريهم في انتقال العلمانية في  
هذا البحث .

( ٢ ) مجلة الدعوة الصادرة بالرياض عدد ٧٤٥ في ٢٨ / ٥ / ١٤٠٠ هـ  
ص ١٠ .

"ففي الفترة الوسطى كان هناك اتجاه قوى لدى رجال الدين لا احتقار القضايا الانسانية والاتجاه نحو عبادة الله والايان بالحياة الاخرة . وكرد فعل لهذا الاتجاه ظهرت العلمانية " " في عصر النهضة وكرست نفسها في تطوير القضايا الانسانية عندما بدأ الانسان يعبر اهتماما اكثر للمنجزات الثقافية الانسانية . وبامكانية وصوله الى الكمال والرفعة في هذا العالم . وظهر بشكل واضح الاتجاه نحو العلمانية خلال التاريخ الحديث وصور هذا الاتجاه على انه معاد للمسيحية وغير ديني .

وفي اواخر النصف الثاني من القرن العشرين ظهر دعاة يدعون الى المسيحية الدينية . قالوا بان على المسيحية ان لا تهتم فقط بالاشياء المقدسة والعالم الاخر . لكن على الانسان ان يجد فسي هذا العالم الدينوى الفرصة ليدفع القيم المسيحية . وقالوا : بان المعنى الحق يقى لرسالة المسيح يمكن ان يكشف ويكمل في قضايا كل فرد من خلال الحياة الريفية المتحررة " (١) .

وقد ذكر البرت الريحاني أن العلمانية اقترنت بالثورة الفرنسية كما مر ذكره .

٢ - المراحل التي مرت بها العلمانية : مر الفكر العلماني

الاوربي كما ذكر ذلك الدكتور محمد البهي بمرحلتين :

"١- مرحلة العلمانية المعتدلة . وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر .

٢- مرحلة العلمانية المتطرفة : وهي مرحلة القرن التاسع عشر وقد بلغت قممها في التطرف في الفكر المادي التاريخي " (٢) .

(١) Ency. Britannica Vol .Ixp. 19 .

( ١ )

( ٢ ) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ( ملحق مجلة الفكر الاسلامي ص ١٠ )

ومن رواد هذه المرحلة "فيرباخ" و "ماركس" و "لينين" (١) .

٣ - مميزات كل مرحلة : امتازت كل مرحلة من المرحلتين بمميزات تميزها عن الاخرى اوجزها في الآتي :

١ - مميزات المرحلة الاولى : تميزت هذه المرحلة :

١- اعتبر فيها الدين مسألة شخصية لاعلاقة للدولة بها .

٢- ان على الدولة مع عدم التدخل في تدبير الاشخاص ان تحمي

الكنيسة . . خاصة في جباية الضرائب التي تفرضها الكنيسة .

٣- ان العلمانيين <sup>ليبراليين</sup> الايطاليين بسلب المسيحية كدين من كل

قيمة لها ولكنهم يؤكدون على الفصل بين الدين والدولة .

٤- ان العلمانيين ينكرون <sup>بعض</sup> تعاليم المسيحية ويطالبون

باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادئ الطبيعة

وقد نشأ عن ذلك المذهب المعروف باسم : ( Deism )

وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ولكنه ينكر

الاعجاز ، والوحي ، وتدخل الله في العالم . ومن

اتباع هذا المذهب :

( ١ ) فولتير : ( ١٦٩٤ - ١٧٧٨ ) في فرنسا .

( ٢ ) شفتسبري ( ١٦٧١ - ١٧١٣ ) في انجلترا .

( ٣ ) ليسنج ( ١٨٧٢ - ) في المانيا .

( ٤ ) الفيلسوف الانجليزي لوك ( ١٦٣٢ - ١٧٠٤ )

( ٥ ) الفيلسوف الانجليزي هوبز ( ١٥٨٨ - ١٦٧٩ ) .

( ١ ) المصدر السابق : ٢٢ - ٣٦ ، " نفس المصدر " ١٤ - ١٥ .

( ب ) مميزات المرحلة الثانية : تميزت المرحلة الثانية بحيزة واحدة هى  
 الغاء الدين او المسيحية . واختلف فلاسفتها فى من يحل محـل  
 الله فى العبادة ، بين قائل<sup>انرا</sup> ( جماعة العمل ) وقائل ( الدولة  
 والمجتمع ) وقائل انه ( الحزب ) .  
 يقول الدكتور محمد البهى فى ذلك :

" وفى : مرحلة العلمانية المتطرفة ، او ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف  
 فى مدرسة هيجل نرى :

أولا : ان " علمانية فيريخ - وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانى  
 اللاحدى هى : الغاء الدين : باى دين ، وليست فصلا  
 بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى واحلال  
 " الانسان العام " ( جماعة العمل ) فى العبادة محل الله .  
 وثانيا : ان علمانية ماركس - وهى التى تتمثل فى المادية التاريخية  
 اللاحدية - هى هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون  
 فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة  
 المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود  
 الخالق من الافراد المخلوقين .

وثالثا : ان علمانية لينين ينتهى أمرها الى الغاء المسيحية كدين ووضع  
 " البلشفية " - وهى الماركسية اللينينية - كدين جديد - بدلا منها  
 وهذا الدين الجديد يجب ان يكون فى خدمة ( الواقع ) الذى  
 هو ( الحزب ) والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد  
 مكان العبادة عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة  
 عوضا عن الكنيسة " . ( ١ )

## ـ خصائص الفكر الفلسفي العلماني :

لعل أهم خصائص الفكر الفلسفي العلماني هي :

- ١ - أن دافع العلمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان هــسـو؛  
التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ولذا كان الفصل بين  
السلطتين هو: الحل الفلسفي ، والرسمي لهذا التنازع .
- ٢ - أن الدافع عليها في القرن التاسع عشر ، في مدرسة هيغل هــو  
الاستئثار بالسلطة . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لفهم الفصل  
بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء " للثنائية " ، بهدم الدين كمقدمة  
ضرورية للوصول إلى السلطة المنفردة " التي هي : سلطة " جماعة  
العمل " أو " المجتمع " أو " الدولة " أو " الحزب " حسب تحديد بعض  
هؤلاء اليساريين المتطرفين .
- ٣ - أن البحوث الطبيعية والتقدم العلمي بالتدريج من نهاية القرون الوسطى  
هي التي جرأت أرباب هذا الفكر العلماني على الخروج على وصاية  
الكنيسة ، وعلى الاستقلال في النشاط الإنساني وحركة المجتمع عمن  
أي رأي يصدر منها . (١)

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق : ٣٨ ، ٣٩ .

## ٢ - العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح ؛

لا بد لنا من القاء نظرة عجلى فاحصة على العقائد التي كانت سائدة قبل وأثناء وجود المسيح عليه السلام ، ذلك كيما نعرف هل لهذه العقائد أثر على المسيحية - المحرفة - التي بشر بها يولس ، وغيرهم ممن يدعون رسلا ؟ أم ان هذه العقائد لم يكن لها تأثير يذكر على المسيحية ؟ وسوف أشير هنا فقط الى هذه العقائد والمذاهب التي كانت سائدة ، ولما الاشارة الى تأثيرها أو عدمه فسيكون في موضعه من هذا البحث .

وعلى هذا فيمكنني أن اقول بأن العقائد والمذاهب التي كانت سائدة

في العصر المشار اليه تتلخص فيما يلي :

- ١ - الديانة اليهودية .
- ٢ - العقيدة الميثرائية .
- ٣ - الافلاطونية الحديثة .
- ٤ - الوثنية المصرية .
- ٥ - الوثنية الرومانية .
- ٦ - الافكار الفلسفية ، كالرواقية .

١ - الديانة اليهودية :

وكان أول انبيائها المنزل عليهم كتابا موسى عليه السلام ، ثم داود ، فقد أنزل على موسى التوراة ، وأنزل على داود الزبور ، وكون كل من داود ، وسليمان دولة حكما فيها بشرع الله ، وكان موطن هذه الديانة فلسطين ، ثم أرسل الله عيسى عليه السلام اليهم . وقد انحرفوا انحرفات شتى في العقيدة والتشريع فقد ادعوا ان عزيزا ابن الله ، وعدوا العجل ، وقد أوضح الله ذلك عنهم في القرآن الكريم " وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون " التوبة : " ٣٠ " . فالله يقرر ان اليهود والنصارى بقولهم



هذا بتشبهون بالذين كفروا الذين جعلوا البشر آلهة ، وهكذا يتضح أن اليهود تأثروا بالوثنيين وان النصارى تأثروا بالوثنيين واليهود . كما سيمر ذكر ذلك .

## ٢ - العقيدة الميتراثية :

" وهي عقيدة وثنية قد نشأت في فارس ، ومثرا هذا أو " متراس " كما يسميه بعض الكتاب " ١ " ، هو - كما يزعم وثنيوا فارس - إله الشمس ، وهو من أكبر الآلهة - في زعمهم - في الدين السابق للدين الزردشتي ، - " أنيستا " آلهة الخصب والارض ، " وهو ما " الثور المقدس " ٢ " الذي مات ثم بعث حيا ، ووهب الجنس البشري دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود " . وبحلول القرون الاولى للمسيحية انتشرت عادة - مهترا - في جميع ارجاء الدولة الرومانية " ٣ "

ومن طقوس هذه العقيدة الوثنية - الكهانة ، والمذبح ، وتقديم الضحية البشرية قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فهي ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء لاسترضاء الآلهة " ٤ " .

وقد كانت هذه العقيدة في سعة انتشارها بين عامة الشعب في الدولة الرومانية تضارع المسيحية " ٥ "

( ١ ) انظر تاريخ العالم : ٤٠٣ / ٣ .

( ٢ ) « ٣٦٢ » قصة الحضارة : ٢ / ٤٢٥ / ٢ / ٤٣٦

( ٣ ) معالم تاريخ الانسانية : ٢٠٦ / ٣ .

( ٤ ) نفس المصدر : ٢٠٨ / ٣ .

## ٣ - الافلاطونية الحديثة :

وهي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية ، نشأت في الاسكندرية على يد "امينوس" ثم تلميذه " افلوطين " "١" .

وتتلخص عقيدتهم الفلسفية في أن العالم يرجع في تكوينه وتدبيره الى ثلاثة

عناصر ، او الى ثالوث مقدس :

أ - المنشي \* الأول .

ب - العقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من ابيه .

ج - والروح الذى يتصل بكل حي ومنه الحياة . "٢"

## ٤ - الوثنية المصرية :

كانت الآلهة في الوثنية المصرية من الحيوان ثم صارت الآلهة في آخر الأمر بشرا - أو أصبح البشر آلهة - وكان المصريون الوثنيون يألهون الرجال والنساء المتفوقين ، كما هو شأن اليونان . وكان من ضمن الآلهة :

١ - ايزيس والدة حورس . وهي الام العظمى .

٢ - حورس ( الذى كان ابنا لسيراپيس ) وهو اله الشمس .

٣ - سيراپيس الذى هو في الوقت نفسه حورس "٣" .

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة مايلي :

" وكانت هذه الآلهة - رع ( أو آمون كما يسميه أهل الجنوب ) وأوزير ،

وايزيس وهورس - اعظم ارباب مصر - ولما تقادم العهد امتزج رع و آمون واله آخر

( ١ ) محاضرات في النصرانية : ٤٢ ، وانظر ترجمة ( امينوس ) واغلوطين

في نفس الكتاب ص ٤١ .

( ٢ ) قصة الحضارة : ١٥٩/٢ ، ١٦٠ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٢٠٩/٣

بالفاظ مختلفة .

هو هتاج فأصبحت ثلاث صور ، ومظاهر لاله واحد أعلى يجمعها  
هي الثلاثة " ١ "

### ٥ - الوثنية الرومانية :

وهي ديانة الدولة الإمبراطورية الرسمية ومن عقائدها مايلي :

١ - التثليث : ( يوبيتر ، مارس ، كويرينوس ) جاء في كتاب تاريخ العالم مايلي : " . . . وكانت تقام على ذلك التل - تل الكايتول - عيادة قوامها ثلوث من الآلهة "عبر عن هذا الاتحاد المكون من " يوبيتر او پتيموس ماكسيموس " . . . ومن مارس الذي غدا آنشد اله الحرب الخاص بهستير كل بالاتين ، ومن نظيره " كويرينوس " اله الكويرينال " ٢ " وكان لهذه الآلهة الكهنة الخاصين بهم . " ٣ "

٢ - عبادة الإمبراطور : جاء في تاريخ العالم مايلي : " . . . وأخيرا كانت هناك نزعة عمرت زمنا طويلا في النصف الشرقي من الإمبراطورية وهي تأليه الحاكمين والرجال البارزين والسعوبهم الى مستوى المنقذين ممن هم فوق البشر ، " ٤ "

وجاء في نفس الكتاب : " وكان تأليه الحاكم تقليدا هلتستيا مأخوذا عن بلاد الشرق " ٥ "

٣ - تقديس الصور والتماثيل وعبادتها :

ومنها تصوير الأشخاص الأحياء في صورة آلهة " ٦ "

( ١ ) قصة الحضارة : ١٦٠ / ٢ ، ١٦١ .

( ٢ ) تاريخ العالم : ٣٩٧ / ٣ .

( ٣ ) نفس المصدر : ٤٠٠ .

( ٤ ) نفس المصدر : ٥٨٧ / ٣ .

( ٥ ) نفس المصدر : ٥٨٨ / ٣ .

( ٦ ) نفس المصدر : ٦٨١ / ٣ .

٦ - الافكار الفلسفية : ومن اهمها الفلسفة الرواقية التي اعتنقها  
الرومان واستنكروا الابيقورية لما كانوا يرونه فيها من تعاليم لا تتفق مع الرجولية  
وتنزع الى الاثرة وكان الفلاسفة الرواقيون ينقسمون الى قسمين :

الاول : ينزع الى الانقطاع عن الدنيا والتحرر منها وانكار الذات .

والثاني : ينزع الى المشاركة الفعالة في الحكومة العالمية وهو مايسمونه

مدينة الله على الارض (١) .

ويرى بعض الباحثين ان القول بان الله واحد ومتعدد في وقت واحد  
( التثليث ) هي نظرت تمت الى الفلسفة الرواقية بسبب وثيق . نعم ان عقيدة  
(الثالوث المقدس) المعروفة ترجع في تخطيط أصولها الى يولس ولكسين  
نلاحظ ان هذه الاصول مسوطة في " ستكا " الرواقي (٢) .

فاذا نحن نظرنا في هذه العقائد وأردنا راسخا طعينة واحدة منها  
ذات اسس لقلنا انها تقوم على الاسس الاتية :

١ - الاعتقاد بالتوراة والايمان بها - اى التوراة المحرفة - ومن التحريف  
التحريف في العقيدة باعتقاد ان عزيز بن الله وكذا التحريف في التشريع .

٢ - اعتقاد الفداء والخلاص من الخطايا والوساطة بين الله والناس . وهذا  
ماخوذ من الميثرائية .

٣ - التثليث - اى الاعتقاد بان الالهة ثلاثة - تعالى الله عما يقول الكافرون  
- وهذا ماتدين به الوثنية المصرية والرومانية وبعض الفلاسفة الرواقيين .

٤ - الحلول - اى تجسد الاله في شكل بشري - وهذا ماتدين به الوثنية  
المصرية والرومانية .

٥ - تقدس الصور والتماثيل وهذا ماتدين به الوثنية الرومانية .

٦ - الهروب من الحياة - الرهينة - وهذا ماتدين به احدى النزعتين في الفلسفة  
الرواقية فاذا نحن امعنا النظر في هذه الاسس الفيناهها نفس الاسس التي تقوم عليها

( ١ ) انظر تاريخ العالم : ٥٨٩/٣ .

( ٢ ) انظر كتاب : الفلسفة الرواقية : ٢٧٨ .

النصرانية المحرفة كما سيتضح لنا ذلك عند الحديث عن تحريف النصرانية .

### ٣ - العقيدة والشريعة التي ارسل بها عيسى عليه السلام

الحديث عن العقيدة والشريعة التي أرسل بها عيسى عليه السلام يستلزم أن اتحدث عن المسيح عليه السلام الذي اتخذ النصرانية - وفلسفة ذات الوقت زعموا أنه صلب - لتعرف ما هو حكم القرآن الذي انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مصدق لما انزل على موسى - التوراة - ولما انزل على عيسى - الانجيل - ومهيمن عليهما (١) . فهو اذا حجة على اليهود والنصارى فماذا ورد في القرآن عن الوهية عيسى ؟ وماذا ورد في القرآن عن المعجزات التي أُيد بها ؟ ثم ماذا ورد في القرآن عن قضية الصلب ؟

سوف اتحدث عن هذه القضايا مرتبة .

اما عن الوهية عيسى عليه السلام فانه زعم باطل نفاه الله عن عيسى فسوى آيات كثيرة من القرآن . اكتفى هنا بذكر آيتين تنفيان عنه الألوهية وتقرران انه بشر . قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار " المائدة ٥ : ٧٢

وقال تعالى : " قل يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه ان يكسبون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً " ال عمران : ١٧١ . ولكنه خلق خلقاً خاصاً من ام بلا أب كما خلق آدم من تراب . فكيف كان

ذلك ولماذا ؟

( ١ ) انظر سورة المائدة : ٤٨ .

( ٢ ) انظر ايضا سورة المائدة : ٧٣ - ٧٧ و ١١٦ ، ١١٧ وسورة التوبة :

## أ - هلوة عيسى عليه السلام :

خلق الله المسيح عليه السلام من أم بلا أب ليجعله عبرة ومعجزة خارقة للأسباب التي يعرفها الناس . قال تعالى " . . ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكونن من المقترين " آل عمران : ٥٩ ، ٦٠ .

وأم المسيح عليه وعليها افضل الصلاة والسلام هي : مريم ابنة عمران ، وعمران هو احد عظماء بني اسرائيل ، كانت زوجته عاقرا تقدمت بها السن دون ان ترزق بولد ، وتبعا للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران تأمل ان تكون أمسا فاتجهت الى الله سائلة داعية ونذرت ان حقق الله رجائها ورزقها ولد أن يكون محررا اي لا عمل له الا خدمة بيت المقدس والعبادة " (١) .

وقد حقق الله لها ما ارادت فحملت وقد مات زوجها اثنا حملها ولكنها لم تحمل بذكر بل حملت بانثى وهي تود ان يكون ذكرا لانه اقوى من الانثى ففى الخدمة ولذلك حين وضعتها قالت : " رب انى وضعتها أنثى " وتألمت لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى تقبل منها نذرها وانبتها نباتا حسنا ، اى ان الله هيا لها من يربمها تربية حسنة وهو زكريا الذى كفلها ، وهو زوج خالتها او زوج اختها - على روايتين والاصح الثانية كما قال ابن كثير . (٢)

وسميت هذه البنت مريم واصطفاها الله من بين نساء العالمين فى ذلك العصر لتكون اما لعيسى عليه السلام وامرأها بالعبادة المستمرة له سبحانه تهيسة لها بولادة عيسى عليه السلام وبعد ان بلغت مريم مبلغ النساء بشرتها الملائكة بعيسى (٣) ثم ان مريم عليها السلام حملت بعيسى عليه السلام من غير ان يكون لها زوج وولدت . (٤)

## ب - بعثة عيسى والمعجزات المؤيدة له فى دعوته :

بعث عيسى عليه السلام وهو فى حوالى الثلاثين من عمره كما تذكر الاناجيل الاربعة المعتبرة عند النصارى وكما ورد فى بعض الآثار لكن لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى الآثار الصحاح بيان لسنة عند بعثه لبني اسرائيل وقد بعث عليه السلام

- (١) انظر المسيحية : ٢٧ .
- (٢) تفسير ابن كثير : ٣٦٠/١ وانظر نص الايات (٣٥ - ٣٧ من سورة آل عمران)
- (٣) سورة آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ .
- (٤) سورة مريم : ١٦ - ٣٦ .

بالعقيدة التي بعث بها الانبياء قبله ، وبالشريعة التي أنزلت على بنو اسرائيل في التوراة ومن ضمن ما بعث به ايضا الامر بهجر الطلحات التي استغرقت نفوس اليهود : بعالم الاخرة وقد ايد الله لهذا بمعجزات خارقة هامة ذكرها القرآن وتتلخص في ست معجزات جاء ذكرها في سورة آل عمران وهي :

- ١ - انه يصور طسيرا من طين ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، فالخالق الحقيقي هو الله ولكن جرى الخلق على يد عيسى ليكون هذا برهانا على قوما على صدق نبوته .
  - ٢ - انه يحيى او يخرج الموتى من قبورهم باذن الله ، والمحي هو الله تعالى حقيقة بيد ان الطريقة للاحياء جرت على يد عيسى عليه السلام ليكون ايضا برهانا على صدق نبوته .
  - ٣ - ابراؤه عليه السلام للآدم - وهو الذي لا يصير بسبب عدم وجود عين له - والا برص وهو الذي يصاب بمرض جلدي يصير فيه بعض الجلد مخالفا في لونه لبقية الجلد - وهما مرضان لم يعثر لهما على دواء حتى الان - ولكن عيسى بقدرته الله شفاهما فكان هذا دليلا وبرهانا قويا على صدق نبوته .
  - ٤ - انه كان ينهضهم بامور شخصية من احوالهم من الاكل والادخار وفي هذا ايضا دليل على صدق نبوته .
  - ٥ - انه كلمهم في المهد حين وضعته امه عليها السلام واتت به قومها فرموها بالزنى فاشارت اليه بان كلموه فكلمهم وفي هذا معجزة عظمى فالمعصومون ان الانسان لا يتكلم في المهد ، وقد اجري الله ذلك ليكون دليل براءة لآمه عليها السلام مما اتهمت به من البغي والعيان بالله .
  - ٦ - انزال المائدة من السماء بعد الحاح الحواريين لتطمن قلوبهم الى صدقه فكان ذلك دليلا اخر على صدق نبوته (١)
- ولكن ماهي الحكمة ولماذا كانت المعجزات - او الايات التي اجراها الله على يد عيسى تتجه نحو هذا الاتجاه ؟
- الاجابة على ذلك تتلخص في الاتي :

( ١ ) انظر في تفصيل ذلك سورة آل عمران : ٤٩ والمائدة : ١١٠ - ١١٤ وسورة مريم : ٢٨ - ٣١ .

ان أهل زمانه عليه السلام من بني اسرائيل خاصة - قد عم فيهم انكار الروح سواء في أقوالهم أو أفعالهم ، فجاءه عليه السلام بمعجزات \* وهي أمور خارقة للعادة يجريها الله على يد انبيائه مقرونة بالتحدي سالمة — المعارضة " ١ " لشصديقه في نبوته ولا علاء شأن الروح والبرهنة على وجودها رغم انهم لا يرونها ، فالطين يصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه عيسى فيكون طيراً باذن الله ، وما ذلك الا لان هناك أمراً آخر غير الجسم يدخل في خلق هذا الطائر وغيره من المخلوقات تكون به الحياة - وهذا هو الروح - وهكذا بقية المعجزات . فكانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس دعوته ، التي تتلخص في تربية الروح والدعوة الى الايمان بالبعث والنشور ، ذلك لان بعض اليهود كان ينكر البعث والنشور يوم القيامة ، وكذلك الدعوة الى افراد الله بالعبادة ، وقد كان اليهود يدعون ان عزيزا ابن الله وهذا يقتضي انهم يوليهونه ، كما انهم عدوا العجل كما ورد ذلك في القرآن الكريم .

### ٨ هل صلب المسيح أم لا :

أجمعت الانجيل - المعرفة - ويكفي في بعدها عن الحق أنها اناجيل وليست انجيلا واحدا - على أن عيسى عليه السلام قد صلب لفداء النوع الانساني من جراء الخطيئة التي ارتكبها ابو البشر آدم عليه السلام في أكله كما يقولون من شجرة المعرفة . ولكني فيما يتعلق بعيسى عليه السلام - كما قلت في أول الفقرة "ثالثا" - سوف أتحدث عن هذه الامور من خلال ما يقرره القرآن . فمادام يقرر القرآن في هذه القضية هل صلب عيسى أم لا ؟

يقول الله تعالى : " . . . ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ( ١٥٦ ) وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ( ١٥٧ ) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ( ١٥٨ ) النساء .



وقال تعالى " . . . فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري النس  
الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون " ( ٥٢ )  
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " ( ٢٥٣ ) ومكـروا  
ومكر الله والله خير الماكرين ( ٥٤ ) ان قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك  
الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الـى  
يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " ( ٥٥ ) . . . . .  
آل عمران ١

ففي هذه الآيات الدلالة الواضحة الاكيدة بل التصريح الجازم بأن  
اليهود - قاتلهم الله - لم يقتلوا المسيح عليه السلام ولم يصلبوه - وان كانوا  
تآمروا على قتله مع الحاكم الروماني بيلاطس - عن طريق صلبه . الا أن الله  
أنجى نبيه عيسى عليه السلام من مكرهم . . . . . رفعه اليه ، وأوحى الله اليه قبل  
رفعه بما كاده له اليهود كما أوحى اليه بأوه سيتوفاه ويرفعه اليه ويطهره من الذين  
كفروا ، وانه سيجعل الذين يتبعونه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم يحكم  
الله بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه .

وهكذا اتضح لنا ما سبق باستعراض نصوص القران أن عيسى عليه  
السلام كان بشراً من البشر فضل بالرسالة ولكنه خلق من ام بلا اب لا قامة الدليل  
على اليهود الماديين الذين عم فيهم انكار الروح على وجود الروح ، ومن ثم كانت  
المعجزات التي اجراها الله على يديه ما يعلى شان الروح كما اتضح لنا ان عيسى  
عليه السلام لم يصلب وان كان اليهود عزموا على الفعل وياشروه - ولكن الله رفعه  
اليه - . وان تبين لنا ذلك فما العقيدة وما الشريعة التي ارسل بها عيسى عليه السلام  
الى قومه ؟ ذلك ما ستعرفه في الفقرة التالية .

- العقائد والشرائع التي ارسل بها عيسى عليه السلام من المعلوم أن عيسى عليه السلام أرسل الي بني اسرائيل كما أرسل قبله رسل كثيرين الي بني اسرائيل منهم - موسى - ، وقبله يعقوب ويوسف ، وبعده داود وسليمان ويونس وذكريا ويحيى ، (١)

قال تعالى :

" وإن قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل أتني رسول الله اليكم صدقنا لطمين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " سورة الصف (٦) .

وبعد بحث الرسل عليهم السلام من آدم الي نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ومحاربة الشرك قال تعالى : " ولقد بحثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " . سورة النحل (٣٦) .

فالرسل كلهم بحثوا الي اقوامهم ، ونبينا صلى الله عليه وسلم بحث الي الثقليين الانس والجن بالدعوة الي عبادة وحده ، واختطفوا في الشرائع التي ارسلوا بها حسب حال الامة التي يبحث فيها النبي وحاجتها الي تشريعات ليست لديها أو لتعديل بعض التشريعات بالتخفيف أو التشديد كما حصل لبني اسرائيل - تشديدا عليهم من قبل عيسى - وتحققا عليهم بالشرائع التي أرسل بها عيسى ، أو لتأكيد الالتزام بما سبق من التشريعات السابقة أو بعضها كما حصل مع عيسى عليه السلام - وسوف يتضح ذلك خلال هذا البحث ان شاء الله .

### العقائد :

من الحقائق التي ذكرها القرآن أن اليهود كانوا قد اشركوا بالله - فادعوا أن عزيرا ابن الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وعبدوا المجله واتخذوا احبارهم أزبانا لهم من دون الله ، لانهم كانوا يشعرون لهم فيأخذون بذلك ، والتشريع من خصائص الله وليس من خصائص البشر مما كانوا .

يقول الله تعالى في هذه القضية - العقيدة : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربكم وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ولأواه النار وما للظالمين من أنصار " سورة الطه (٣٠) .

(١) انظر في هذا سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٩ . ومن أوضح ترتيب آياتهم فأولهم يعقوب ، ثم يوسف ، فداود ، سليمان ، ثم زكريا ، يحيى وآخرهم عيسى عليهم السلام .

" . . . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " آل عمران : ١٠

وقال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل  
فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في  
الارض جميعا " سورة المائدة : ١٧ .  
هذه الآيات تقرر ما يلي

( ١ ) ان المسيح عليه السلام دعا بني اسرائيل الى عبادة الله وحده وحذّرهم  
من الشرك الذي وقعوا فيه وبين لهم جزاء الشرك .

( ٢ ) ان المسيح عليه السلام قرر لهم أنه عبد الله وأن الله سبحانه وتعالى ربه  
وربهم .

( ٣ ) الحكم على من أله عيسى ابن مريم عليه السلام بالكفر ، وتقريراته ليس له  
بدليل أنه لا أحد يملك منع الله من إهلاك المسيح وأمه ومن في الارض  
جميعا .

الشرائع التي ارسل بها المسيح عليه السلام :

وحد يثنا عن الشرائع التي أرسل بها عيسى عليه السلام - أيضا - من  
خلال القرآن فنحن نجد ان القرآن يقرر مايلي :

( ١ ) أن الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام يتضمن الهدى والنور الالهى  
والتصديق بالتوراة ، والموعظة للمتقين قال تعالى :

" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة  
وآتينا الانجيل فيه هدى ونورا ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة  
للمتقين " سورة المائدة ( ٤٦ ) .

( ٢ ) ان الانجيل قد تضمن مجموعة من الاحكام الربانية ، قال تعالى :  
" وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك  
هم الفاسقون " سورة المائدة ( ٤٧ ) .

وكانت الأفكار الموجودة في الانجيل بعضها مكمل وبعضها معدل للاحكام  
الموجودة في التوراة ، يدل على ذلك ما تضمنه قوله تعالى :

"... ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون " ( ٥٠ ) ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ٥١ \* آل عمران .

كما يدل على ذلك ما تضمنته هذه الآية : " قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين " ( ٦٨ ) سورة المائدة .

فهذه الآية تدعو اهل الكتاب عامة الى العمل بالتوراة والانجيل معاً ويضاف اليهما جميع ما انزل عليهم من ربهم ، ولولا انها يكمل بعضها بعضاً لما أمرهم باقامتها جميعاً +

ولاشك أن العمل بها يومئذ بهم الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فإن التوراة والانجيل بشرتنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وما حرم عليهم - المشار اليه في الآية - والذي احله لهم عيسى كان قد حرم عليهم في شريعة الله المنزلة على موسى والرسول من بعده ، لعقابهم وتأديبهم بسبب ظلمهم .

قال تعالى : " ... فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ويصدونهم عن سبيل الله كثيراً " ( ١٦٠ ) واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ( ١٦١ ) النساء . وقال تعالى : " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وما اختلط بهما ذلك جزيناهم يستغيثهم وانا لصادقون " ( ١٤٦ ) الانعام .

ومع ذلك احتال اليهود - قاتلهم الله على أكل ما حرم عليهم - بأكل شحمه كما ورد في الحديث الذي أخرجه الجماعة " عن عطاء بن ابي رباح قال سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول



## الباب الأول

عوامل العلمانية في العالم الغربي والعالم الإسلامي .

### الفصل الأول

عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي .

### الفصل الثاني

عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

## الفصل الاول

### عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي

المبحث الاول : عوامل أساسية :

المطلب الاول : تخريف النصرانية .

أ - تخريف العقيدة .

ب - تخريف الشريعة .

المطلب الثاني : البدع التي استخدمتها رجال الكنيسة .

أولا : بدعة رجال الدين " الكليس " .

ثانيا : بدعة الرهبانية .

ثالثا : بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان وحق التحلة .

المطلب الثالث : طغيان رجال الكنيسة .

١ - تعريف الطغيان      ٢ - اسباب طغيان رجال الكنيسة

٣ - أنواع الطغيان :

أولا : الطغيان الديني لرجال الكنيسة .

ثانيا : الطغيان السياسي لرجال الكنيسة .

ثالثا : الطغيان الاقتصادي (المالي) لرجال الكنيسة .

## المطلب الاول : تحريف النصرانية

## ١- تحريف العقيدة

عرفت أوروبا الوثنية - المسيحية منذ القرن الأول للميلاد باعتبارها عقيدة شرقية واعتنقها بعض الرومان (١)

لكن الدولة الرومانية كانت تضطهدهم وتستخدم شتى الأساليب لذلك طوال القرون الثلاثة الأولى (٢) حتى إذا حكم قسطنطين اعتنقت الدولة الرومانية الدين النصراني بإعلان هذا الإمبراطور اعتناقه للنصرانية ، وكان يرمى من وراءه عله هذا إلى هدف سياسي .

فهل اعتنق الرومان النصرانية وتأثروا بها أم أثروا هم فيها ؟ وما هو بالتالي السبب أو الأسباب التي جعلت الدين الجديد يحظى باقبال شعوب الدولة الرومانية عليه ؟

والاجابة على ذلك تتطلب منا الرجوع الى مصادر التاريخ ومصادر التاريخ تؤكد فيما يتعلق بالتساؤل الأول أن الرومان أثروا في النصرانية سواء في الحقائق أو الطقوس . وهكذا تحولت النصرانية من ديانة سماوية الى ديانة وثنية (٣)

على أن ذلك لا يعنى أنني أدعى أن دخول الشعوب الرومانية في النصرانية هو الذي كان له الأثر الوحيد ، في تحول النصرانية من ديانة سماوية الى ديانة وثنية . بل هو واحد من عوامل عدة كان لها أثر في هذا التحول يمكن ايجازها في الآتي :

(١) بدليل أن بولس قد سافر الى روما ، وهُتِلَ بها عام ٦٤ م انظر : قصة الحضارة : ٢٦٨/١١ ، وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ٥٢ .

(٢) انظر نماذج من الاضطهاد في : محاضرات في النصرانية : ٣١ - ٣٥ والمسيحية : ٧٠ - ٧٦ . واضمحلال الإمبراطورية الرومانية : الفصل الخامس عشر . وغيرها من الكتب .

(٣) تاريخ العالم : ٤٠٣/٣ وانظر نفس الجزء ص ١٨٤ لمعرفة تأثير المسيحية بالوثنية الاغريقية في مسألة تطهر الروح من الغليظة ، وكلام بعض النقاد في العقائد التي تأثرت بها المسيحية . وانظر كتاب : المسيحية - ليشلي لمعرفة تأثير النصرانية بالرومان في استعارات أوضاع رجال الدين . وتقسيم الناس الى طيقتين أحدهما رجال الدين وهم المنقادون للعبادة ومعرفة الدين : ص ٧٩ ٨٠ .





النصرانية ثم أعقب ذلك ببيان أثر المجامع المسكونية في التحريف أيضا . فأقول  
ومن الله استمد المـون :

دور بولس في التحريف : بعث الله المسيح عليه السلام على حياة فترة  
من الرسل في بيئة مليئة بركام هائل من الوثنيات - التي ذكرت بعضها فيما  
سبق - ولينتشل قومه اليهود - من هذه الوثنيات ويهديهم الى توحيد الله  
الذى دعا اليه اسلافه من الانبياء عليهم السلام .

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . . "

النحل : ٣٦ .

ولا ريب لدينا نحن المسلمين أنه عليه السلام قام بتبليغ الرسالة التي  
حمله اياها من قبل ربه جل وعلا خير قيام ، وكان على قومه شهيدا عليهم  
ما دام فيهم فلما توفاه الله حدث في اتباعه من التحريف والانحراف والنكوص  
عما جاء به ما لم يدربخلد انسان (١)

وقد استغرقت عطية التحريف هذه - في العقيدة والشرعة - قرونا  
كثيرة حتى وصلت النصرانية الى ما هي عليه الآن . وكانت البداية في هذا  
مكة جدا بعد رفع المسيح عليه السلام وفي وقت ما زال الحواريون فيه على قيد  
الحياة ، وذلك على يد رجل يهودى اسمه " شاوول " وتسمى بـ " بولس " بعد أن  
زعم اعتناق النصرانية .

من هو بولس : كان لبولس هذا شأن كبير في النصرانية فهي في واقع  
الحال تنسب اليه أكثر مما تنسب لأحد غيره ، في نظر المؤرخين الغربيين  
المؤسس الحقيقي للمسيحية بعد رفع عيسى عليه السلام \*

وقد أوضحت المصادر الدينية للنصرانية انتمائه العقدي ، ومكان مولده  
وتربيته ان جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل ، على

(١) انظر سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(\*) انظر في هذا معالم تاريخ الانسانية : ٣ / ٢٠٥ - ٢٠٧ والسفر المقدسة  
: ٢٢ ومحاضرات في النصرانية : ٢٨ .



ويبدو أن بولس كان ينفذ تعاليم المحكمة اليهودية العليا المسماة  
 " صانهدرين " \* أو " سنهدرين " ان كان أستاذه " عمايل " أحد أعضاء  
 هذه المحكمة (١)

اضطهاد بولس للنصارى : عرف بولس " شا وول " بعد اوته لعيسى وأتباعه  
 واضطهادهم لهم في عهد عيسى وبعد رفعه . وخير ما يذكر هنا هو اعتراف بولس  
 بذلك فهو يقول :

" سمعتم يسيرتى قبلا في الديانة اليهودية ، التي كنت اضطهد كنيسة  
 الله بافراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أتباعي  
 في جنسى ان كنت أوفر غيرتي <sup>في</sup> تقليدات آبائى " (٢)

ولعل من أسباب اضطهادهم وقومه اليهود لا تباع المسيح ما كان يوجهه  
 المسيح عليه السلام من تقريع شديد لليهود وخاصة الفريسيين ، يكشف  
 به كفرهم ونفاقهم وتحريفهم للتوراة وابتداعهم أحكاما فاسدة ما أنزل الله بها  
 من سلطان . (٣)

الكيفية التي اعتنق بها بولس النصرانية : هذا الشخص الذى كان من  
 أعداء المسيح وأتباعه في حياته وبعد رفعه تحول فجأة ودون مقدمات إلى  
 النصرانية ، بل أصبح الشخصية الأولى التي كان لها دور أعظم وأكبر من دور  
 المسيح عليه السلام في العقائد والشرائع التي يعتنق النصارى كثيرا منها  
 الآن ، بل لم يحظ أحد في تاريخ الكنيسة النصرانية بمثل ما حظى به من  
 التقديس والاحلال .

---

( \* ) " صانهدرين " أو " سنهدرين " تعنى بالعبرية " المحكمة العليا - وهو  
 الباب الرابع من رسالة المثنى " نيزيكين " ويعالج حسب معناه اللفظي -  
 موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها .

( ١ ) محاضرات في النصرانية : ٨٩ .

( ٢ ) الكتاب المقدس " رسالة بولس إلى أهل غلاطية : ١ : ١٣ ، ١٤  
 وانظر اعتراف بولس باضطهاد النصارى أيضا في رسالة اعمال الرسل

الإصحاح الثانى والعشرون : ٨ / ٢ ص ٣١٦ .

( ٣ ) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة : ٥٥

يقول الشيخ أبو زهره عن اعتناق بولس للنصرانية :  
 " . . . ولكن سفر الأعمال يقول ان ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية  
 هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الايذا\* ، قد انتقل من الجيت والطاغوت الى  
 المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت  
 له " (١)

وتذكر رسالة أعمال الرسل\* متى وكيف اعتنق هذا الرجل المحتال  
 النصرانية فتقول :

" . . . وفيما هو منطلق وقد قرب من دمشق أبرق حوله بتفته نور  
 من السماء\* (٤) فسقط على الأرض وسمع صوتا يقول له شاول شاول لم تضطهدنى  
 . . . فقال من أنت يا رب . قال أنا يسوع الذى أنت تضطهده أنه لصعب  
 عليك أن ترمى المهاز (٦) فقال وهو مرتعد منذهل يا رب ماذا تريد أن  
 أصنع (٧) فقال له الرب قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ما ينبغي لك  
 أن تصنع . أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهورين يسمعون الصوت  
 ولا يرون أحدا (٨) فنهض شاول عن الأرض ولم يكن يبصر شيئا وعيناه مفتوحتان  
 فقادوه بيده وأدخلوه الى دمشق (٩) فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل  
 ولا يشرب (١٠) وكان بدمشق تلميذ اسمه حنينا فقال له الرب فى الرؤيا  
 حنينا فقال هاأنا يا رب (١١) فقال له الرب قم فانطلق الى الزقاق الذى  
 يسمى القويم والتمس فى بيت يهوذا رجلا من طرسوس اسمه شاول فهوذا يصلو . .

(٢٠) ولوقت أخذ يكرز فى المجمع ببسوع أنه هو ابن الله (٢١) فدعش  
 كل الذين سمعوه وقالوا اليس هذا هو الذى كان يببىد فى أورشليم الداعين  
 بهذا الاسم وانما جاء الى هنا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة (٢٢) وكان  
 شاول يزداد قوة ويخجل اليهود القاطنين بدمشق مبرهنا ان هذا هو  
 المسيح . . .

(٢٦) ولما اقبل الى أورشليم التمس أن يتصل بالتلاميذ لكنهم كانوا  
 يخافون منه ولم يصدقوا أنه تلميذ (٢٧) فأخذه برنابا ودخل به على الرسل

ومين لهم كيف رأى الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف بشر باسم يسوع فى دمشق بجرأة ( ٢٨ ) فكان معهم فى أورشليم يدخل ويخرج ويبشر باسم الرب بجرأة<sup>(١)</sup>

وهكذا يتضح كيف استطاع بولس أن يدعى الدخول فى النصرانية بهذه الطريقة المعجبية الغريبة التى لم تحدث فى تاريخ الدعوات ، واستطاع عن طريقها أن يدخل الشرك على أتباع عيسى بادعاء الوهية عليه السلام .

ومسرة ومدون مقدمات أيضا يبدأ هذا الرجل المحتال يركز أى "يدعو" بأن يسوع ابن الله ويدعش السامعون لكلامه لأنهم يعلمون أن هذا الرجل هو الذى كان يضطهد الذين يدعون الى دين المسيح .

ان السؤال الذى يبقى واردا على هذه القضية هو كيف اقتنع الذين سمعوا بولس يركز بأن يسوع ابن الله بهذا الكلام ؟ بل كيف اقتنعوا به من شخص كان الى عهد قريب يضطهد اتباع عيسى عليه السلام وما كان مجيئه لدمشق الا لهذا الهدف ؟ !

هل ألقى هو "عقولهم ام ماذا حصل لهم حتى يصدقوا بهذه القضية وعيسى لم يمض عليه زمن طويل من حين رفعه الله اليه ؟ !  
ثم كيف اقتنع برنابا الحواري " المدعى عند النصارى بهذه القضية التى دخل بسببها الشرك فى الديانة النصرانية ؟

ان هذا التصرف المدعى من برنابا يجعل الباحث يضع علامة استفهام كبيرة حول دعوى " صحبته لعيسى " وبالتالى حول صحة من ادعت المصادر المسيحية انه من الحواريين ، وما من شك ان الحواريين الذين أشاد الله بهم فى القرآن كانوا يؤمنون بأن عيسى عبد الله ورسوله ، فكل من ادعت المصادر المسيحية أنه من الحواريين ويمتقد بالوهية عيسى فهو قطعاً ليس من الحواريين .

---

( ١ ) انظر الكتاب المقدس : " العهد الجديد - اعمال الرسل : ٢ / ٩ / ٢١٨  
وهذه المرحلة الى دمشق هى الرحلة التى كلف بها من قبل كهنة اليهود فى القدس لتسليم رسائل ليهود دمشق واضطهاد النصارى  
انظر نفس المصدر : ٢ / ٨ / ٢١٦ .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن بولس حين أتى الى دمشق لم يكن معه الا من كان يهوديا خالصا غير مؤمن بعيسى ، ومن ثم تكون شهادة برنابا المزعومة لبولس أنه رأى الرب داحضة .

وهو يد ما قلت أن برنابا نفسه الذى شهد لبولس بروية الرب - أى عيسى - قد اختلف مع بولس فى نهاية الامر مما دعاه الى كتابة انجيل اسماء باسمه (١)

---

( ١ ) انظر انجيل برنابا : ٣٠ .

تأثير بولس على النصرانية - عقيدة وشريعة :

أ - تأثيره على العقيدة : يتضح تأثير بولس على العقيدة من قراءة النص السابق ذكره في الفقرة السابقة والتي ادعى فيها بولس ألوهية عيسى عليه السلام كما يتضح من رسالته الى أهل رومية التي يقول فيها :

" ( ١ ) من بولس عبد يسوع المسيح المدعو ليكون رسولا المعزوز لا نجيل الله ( ٢ ) الذي توعد به قيل على السوء أنبياءه في الكتب المقدسة ( ٣ ) عن ابنه الذي صار من ذرية داود بحسب الجسد ( ٤ ) الذي حدد أن يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة بين الأموات وهو يسوع المسيح ربنا ( ٥ ) الذي نلنا به النعمة والرسالة لطاعة الايمان في جميع الأمم لا أجل اسمه ( ٦ ) وانتم ايضا من حملتهم مدعو ويسوع المسيح ( ٧ ) الى جميع من برومية من أحبائه الله المدعويين ليكونوا قد يسيرون النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح " ( ١ )

يقول المؤرخ ويلز - في حديثه عن ما أضيف الى النصرانية من العقائد الوثنية السائدة في ذلك العصر بفعل بولس الذي كان معتنقا خليطا منها - ما يلي :

" . . . وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات المصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية وهو شاوئل الطرسوسى أو بولس . ويظهر أن شاوئل اسمه اليهودى وأن بولس اسمه الرومانى . . . . . والراجع أنه كان يهودى المولد وان كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك ( \* ) ولا مراء في أنه تعلم على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا

( ١ ) الكتاب المقدس " العهد الجديد رسالة بولس الى أهل رومية : ٢/١/٢٦٢ ج ف ص  
\* ١ ينكر الكتاب اليهود ذلك امعانا في التضييل حتى لا يكشف الحصارى كبر  
اليهود لهم .



فى لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية . . . . . وهو متأثر بالمرائق التفكير  
الفلسفى للمدارس الهيلينية\* وأساليب الرواقيين على أن تمكنه من اللغة  
الراقية الرفيعة عظيم مدهش . كان صاحب نظرية دينية ومعلما يعلم الناس قبل  
أن يسمع يسوع الناصرى بزمان طويل . . . . .

ومن الراجح جدا أنه تأثر بالمثرائية . ان هو يستعمل عبارات عجيبة  
الشبه بالمبارات الميفرائية . ويضتح لكل من يقرأ\* وسائله المتنوعة جنباً الى  
جنب مع الاناجيل ، ان ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبد وقط بارزة قوية فيم نقل  
عن يسوع من أقوال وتعليم . الا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قربانا  
لله كفارة عن الخطيئة فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الانسانية ،  
أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء  
طلبا لاسترضا\* الاله . . . . .  
كان يسوع فى نظره حمل عيد الفصح تلك الضحية البشرية ، المأثورة  
المبرأة من كل عيب وذنس التى تعقت فى اصرار ديانات الشموب البيضا\*  
الداكنة .

ان بولس الناصريين بقوة خارقة لانه جاء\*هم ب تفسيره هذا المقنع تاما  
لكارثة الصلب . وكان تفسيره ذاك نوراً ساطعاً سلط على دياجير الحيرة  
المطلقة التى رانت على عقول الناس .

ولم يرب بولس يسوع قط . ولا بد أنه استقى معرفته بعيسى وتعاليمه  
سماعاً عن التلاميذ الاصليين ومن الجلى أنه يدرك الشئ\* الكثير من روح المسيح  
ومبدئه الخاص بالميلاد الجديد . بيد أنه ادخل هذه الفكرة فى صرح نظام  
لاهوتى ، نظام يتسم بشديد البراعة والخفاء ، لا يبرح الى اليوم يستهوى  
العقول بصفة رئيسية . ومن الواضح أن عقيدة الناصريين التى وجدها على  
صورة مبدأ للحفز والاثارة وأسلوب للمعيش قد تحولت على يديه الى مذهب  
" ايمان " ذلك بأنه وجد الناصريين ولهم روح ورجاء وتركهم مسيحيين لديهم  
بداية عقيدة . . . (١)

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٧٠٥/٣ - ٧٠٧ .  
(٢) العصر الهلينى : يتصرف فى لفظة لواقعة بين القرنين السادس والرابع  
والقرن الاول قبل الميلاد . انظر فى هذا الكتاب : افكار ورجال : ١٦١  
وارتبط هذا الاصطلاح دائماً بالدلالة على الحقبة او بأكادمية ، ولتقليد  
والممارسات الفنية دون رعمه أو الهام . انظر نفس المصدر : ١٥

ويمكن أن نستنتج من هذا النص عدة استنتاجات هي :

أولاً :- ان بولس كان صاحب نظرية دينية قبل اعتناقه النصرانية -  
المزعومة - ولا شك ان هذه النظرية خلطت من فكرة اليهودى ، والا فلاطونية  
الحدیثة ، والرواقية ، والميثرائية ، ان هو متأثر بهذه الفلسفات اضافة  
الى فكره اليهودى .

ثانياً :- شخصيته التآمرية المحبة للاضطهاد والتعذيب ، فقد برز  
اسمه اكثر من غيره من اليهود فى عطية اضطهاد النصارى .

ثالثاً :- أنه هو الذى قدم التفسير الذى لا يزال يأخذ به النصارى  
حتى الان لعقيدة الصلب المزعومة وهو تفسير مقتبس من الميثرائية .

بهذه الطريقة - مع غش الطرف عن دوافع هذا اليهودى الخفية -  
استطاع هدم عقيدة التوحيد النقية الصافية التى يمت بها عيسى وغيره - من  
الأنبياء قبله ، ومعه . وأوقع اتباع عيسى عليه السلام فيما كان قد حذرهم  
منه أبلغ التحذير :

" وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله  
فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " المائدة : ٧٢ .

" وأسس باسم يسوع ديناً لا يفقهه يسوع لو كان حياً " (١)

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو هل ثبت هدم التحريف بسهولة

أم لا ؟

الجواب على ذلك بالنفى فقد شهدت القرون الثلاثة الأولى لبعثته

المسيح صراعاً عكيفاً بين أتباع بولس ، ومنهم اثناسيوس (\*) وبين منكرة

(١) حياة الحقائق : ٠٦٤ . وانظر كتاب : المسيحية : ٧٥ ، ٧٦ . لمعرفة  
كيف ادخل بولس تعاليم اليهود حول المنقذ والمخلص وكيف ادخل فى  
المسيحية الفكرة اليونانية عن اتصال الاله بالارض عن طريق " الكلمة "  
ابن الاله ، الروح القدس .

(٢) (\*) اثناسيوس أو اثناسيوس هو رئيس الشمامسة فى الاسكندرية فى القرن الرابع  
وقد حضر مع الاسكندر رئيس اساقفة الاسكندرية لمجمع نيقيه وكان ضمن  
المناقشين لا ريوس . انظر قصة الحضارة : ٣٩٥ / ١١ .

التثليث ، وعلى رأسهم في القرن الرابع آريوس ، ولم تحسم القضية الا في الربع الأول من القرن الرابع حين عقد مجمع نيقية ، وكان ذلك لصالح مذهب التثليث رغم أنهم قلة في المجمع .

وقد أوضح كرين ترنتن عقيدة التثليث التي انتصرت في مجمع نيقية  
فلقال :

" . . . والثالث " الله الآب ؛ ويسوع الابن ؛ وروح القدس " طبقاً لهذه العقيدة أشخاص حقيقيون عدد هم ثلاثة لكنهم واحد أيضاً ، وَجَّهَت المسيحية وهذا نية تثليثها يسمو على الرياضيات " (١)

هل رأيت امراً عجيباً يصعب على العقل فهمه مثل هذا القول الالهة ثلاثة في عدد هم ولكنهم واحد . أن العقل البشري لا يتصور بل لا يتخيل أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة .

لقد ظل وسيستمر العقلاء من البشر في الالحاح بالطلب الى رجال الكنيسة لاعطاء تفسير مقنع وواضح عن هذا اللغز المسيحي ، اذ كيف سيصدقون مهما استغفلهم رجال الكنيسة ان  $(1 = 1 + 1 + 1)$  ؟ و  $(1 = 3 \times 1)$  .

ورجال الكنيسة حتى هذا العصر لديهم اجابات جاهزة لمثل هذه الاسئلة المهرجة لهم فعلاً فقد اجابوا من استشكل في هذا وطلب تفسيراً له في السابق ، وسيجيئون من يستشكل ذلك حالياً ، ومستقبلاً ، بأن هذا الأمر سر لا يستطيع العقل ادراكه .

فهذا القس " توفيق جيد " يقول :

" ان الثالث سر يصعب فهمه وادراكه ، وان من يحاول ادراك سر الثالث تمام الادراك كمن يحاول وضع مياه المحيط في كفه . . . (٢)  
وقد صرح " أوغسطين " وهو من كبار قساوستهم في كتابه تعليقات على

( ١ ) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ .

( ٢ ) الله واحد ام ثالث : ٧٠ وانظر ص ١٠ من الكتاب نفسه .

سفر التكوين " بأن ليس في الوسع التسليم برأى لا تؤيده الكتب المقدسة  
لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشري " (١)

وهذا القس هو الذي وضع للكنيسة دستوراً تلتزمه أياً كل حركة عقلية  
وسلم تمشياً مع المنطق " الثالث " بمعاينة الطهيد أى غير المقر بالتثليث  
بالنفى والجلد وفرض الفرامات " (٢)

هذا هو رأى رجال الكنيسة الشرقية والغربية أن الثالث سـ ر .  
وهكذا يتبين من هذه الأقوال أن رجال الكنيسة لم يضموا حلاً شافياً لهذا  
اللفز إلا بالقول بأنه سـ ر .

ان رجال الكنيسة باعتمادهم بالتثليث قد فتحوا على أنفسهم ثغرة واسعة  
جداً ليس لديهم القدرة على سدها إلا بمثل الكلام السابق . وفعلاً استفحل  
هذه الثغرة في العقيدة المسيحية - التي صنعها بولس وعمها قسطنطين -  
رجال الفكر اللاديني وكانت من أكبر العوامل التي ساعدت هؤلاء على الانتصار  
على هذه العقيدة المحرفة باسم الدين والبحث العلمي . واستطاعوا في بعض  
مراحل صراعهم مع رجال الكنيسة اختراع منهج اسمه " النقد التاريخي للكتب  
المقدسة " وكان ابتداءً ذلك منذ القرن السابع عشر . (٣)

وهكذا نجد أن التثليث عقيدة تتصف بأنها عقيدة مستقلة على الفهم،  
ويعلم رجال الكنيسة ذلك ولكنهم لم ولن يستطيعوا حل هذا اللفز .

بد تأثير بولس على الشريعة :- يتضح تأثير بولس من خلال قراءة هذا  
النص الذي أنقله عن الدكتور أحمد شلبي . ان يقول :  
" . . . ويمكن القول دون تردد ان رسائل بولس وحدها مصدر التشريع  
في المسيحية وان التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً

( ١ ) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ . وانظر رأى أنسلم وتوما الاكوينى  
من القس في القرنين الثاني والثالث عشر في نفس المصدر : ٨٧ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٨٣ .

( ٣ ) انظر قول رينان احد رواد منهج " النقد التاريخي للكتب المقدسة "  
في نقد الاناجيل في كتاب محاضرات في النصرانية : ٢٢٧ .

وصدى لآراء بولس في تشريعاته وعلى هذا لم يكتف بولس بان يضع مبادئ المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يشعرونها في حياتهم العامة فهو الذى أوصى بما تراه في الكنائس من التسابيح والأغاني الروحية والزامير والتراتيل وهو الذى يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقوليسه "دعى احد وهو مختون فلا يصير اظف ، ودعى احد الى العزلة فلا يختتن ليس الختان شيئا وليست العزلة شيئا بل حفظ وصايا الله ."

ويجيز بولس الزواج للأساقفة بقوله : " يجب أن يكون الاسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة ، وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة . ويتكلم بولس عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة ، ويقرر بوضوح أن الرجل أفضل من المرأة وانها خلقت من أجله . . . . . (١)"

وهذا يتضح أن النصارى قد رضوا بأن يشرع لهم بولس ، شرائع وعقائد لم يأذن بها الله سبحانه وتعالى جعلوه شريكا لله في التشريع فصدق عليهم قوله تعالى " أم لهم شركاء <sup>يشرعون</sup> لهم من الدين ما لم يأذن به الله " الشورى : ٢١ وصدق على بولس أنه أحد الطواغيت الذين أستباحوا لأنفسهم التشريع للبشر من عند أنفسهم .

" والطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله . (٢)"

وعند الامام مالك أن الطاغوت هو " ما عبد من دون الله " (٣)

---

(١) المسيحية : ١٠٥ ، ١٠٦ ، وانظر : ١٠٧ من الكتاب لمعرفة اباحته لكل الخنزير .

(٢) ، (٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ١٦ ، ٣٥١ .

فيحمل بنا أن نختم هذه الفقرة بما قاله " ويلز " في كتابه " معالم تاريخ الانسانية " وهو يوضح ما اسهمت به كل نحلة من النحل التي كان يعرفها بولس في الفكر المسيحي بعد بولس :

" . . على أن ما اسهمت به نحلة الاسكندرية في الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدرا أو يكاد ، إذ كان طبيعيا أن يجتهد المسيحيون في شخصية جورس " الذي كان ابنا لسيرابيس وهو سيرابيس نفس نفس الوقت " ، شبيها مرشدا لهم فيما يبذلون من جهود عقيمة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا . وقد كان الانتقال من هذا الى المطابقة بين شخصية مريم وايزابيس . ثم السمو بها مرتبة شبه قدسية - بالرغم مما سبق اقتبسناه من أقوال يسوع عن امه واخوته - خطوة طبيعية جدا كذلك ، وكان طبيعيا كذلك للمسيحية ان تقتبس وهي لا تكاد تعي ، الطرائق العلمية للديانات الشائعة في ذلك الزمان . فاتخذ قساوستها طريقة الرووس الحقيقة والزي الخاص بالكهنة المصريين ، لان ذلك كان يبدو الطريقة المثلى لتمييز القسيس وتتابع البدع واحدة في اثر الاخرى . وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الثورية الاصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحت تلك " الاضافات المألوفة " (١)

### الامبراطور قسطنطين ودوره في التحريف :

لم يأخذ جمهرة النصارى بما أدخل بولس من التحريف في النصرانية - عقيدة وشريعة - بل وجد معارضة له خاصة فيما يتعلق بالوهية عيسى عليه السلام حتى فرض قسطنطين التحريف كدين عام في مجمع تيقية الذي حضره الفان وثمانية وأربعون أسقفا منهم فقط ثلاثمائة وثمانية عشر شخصا يقولون بالوهية عيسى . وقد عقد هذا المجمع بدعوة من قسطنطين أحد حكام الدولة الرومانية ، الذي اشترك في الحكم مع " وليسنسيوس " منذ عام ٣١٢ ثم انفرد بالحكم من عام ٣٢٣ الى ٣٣٧ . وكان وثنيا .

أعلن اعتناقه للنصرانية عام ٣٢٣ ، لكنه لم يعمد الا في فراش الموت عام ٣٣٧ ، وقد عمده " ايوسيوس " المؤرخ الكنسى " (١) .

والتعميد اعلان الدخول في المسيحية عن طريق رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم في الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله في الماء - ويجب أن يقوم بهذه العطية كاهن " (٢) .

ويذكر ول ديورانت قصة عجيبة توضح سبب اعتناق قسطنطين النصرانية وهى قصة لا تقل سخافة عن قصة دخول بولس في النصرانية (٣) .

وقد كان لهذا الامبراطور الوثنى قسطنطين أثر كبير في مناصرة عقيدة التثليث في مجمع تيقية فانه لما اجتمع القسس المختلفون في طبيعة المسيح وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من مثلها أمرهم بالمناظرة لينظر الدين الصحيح مع من ، واخلى دارا للمناظرة ولكنه لم يقف على الحياد بل مال الى رأى بولس وعقد مجلسا خاصا للاساقفة الممثلين لهذا الرأى وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه وقال " قد سلطتكم على ملكتى ..... " (٤) .

(١) قصة الغضارة : ٣٨٤/١١ - ٣٨٦ ومحاضرات في النصرانية : ١٥٤ بتصرف يسير .

(٢) المسيحية : ١٤٦ .

(٣) قصة الغضارة : ٣٨٤/١١ - ٣٨٦ (٤) محاضرات في النصرانية : ١٥٠ .

وهكذا استطاع هذا الوثني أن يقرر عقيدة التثليث كمقيدة رسمية للدولة الرومانية عن طريق مناصره الثالوثيين على غيرهم . ومن المدهش في الأمر أن يكون هو الحكم بين المتناظرين وهو لا يزال وثنيا ، اكتفى باعلان اعتناقه للنصرانية فكان ذلك مسوغا له ليكون حكما بين المتناظرين .

المجامع ودورها في التحريف خاصة مجمع نيقية :

للمجامع المسكونية - العالمية - اثر كبير في تقرير الانحرافات العقائدية والتشريعية التي ادخلت على دين عيسى عليه السلام . <sup>١</sup> <sup>٢</sup> <sup>٣</sup> <sup>٤</sup> <sup>٥</sup> <sup>٦</sup> <sup>٧</sup> <sup>٨</sup> <sup>٩</sup> <sup>١٠</sup> <sup>١١</sup> <sup>١٢</sup> <sup>١٣</sup> <sup>١٤</sup> <sup>١٥</sup> <sup>١٦</sup> <sup>١٧</sup> <sup>١٨</sup> <sup>١٩</sup> <sup>٢٠</sup> <sup>٢١</sup> <sup>٢٢</sup> <sup>٢٣</sup> <sup>٢٤</sup> <sup>٢٥</sup> <sup>٢٦</sup> <sup>٢٧</sup> <sup>٢٨</sup> <sup>٢٩</sup> <sup>٣٠</sup> <sup>٣١</sup> <sup>٣٢</sup> <sup>٣٣</sup> <sup>٣٤</sup> <sup>٣٥</sup> <sup>٣٦</sup> <sup>٣٧</sup> <sup>٣٨</sup> <sup>٣٩</sup> <sup>٤٠</sup> <sup>٤١</sup> <sup>٤٢</sup> <sup>٤٣</sup> <sup>٤٤</sup> <sup>٤٥</sup> <sup>٤٦</sup> <sup>٤٧</sup> <sup>٤٨</sup> <sup>٤٩</sup> <sup>٥٠</sup> <sup>٥١</sup> <sup>٥٢</sup> <sup>٥٣</sup> <sup>٥٤</sup> <sup>٥٥</sup> <sup>٥٦</sup> <sup>٥٧</sup> <sup>٥٨</sup> <sup>٥٩</sup> <sup>٦٠</sup> <sup>٦١</sup> <sup>٦٢</sup> <sup>٦٣</sup> <sup>٦٤</sup> <sup>٦٥</sup> <sup>٦٦</sup> <sup>٦٧</sup> <sup>٦٨</sup> <sup>٦٩</sup> <sup>٧٠</sup> <sup>٧١</sup> <sup>٧٢</sup> <sup>٧٣</sup> <sup>٧٤</sup> <sup>٧٥</sup> <sup>٧٦</sup> <sup>٧٧</sup> <sup>٧٨</sup> <sup>٧٩</sup> <sup>٨٠</sup> <sup>٨١</sup> <sup>٨٢</sup> <sup>٨٣</sup> <sup>٨٤</sup> <sup>٨٥</sup> <sup>٨٦</sup> <sup>٨٧</sup> <sup>٨٨</sup> <sup>٨٩</sup> <sup>٩٠</sup> <sup>٩١</sup> <sup>٩٢</sup> <sup>٩٣</sup> <sup>٩٤</sup> <sup>٩٥</sup> <sup>٩٦</sup> <sup>٩٧</sup> <sup>٩٨</sup> <sup>٩٩</sup> <sup>١٠٠</sup> <sup>١٠١</sup> <sup>١٠٢</sup> <sup>١٠٣</sup> <sup>١٠٤</sup> <sup>١٠٥</sup> <sup>١٠٦</sup> <sup>١٠٧</sup> <sup>١٠٨</sup> <sup>١٠٩</sup> <sup>١١٠</sup> <sup>١١١</sup> <sup>١١٢</sup> <sup>١١٣</sup> <sup>١١٤</sup> <sup>١١٥</sup> <sup>١١٦</sup> <sup>١١٧</sup> <sup>١١٨</sup> <sup>١١٩</sup> <sup>١٢٠</sup> <sup>١٢١</sup> <sup>١٢٢</sup> <sup>١٢٣</sup> <sup>١٢٤</sup> <sup>١٢٥</sup> <sup>١٢٦</sup> <sup>١٢٧</sup> <sup>١٢٨</sup> <sup>١٢٩</sup> <sup>١٣٠</sup> <sup>١٣١</sup> <sup>١٣٢</sup> <sup>١٣٣</sup> <sup>١٣٤</sup> <sup>١٣٥</sup> <sup>١٣٦</sup> <sup>١٣٧</sup> <sup>١٣٨</sup> <sup>١٣٩</sup> <sup>١٤٠</sup> <sup>١٤١</sup> <sup>١٤٢</sup> <sup>١٤٣</sup> <sup>١٤٤</sup> <sup>١٤٥</sup> <sup>١٤٦</sup> <sup>١٤٧</sup> <sup>١٤٨</sup> <sup>١٤٩</sup> <sup>١٥٠</sup> <sup>١٥١</sup> <sup>١٥٢</sup> <sup>١٥٣</sup> <sup>١٥٤</sup> <sup>١٥٥</sup> <sup>١٥٦</sup> <sup>١٥٧</sup> <sup>١٥٨</sup> <sup>١٥٩</sup> <sup>١٦٠</sup> <sup>١٦١</sup> <sup>١٦٢</sup> <sup>١٦٣</sup> <sup>١٦٤</sup> <sup>١٦٥</sup> <sup>١٦٦</sup> <sup>١٦٧</sup> <sup>١٦٨</sup> <sup>١٦٩</sup> <sup>١٧٠</sup> <sup>١٧١</sup> <sup>١٧٢</sup> <sup>١٧٣</sup> <sup>١٧٤</sup> <sup>١٧٥</sup> <sup>١٧٦</sup> <sup>١٧٧</sup> <sup>١٧٨</sup> <sup>١٧٩</sup> <sup>١٨٠</sup> <sup>١٨١</sup> <sup>١٨٢</sup> <sup>١٨٣</sup> <sup>١٨٤</sup> <sup>١٨٥</sup> <sup>١٨٦</sup> <sup>١٨٧</sup> <sup>١٨٨</sup> <sup>١٨٩</sup> <sup>١٩٠</sup> <sup>١٩١</sup> <sup>١٩٢</sup> <sup>١٩٣</sup> <sup>١٩٤</sup> <sup>١٩٥</sup> <sup>١٩٦</sup> <sup>١٩٧</sup> <sup>١٩٨</sup> <sup>١٩٩</sup> <sup>٢٠٠</sup> <sup>٢٠١</sup> <sup>٢٠٢</sup> <sup>٢٠٣</sup> <sup>٢٠٤</sup> <sup>٢٠٥</sup> <sup>٢٠٦</sup> <sup>٢٠٧</sup> <sup>٢٠٨</sup> <sup>٢٠٩</sup> <sup>٢١٠</sup> <sup>٢١١</sup> <sup>٢١٢</sup> <sup>٢١٣</sup> <sup>٢١٤</sup> <sup>٢١٥</sup> <sup>٢١٦</sup> <sup>٢١٧</sup> <sup>٢١٨</sup> <sup>٢١٩</sup> <sup>٢٢٠</sup> <sup>٢٢١</sup> <sup>٢٢٢</sup> <sup>٢٢٣</sup> <sup>٢٢٤</sup> <sup>٢٢٥</sup> <sup>٢٢٦</sup> <sup>٢٢٧</sup> <sup>٢٢٨</sup> <sup>٢٢٩</sup> <sup>٢٣٠</sup> <sup>٢٣١</sup> <sup>٢٣٢</sup> <sup>٢٣٣</sup> <sup>٢٣٤</sup> <sup>٢٣٥</sup> <sup>٢٣٦</sup> <sup>٢٣٧</sup> <sup>٢٣٨</sup> <sup>٢٣٩</sup> <sup>٢٤٠</sup> <sup>٢٤١</sup> <sup>٢٤٢</sup> <sup>٢٤٣</sup> <sup>٢٤٤</sup> <sup>٢٤٥</sup> <sup>٢٤٦</sup> <sup>٢٤٧</sup> <sup>٢٤٨</sup> <sup>٢٤٩</sup> <sup>٢٥٠</sup> <sup>٢٥١</sup> <sup>٢٥٢</sup> <sup>٢٥٣</sup> <sup>٢٥٤</sup> <sup>٢٥٥</sup> <sup>٢٥٦</sup> <sup>٢٥٧</sup> <sup>٢٥٨</sup> <sup>٢٥٩</sup> <sup>٢٦٠</sup> <sup>٢٦١</sup> <sup>٢٦٢</sup> <sup>٢٦٣</sup> <sup>٢٦٤</sup> <sup>٢٦٥</sup> <sup>٢٦٦</sup> <sup>٢٦٧</sup> <sup>٢٦٨</sup> <sup>٢٦٩</sup> <sup>٢٧٠</sup> <sup>٢٧١</sup> <sup>٢٧٢</sup> <sup>٢٧٣</sup> <sup>٢٧٤</sup> <sup>٢٧٥</sup> <sup>٢٧٦</sup> <sup>٢٧٧</sup> <sup>٢٧٨</sup> <sup>٢٧٩</sup> <sup>٢٨٠</sup> <sup>٢٨١</sup> <sup>٢٨٢</sup> <sup>٢٨٣</sup> <sup>٢٨٤</sup> <sup>٢٨٥</sup> <sup>٢٨٦</sup> <sup>٢٨٧</sup> <sup>٢٨٨</sup> <sup>٢٨٩</sup> <sup>٢٩٠</sup> <sup>٢٩١</sup> <sup>٢٩٢</sup> <sup>٢٩٣</sup> <sup>٢٩٤</sup> <sup>٢٩٥</sup> <sup>٢٩٦</sup> <sup>٢٩٧</sup> <sup>٢٩٨</sup> <sup>٢٩٩</sup> <sup>٣٠٠</sup> <sup>٣٠١</sup> <sup>٣٠٢</sup> <sup>٣٠٣</sup> <sup>٣٠٤</sup> <sup>٣٠٥</sup> <sup>٣٠٦</sup> <sup>٣٠٧</sup> <sup>٣٠٨</sup> <sup>٣٠٩</sup> <sup>٣١٠</sup> <sup>٣١١</sup> <sup>٣١٢</sup> <sup>٣١٣</sup> <sup>٣١٤</sup> <sup>٣١٥</sup> <sup>٣١٦</sup> <sup>٣١٧</sup> <sup>٣١٨</sup> <sup>٣١٩</sup> <sup>٣٢٠</sup> <sup>٣٢١</sup> <sup>٣٢٢</sup> <sup>٣٢٣</sup> <sup>٣٢٤</sup> <sup>٣٢٥</sup> <sup>٣٢٦</sup> <sup>٣٢٧</sup> <sup>٣٢٨</sup> <sup>٣٢٩</sup> <sup>٣٣٠</sup> <sup>٣٣١</sup> <sup>٣٣٢</sup> <sup>٣٣٣</sup> <sup>٣٣٤</sup> <sup>٣٣٥</sup> <sup>٣٣٦</sup> <sup>٣٣٧</sup> <sup>٣٣٨</sup> <sup>٣٣٩</sup> <sup>٣٤٠</sup> <sup>٣٤١</sup> <sup>٣٤٢</sup> <sup>٣٤٣</sup> <sup>٣٤٤</sup> <sup>٣٤٥</sup> <sup>٣٤٦</sup> <sup>٣٤٧</sup> <sup>٣٤٨</sup> <sup>٣٤٩</sup> <sup>٣٥٠</sup> <sup>٣٥١</sup> <sup>٣٥٢</sup> <sup>٣٥٣</sup> <sup>٣٥٤</sup> <sup>٣٥٥</sup> <sup>٣٥٦</sup> <sup>٣٥٧</sup> <sup>٣٥٨</sup> <sup>٣٥٩</sup> <sup>٣٦٠</sup> <sup>٣٦١</sup> <sup>٣٦٢</sup> <sup>٣٦٣</sup> <sup>٣٦٤</sup> <sup>٣٦٥</sup> <sup>٣٦٦</sup> <sup>٣٦٧</sup> <sup>٣٦٨</sup> <sup>٣٦٩</sup> <sup>٣٧٠</sup> <sup>٣٧١</sup> <sup>٣٧٢</sup> <sup>٣٧٣</sup> <sup>٣٧٤</sup> <sup>٣٧٥</sup> <sup>٣٧٦</sup> <sup>٣٧٧</sup> <sup>٣٧٨</sup> <sup>٣٧٩</sup> <sup>٣٨٠</sup> <sup>٣٨١</sup> <sup>٣٨٢</sup> <sup>٣٨٣</sup> <sup>٣٨٤</sup> <sup>٣٨٥</sup> <sup>٣٨٦</sup> <sup>٣٨٧</sup> <sup>٣٨٨</sup> <sup>٣٨٩</sup> <sup>٣٩٠</sup> <sup>٣٩١</sup> <sup>٣٩٢</sup> <sup>٣٩٣</sup> <sup>٣٩٤</sup> <sup>٣٩٥</sup> <sup>٣٩٦</sup> <sup>٣٩٧</sup> <sup>٣٩٨</sup> <sup>٣٩٩</sup> <sup>٤٠٠</sup> <sup>٤٠١</sup> <sup>٤٠٢</sup> <sup>٤٠٣</sup> <sup>٤٠٤</sup> <sup>٤٠٥</sup> <sup>٤٠٦</sup> <sup>٤٠٧</sup> <sup>٤٠٨</sup> <sup>٤٠٩</sup> <sup>٤١٠</sup> <sup>٤١١</sup> <sup>٤١٢</sup> <sup>٤١٣</sup> <sup>٤١٤</sup> <sup>٤١٥</sup> <sup>٤١٦</sup> <sup>٤١٧</sup> <sup>٤١٨</sup> <sup>٤١٩</sup> <sup>٤٢٠</sup> <sup>٤٢١</sup> <sup>٤٢٢</sup> <sup>٤٢٣</sup> <sup>٤٢٤</sup> <sup>٤٢٥</sup> <sup>٤٢٦</sup> <sup>٤٢٧</sup> <sup>٤٢٨</sup> <sup>٤٢٩</sup> <sup>٤٣٠</sup> <sup>٤٣١</sup> <sup>٤٣٢</sup> <sup>٤٣٣</sup> <sup>٤٣٤</sup> <sup>٤٣٥</sup> <sup>٤٣٦</sup> <sup>٤٣٧</sup> <sup>٤٣٨</sup> <sup>٤٣٩</sup> <sup>٤٤٠</sup> <sup>٤٤١</sup> <sup>٤٤٢</sup> <sup>٤٤٣</sup> <sup>٤٤٤</sup> <sup>٤٤٥</sup> <sup>٤٤٦</sup> <sup>٤٤٧</sup> <sup>٤٤٨</sup> <sup>٤٤٩</sup> <sup>٤٥٠</sup> <sup>٤٥١</sup> <sup>٤٥٢</sup> <sup>٤٥٣</sup> <sup>٤٥٤</sup> <sup>٤٥٥</sup> <sup>٤٥٦</sup> <sup>٤٥٧</sup> <sup>٤٥٨</sup> <sup>٤٥٩</sup> <sup>٤٦٠</sup> <sup>٤٦١</sup> <sup>٤٦٢</sup> <sup>٤٦٣</sup> <sup>٤٦٤</sup> <sup>٤٦٥</sup> <sup>٤٦٦</sup> <sup>٤٦٧</sup> <sup>٤٦٨</sup> <sup>٤٦٩</sup> <sup>٤٧٠</sup> <sup>٤٧١</sup> <sup>٤٧٢</sup> <sup>٤٧٣</sup> <sup>٤٧٤</sup> <sup>٤٧٥</sup> <sup>٤٧٦</sup> <sup>٤٧٧</sup> <sup>٤٧٨</sup> <sup>٤٧٩</sup> <sup>٤٨٠</sup> <sup>٤٨١</sup> <sup>٤٨٢</sup> <sup>٤٨٣</sup> <sup>٤٨٤</sup> <sup>٤٨٥</sup> <sup>٤٨٦</sup> <sup>٤٨٧</sup> <sup>٤٨٨</sup> <sup>٤٨٩</sup> <sup>٤٩٠</sup> <sup>٤٩١</sup> <sup>٤٩٢</sup> <sup>٤٩٣</sup> <sup>٤٩٤</sup> <sup>٤٩٥</sup> <sup>٤٩٦</sup> <sup>٤٩٧</sup> <sup>٤٩٨</sup> <sup>٤٩٩</sup> <sup>٥٠٠</sup> <sup>٥٠١</sup> <sup>٥٠٢</sup> <sup>٥٠٣</sup> <sup>٥٠٤</sup> <sup>٥٠٥</sup> <sup>٥٠٦</sup> <sup>٥٠٧</sup> <sup>٥٠٨</sup> <sup>٥٠٩</sup> <sup>٥١٠</sup> <sup>٥١١</sup> <sup>٥١٢</sup> <sup>٥١٣</sup> <sup>٥١٤</sup> <sup>٥١٥</sup> <sup>٥١٦</sup> <sup>٥١٧</sup> <sup>٥١٨</sup> <sup>٥١٩</sup> <sup>٥٢٠</sup> <sup>٥٢١</sup> <sup>٥٢٢</sup> <sup>٥٢٣</sup> <sup>٥٢٤</sup> <sup>٥٢٥</sup> <sup>٥٢٦</sup> <sup>٥٢٧</sup> <sup>٥٢٨</sup> <sup>٥٢٩</sup> <sup>٥٣٠</sup> <sup>٥٣١</sup> <sup>٥٣٢</sup> <sup>٥٣٣</sup> <sup>٥٣٤</sup> <sup>٥٣٥</sup> <sup>٥٣٦</sup> <sup>٥٣٧</sup> <sup>٥٣٨</sup> <sup>٥٣٩</sup> <sup>٥٤٠</sup> <sup>٥٤١</sup> <sup>٥٤٢</sup> <sup>٥٤٣</sup> <sup>٥٤٤</sup> <sup>٥٤٥</sup> <sup>٥٤٦</sup> <sup>٥٤٧</sup> <sup>٥٤٨</sup> <sup>٥٤٩</sup> <sup>٥٥٠</sup> <sup>٥٥١</sup> <sup>٥٥٢</sup> <sup>٥٥٣</sup> <sup>٥٥٤</sup> <sup>٥٥٥</sup> <sup>٥٥٦</sup> <sup>٥٥٧</sup> <sup>٥٥٨</sup> <sup>٥٥٩</sup> <sup>٥٦٠</sup> <sup>٥٦١</sup> <sup>٥٦٢</sup> <sup>٥٦٣</sup> <sup>٥٦٤</sup> <sup>٥٦٥</sup> <sup>٥٦٦</sup> <sup>٥٦٧</sup> <sup>٥٦٨</sup> <sup>٥٦٩</sup> <sup>٥٧٠</sup> <sup>٥٧١</sup> <sup>٥٧٢</sup> <sup>٥٧٣</sup> <sup>٥٧٤</sup> <sup>٥٧٥</sup> <sup>٥٧٦</sup> <sup>٥٧٧</sup> <sup>٥٧٨</sup> <sup>٥٧٩</sup> <sup>٥٨٠</sup> <sup>٥٨١</sup> <sup>٥٨٢</sup> <sup>٥٨٣</sup> <sup>٥٨٤</sup> <sup>٥٨٥</sup> <sup>٥٨٦</sup> <sup>٥٨٧</sup> <sup>٥٨٨</sup> <sup>٥٨٩</sup> <sup>٥٩٠</sup> <sup>٥٩١</sup> <sup>٥٩٢</sup> <sup>٥٩٣</sup> <sup>٥٩٤</sup> <sup>٥٩٥</sup> <sup>٥٩٦</sup> <sup>٥٩٧</sup> <sup>٥٩٨</sup> <sup>٥٩٩</sup> <sup>٦٠٠</sup> <sup>٦٠١</sup> <sup>٦٠٢</sup> <sup>٦٠٣</sup> <sup>٦٠٤</sup> <sup>٦٠٥</sup> <sup>٦٠٦</sup> <sup>٦٠٧</sup> <sup>٦٠٨</sup> <sup>٦٠٩</sup> <sup>٦١٠</sup> <sup>٦١١</sup> <sup>٦١٢</sup> <sup>٦١٣</sup> <sup>٦١٤</sup> <sup>٦١٥</sup> <sup>٦١٦</sup> <sup>٦١٧</sup> <sup>٦١٨</sup> <sup>٦١٩</sup> <sup>٦٢٠</sup> <sup>٦٢١</sup> <sup>٦٢٢</sup> <sup>٦٢٣</sup> <sup>٦٢٤</sup> <sup>٦٢٥</sup> <sup>٦٢٦</sup> <sup>٦٢٧</sup> <sup>٦٢٨</sup> <sup>٦٢٩</sup> <sup>٦٣٠</sup> <sup>٦٣١</sup> <sup>٦٣٢</sup> <sup>٦٣٣</sup> <sup>٦٣٤</sup> <sup>٦٣٥</sup> <sup>٦٣٦</sup> <sup>٦٣٧</sup> <sup>٦٣٨</sup> <sup>٦٣٩</sup> <sup>٦٤٠</sup> <sup>٦٤١</sup> <sup>٦٤٢</sup> <sup>٦٤٣</sup> <sup>٦٤٤</sup> <sup>٦٤٥</sup> <sup>٦٤٦</sup> <sup>٦٤٧</sup> <sup>٦٤٨</sup> <sup>٦٤٩</sup> <sup>٦٥٠</sup> <sup>٦٥١</sup> <sup>٦٥٢</sup> <sup>٦٥٣</sup> <sup>٦٥٤</sup> <sup>٦٥٥</sup> <sup>٦٥٦</sup> <sup>٦٥٧</sup> <sup>٦٥٨</sup> <sup>٦٥٩</sup> <sup>٦٦٠</sup> <sup>٦٦١</sup> <sup>٦٦٢</sup> <sup>٦٦٣</sup> <sup>٦٦٤</sup> <sup>٦٦٥</sup> <sup>٦٦٦</sup> <sup>٦٦٧</sup> <sup>٦٦٨</sup> <sup>٦٦٩</sup> <sup>٦٧٠</sup> <sup>٦٧١</sup> <sup>٦٧٢</sup> <sup>٦٧٣</sup> <sup>٦٧٤</sup> <sup>٦٧٥</sup> <sup>٦٧٦</sup> <sup>٦٧٧</sup> <sup>٦٧٨</sup> <sup>٦٧٩</sup> <sup>٦٨٠</sup> <sup>٦٨١</sup> <sup>٦٨٢</sup> <sup>٦٨٣</sup> <sup>٦٨٤</sup> <sup>٦٨٥</sup> <sup>٦٨٦</sup> <sup>٦٨٧</sup> <sup>٦٨٨</sup> <sup>٦٨٩</sup> <sup>٦٩٠</sup> <sup>٦٩١</sup> <sup>٦٩٢</sup> <sup>٦٩٣</sup> <sup>٦٩٤</sup> <sup>٦٩٥</sup> <sup>٦٩٦</sup> <sup>٦٩٧</sup> <sup>٦٩٨</sup> <sup>٦٩٩</sup> <sup>٧٠٠</sup> <sup>٧٠١</sup> <sup>٧٠٢</sup> <sup>٧٠٣</sup> <sup>٧٠٤</sup> <sup>٧٠٥</sup> <sup>٧٠٦</sup> <sup>٧٠٧</sup> <sup>٧٠٨</sup> <sup>٧٠٩</sup> <sup>٧١٠</sup> <sup>٧١١</sup> <sup>٧١٢</sup> <sup>٧١٣</sup> <sup>٧١٤</sup> <sup>٧١٥</sup> <sup>٧١٦</sup> <sup>٧١٧</sup> <sup>٧١٨</sup> <sup>٧١٩</sup> <sup>٧٢٠</sup> <sup>٧٢١</sup> <sup>٧٢٢</sup> <sup>٧٢٣</sup> <sup>٧٢٤</sup> <sup>٧٢٥</sup> <sup>٧٢٦</sup> <sup>٧٢٧</sup> <sup>٧٢٨</sup> <sup>٧٢٩</sup> <sup>٧٣٠</sup> <sup>٧٣١</sup> <sup>٧٣٢</sup> <sup>٧٣٣</sup> <sup>٧٣٤</sup> <sup>٧٣٥</sup> <sup>٧٣٦</sup> <sup>٧٣٧</sup> <sup>٧٣٨</sup> <sup>٧٣٩</sup> <sup>٧٤٠</sup> <sup>٧٤١</sup> <sup>٧٤٢</sup> <sup>٧٤٣</sup> <sup>٧٤٤</sup> <sup>٧٤٥</sup> <sup>٧٤٦</sup> <sup>٧٤٧</sup> <sup>٧٤٨</sup> <sup>٧٤٩</sup> <sup>٧٥٠</sup> <sup>٧٥١</sup> <sup>٧٥٢</sup> <sup>٧٥٣</sup> <sup>٧٥٤</sup> <sup>٧٥٥</sup> <sup>٧٥٦</sup> <sup>٧٥٧</sup> <sup>٧٥٨</sup> <sup>٧٥٩</sup> <sup>٧٦٠</sup> <sup>٧٦١</sup> <sup>٧٦٢</sup> <sup>٧٦٣</sup> <sup>٧٦٤</sup> <sup>٧٦٥</sup> <sup>٧٦٦</sup> <sup>٧٦٧</sup> <sup>٧٦٨</sup> <sup>٧٦٩</sup> <sup>٧٧٠</sup> <sup>٧٧١</sup> <sup>٧٧٢</sup> <sup>٧٧٣</sup> <sup>٧٧٤</sup> <sup>٧٧٥</sup> <sup>٧٧٦</sup> <sup>٧٧٧</sup> <sup>٧٧٨</sup> <sup>٧٧٩</sup> <sup>٧٨٠</sup> <sup>٧٨١</sup> <sup>٧٨٢</sup> <sup>٧٨٣</sup> <sup>٧٨٤</sup> <sup>٧٨٥</sup> <sup>٧٨٦</sup> <sup>٧٨٧</sup> <sup>٧٨٨</sup> <sup>٧٨٩</sup> <sup>٧٩٠</sup> <sup>٧٩١</sup> <sup>٧٩٢</sup> <sup>٧٩٣</sup> <sup>٧٩٤</sup> <sup>٧٩٥</sup> <sup>٧٩٦</sup> <sup>٧٩٧</sup> <sup>٧٩٨</sup> <sup>٧٩٩</sup> <sup>٨٠٠</sup> <sup>٨٠١</sup> <sup>٨٠٢</sup> <sup>٨٠٣</sup> <sup>٨٠٤</sup> <sup>٨٠٥</sup> <sup>٨٠٦</sup> <sup>٨٠٧</sup> <sup>٨٠٨</sup> <sup>٨٠٩</sup> <sup>٨١٠</sup> <sup>٨١١</sup> <sup>٨١٢</sup> <sup>٨١٣</sup> <sup>٨١٤</sup> <sup>٨١٥</sup> <sup>٨١٦</sup> <sup>٨١٧</sup> <sup>٨١٨</sup> <sup>٨١٩</sup> <sup>٨٢٠</sup> <sup>٨٢١</sup> <sup>٨٢٢</sup> <sup>٨٢٣</sup> <sup>٨٢٤</sup> <sup>٨٢٥</sup> <sup>٨٢٦</sup> <sup>٨٢٧</sup> <sup>٨٢٨</sup> <sup>٨٢٩</sup> <sup>٨٣٠</sup> <sup>٨٣١</sup> <sup>٨٣٢</sup> <sup>٨٣٣</sup> <sup>٨٣٤</sup> <sup>٨٣٥</sup> <sup>٨٣٦</sup> <sup>٨٣٧</sup> <sup>٨٣٨</sup> <sup>٨٣٩</sup> <sup>٨٤٠</sup> <sup>٨٤١</sup> <sup>٨٤٢</sup> <sup>٨٤٣</sup> <sup>٨٤٤</sup> <sup>٨٤٥</sup> <sup>٨٤٦</sup> <sup>٨٤٧</sup> <sup>٨٤٨</sup> <sup>٨٤٩</sup> <sup>٨٥٠</sup> <sup>٨٥١</sup> <sup>٨٥٢</sup> <sup>٨٥٣</sup> <sup>٨٥٤</sup> <sup>٨٥٥</sup> <sup>٨٥٦</sup> <sup>٨٥٧</sup> <sup>٨٥٨</sup> <sup>٨٥٩</sup> <sup>٨٦٠</sup> <sup>٨٦١</sup> <sup>٨٦٢</sup> <sup>٨٦٣</sup> <sup>٨٦٤</sup> <sup>٨٦٥</sup> <sup>٨٦٦</sup> <sup>٨٦٧</sup> <sup>٨٦٨</sup> <sup>٨٦٩</sup> <sup>٨٧٠</sup> <sup>٨٧١</sup> <sup>٨٧٢</sup> <sup>٨٧٣</sup> <sup>٨٧٤</sup> <sup>٨٧٥</sup> <sup>٨٧٦</sup> <sup>٨٧٧</sup> <sup>٨٧٨</sup> <sup>٨٧٩</sup> <sup>٨٨٠</sup> <sup>٨٨١</sup> <sup>٨٨٢</sup> <sup>٨٨٣</sup> <sup>٨٨٤</sup> <sup>٨٨٥</sup> <sup>٨٨٦</sup> <sup>٨٨٧</sup> <sup>٨٨٨</sup> <sup>٨٨٩</sup> <sup>٨٩٠</sup> <sup>٨٩١</sup> <sup>٨٩٢</sup> <sup>٨٩٣</sup> <sup>٨٩٤</sup> <sup>٨٩٥</sup> <sup>٨٩٦</sup> <sup>٨٩٧</sup> <sup>٨٩٨</sup> <sup>٨٩٩</sup> <sup>٩٠٠</sup> <sup>٩٠١</sup> <sup>٩٠٢</sup> <sup>٩٠٣</sup> <sup>٩٠٤</sup> <sup>٩٠٥</sup> <sup>٩٠٦</sup> <sup>٩٠٧</sup> <sup>٩٠٨</sup> <sup>٩٠٩</sup> <sup>٩١٠</sup> <sup>٩١١</sup> <sup>٩١٢</sup> <sup>٩١٣</sup> <sup>٩١٤</sup> <sup>٩١٥</sup> <sup>٩١٦</sup> <sup>٩١٧</sup> <sup>٩١٨</sup> <sup>٩١٩</sup> <sup>٩٢٠</sup> <sup>٩٢١</sup> <sup>٩٢٢</sup> <sup>٩٢٣</sup> <sup>٩٢٤</sup> <sup>٩٢٥</sup> <sup>٩٢٦</sup> <sup>٩٢٧</sup> <sup>٩٢٨</sup> <sup>٩٢٩</sup> <sup>٩٣٠</sup> <sup>٩٣١</sup> <sup>٩٣٢</sup> <sup>٩٣٣</sup> <sup>٩٣٤</sup> <sup>٩٣٥</sup> <sup>٩٣٦</sup> <sup>٩٣٧</sup> <sup>٩٣٨</sup> <sup>٩٣٩</sup> <sup>٩٤٠</sup> <sup>٩٤١</sup> <sup>٩٤٢</sup> <sup>٩٤٣</sup> <sup>٩٤٤</sup> <sup>٩٤٥</sup> <sup>٩٤٦</sup> <sup>٩٤٧</sup> <sup>٩٤٨</sup> <sup>٩٤٩</sup> <sup>٩٥٠</sup> <sup>٩٥١</sup> <sup>٩٥٢</sup> <sup>٩٥٣</sup> <sup>٩٥٤</sup> <sup>٩٥٥</sup> <sup>٩٥٦</sup> <sup>٩٥٧</sup> <sup>٩٥٨</sup> <sup>٩٥٩</sup> <sup>٩٦٠</sup> <sup>٩٦١</sup> <sup>٩٦٢</sup> <sup>٩٦٣</sup> <sup>٩٦٤</sup> <sup>٩٦٥</sup> <sup>٩٦٦</sup> <sup>٩٦٧</sup> <sup>٩٦٨</sup> <sup>٩٦٩</sup> <sup>٩٧٠</sup> <sup>٩٧١</sup> <sup>٩٧٢</sup> <sup>٩٧٣</sup> <sup>٩٧٤</sup> <sup>٩٧٥</sup> <sup>٩٧٦</sup> <sup>٩٧٧</sup> <sup>٩٧٨</sup> <sup>٩٧٩</sup> <sup>٩٨٠</sup> <sup>٩٨١</sup> <sup>٩٨٢</sup> <sup>٩٨٣</sup> <sup>٩٨٤</sup> <sup>٩٨٥</sup> <sup>٩٨٦</sup> <sup>٩٨٧</sup> <sup>٩٨٨</sup> <sup>٩٨٩</sup> <sup>٩٩٠</sup> <sup>٩٩١</sup> <sup>٩٩٢</sup> <sup>٩٩٣</sup> <sup>٩٩٤</sup> <sup>٩٩٥</sup> <sup>٩٩٦</sup> <sup>٩٩٧</sup> <sup>٩٩٨</sup> <sup>٩٩٩</sup> <sup>١٠٠٠</sup> <sup>١٠٠١</sup> <sup>١٠٠٢</sup> <sup>١٠٠٣</sup> <sup>١٠٠٤</sup> <sup>١٠٠٥</sup> <sup>١٠٠٦</sup> <sup>١٠٠٧</sup> <sup>١٠٠٨</sup> <sup>١٠٠٩</sup> <sup>١٠١٠</sup> <sup>١٠١١</sup> <sup>١٠١٢</sup> <sup>١٠١٣</sup> <sup>١٠١٤</sup> <sup>١٠١٥</sup> <sup>١٠١٦</sup> <sup>١٠١٧</sup> <sup>١٠١٨</sup> <sup>١٠١٩</sup> <sup>١٠٢٠</sup> <sup>١٠٢١</sup> <sup>١٠٢٢</sup> <sup>١٠٢٣</sup> <sup>١٠</sup>



مجمع نيقية ودوره في التحريف :

الحديث عن هذا المجمع - باعتباره أول مجمع يقرر فيه التحريف بصفة رسمية - يستدعي الحديث عن أسباب عقده وأهم قراراته . أما أسباب عقد المجمع فيمكن القول بأن هناك سببين عام وخاص ، أما السبب العام فهو الاختلاف طوائف النصارى في شخص المسيح عليه السلام اختلافا لا يمكن معه اتفاق ، فمنهم من يقول أن عيسى رسول من عند الله فقط . ومنهم من يقول أن عيسى عليه السلام من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب مع كونه مخلوقا لله لأنه كلمته . ومنهم من يقول أنه ابن الله له صفة القدم كما هي لله - تعالى الله عما يقول المشركون طوا كبرا - وكل يزعم أن عقيدته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها عيسى . ولكن الواقع أن هذه الآراء قد ظهرت بعد أن دخلت النصرانية طوائف من وثني الرومان واليونان والمصريين حتى عند كل من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره . (١)

أما السبب الخاص : فهو رأى آريوس المنكر لاهوية المسيح . وكان هذا الرجل يقاوم ما تبثه كنيسة الاسكندرية من الوهية المسيح ، وكان لا يري موافقون كثيرون فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه ، وله أنصار في الاسكندرية وفلسطين ، ومقدونية ، والقسطنطينية وأراد بطريرك الاسكندرية القضاء على هذه الفكرة فعمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، بناء على رؤى رأى فيها المسيح - كما زعم - يتبرأ من آريوس ويلعنه . كما أمر البطريرك بطرس بنفيسه ، ولذا عقد المجمع للاتفاق على رأى في هذه القضية . (٢)

وقد حضر هذا المجمع الفان وثمانية وأربعون اسقفا ، يمتنعون آراء ستة حول طبيعة المسيح هل هو اله ام لا ؟ منهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا يقولون برأى بولس وهو الوهية المسيح - تعالى الله عما يقول الكافرون طوا عظيما . (٣)

(١) ، (٢) محاضرات في النصرانية : ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف .

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ ، ١٥٠ . والمسيحية : ١٦٨ .

وقد انفضى مجتمعهم مقررا قرارات عدة فى العقيدة والتشريع ؛  
١- القول بالتثليث والوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئة  
البشر .

٢- عدم التصريح لمن يترمل عن الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى ، كى يكون  
كل منهم كما قال بولس " يعمل امرأة واحدة " .  
٣- تدوير الكتب المقدسة التى تتعارض مع القرارات السابقة وقرر اختيار  
أربعة أناجيل هى " لوقا ، ومتى ، ومقرس ، ويوحنا " .  
٤- لمن من يخالف هذه القرارات وحرمان آريوس واسقفين وغيرهما  
من يقول بقولهما . (١)

ثم صدر مرسوم آخر باحراق كتب آريوس وجعل اخفاء أى كتاب منها جريمة  
عقوبتها الاعدام . (٢)

وهكذا أصبحت العقيدة والشرعية يقررها البشر من دون الله ، فوقع  
هو " لا " القساوسة فى الشرك الذى حذرهم عيسى منه ، كما ورد فى آيات القرآن  
ففى هذا المجمع قرروا ان عيسى اله ، وعيسى سينفى ذلك عن نفسه يوم القيامة . (٣)  
وقرروا تحريم الزواج لمن يترمل عن الكهنة ، فشرعوا من عند أنفسهم ما لم  
يأذن به الله واختاروا من الاناجيل التى كانت شائعة - وهى محرمة - أربعة  
أناجيل ، وهذا تحكم لا مبرر له ان لم يذكر فى قراراتهم أى مبرر لاختيار هذه  
الكتب وحدها ومحاربة غيرها ولا بد من تبرير مثل هذا العمل والا كان عملا  
تسلطيا لا معنى له .

ولا شك أن هذا المجمع كان أهم المجامع تأثيرا فى المسيحية ، ولذلك  
قسم كثير من مؤرخى الفكر الغربى النصرانية الى قسمين متضادين تجمع بينهما  
فقط النسبة الى المسيح عليه السلام .

( ١ ) المسيحية : ١٦٩ .

( ٢ ) قصة الحضارة : ٣٩٥ / ١١ ومحاضرات فى النصرانية : ٢٥١ . ومعالج  
فى تاريخ الانسانية : ٢٢٠ / ٣ وانظر محاضرات فى النصرانية : ١٥١ - ١٥٤  
لمعرفة النقد الموجه الى قرارات هذا المجمع .

( ٣ ) سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

الأول - المسيحية الأصلية أو ما يسميه المؤرخون "مسيحية يسوع".  
 الثانى - المسيحية الرسمية ، أو ما يسميه المؤرخون "مسيحية بولس"  
 ويريدون بها العقيدة التى فرضها هذا المجمع بتأثير من قسطنطين وهى خليط  
 من عدة عقائد وثنية كما أوضحت سابقا . (١)

هذا هو ما يراه بعض مؤرخى أوروبا فى المسيحية . ولكن ما هو رأى  
 رجال الكنيسة فى ذلك . يقول "ليكونت دى نوى" :

"لقد تجرأ أسقف كبير هو الدكتور وليام تامل أسقف كنيسة كاتدرى  
 "الكنيسة الانجليزية الأولى" على القول بأن من الخطأ الفاحش أن نظن أن الله  
 وحده الذى يقدم الديانة أو القسط الأبر منها" (٢)

وهكذا يكون ما اعتنقته أوروبا من دين ليس هو الدين السماوى الذى  
 نزل على عيسى بالانجيل موصى به من عند الله ، وانما هو دين مركب من  
 العقائد السائدة فى عصر المسيحية الأولى .

تحريف الانجيل : - لا ريب ان الله سبحانه وتعالى أنزل انجيلا  
 واحدا على عيسى عليه السلام مكلا للتوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام . (٣)  
 ومن المقطوع به أن القرآن الكريم فقط من دون الكتب السماوية السابقة  
 هو الذى تكفل الله بحفظه . قال تعالى :

"انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" الحجر : ٩ . أما الكتب السماوية  
 الأخرى ومنها الانجيل فقد وكل الله حفظها الى علماء دينها ، لأنها كانت  
 شرائع خاصة بالأمم التى يرسل اليها المرسلون .

( ١ ) انظر فى بيان ذلك كتابى : افكار ورجال : ٢٠٧ ، ومعالم تاريخ  
 الانسانية : ٣ / ٧٢٠ ، ٧٢١ .

( ٢ ) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٥ وانظر قوله الآخر ص ١٦ وقول  
 اللورد هدى ص ١٦ .

( ٣ ) انظر سورتى الصف : ٦ وال عمران : ٥٠ .

٣ "أُنزِلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ مَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ  
شُهَدَاءَ" . . . "المائدة : ٤٤ .

فعلى هذا كان الواجب على القسم - وهم علماء النصارى - المحافظة على الانجيل بنصه الذى أنزل به من أن تمسه يد التحريف ، بيد أنهم فرطوا فى ذلك بل هم ممن شا ركوا فى التحريف . وهكذا لم يأتى زمن النبى صلى الله عليه وسلم الا وقد صرف الانجيل تحريفا كاملا ، بالزيادة عليه تارة والنقص منه تارة اخرى ، والكتمان الثالثة . ونزل القرآن مقررًا ذلك قال تعالى :

" وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هم من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . ويقولون على الكذب وهم يعلمون " آل عمران : ٧٨ . (١)

**ويقرر محروا دائرة المعارف البريطانية هذه الحقيقة ان يقولون :**

”... لم يبق من أعمال السيد المسيح شيء ولا كلمة واحدة مكتوبة“ (٢)

ويقول اللورد هدى :

ليس الانجيل الا مجموعة من كتب كتبت في أوقات متباعدة عن بعضها<sup>(٣)</sup>

هذا ما يقوله المعاصرون فماذا يقول أهل القرن الأول الميلادي ؟

يقول أحد شراح الاناجيل وهو آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره

للانجيل في بيان تحريف انجيل المسيح ما يلي :

هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون

• المسيحية وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيئت لوقا على تحرير

الانجيل ، ويوجد اكثر من سبعمين من هذه الاناجيل الكاذبة والاجزاء الكثيرة

من هذه الأناجيل باقية . وكان " فايري سيوس " جمع هذه الأناجيل الكاذبة

وطبعها في ثلاث مجلدات \* (٤)

(١) انظر ايضا سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٧ .

( ٢ ) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٣ .

( ٣ ) نفس المصدر : ١٣٠ .

(٤) اظهر الحق : ٢٩٢/١ •

فهذا النص يقرر أن الانجيل فخر من واحد الى سبعين ، والمسيحية لا تزال في أول عهدا مما دفع لوقا الى كتابة انجيله - المحرف - فأى هذه الانجيل هو الانجيل الموحى به من الله الى عيسى ما دنا مسلمين بأن الله جل وعلا لم ينزل الا انجيلا واحدا ؟

ان قراءة مقدمة انجيل لوقا تفسح لنا المجال الى الحكم على هذه الانجيل - ومنها انجيله - بأنها جميعا ليست من عند الله . وهذه هى مقدمة انجيله :

" ( ١ ) اذا كان كثيرون قد أخذوا في ترتيب قصص في الأمور الحقيقية عندنا ( ٢ ) كما سلمها اليها الذين كانوا معانين منذ البدء وقادمين للكلمة ( ٣ ) رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها ايها العزيز " تادفيلس " لتعرف صحة الكلام الذى وعظمت .

فهذا النص صريح فى أن لوقا هو الذى كتب القصص بدافع شخصي . . ولم يزعم أنه كتبها بالهام أو أنه مسوق من الروح القدس . أو أن ما كتبه هو الحق المقدس . وعلى هذا فلا السبعون التى يكذبها آدم كلارك ولا انجيل لوقا الذى يصدقه وحى من عند الله ، بل لا ينسب أى واحد منها الى المسيح عليه السلام . ان هى قصص وسير كتبها اتباع المسيح عن حياته ودعوته كما سمعوها ممن رأوا المسيح كما ذكر لوقا ذلك فى النص السابق ذكره .

ويرى غوستان لويون أن هذه الانجيل هى مجموعة أوهام وذكريات غير محققة بسطها خيال مؤلفيها . ( ١ )

هذا ومن الأدلة على أن الانجيل محرف أمور منها :

- ١- أن الانجيل أصبح أناجيل كثيرة والله سبحانه وتعالى إنما ذكر في كتابه الكريم أنه أنزل انجيلا واحدا . (١)
  - ٢- تأخر كتابتها عن زمن المسيح عليه السلام ، مع اختلاف المؤرخين في زمن كتابة كل انجيل من الاناجيل التي اعترفوا بها وهي الاناجيل الأربعة " متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا " . (٢)
  - ٣- تناقضها فيما بينها - فيما تحطه من أخبار عن عيسى عليه السلام - وفي بقية نصوصها . (٣)
  - ٤- فناء أكثرها فقد كانت سبعين انجيلا فاصبحت أربعة أناجيل . (٤)
  - ٥- الترجمة وما يتبعها من خلل في الألفاظ والمعاني . (٥)
  - ٦- الاختلاف في المؤلفين للاناجيل من حيث الادعاء بأنهم من الحواريين أولا . (٦)
  - ٧- ما اعترافها من الاضافة والحذف . (٧)
  - ٨- عدم الاعتراف بالاناجيل الحالية الا في القرن الرابع . (٨)
  - ٩- اعتماد بعضها دون البعض الآخر ومعارضته . (٩)
- وقد اتضح لنا فيما سبق أن الاناجيل التي أقرها مجمع نيقية هي أناجيل " متى ، مرقس ، ولوقا ويوحنا " وأن ما عداها تحرم قراءته ويجب حرقه وابطاله .

- 
- (١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٣٧ ، ٣٨ . واظهار الحق : ٢٩٢/١ . ومحاضرات في النصرانية : ٤٨ .
  - (٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٣٠ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٤ . ومحاضرات في النصرانية : ٥٢ ، ٥٣ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ . وقد قرر لويون أن أقدم انجيل هو انجيل مرقس الذي كتب بعد نصف قرن من رفع المسيح انظر حياة الحقائق : ٦٢ .
  - (٣) محاضرات في النصرانية : ٩٩ . والمسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٢٨ - ١٠٣ .
  - (٤) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ٤٠ ، ٣٤ ، ٣٥ . والمسيحية : ١٢٧ .
  - (٥) المسيح : ٢٠ ، ٣٨ ، ٣٩ . والمسيحية : ١٨١ . ومحاضرات في النصرانية : ٥١ - ٥٨ .
  - (٦) المسيح : ٥٨ . ومحاضرات في النصرانية : ١٠٦ .
  - (٧) اظهر الحق : ٣٦/١ ، ٢٦٦ ، ٣٣٦ .
  - (٨) (٩٤٨) محاضرات في النصرانية : ٤٨ ، ١٥٣ . والمسيحية : ١٦٩ . والمسيح : ٣٢ .

لكن هل حافظ رجال الكنيسة على هذه الأناجيل من أن تمسها يد تحريف ؟ الواقع الذى يشهد به التاريخ أنها لم تحافظ عليها ، بل كان لالباطرة والمجامع دور فى التحريف ، يشهد بذلك قول " لاندرو " أحد مفسرى الأناجيل فى المجلد الخامس من تفسيره فهو يقول :

" حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسيطينوس فى الأيام التى كان فيها رسالة حاكما فى القسطنطينية فصحت مرة أخرى " (١)

ويقول الأستاذ سفر بن عبد الرحمن ما يلى :

" . . . وهذا القول اعتراف بالغ الخطورة فهو يقرر ثلاث حقائق تاريخية :

١- أن مؤلفى الأناجيل مجهولون وظلوا كذلك حتى القرن الرابع الميلادى .

٢- أن لاهوت الحكام ومبطلهم يدا فيما تعرضت له الأناجيل من تحريف باسم التصحيح .

٣- أن التحوير والتعديل ظل يمارس فى الأناجيل دون شعور بالحرج مما يدل على أنه عادى مؤلف " (٢)

هذا وقد ساق الشيخ رحمه الله الهندى فى كتابه القيم - اظهر الحق - خمسة وأربعين شاهدا على التحريف بالزيادة ، وخمسة وثلاثين على التحريف اللفظى بالتبديل وعشرون على التحريف بالنقص " (٣)

كما ثبت أن انجيل يوحنا كتب للرد على الذين كانوا ينكرون الوهية المسيح ، ولأن الأناجيل الثلاثة لم تنص على ذلك . (٤)

- 
- (١) اظهر الحق : ٢٩٦/١ .
- (٢) العلمانية وأثرها فى الحياة الاسلامية : ٢٥ .
- (٣) اظهر الحق : الجزء الأول . وانظر مثالا على الزيادة يتعلق بالوهية والثليث ص ٢٥٧ .
- (٤) محاضرات فى النصرانية : ٦٣ . وانظر فى نفس الصفحة كلام ديس الخورى ومؤلف مرشد الطالبين .

## ب - تحريف الشريعة

للحديث عن هذا الموضوع الهام لا بد من معرفة مفهوم الدين وطبيعته وهل كان له شأن في واقع الحياة عند الرومان الذين حملوا المسيحية المحرفة - بعد مواعظ نيقية - هل كان له هذا الشأن قبل أن تمتنع الدولة الرومانية الديس النصراني رسميا . وهل كانت الشريعة التي نزل بها عيسى - مطبقة فسي واقع حياة المسيحيين قبل أن تمتنع هذا الدين الدولة الرومانية باعتناق قسطنطين لها رسميا . أم لم تكن مطبقة ؟

فصل الدين <sup>عن الحيلة</sup> عند الرومان : أما بالنسبة لمفهوم الدين وطبيعته عند الرومان فسان استقراء التاريخ يفيدنا بأن المجتمع الروماني " المستعمر " لم يكن يدين بدين واحد ، ولا حتى فلسفة واحدة يؤمن بها ، بل هو غارق في جاهلية ذات أشكال مختلفة لكن يجمعها الاشتراك في الجاهلية ، ففيها تقديس الأباطرة وعبادتهم ، التالوت " يوبيتر ، مارس ، كوبرينوس " وتقديس الصور والتماثيل والمدارس الفلسفية كالرواقية والبيقورية وغيرها . فإذا أردنا أن نفصل ذلك بالنسبة للحكام والعلماء وطامة الشعب قلنا أن الحكام لم يكن يهمهم إلا الحفاظ على حكمهم وأرقام جبهة الناس على تقديم القرابين التي تماثلهم وأن كانوا يشاركون عامة الناس في أعيادهم الوثنية وخدمة تماثيل الآلهة الكبيرة .

أما الطبقة المثقلة فكانت تتنازعها الفلسفات الوثنية كالفسفه الاواقية ، والفلسفه الابيقورية ، وغيرها من الفلسفات الاخرى الوثنية في افكارها وتصوراتها . أما عامة الشعب فهي تميل الى الدين بفطرتها الا انها ترى التنازع بين الآلهة والفلاسفه . مما جعلها تفقد الثقة فيها وبالتالى انصرفت الى الاستجابة الى ملذات الجسد البهيمية التي لا تحدّها حدود .

وهكذا يمكن القول ان الروح لم يكونوا يحتقون ديناً واحداً اعتقاداً جديداً يجعلهم يستمدون تصوراتهم وتشريعاتهم منه وحده ، يوضح ذلك ما قاله الأستاذ محمد اسد .



" ان الرومانيين في الحقيقة لم يعرفوا الدين وان الهتهم لم تكن سوى محاكاة شاذة للخرافات اليونانية : لقد كانت اشباحا سكت عن وجودها حفظا للعرف الاجتماعي ، ولم يكن يسمح لها قط بالتدخل في امور الحياة الحقيقية . بل كان عليها ان تتطرق بالرجز علي السوء عرافيتها اذا سئلت مثل ذلك ولكن لم يكن ينتظر منها ان تمنح البشر شرافة خلقه " ( ١ )

وعلي هذا يمكن ان نقرر ان المجتمع الروماني كان مجتمعا " لادينيا " يعانى من انقسام بين معتقداته الكثيرة وبين واقع حياته المعلي .  
يؤكد ذلك طاهر عنه " سبسر " ان يقول :

" لما كان المثلون ينشدون في دور التمثيل ابياثا معناها : ان الالهة لا تدخل لينا في امور الدنيا يصفى اليها الناس ويسمعونها بكل رغبة " ( ٢ ) وطالاه الراهب " اوتخستين - اواوخطين " .

" ان الروم الوثنيين كانوا يعبدون الهتهم في المعابد ويهتفون بهم في دور التمثيل " ( ٣ )

وقبلهم ابيقور الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد يعلن اللادينية صريحا فيقول . " ان الالهة لا يشغلون انفسهم بامور بني البشر . نعم انهم موجودون لانهم يظهرون من ٣ ان لا خيرا للاشخاص . بيد ان مسائل العالم الارضي لا تعنيهم . وامن علانية تدل علي انهم " يعنون بعقاب الائم ، وثابتة الصالح ، ايمن اعتقاد تدخلهم هذا مع ما نراه في هذا العالم ؟

ان جوبيتر يرسل الان بالصواعق علي معبده ، فهل سحق ابيقور السذى . يجدف به ؟ . . . . ان الالهة يخشون بعيدا عن العوالم . ولا يهتمون بشئونهم هم فلا تعنيهم امورنا . انهم يعيشون حكما " سعداء " ويعطوننا بهذا

( ١ ) الاسلام علي مفترق الطرق : ٣٨ .

( ٢ ، ٣ ) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٠ .

المثال الذي يجب ان نسير علي منواله فلنعظمهم كمثل عليا يقتدى بها غير اننا  
يجب علينا ان لا نشغل انفسنا بما يريدونه منا فانهم لا يريدون منا شيئا ، هم  
لا يسمعوننا بالا . فلنفعل نحوهم كما يفعلون نحونا . (١)

فمن هذا النص يتضح لنا التصور الخاطي \* للاله - تعالي الله عن ذلك -  
والتصور الخاطي \* لمهمة الدين في الحياة ، وواجب المخلوق تجاه خالقه . وهو  
تصور يشارك ابوقريه فيه معظم الرومان . بل ان الرومان لم يتصوروا الاله تتصرف  
في القضاء كما يصاح ابطالهم . (٢)

فاذا كان هذا هو تصورهم للاله انه لا يشرع ولا يتدخل في شئون الحيوان  
فلا بد انهم يحتاجون الي من يمن لهم قوانين وتشريعات في نواحي الحياة كلها  
اجتماعية - بدءا من الاسره ، واقتصاديه ، وسياسيه ، وذلك ما يقوم به المشور ،  
وهكذا وقعوا في شرك الطاعة والاتباع وظهور للوجود بسبب هذا ما يسمي بالقائسون  
الروماني . اما نظمهم الاخلاقيه فقد اخذت من الابوقريه .

حالة الشريعة المنزله علي عيسي عليه السلام حتى عام ٣٢٥ .

اما عن الحالة الشريعة المنزله علي عيسي حتى عام ٣٢٥م ، فلا بد لنا  
من معرفة . ماهي مهمة الكتب السماويه - التي كان الانجيل - احدها ، ثم  
تطبق ذلك علي واقع حياة نبي اسرائيل الذين ارسل اليهم عيسي عليه السلام .

اما عن مهمة الكتب السماويه فقد بينها الله تعالي في كتابه الكريم حيث قال  
" كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب  
بالحق لمحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . . " البقره : ٢١٣ .

فالتحاكم الي كتب الله المنزله في كل اختلاف وتطبيقها في كل نواحي الحياة  
واستعمال كل التشريعات منها هو الغايه من انزاله ، والكتب السماويه - كما  
تنص الايه - كتاب واحد بالنظر الي ان منزلها واحد ، وموضوعها واحد وهو  
تقرير حقيقه واحده كبرى هي توحيد الله وعبادته وحده بالمعنى الشامل للعباده -

(١) المشكله الاخلاقيه والفلافيه : ٦٧ - ٦٩ .

(٢) جاهلية القرن العشرين في الحديث عن جاهلية الرومان فقد ذكر معنى  
هذا الكلام - المصارعة بين الاله .

- اسم جامع لكل ما يحبه الله ويَرْضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة -  
وهكذا كانت التوراة التي انزلها الله علي موسى وارسل عيسى باكما فيها :  
" وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظه وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامسكها  
اهلك ياخذوا باحسنها سأوريكم دار الفاسقين " الاعراف : ١٤٥ .  
فهي شريعة كاملة بالنسبة لعصرها - ان الله لم يشأ ان تكون هي  
الشريعة الخاتمة - قام عليها دول ، كان ملوك بعضها انبياء كداود وسليمان  
عليهما السلام يحكمان بها وبالزبور ويسميرون الحياة كلها علي شريع الله وامره .  
واستمرت التوراه منها للحياة كلها " انا انزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكمكم  
بها النبيون الذين سلموا الذين هادوا الربانيون والاحبار بما است حفظوا  
من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي  
شيئاً قليلاً ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون " المائدة : ٤٤ .  
فهذه الآية تنص وتؤكد علي انه لا يجوز لمؤمن بها ان يستمد تصوراتيه  
ولا تشريعاته من سواها .

ولكن الذي وقع في حياة بني اسرائيل ما يخالف ذلك انحراف لا يقوه الله  
فارسل الله عيسى يذكرهم ويردهم الي جادة الحق " (١) وهو آخر رسل بني  
اسرائيل . واذا كان مبعوثا الي بني اسرائيل خاصه فلم يكن الانجيل الذي  
انزل عليه ناسخا لشريعة موسى ولكنه كان مصداقاً لها . (٢)  
وكان ما جاء جديداً في الانجيل التخفيف علي اليهود - من بعض  
التشريعات التي انزلت عقوبه موته لليهود ولم تكن شريعه يواد لها السدادوم  
من عند الله . (٣)

فملي هذا كانت التوراه مع ما انضم اليها من الانجيل شريعه يلزم ان تطبق  
في واقع الحياه وعقيدته يلزم ان تسير كل منهج للحياه . (٤)

(١) انظر سورة الصف : ٦

(٢) انظر سورة المائدة : ٤٦

(٣) انظر في هذا سورة آل عمران : ٥٠

(٤) انظر في هذا سورة المائدة : ٤٦ ، ٤٧

لكن ما حصل هو أن هذه الشريعة لم يكتب لها للتطبيق العلمى

فى واقع الحياة لسببين هما :

( ١ ) أن هذه الشريعة لم يقم لها دولة تقيمها فى واقع الحياة ، إذ أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله اليه وهو ما يزال فى المرحلة الأولى للدعوة - التى تشبه مرحلة الدعوة المبكرة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

( ٢ ) أن عيسى عليه السلام قد بعث الى قوم قساة القلوب وقطاة للأنبياء ، وكانت المنطقة التى بعث فيها - وهى فلسطين - جزءاً من مستعمرات امبراطورية الرومان الوثنية فكان محاطاً بالأعداء من كل جانب ونتج عن ذلك اضطهاد شخص المسيح عليه السلام انتهى بالتآمر على قتله اليهود والرومان بتحريض من اليهود .

وإذا كانت هذه هى أسباب عدم التطبيق العلمى للشريعة المنزلة على عيسى حتى عام ٣٢٥ م . فهل طبقت هذه الشريعة بعد ذلك أم لا ؟ وهل جنت الكنيسة ورجالها والمسيحيون عموماً مكاسب عقديّة من جراء قرارات مجمع نيقية أم لا ؟

يعتقد رجال الكنيسة ان عام ٣٢٥ م يمثل عام النصر على أعداء المسيح عليه السلام وأنه يمثل عصر الحرية فيما يعطون وما يمتقنون ، بل يمتقنون انه يمثل بداية عصر الياذة المسيحية على الديانات الأخرى . بعد عصور الاضطهاد والهوان التى نال فيها المسيح عليه السلام أنواع من الاضطهاد وصلت الى حد تدبير قتله والشروع فيه . وهكذا لم يكونوا فى تلك العصور يطمحون من هذه الامبراطورية بشئ ، ولكنهم فى القرن الرابع وبعد مجمع نيقية تصوروا انهم قد كسبوا كل شئ . يكسبهم الامبراطور قسطنطين الذى أعلن دخوله فى النصرانية وعهد وهو على فراش الموت .

لكن رجال الكنيسة نسوا قولة المسيح عليه السلام التى تعبر فى صدق

عن حالهم وحال الامبراطور الوثني الذي كسبه رجال الكنيسة فيما ظنوا .  
يقول " ٢٦ " فانه لماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام لماذا يحطي  
الانسان فدا نفسه " ( ١ )

لماذا ينفع المسيحية لابل الكنيسة علي الاصح اذا ربحت قسطنطين  
وامبراطوريته وخسرت دينها وتعاليمها ؟ - وكانت قد خسرتها قبل - الا انه  
بعد قسطنطين كان الخسران معطي الصفة العمومية - فبعد ان كان التعريف  
يحارب من قبل بعض طوائف النصارى ، اصبح من يحارب التعريف الذي قرر  
في نيقية - محارباً .

لو ان رجال الكنيسة يتبعون ما انزل الله علي عيسى لكان اول عمل قاموا  
به بعد عصر الاضطهاد هو البحث عن ذواتهم ، يبحث انجيل عيسى الخزل عليه  
من ربه ، ونشره بين الناس وتحكيمه كما اراد الله في كافة شئون الحياة ، وكان  
في امكانهم - لو كانوا رباةيون - كما وصف الله بعض النصارى - ان يدعوا  
قسطنطين الي النصرانية الحقه والا فلا حاجة بدخوله في المسيحية ويكفي ان يحاطمهم  
بالتسامح الذي كان معمولاً به من قبل الامبراطوريه سابقاً مع سائر الديانات ،  
وعند ذلك تمارس تطبيق ما انزل علي رسول الله عيسى من تشريع علي اتباعهم  
في ظل هذا التسامح . لكن الذي حدث هو انه لا رجال الكنيسة كانوا مؤمنين  
بشريعة عيسى ايماناً جاداً - بل كانوا محرفين لها - منذ القرن الاول - يطمعون  
في هداية الناس ، ولا قسطنطين كان مؤمناً جاداً - كما مره بان ذلك - يريد  
خلق الوثنية واخلاص دينه لله ليقف موقف الماهد لله امام معبوده المستحق للعباده  
وحده .

والواقع - أن هناك رابط وثيق جمع بين رجال الكنيسة والامبراطور  
هذا الرابط هو الصلحة الدنيوية للطرفين ، وكان نصيب الامبراطور منها نصيب

( ١ ) الكتاب المقدس انجيل متى : ٢ / ١٦ ف

الاسد مقابل تنازل بسيط جدا .

يقول دراير في وصف حال الامبراطور وحال الكنسية بابلبي :

• دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافعين الذين تقلدوا

وظائف خطيوه ومناصب عالية في الدولة الرومانية بظواهرهم بالنصرانية ، ولم

يكونوا يحفظون بامر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الايام ، وكذلك كان

قسطنطين فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتغيد بأوامر الكنيسة الدينية

الا قليلا في آخر عمره " ٣٣٧ م "

وان هذا الامبراطور الذي كان عبداً للدين والدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية

تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية والمصلحة الحزبية المتأفسين - النصرانية

والوثنية - ان يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصراني الراسخين ايضا

لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلهم كانوا يعتقدون ان الديانة الجديدة مستزدهر

اذا طمعت ولقحت بالمعتقد الوثنية القديم ، وسيخلص الدين النصراني طائفة

الامر من ادناس الوثنية وارجاسها " ( ١ )

هذا فيما يتعلق بالامبراطور اما فيما يتعلق بالذين اعتنقوا المسيحية

المحرقة - من العامة ، فانهم لم يتغير تصورهم السابق حين كانوا وثنيين عن

الدين ودوره وظايف في الحياة البشرية ، وكان غاية التغير الحاصل طمس

تصورهم هو احلال سميات ( الاب ، والابن ، روح القدس ) التي يؤمنون

بها النصراني محل " جوبيتر او يوبير ، ومارس ، وكورنيوس ) الثالث الروماني

الوثني ان لم يكونوا - وهذا امر طبيعي - ينتظرون من الهة بولس وكنيستهم

من تشريع الا كما ينتظرون من الهتهم الجامده ، ولم يكن مقام الاب عند النصراني

الا كمقام جوبيتر عند هؤلاء - الرومان المنتصرين - اذا فالقضية اصبحت تغيير

مسي فقط فهدلاً من ان يسمي الناس وثنيين صاروا يسمون مسيحيين .

وهذا امر طبيعي ان لا يتصور من رجال الكنيسة بتصورهم الفاسد لله

سبحانه وشركهم بالله في العبادة ، ( ١ ) والطاعة والاتباع ، ان يقتطعوا جذور الوثنية الضاربة باطنائها في اعماق نفوس الرومانيين ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، بل ان الواقع في الباطل لا يمكن ان يفتقد غيره ما وقع هو وهذا هو حال النصارى .

ولقد عبر احد مؤرخي الغرب عن هذه المسألة ادق تمبير حين قال :  
 " . . . . . ولا بد ان المسيحية لم تكن عند اكثر الناس غير ستار رقيق بخفسي تحت نظرة وثنية خالصة الي الحياة . ومن المقطوع به ان مبادئ الاخلاق فسي هذا المدنية لم يطرأ عليها اى تحسن منذ ايام روما القديمة . والخير ان هو لا القوم كانت شهوهم المناقشات التى تتناول المسائل الفاضة فسي اللاهوت المسيحي وفيما وراء الطبيعة ، وهي المسائل التى تكاد تهدولنا غير مفهومة و لا تخال كثيرين منهم قد عرفوا من امرها شيئا " ( ٢ )

واذا كان رجال الكنيسة قد عجزوا عن اقتلاع جذور الوثنية من نفوس الرومان - وهو اول خطوه في الطريق الصحيح الي الله - فمن باب اولسي سببهم من اقامة حياة الناس ، بنظمها واخلاقها علي هدى الدين ، واصبحت المراسم التعبدية التى كانت تؤدى في المعابد الوثنية تسود بعد دخول الرومان في النصرانية في كنائس<sup>بل</sup> تزحف رجال الكنيسة عن مركز التأثير في الناس الي مراكز التأثير بهم فدخلت نتيجة لذلك الخرافات والاساطير الوثنية في تعاليم المسيحية . . . . . وطقوسها ، واخطت بروايات الاناجيل وآراء المجامع الكنيسة ، وحصل ايضا امتزاج وتلاقح بين الشريعة المسيحية والقانون الروماني . يوضح هذا مقاله الفيلسوف الفرنسي اوجيه بيان هيمن يقول :

( ١ ) ما قصد هنا هو الشرك في السمات التعبدية والتوجه الي غير الله بذلك واما مفهوم العبادة فيوضحه تفريق شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ان يقول " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة .

( ٢ ) تاريخ العالم : ٣٣٠ / ٤ .

... يسوغ اطلاقنا اسم الديانة التركيبية علي النصرانية لما كان من تبسني النصرانية لمعتقدات سابقة كانت تزعم انفصالها عنها علي الخيوس (١) وقد كان بولس اول من تنازل عن الشريعة مقابل قبول الوثنيين للمعقيد المسيحيه كما مر سابقا . وكما اوضحه بعض المفكرين الغربيين . (٢)

وقد اضحي هذا الانحراف منهجا معتمداً عند الكنيسة بعد مجمع نيقية ان فصلت بين العقيدة والشريعة ، وبين الدين والدولة وقسمت حياة البشر بعد هذا الي قسمين منفصلين :

الاول : ديني يكون من اختصاص الله ويحتوي فقط علي نظام للاكليروس (رجال الدين) . والرهينه ، والمواعظ ، والتشريعات المتعلقة بالاحوال الشخصية فقط .

الثاني : " دنيوي " وهو من اختصاص قيصر وقانونه وبحكم التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ونظم الحياة عامه وعلاقات الدولة بغيرها من الدول .

ولم يجد رجال الكنيسة غضاة في هذا ، ولم يتخرجوا من ان يجعلوا قيصر شريكا لله في التشريع ولا غير فقد جعلوا من قيصر بولس شريكا لله في التشريع والعقيدة .

ويرى بعض مؤرخي اوروبا ان السبب الذي اوقع الكنيسة في هذا الشك هو نظرتها القاصرة الي الحياة الدنيا بأنها متاع الفرور والشرور وان عيسى سوف يعود ليملاء الدنيا عدلا بعد ان ملئت ظلما فما الذي يدعوهم لتفسير واقع الحياة الدنيا التي يحبونها ، ولذا قبلوا قوانين الرومان وتشريعهم . (٣)

ولرجال الكنيسة مستندات نقلية من نصوص الاناجيل كما يزعمون يهللون بها تركهم لتطبيق شرع الله المنزل علي عيسى واتباع قوانين الرومان سسوى ما علل به المؤرخون ومنهم فيشر . ولا بد من عرض نموذج لها ومناقشته ، واكتفي

هنا بنموذجين .

(١) حياة الحقائق ٦٤ - ٦٦

(٢) انظر في هذا الصدد كتاب : افكار رجال : ١٨١

(٣) انظر في ايضاح ذلك كتاب : تاريخ اوروبا في العصور الوسيط ١٠٩/١ ،



اولهما : القول المنسوب الي المسيح عليه السلام ( اوفوا مالم يقصر لقيصر وما لله لله ) . يزعم رجال الكنيسة ان المسيح عليه السلام قال هذا القول ، وهم يتعلقون به ويعدونه اصرح الحجج واقواها علي انحرافهم في الفصل بين الدين والدولة - كهدأ عام ، وقد ظل هذا القول شعار رجال الكنيسة في اوربا كلما اطلق عليهم داعي الهوى مخالفة شرع الله والنكوهي عنه ، وهكذا انحسر مفهوم الدين عيسى مر المصور حتى لم يبق في حس الناس الا ساعه من الاسبوع خاليه من كل محسن . فهل لهذا الدليل الذي تشبث به المسيحيه - المحرفه - قيمة عطيه ؟

مما لا ريب فيه ان كل ما روي عن المسيح من اقوال ليست منسوبة اليه يقيناً ، بل ولا تنسب اليه ، بل ظن الراجح ، ذلك ان رجال الكنيسة كما مر بيانهم حرفوا الانجيل - بالاضافة والحذف - حتى طست تعاليم عيسى التي انزلها الله اليه وحيا يوحى . وهذا القول الذي بين يدينا يمكن ان يقال فيه طرداً لهذه القاعدة انه لم يصدر عن المسيح ، وانما هو من اضافات المحرفين من رجال الكنيسة وما ان البحث العلمي اثبت ان الانجيل الموجوده ظنيه الثبوت ، ظنية الدلالة فكيف يجوز رجال الكنيسة لانفسهم الاحتجاج بهذه الظنيات في مثل هذه القضية الخطره ؟

هذا من جهة - فاذا تركنا ذلك وانتقلنا الي النظر الي هذا النص نظوة موضوعيه مجردة فاحصه فاما نجد ؟ وماذا نستنتج منها ؟

ان هذه العبارة " اوفوا مالم يقصر لقيصر وماله لله " ظاهرها الامور بالشرك اذ هي تجعل قيصر شريكاً لله في التوجه اليه بالعمل ومن ينفذ مدلول هذه العبارة يقع لا محاله في شرك الطاعة والاتباع . وهذه الدلالة - لهذه العبارة - تكفي لنفي ان تصدر هذه العبارة عن المسيح عليه السلام ، لان الانبياء عليهم السلام ، انما بحثوا في المقام الاول لانقاذ البشر من الشرك وتحذيرهم من الوقوع فيه فكيف يمكن ان يأمر نبي من الانبياء بالشرك ويدعوا اليه ؟ ( ١ )

( ١ ) الكتاب المقدس " انجيل متى " ٢٢/٢ . وقرس ١٢/١٢ ص

هذا من اكبر الحمال-

وهذا كاف لاسقاط حججه هذه العبارة ، ولكن سنفترض جدلا علي سبيل التنزيل مع هؤلاء المدعين ان نسبتها الي المسيح صحيحه ، فهل يعنى ذلك ان يفهم منها ما فهمه رجال الكنيسه ومقتخذ من ذلك الفهم قاعدة عامة مطلقة ؟ لننظر في سيق النص الذي وردت فيه هذه العبارة فقد يساعدنا علي فهمها . يقول مستي في انجيله .

٢٥ حينئذ ذهب الفريسيون وتشاروا لكي يصطادوه بكلمه (١٦) فارسلوا اليه تلاميذهم والهيرووسيين قائلين : يا معلم قد علمنا انك محق وتحلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد ولا تنظر الي وجوه الناس (١٧) فقل لنا ماذا تظن هل يجوز ان تعطي الجزية لقيصر ام لا (١٨) فعلم يسوع شرهم وقال : لماذا تجرونني يامراؤون ، اروني نقد الجزيه ، فأتوه بدينار (٢٠) فقال لهم يسوع : لمن هذه الصورة والكتابة (٢١) فقالوا لقيصر حينئذ قال لهم اوفوا لقيصر لقيصروما لله لله ، (٢٢) فلما سمعوا تعجبوا وتركوه وانصرفوا \* (١)

من المعلوم ان المسيح عليه السلام واتباعه وهم قلة مضطهده من قبل اليهود والرومان ويتبنون دعوة جديدة ناشئه - لم يكن في طاقتهم الاضطهاد الدولة الرومانيه ، ومواجهتها بالعداء السافر ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى لم يكن مطلوبها منهم في هذه المرحلة - مثل هذه المواجهة كما حصل فيما بعد للرسول (ص) واصحابه في مرحلة الدعوه الحكيمه - وذلك حتى لا يستثار عدو قوي يبطش بالدعوه ورجالها اول عهدا .

وقد لاحظ هذا قتله الانبيا - اليهود - فكانوا لميسي عليه السلام ولدعوته بحيث <sup>تخبر</sup> الدعوه وصاحبها عن منهجها المقرر لمناوئه الاوضاع قبل اوان ذلك ، وبهذا يجد اليهود ذريعه للايقاع بميسي واتباعه لدى الحاكم الروماني لذا سألوا هذا السؤال .

(١) الكتاب المقدس \* انجيل متى \* ٢٢/٢ . ومرقس ١٢/١٢ : ٨١

وواقع الامران عيسى عليه السلام واتباعه وهم قلة - ليس في استطاعتهم  
اولا ، ولا في منهج الدعوة ثانيا ان يرفضوا دفع الجزية لطاغية الرومان قيصره ،  
الا ان هذا لا يعنى ان عيسى عليه السلام يعترف لقيصر بحق مساواة الله وجعله  
شريكا لله في الوهيت كما فهم رجال الكنيسة المنحرفون .

اذن فالمسيح وافق - علي فرض صحة العبارة - علي اجراء موثقت -  
تقتضيه طبيعته الدعوي المرحليه المشابهه لمرحلة الدعوة الحكيمه .

ولو قدر لعيسى عليه السلام ، ان تبلغ دعوته من القوة مقدار ما بلغت  
دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم عندما اذن لهم بالجهاد ، لاذن عيسى عليه  
السلام لقومه : يرفض دفع الجزية لقيصر ورفض كل وضع جاهلي ، بل لا موهم بجهاد  
الرومان وغيرهم من الوثنيين .

وبذا يتبين انه حتى علي افتراض ثبوت العبارة فانها لا يمكن ان يستتبط  
منها قاعدة كلية عامة دائمة يقضي تطبيقها الي ابطال شرع الله ، باهتال اقامته  
في واقع الحياه ، وقرار الطواغيت علي طفياتهم . بل تبقي ذات مدلول محدود  
موثقت في مسألة فرعية في مرحلة معينة .

٢- القول المنسوب الي المسيح : " ان ملكتي ليست من هذا العالم " .

لقد فهم رجال الكنيسة من هذه العبارة علي افتراض صحة نسبتهم -  
الي المسيح ان الدنيا والاخره ضدان لا يجتمعان ، ان الدنيا ملكة الشيطان  
ومستقر الشرور والاثام وعمل الانحسار فيها لطلب رزقه اولتحقيق اقصى قدر  
مممكن من السعادة ، والتمتع بطبيعات الكون كل ذلك ارجاس ، يقرى بها الشيطان  
لصرف الناس عن ملكة الله الخالده وهي الاخره .

ولذا فان الفقر والمعنت مفتاح ملكوت الله ، وتدعي الاناجيل ان المسيح  
عليه السلام قال :

" . . . ( ٢٤ ) وايضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب سم

ابره من ان يدخل غني ملكوت السموات " ( ١ )

( ١ ) الكتاب المقدس " انجيل متى " ١٩ / ٢ . وانظر " انجيل مرقس " ٢ / ١٠ / ٢٧ ص

كما تدعي ان المسيح طلب من اتباعه ان يقصروا ادعائهم لله بطلب الكفاف  
يقول الانجيل حسب روايه متى .

" (١١) خبزنا كفافنا اعطنا اليوم (١٢) واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن لمن  
أساء الدنيا .

(١٣) ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير . آمين " (١٤)

فالانسان حسب هذا المفهوم المعوج مطلوب منه ان يرضى بالكفاف فقط ،  
فاذا اصبح غنيا وتمتع بطيبات الدنيا ونعمها التي اودعها الله فيها فهذا الانسان  
سيعاقب بالعمران من دخول ملكوت الله .

فاذا كان هذا هو حال الانسان في الدنيا كما فهمه رجال الكنيسة فلماذا  
يبدل الانسان طاقه جهده لاصلاح ما كان بطبيعته فاسدا فليتحكم الطواغيت بالناس  
وليستعبدهم ، وليعيشوا في هذا الكون فسادا كما يحلو لهم فسوف يحاسبهم  
المسيح في الآخرة .

اما من يحرص علي جمع المال والتمتع بالحياه الدنيا فسوف يحرمهم هذا من  
دخول ملكوت الله اما المسيحي الكامل فهو الذي يرضى بالكفاف في كل شيء ليحصل  
له الدخول في ملكوت الله .

هذا ما فهمه رجال الكنيسة من هذه العبارة المنسوبة الي المسيح - فقد  
فهمت من هذه العبارة انها تودي الي نظره ضيقة للحياة الدنيا ، وبالتالي  
لسهمة وظاية الدين فيها ، يائسه من امكان اقامة الشريعة في واقع الحياة .

وهكذا حُرِفَت المسيحية من عقيدة شاملة ذات منهج رباني كامل ، انزلت  
علي عيسي عليه السلام لازالة الواقع الجاهلي الذي يعيشه الناس واقامة واقع جديد  
محكوم بشريعة الله المنزل الي نظرة قاصرة للدنيا ، ورأت ان تتكلم بشؤون الحكم  
وتقويم كافة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية او السياسية ، ليس من دين المسيحية  
لان ملكة المسيح كما يقول ليست من هذا العالم لكن هذا لا <sup>ينفي</sup> ان رجس

الكنيسة لم يمارسوا سلطات سياسية ، او اجتماعية ، فقد كان منهم مالم يحصل من اعنى الجباية - كما سأوضح ذلك - الا ان هذه الممارسة كانت محدودة بنطاق ضيق هو نطاق المطامع الشخصية لهؤلاء ، وكانت الرغبة في اشباع هذه المطامع هي الدافع من وراء ممارسة السلطة . فقد كان البابا يهتم بالدرجة الاولى بتوليى تنويع الملوك والحصول منهم على الضرائب ، اما الحكم بما انزل الله فليس من مهماتهم . ذلك ان الحكم ليس من اختصاص هؤلاء الرجال بل هو من اختصاص القصر ، لان ملكة المسيح ليست من هذا العالم .

هذا بيان لمفهوم المسيحيين من هذه العبارة على افتراض صحتها .

لكن هل هذا الفهم صحيح ام ان لها معنى آخر لو صحت ؟ لا يمكننا الاجابة على ذلك الا اذا اوردنا السياق الذى وردت العبارة فيه وها هو السياق كما ورد في انجيل يوحنا :

” . . . ( ٣٣ ) فدخل ايضا بيلاطس الي دار الولاية ودعا يسوع وقال له : انت ملك اليهود ؟ ( ٣٤ ) اجابه يسوع من عندك تقول هذا ام آخرون قالوا لك عنى ؟ ( ٣٥ ) فاجاب بيلاطس : العلي انما يهودى ؟ . انتك رؤساء الكهنة هم اسلموك الي فما الذى صنعت ( ٣٦ ) اجاب يسوع ” ان ملكتي ليست من هذا العالم ” ولو كانت ملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاربون عنى لثلاثين سنة الي اليهود . والآن فان ملكتي ليست من هنا ” ( ١ )

بيلاطس هذا هو الحاكم لفلسطين من قبل الرومان ، وقد دبر اليهود مكيدة اخرى ضد المسيح اذا رأوا ما عرفوا به من حيل ومكراته بالامكان استمدا ” بيلاطس ” على المسيح عليه السلام عن طريق تفتيق تهمة ضده ، هي انه يدعى انه ملك على اليهود بهدف الي استقلال امته عن حكم الرومان المستعمرين ، وهذه تهمة كفيفة بتعريض المسيح للعقوبات القاسية ، وهكذا سار اليهود في حبسك هذه المكيدة فتظاهروا بالنصح للحاكم الروماني ، وحين احضر المسيح - كما

تقول الاناجيل - الي. بيلاطس تودد في ايقاع العقوبة به فهدده اليهود بشي  
مخيف وهو انه ان لم يوقع بالمسيح العقوبة فهو ليس محبا لقيصر ، وعدم حبه لقيصر  
سيدفع ثمنه ظليا ، وهذا يوحي لبيلاطس ان اليهود سيوصلون هذا الامر الي قيصر  
ومن ثم سيعاقب قيصر هذا الحاكم المتخاذل ، لابل ان اليهود اجنوا فسي  
التهديد فقالوا ليس لنا ملك الا قيصر . يقول انجيل يوحنا ان اليهود قالوا :

" (١٢) ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم  
قيصر " (١١)

ويقول يوحنا ايضا ان اليهود قالوا :

" (١٥) ليس لنا ملك الا قيصر " (٢)

هذا هو موجز القصة كما رواها انجيل يوحنا ، فقد وردت هذه العبارة  
خلال التحقيق معه من قبل الحاكم الروماني ، والفهم السليم لها هو انه كان يقصد  
انني لست ملكا من الصنف الذي نتصوره انت واليهود علي مثال قيصر وكسرى ، ذلك  
ان الملك المتخيل الذي يحني العزة والمجد ليس لي منه حظ في هذه الحياة ،  
وانما حظي منه عند الله في الدار الآخرة .

كما انه لم يقل كما قال اليهود ليس لنا ملك الا قيصر ، ولو قال ذلك او قريبا  
منه تصرحا او تمحيا لسلم من الاذى ولكنه لم يقل ذلك انه رسول من عند الله  
ارسله الله ليهدم كل سلطان لغير الله في هذه الارض فكيف يعترف بذلك ، وحتى  
لو عجز عن هدم تلك الطواغيت فلن يقر ويعترف بها .

وهكذا. يعمد رجال الكنيسة الي عبارات تسبها الاناجيل الي المسيح عليه  
السلام قبلت في ظروف موقته وملابسات معينه ليقرروا منها قواعد عامه تؤسس  
عليها الديانة .

(١) الكتاب المقدس " يوحنا " ١٩/٢ ج ف

(٢) نفس المصدر : ١٩/٢ ج ف

واذا سألت اخي القارىء هل اكتفى رجال الكنيسة بما ادخلوه في النصرانية  
 من تعريف كبير ؟ وهل اكتفوا بالانحراف الذى ساد سلوكهم حتى بمسند  
 تعريفهم ؟ فالجواب انهم لم يكتفوا بذلك بل زادوا عليه باختراع يدع لم ينحل بها  
 الوحي على عيسى عليه وعلى نبيينا افضل الصلاة والسلام . وهذا ما سوف نعرفه  
 في الفقرة التالية من البحث .

## المطلب الثاني : بدع استحدثها رجال الكنيسة

لم يكتف رجال الكنيسة بتحريف المسيحية عقيدة وشريعة بل وصلوا الى حد الزيادة وابتدع تعاليم لم ينزل بها وحى من الله وأصبحت من صلب تعاليم المسيحية وطوقسها . ولعل من أهم ما ابتدعه رجال الكنيسة ما يلى :

- ١- بدعة رجال الدين ، ٢- بدعة الرهينة ، ٣- بدعة الادعاء بوجود اسرار مقدسة لا يعرفها الا رجال الكنيسة ، واحيانا تخفى عليهم ايضا .
- ٤- بدعة العشاء الربانى ، ٥- بدعة عيادة الصور والتماثيل ، ٦- بدعة ادعاء المعجزات لرجال الكنيسة ، ٧- بدعة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التخلية . وغيرها من البدع الكثيرة وسوف أتحدث عن ثلاث منها فقط وهى :-
- ١- بدعة رجال الدين ، ٢- بدعة الرهينة ، ٣- بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان ، وحق التخلية .

وبدعة رجال الدين هى اخطر البدع واعقبا أثرا ، ان البدع الاخرى ناشئة عن ابتداع رجال الدين ، واضفائهم الشرعية عليها بقرارات مجامعهم لهذا سوف يكون الحديث عنها أولا باعتبارها أم البدع الاخرى .

أولا :- رجال الدين " الاكليروس " *by the priestly order* " (١)

تعددت النظريات الجاهلية لتاريخ الأديان ، ولحياة البشر الدينية ولنشأة بدعة رجال الدين ، ومن ضمن هذه النظريات الجاهلية ، نظرية الفيلسوف الفريسي " أوجست كونت " الذى نشأ فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ان يرى أن تاريخ الفكر الانسانى ينقسم الى مراحل ثلاث هى :

- ١- مرحلة السحر والخرافة أو المرحلة اللاهوتية .
- ٢- مرحلة الدين أو المرحلة الميتافيزيقية .
- ٣- مرحلة العلم " الوضعية العلمية " .

(١) « تحاضن إلياس لعصرى (عصرى) (مجلد ١) : ٣٥٠ مادة « اكليرس » .



١- مرحلة السحر والخرافة :- ويرى أن الفكر البشرى كان فى أدنى ألواره ، وأن الناس كانوا يرون أن حياتهم مرتبطة بأسباب خفية لا يمكن ادراكها ، ولذا لجأ الانسان الأول الى السحر والشعوذة لاعتقاده أنهما القادران على التأثير فى مجرى حياته بطريقة غير محسوسة له . فلما ازداد فهم الانسان لحياته وكثرة آماله ومطامعه زاد تعلقه بالسحرة ليدفعوا عنه الارواح الشريرة التى يعتقد أنها تسبب الضرر أو تجلب له النفع المتنوع ، ومن ثم أصبح هؤلاء السحرة يحتمعون بمراكز اجتماعية طيا لدى هؤلاء الناس ، فأصبحوا زعماء للقبائل وفرضوا لأنفسهم سلطانا ماديا على أتباعهم .

٢- مرحلة الدين :- انتقل الناس فى زعم " كونت " الى التدين حين انشغلوا بالزراعة ، فبنوا المعابد وأصبح بعض الكهان ملوكا يتوارثون الحكم وفق البعض الآخر سدنة للهيكل والمعابد التى كانت تدبر عليهم المال الوفير وتكسبهم الشرف الرفيع . وقد بقيت رواسب موروثه عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين يمثلون فى سدنة المعابد والهيكل - وهم يوازنون السحرة والكهنة فى المرحلة الأولى ، وظل هؤلاء - رجال الدين - يقومون بنفس المهمة التى كان يتولاها أولئك السحرة والكهنة ولا يوجد فارق بينهما غير أن رجال الدين يستمدون سلطانهم من الدين أما السحرة والكهنة فكانوا يستمدون سلطانهم من السحر والكهانة. (١)

٣- مرحلة العلم الوضعى :- ويرى " كونت " أنها بدأت من عهده . "وفيهما أخذ الانسان يفسر الأحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة . يمكن ادراكها بالمطالعة أو بالمشاهدة العلمية . وفى هذه المرحلة فى رأيه لا تذكر " الارواح والالهة والقوى المطلقة " . (٢)

هذا هو أحد التعليقات الجاهلية - ولا يزال سائدا - لتفسير حياة البشر الدينية ، ولبيان كيف ظهرت طبقة رجال الدين .

(١) سلسلة تراث الانسانية : المجلد الأول والسادس عند الحديث عن كتاب اوجست كونت وفلسفته ، والحديث عن كتاب العقلية البدائية .

(٢) الاسلام يتحدى : ٢٦ .



ان التعليل الصحيح المباشر الذى يوضح الاصل الحقيقى لنشأة سلطان رجال الدين أولنشوء هذه الطبقة هو أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأوكل الى الأخبار حفظها فى الصدور ، وحفظها فى واقع الحياة بالعمل بها .

" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ولتور يحكم بها النبيون والأخبار بمـا است حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " . . . . " المائدة : ٤٤ .

فكان مقتضى ذلك أن يوجد عدد منهم يعتنون بحفظ كتاب الله ، وشرحه وايضا ح أحكامه ليسير عليها الفل والمجتمع ، وقد أمر الله هؤلاء الأخبار - وهم علماء بنى اسرائيل - أن يكونوا ربايين بما كانوا يعلمون الكتاب ومـا كانوا يدرسون (١) ، كما نهاهم عن كتمان شىء منه أو تحريفه أو شراء شىء من عوض الدنيا الزائل به . (٢)

لكن الأخبار لم يأتروا بما أمرهم الله به وأغرتهم مطامع الدنيا الزائلة واشتروا بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا واضاعوا الأمانة ، وفرطوا فى حفظ التوراة وفرضوا لأنفسهم سلطة دينية يأكلون بها أموال الناس بالباطل (٣) .

ولهذا استحقوا مقت الله وعقابه ، وكانوا قدوة سيئة لمن جاء بعدهم ثم بعث الله عيسى وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وأنزل عليه الانجيل فحذر أتباعه من اقتفاء أثر اليهود ودعا قومه الى التوجه الى الله وحده بالعبادة ونهى قومه عن التسلط كما تروى الانجيل عنه ذلك . (٤)

(١) سورة آل عمران : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧ والبقرة : ٤٠ - ٤٢ .

(٣) انظر فى هذا سورة آل عمران : ٧٧ . وسورة المائدة : ٤٣ ، ٤٤ ،

وسورة التوبة : ٣٤ .

(٤) الكتاب المقدس متى ٢٠ ٢٣ ص

ولكن القسس والرهبان لم ينصاعوا لما أمرهم به المسيح عليه السلام بل غرقوا في أحوال الدنيا واستعبدوا أتباعهم المؤمنين وساعد وجودهم ضمن ولايات الإمبراطورية الرومانية على تدعيم مراكزهم ، بل أنهم اقتبسوا من الأنظمة السياسية للدولة الرومانية فكرة إنشاء أنظمة وهياكل كهنوتية فأصبحت الهياكل الكنسية المنظمة تمثل هرمًا قمته البابا ، وقاعدته الرهبان وقد رعت الإمبراطورية الرومانية هذا الهرم الكنسي واستمرت في ذلك لأنه لا يتعارض مع وجودها . (١)

وقد اخترع رجال الكنيسة بصفتهن المسيطرين على مقاليد السلطة الدينية من " الوساطة بين الله والخلق " واستمدوا منه مبررا لبقائهم على قمة السلطة الدينية ، ومقتضى هذا المبدأ يذهب الإنسان إلى رجل الكنيسة " ليعبد الله بواسطته ويعترف أمام رجل الكنيسة بذنبه في الأبرشية ، ومن ثم يقول رجل الدين بالتوسط لدى الله ليغفر لهذا المذهب وليقبل توبته وعبادته ومن ثم نصب رجال الكنيسة أنفسهم أندادا لله سبحانه وتعالى ووقع أتباعهم بسبب هذا في الشرك الأكبر وصدق عليهم قول الله تعالى : " اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الله الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " التوبة : ٣١ .

وترتب على هذه المسألة أن زعم رجال الكنيسة لأنفسهم حق تفسير الأناجيل ومهزلة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، والتحلة .

ثانيا : الرهبانية وأثرها في العالم المسيحي الغربي : « Monachism »

الحديث عن الرهبانية يتضمن الحديث عن ما يلي :-

(١) انظر في بيان اقتباس النصارى هياكلهم التنظيمية الدينية عن الرومان كتاب : المسيحية : ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) انظر محاضرات في النصرانية : ٢٠٣ .

(٣) « كما صوّر إليه المصري (عز الدين الحلبي) ٢٦٥١ مادة "هيك" »

- ١- ما هي الغاية من وجود الانسان في هذه الحياة ؟
- ٢- ما هي الرهبانية ؟
- ٣- متى نشأت وهل أمر الله بها أم لا ؟
- ٤- ما هي العوامل التي ساعدت على نشوء الرهبانية ؟
- ٥- الشروط الواجب توافرها فيمن يريد الرهبنة .
- ٦- نتائج الرهبانية على رجال الكنيسة وعلى المجتمع الغربي عامة .

١- الغاية من وجود الانسان : حدد الله الغاية من وجود الانسان في العبادة له سبحانه بما شرع قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " الذاريات : ٥٦

ومن ضمن ذلك الخلافة لله في الارض بعمارته بطاعته وتنفيذ شرعه قال تعالى " وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون " البقرة : ٣٠ . وحتى لا ينسى الانسان الغاية من وجوده - وهي العبادة - ولتقوم عليه الحجة امام الله جل وعلا جعلها الله جزءاً أساسياً من تكوينه النفس والروحى .

" فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله . . . " الروم : ٣٠ . كما أرسل الله الرسل الى الاقوام البشرية ليكونوا أموزاً حياً لتحقيق هذه الغاية والدعوة اليها . لكن الشيطان أغوى الناس فضلوا الطريق فغفلوا عن غاية وجودهم وانقسموا في الطوائف العجلى ، أو تصوروا هذه الغاية على غير حقيقتها فضلوا في أعمالهم . ومن التصور الخاطى لهذه الغاية الاعتقاد بحقارة الدنيا الى درجة تسقط معها قيمتها التي جعلها الله لها ، والذي ينتج عنه الغلو في تهذيب النفس الى حد التضيق عليها مع صرف النظر عن عبارة الكون بطاعته تعالى وتنفيذ شرعه التي هي جزء من الغاية الكبرى - عبادة الله .

ومن ثم تعد الرهبانية هي التطبيق العملى للتصور السلبى الخطا على - الاعتقاد بحقارة الدنيا - وهذا التصور الخاطى نشأ عن الجهل التام بطبيعة

الانسان ، ومهمته في الوجود التي وضعها الله في فطرته .

وهكذا تضل البشرية حين لا تهتدي بهدى الله فتفرق في المادية التي يتسبب عنها الجفاف الروحي ، الذي <sup>يؤدي</sup> ~~يؤدي~~ في هذا العصر - أو تفرق في الرهبانية والتفكير الذي يصل الى حد تعذيب النفس الذي تحاربه الأديان كلها .

صاحب الرهبانية (١) يقول ابن منظور " صاحب لسان العرب " في مادة " رهب " ما يلي :

"... قال ابن الأثير : هي من رهينة النصارى ، قال : ولعلها من الرهبة والخوف كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعهد مشاقها ، حتى أن منهم من كان يخص نفسه ويضع سلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنقاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ، ونهى المسلمين عنها " (١)

فقطي هذا يمكن تعريفها بالآتي :-

هي البعد عن ملاذ الدنيا ما أباح الله من المأكول والمشرب والملابس والاكتفاء بالكفاف في المعيشة وتعذيب النفس لتمهيدها على تحمل المشاق والمتاعب .

٣- متى نشأت الرهبانية وهل نشأت عن أمر من الله أم لا ؟ : اختلف المؤرخون في تاريخ نشأتها لكنهم اتفقوا على أمر واحد وهو أن النصارى كانوا مسبقين بذلك من الهندوس البوذيين . أما عن نشأتها عند النصارى فاختلفوا في تاريخه .

فالمؤرخ ويلز يذكرونها نشأت في العالم الغربي في القرنين السادس والسابع ويذكر أن بندكت ( ٤٨٠ - ٥٤٤ ) يعد من أهم الشخصيات التي ساهمت في تطور الديرية في أوروبا . (٢)

(١) لسان العرب المحيط : ١/١٢٣٧ .

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٣٠ ، ٧٣١ وانظر ما يدرجها في  
 حديث مفصل من ٧٣٤ وانظر في بيانه نشأت  
 الرهبانية عن بعض ما وكيف انتقلت اليهم من الشرق ونظم بعض  
 الرهبانية الجليلية من كتاب تاريخ لوقا الحريش : ١١/١٢٥ - ١٤٩ .

بينما يرى صاحب كتاب "تكوين العقل الحديث" أن "باشوميوس أولا ثم القديس باسليموس في القرن الرابع الميلادي كانا أول من وضع القاعدة الكبرى للاندريه الشرقية . (١)

ولم يأمر الله بالرهبانية وإنما نعى الله على الذين ابتدعوها — من النصارى ولم يفوا بما الزموا أنفسهم به قال تعالى : " . . . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوا ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأثينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون " الحديد : ٢٧ . (٢)

٤- العوامل التي ساعدت على نشوء الرهبنة :- لكل حدث عوامل — تؤدي الى ظهوره فما هي العوامل التي أدت الى ظهور الرهبانية ؟ يمكن تلخيص هذه العوامل في الآتي :-

١- عقيدة الخطيئة الموروثة :- يعتقد المسيحيون أن آدم طيه السلام حين أكل من شجرة المعرفة التي نهى عن الأكل منها عوقب بالطرد من الجنة وأنزل الى الأرض ولم يكف الله تعالى عن ذلك — بمقومة آدم وإنما ظل البشر كلهم يتألمون من آثار تلك الخطيئة الشعور بالذهب والجرم لفعلة أبيهم آدم طيه السلام ، وقد رحمهم الله بانزال — ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — حتى يصلب فدا<sup>١</sup> للبشر كلهم ، وليوضح للناس طريق الخلاص من هذه الخطيئة ولهذا كما يعتقد رجال الكنيسة — أصبح من المحتم على الانسان أن يقتل نفسه لمنحها الخلاص من هذه الخطيئة التي تلاحقه منذ آدم . (٣)

ولما كانت المرأة حسب ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم — هي التي أغرت الرجل — أي آدم — بالأكل من الشجرة . فان المسيحية المحرفة عادت المرأة عدا<sup>١</sup> شديدا ، لأنها أصل الشر ومنبع الخطيئة في العالم لهذا

(١) تكوين العقل الحديث : ١٢٧/١ «انظر في بيانه معنى اندريه تفسير

(٢) ابن كثير : ٥٤/٨٨ - ٥٧ . ف ج ف  
(٣) انظر في قضية الخلاص الكتاب المقدس متى : ٢٠ ١٢ و "لوقا"

٢ ١٧٠ . ومن العجيب تناقض النصارى في قضية الخلاص فهم يقولون أن عيسى نزل حتى يصلب فدا<sup>١</sup> للبشر ، ويقولون ان اليهود صلبوا المسيح ويعادون اليهود لذلك ولم يبرئوا اليهود الا عام ١٩٦٤ م

فان الخلاص من الخطيئة الموروثة من عهد آدم لا تتم الا بانكار الانسان ذاته وقتله لكل ميله الفطرية ، والا حتقار البالغ الحد للجسد وشهواته كلها لا سيما شهوة الجنس " النكاح " .

وقد ثرت على الشعور بالخطيئة الحزينة - أن أصاب القنوط الكثير من ينتسب الى المسيحية ففعلوا من رحمة الله فاذا ارتكب أحدهم ذنبا ضاق بالذنب وذهب يعاقب نفسه بأنواع من العقاب ومن ضمن ذلك الانعزال عن البشر في الأديرة .

## ٢- رد الفعل العنيف المتطرف للمادية :

بعث الله المسيح عليه السلام في مجتمع يتكون من طائفتين متباكيتين على المتاع الدنيوي هما ، قومه اليهود أجشع بنى البشر وأشد هم تعلقا وتشبثا بالحياة أى حياة " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة " . والرومان الوثنيون الفارقون في الحياة البهيمية والشهوات الدنسة ، فكان عيسى عليه السلام - بما أمره الله - يعظهم ويذكرهم بالآخرة ويضرب لهم الأمثال ويقص عليهم القصص المتنوعة عن الأقوام السابقين وما أصابهم من جرائع عاداتهم لطذات الدنيا وغلودهم اليها وغفلتهم عن الله وتنفيذ شرعه ذلك حتى يردهم الى جادة الصواب يرفعهم عن عبودية الدنيا ولذاتها الى عبادة الله وحده ، ويوضح لهم ما ينتظرهم في الآخرة من النعيم ان هم استجابوا له ، ومن الأهوال والعذاب ان لم يستجيبوا له ليحسبوا لكل حسابه . فأمن به عليه السلام قلة من قومه واتعظت قلوبهم ووقت لما سمعوا لكنهم بمرور الزمن وكرد فعلهم للمعنى المادى عليهم غلوا فخرجوا عن حدود ما أمرهم به المسيح عليه السلام وما تعمله عليهم الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها ، فنسبوا الى المسيح ما لم يقله من أنه أمر شابا غنيا أن يبيع كل شئ ويعطيه للمساكين ليكون له كنز في السماء . (١)

(١) انظر في قصة الشاب الكتاب المقدس متى ٢٠ ١٩ ٣٥



(١) كما نسبوا اليه أنه أوصى تلاميذه بعدم اقتناء الذهب والفضة وغيرهما

٣- تأثير الفلسفات والوثنيات القاطنة :- عاشرت المسيح عليه السلام  
فلسفات ووثنيات قاطنة كالرواقية والبرهمية والبوذية . ودخل في النصرانية  
بولس اليهودي والمخرف الأكبر للنصرانية وكان متشعبا بالفلسفات والوثنيات  
المعاصرة للمسيح ، قد دخلت في المسيحية من ضمن ما دخلها من التحريف على  
يد اليهودي النظرة المتشائمة للحياة الدنيا ومتعها وفق العالم فيما بين  
فترتي بعثة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام متعشبا الى دين صحيح  
بقيم الأمور على هدى شريعة الله ، وهذا ما لم تستطع المسيحية بولس - كل ذلك  
ساعد على استبداد الحيرة والضلال عن الجادة الصحيحة بكثير من ذوي العقول  
المفكرة ، والمشاغل المرهقة فأبتكروا واعتنقوا الفلسفات التي تتم عن التهرب من  
الحياة وتقوم على الاستغراق في عالم ما وراء المادة ، ولهذا راجت الرهينة  
في القرون التي تلت المسيح عليه السلام . (٢)

٤- الأوضاع الاجتماعية القاسية :- من المعلوم ان المجتمع الروماني كان  
مجتمعا طبقياً "ظالماً" يعاني فيه سكان المستعمرات البؤس والحرمان من  
الحقوق الانسانية العامة بسبب الظلم والطغيان ، وكانت الجيوش تشكل من  
سكان المستعمرات ما جعلهم يقنطون من حياة الذلة والمهانة لذا رأوا أن خير  
وسيلة للتخلص من هذه المهانة - ولو أدى ذلك الى العيش الكفاف - هو دخول  
الاديرة حيث ينفق عليهم من التبرعات وأوقاف الكنيسة . (٣)

٥- الشروط الواجب توفرها فيمن يترهب :

يشترط فيمن يريد الرهينة شروط معينة منها :

١- المزمومة : وهي أهم الشروط للرهينة ، ان لا معنى للرهينة مع وجود  
زوجه وينسب انجيل متى الى عيسى عليه السلام انه جعل الطلاق بدون طعة  
زنا ، والزواج بثنائية زنا والزواج بطلقة آخر زنا ، وأنه فضل البقاء بدون زواج

في

- (١) نفس المصدر " متى " : ٢ ، ١٠ .  
(٢) انظر في ذلك " معالم تاريخ الانسانية : ٣ / ٧٣٠ ، ٧٣١ .  
(٣) انظر : قصة الحضارة : ١٤ / ١٥٠ .

للتلاميذ . (١) .

وقد كان من المشكلات المستفحلة على الكنيسة ورجالها مشكلة زواج رجال الدين - غير الرهبان - أو تسريحهم إلا ما بحجة أن القس إذا تزوج يكون ولاه لزوجته وأولاده ، وأنه سينقل كرسيه لزوجته وأبنائه ، وهو مطالب بأن يكسب حياته لله ، وقد نادى " جريجورى " بمذهب التبتل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده باعتباره خليفة المسيح في الأرض ، وأعلن عن استعداداته للعمل في كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ، ولو أدى ذلك إلى فصح العرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين في ألمانيا ، أو ثرب عليه اضعاف الكنيسة الألمانية إلى أقصى حدود الاضعاف . . . (٢) وهكذا ألزم رجال الدين بعد جريجورى بالتبتل ، ويشرف على ذلك البابا لأنه خليفة المسيح في الأرض .

فإذا كان التبتل قد فرض على غير رجال الدين من الرهبان وكان هذا حالهم ، يراقبون من قبل البابوات فما بالك بالرهبان أنهم يعانون من الرهبة الشىء العظيم .

٢- أن يتحرر من يريد أن يكون راهبا عن متاع الدنيا ويعنى ذلك الرضا من الرزق بالكفاف وعدم الاهتمام بالطالب الجسدية ولو ضروريا من مأكلا ومشرب وطبى ونظافة وإذا كانت مسيحية بولس المحرفة تأمر عامة النصارى باحتقار الحياة الدنيا وتعهد هذا من أولى الواجبات فطبيعى أن تكون معاملة الراهب أقسى .

يقول صاحب كتاب " المشكلة الأخلاقية والفلسفة " :

" . . . ولنقرأ هذا السفر الطريف " محاكاة المسيح " انه سفر من أكبر

أسفار التبتل المسيحي ولنطلب بين صحائفه مظاهر الحياة المسيحية بمعناها الصحيح إن ما نجده فيها ليعبر عن الحال بأبلغ عبارة :

ج ف ص

(١) انظر في بيان ذلك الكتاب المقدس " متى " : ٢ ١٩ ٣٥

(٢) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ١٤٧/١ وقصة الحضارة : ١٤

٣٨٣ ، ٣٨٤

١- احتقار أساسى لكل علم . وحتى ليشمل ذلك علم الالهيات ،  
 ٢- احتقار اضيل لكل ما تسميه خيرات هذا العالم الثراء ، والشرف  
 والمركز الاجتماعى ، حتى المركز الوسط . وانه لحتم أن نستشعر دائما القواضع  
 والندم وان نمارس عطيا ، على الدوام ، التضحية ، وكل مظهر عليه الرحمة .  
 وان نشتغل اشتغالا دائما بالصلاة والسلام . وأن نجتمع حواسنا فى صمت  
 ولهول تام وتأمل ديلى يتسنى المرء فيه كيانه . يجب أن نقتل فينا كل ميل  
 دنيوى يجب أن يموت عالم الرغبة . يجب أن نبدأ من هذا العالم الزائل ،  
 ما سوف يكون لنا الوجود الأبدى .

ثم يتول معلقا :

"عظمة وعلاء ! ولكن قضا " قاس على الإنسانية . وان التطبيق  
 الكامل لمثل تلك المبادئ ، لا يمكن أن يملأ الأرض بأديرة فيها الرجال  
 من جهة والنساء من جهة أخرى ، ينتظرون فى طهارة وتأمل ، الزوال النهائى  
 للنوع الإنسانى " (١)

وفى هذا ما يكفى للتعليق على هذا الانحراف .

٣- أن يكون الراهب فى عبادة متواصلة يطيبها عليه الآب ، ويجب أن  
 يطيبه لأنه خليفة المسيح فى الأرض فإذا عصاه فقد عصا المسيح . بل يجب  
 عليه إجهاد نفسه وتكليفها مالا تطيق ، من الصلوات والصيام وسائر شعائر  
 التعميد فإن سئم ومل ، أو قصر فى شئ من ذلك ، فان لذلك عقوبات رادعة .  
 فقد كان من تعاليم " سانت كولمان " وهو أحد مؤسسى الأديرة ما يلى :

١- يجب أن تصوم كل يوم وتصلى كل يوم ، وتعمل كل يوم وتقرأ كل يوم ،  
 وعلى الراهب أن يعيش تحت حكم آب واحد .

٢- يجب أن يأوى الى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر فى

الطريق "

كما أنشأ نظام الحمد الذى لا ينقطع بايجاب تلاوة الاوراد على الرهبان  
 بلا انقطاع ليلا ونهارا موجهة الى عيسى ومريم والقديسين (٢)

(١) المشكلة الأخلاقية والفلسفة : ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) قصة الحضارة : ١٤ / ٣٦٥ .

أما العقوبات فكانت بالجلد بالسياط ، فإذا سعل الراهب وهو يبدأ  
ترنيمة جلد ستة سياط ، وكذا إذا نسي د رم اظافره قيل تلاوة القداس أو تبسم  
أثناء الصلاة ، وقزع القدح بأسنانة أثناء العشاء الرباني . وكانت اثنا عشر  
سوطا إذا نسي أن يدعو الله قبل الطعام . وغيرها من العقوبات . (١)

٤ التعذيب الجنوني للجسم والنفوس : - لم يقتصر الأمر على المزمومة  
والشجر من متاع الدنيا - حتى ما رحله الله - والعبادة المتواصلة ، بل وصل  
الأمر بهم إلى تصرفات تشبه تصرفات المجانين بزعم أنهم بذلك يعبرون عن  
قوة إيمانهم .

يقول " ويلز " في وصف له لمثل هذا التعذيب :  
" . . . وقد أرسل القديس " بندكت " أرسل رسالة لراهب منعزل اخترع  
درجة جديدة من الورع يربط فيها نفسه بسلسلة إلى صخرة في غار ضيق يثبط  
فيها من حماسه ويدعوه فيها أن يخفف من غوائه . قال بندكت " كسر أعلاك "  
لأن خادم الله الحقيقي لا يغل إلى الصخور بالحديد ، وإنما يربطه المسيح  
إلى الهدى والبر " . (٢)

النتائج التي حصلت بسبب الرهبانية :  
من سنن الله في هذه الحياة أن كل عقيدة أو مبدأ لا يساير الفطرة  
البشرية التي فطر الله الناس عليها فإنه إلى الخسران والفناء المحقق .  
ومصير من يعتنقه الشقاء والضياع ، ومن المعلوم المقطوع به أنه لا يستطيع أحد  
الاتيان بدين يوائم الفطرة البشرية إلا من خلق البشر جل وعلا ، لذا كان  
المتدعون ومخترعوها المذاهب البشرية المخالفة للفطرة أكثر الناس اساءة إلى  
البشر ، والرهبانية إحدى البدع التي ابتدعها البشر وليست مواهبة للفطرة

(١) قصة الحضارة ج ١٤ / ٣٦٥ .

(٣) معالم تاريخ الانسانية : ٧٣٢ / ٣ وانظر صورا أخرى لهذا التعذيب  
في " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٥ .

التي فطر الله الناس عليها ، ولذا لم يأوبها الله جل وعلا بل نعى على من ابتدئها (١) ، فهي بدعة ابتدئها النصارى قاصدين مرضاة الله لكنهم لم يرعوها حق رعايتها ولم يقوموا بما ألزموا أنفسهم به من العبادة بل انخرطوا في الرهبانية الفساق وطلاب المشع الدنيوة . فأصبحت الأذيرة تمتع بالفضائح العظيمة والدعارة التي لا تضارعها فيها أماكن الفساد . (١)

هذا فيما يتعلق بالرهبان . أما الأفراد العاديون فقد زالت ثقتهم بالدين ذلك لأنهم أصبحوا يرون الرهبان - وكانوا يعدون مثالا للطهارة - يفرقون في الفجور وينالون من متع الدنيا ما لا يناله غيرهم ، وهذا هيا المناخ المناسب لنمو الفلسفات الاباحية والحركات الهدامة للأخلاق نمووا قويا . وجعل لبعض المفكرين الغربيين يصفون المسيحية بما يلي :

” . . ان المسيحية نفاق منظم كما اتهمتها أجيال عديدة من النقاد العقليين المرة تلو الأخرى وأنها لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة الى الحياة ” (٢)

ثالثا : صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التحلة Indulgence paper

١- صكوك الغفران : ان الله سبحانه وتعالى - كما نعتقد نحن المسلمين - هو الذي يغفر الذنوب وتعلم كذلك ان رسل الله جميعا أوضحوا هذه الحقيقة أيضا كما لا لبس فيه وقد تضمنت آيات كثيرة من القرآن وصف الله بأنه عفور رحيم ، وأنه هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين .

ولكن رجال الكنيسة منذ أن انحرفوا عن ما أنزل الله على عيسى عليه السلام وهم في انحدار وظلوا في تقدير مكانتهم ومنزلتهم حتى وصلوا آخر الطواف الى اقرار أن البابا ، يملك حق غفران الذنوب ، وذلك في مجمع رومه المنعقد عام ١٢٢٥ وكانوا قد انحرفوا بجعل الله ثالث ثلاثة ، وفرض الترهين على

(١) انظر قصة الحضارة : ١٤ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) تاريخ العالم : ٤ / ٣٣٠ .

رجال الدين ، وغيرها من الانحرافات - ثم لحق ذلك اقرار عصمة البابا عام ١٨٦٩ وهكذا ادعى رجال الكنيسة مشا ركتهم الله سبحانه وتعالى في ملكية غفران الذنوب بل أنهم ارتكبوا هذه المهزلة ، فوزعوا الجنة وعرضوها للبيع فسي مزاد علني ، وكتبوا وثائق للمشتريين تتعهد فيها الكنيسة بغفران ذنوب المشتري للصك المتقدم والمتأخرة ، ورائته من كل جريمة أو خطيئة سبقت الصك ، أو تلحقه ، فإذا تسلم هذا المشتري الصك فقد ابيع له كل محظور على غيره ، وحل له كل محرم على غيره ممن لم يشتري صكا لغفران ذنوبه ، فليس عليه عقاب أن هو زنى ، أو سرق أو قتل أو شرب الخمر ، بل ليس عليه عقاب ان الحد وكفر بالمسيحية ما دام هذا الصك بيده ، ان المسيح هو الذي منحه اياه - لأن البابا هو ممثل المسيح على الأرض - والمسيح كما مر معنا في أحد نصوص الانجيل المحرفة هو الذي يحاسب الناس .

ولم يكف رجال الكنيسة بمنحهم صكوكا لغفران ذنوب الأحياء ، بل وصل الحد بهم الى أنهم أعطوا صكوكا لغفران ذنوب الأموات ، ذلك أن الأحياء ممن حصلوا على صكوك لغفران ذنوبهم - رغبوا في أن يحصلوا على صكوك لغفران ذنوب أقاربهم الموتي من آباء وأمهات وأخوة وأخوات وأبناء وبنات وغيرهم ، ذلك أن الانسان محبول على حب الخير لأقربائه وخاصة فيما يتعلق بغفران ذنوبهم - فنحن المسلمين نسأل الله لموتانا المغفرة والرحمة لأنه هو المالك لهذا الأمر - أما عند النصارى بعد أن بدأت مهازل صكوك الغفران فان الذي يمنح ذلك هي الكنيسة ، وهكذا اتيج لمن يريد أن يشتري صك غفران لقريبه الميت ذلك - وليس عليه الا أن يكتب اسم من يريد غفران ذنوبه من أهل بيته في المكان المخصص لذلك وبعد ها ينتقل المغفور له الميت الى النعيم مع المسيح والقديسين .

لكن هل صكوك الغفران تعطى من قبل الكنيسة تبرعا ودون مقابل أم أن هناك مقابلا يدفعه المغفور له ؟ واقع الحال أن هناك مقابلا يدفعه المغفور له ليحصل على غفران الذنوب والا لتمكن " العبيد " عند الاقطاعيين من الحصول على صكوك لغفران ذنوبهم ، ولكن ذلك لم يحصل وايضا لتمكن المريض المقعد الذي لا يستطيع الحصول على المال الذي يشتري به صكا لغفران ذنوبه

إذا فهو لا\* لم تشملهم رحمة رجال الكنيسة ولما محرومين من هذه المغفرة ولو بلغوا في تقواهم وحبهم للمسيح وثقتهم بالمذرا\* البتول مريم عليه السلام ما بلغوا .

وهذا يتبين ان الغفران لم يكن يمنح الا لمن يدفع وهذا يعنى أن رجال الكنيسة احتالوا على الاستيلاء على أموال الناس أو جزءاً منها بسن هذه المهزلة.

لكن السؤال الذى يلح نفسه هنا ما السبب الذى دعا رجال الكنيسة الى عمل هذه المهزلة ؟ لقد كانت الكنيسة مع مطلع القرن الثالث عشر تحتجاز مرحلة حاسمة فى تاريخها وكانت بحاجة الى المزيد من السلطة الدينية والنفوذ المالى لمواجهة أعدائها - المسلمين - فقررت عقد مجمع عام لبحث الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك فمعد المجمع الثانى عشر فى روجا عام ١٢١٥ وفيه تقرر ان الكنيسة البابوية تطك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء مع مبدأ آخر كان شائعاً وهو است حالة الخمر والخمر فى المشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه . (١)

كما فرض المجمع على كل مسيحى أن يعترف امام قسيس الابرشية مرة كل عام حتى يستطيع الحصول على الغفران . (٢)

ولا ريب أن الناس بعد هذا أخذوا يتأفدون على الابرشيات لطلب المغفرة وللاعتراف بالذنب امام القساوسة فارتفع بذلك مركز رجال الكنيسة المعنوى المادى - كيف لا وقد جعلوا أنفسهم شركاء لله - تعالى الله عن ذلك - ومعد فترة اغرق رجال الكنيسة فى المبالاة لتثبيت مركزهم وتعبئة خزائهم فقرروا اتخاذ وسيلة تضمن استمرار هذا التسلط باسم الغفران ومعد التفكير والتقدير توصلوا الى طريقة - مدرة للمال - ورافعة لشأنهم المعنوى - تلك الطريقة هى كتابة الغفران للبشر على شكل صكوك تباع على كل طالب لها وتنص على غفران ابدى للذنوب المتقدمة والمتأخرة حتى تصبح حلاً جزئياً قوياً على دفع المبلغ المالى الذى تقرره الكنيسة أو القيام بخدمات للكنيسة . (٣)

( ١ ) انظر نعي قرار المجمع فى : محاضرات فى النصرانية : ٢٠٥ .

( ٢ ) انظر فى بيان هذا : تاريخ العالم : ٥٠٢/٥ .

( ٣ ) انظر صورة صك الغفران فى : محاضرات فى النصرانية : ٢٠٦ .

وقد كان من أسباب إعطاء صكوك الغفران ان الجنود الذين شاركوا في الحروب الصليبية سئموا تلك الحروب ورأوا أنهم منهزمون آخر الأمر وفقدوا ثقتهم في الكنيسة التي كانت قد وعدتهم بالنصر المحتم على المسلمين . فلما رأى رجال الكنيسة ان سلطانهم سيزول معنوا وماديا قرروا إعطاء كل من يشترك في الحروب الصليبية ومحارب المسلمين في فلسطين أربعين يوما يعطى صكه . مغفران لذنبه ، وكذا من يتكفل بنفقات محارب على أهله (١) .

ومما سبق يتضح أنه لم يكن يحظ بالحصول على صك الغفران ، إلا أحد شخصين اثنين لا ثالث لهما -

١- شخص ذو مال بإمكانه اشتراء الصك من رجال الكنيسة حسب تسميرتهم المحددة .

٢- شخص يحمل سلاحه ويبدل دمه أو ماله لرعاية اسر الجنود المقاتلين وذلك على سبيل نصره المسيحية والدفاع عنها .

أما من عدا هذين الصنفين فلا غفران لهم وتقتلهم الحسرة ان لا يجدوا ما ينفقونه للحصول على صك الغفران .

وهكذا يضحي الناس كلهم ورجال الكنيسة هم المستثمرون وهم الكاسبون الحقيقيون في هذه الدنيا ، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى من الله ولا يظلم ربك أحدا .

---

(١) انظر في بيان ذلك : قصة الحضارة : ١٥ / ٦٦ .



## نتائج بدعة صكوك الغفران

كل حدث لابد له من نتائج مبعده سيئة او حسنة ، ولا ريب ان لبدعة صكوك الغفران نتائج محددة وانها احدثت اصداء واسعة في العالم المسيحي ، واثارت ردود افعال مختلفة ، خاصة وقد ظهرت في وقت كانت أوروبا فيه قد اتصلت بنور الاسلام من الاندلس ، وصقلية ، والحروب الصليبية - وبدأت العقول الخاطئة تفكر ، والفطر السليمة تغيق ويهتني في هذا السقام محرفة اثره المبهلة علي المجتمع . **مما هو اعزها ٩**

الجواب على ذلك يتلخص في ان هذه المبهلة كانت سببا مباشرا في انطلاق الشرارة الاولى التي اودت بالتماليم الكنسية وقضت عليها ، ولا شك ان الاسلام كان له تأثير مباشر علي الثورة العنيفة ضد رجال الكنيسة مع عدوانهم للاسلام واهله - ومن ثم ساعدت هذه المبهلة علي هدم التماليم الدينية ، والاستهتار بكل المعتقدات - المسيحية وغيرها - وساعدت علي انتشار فكرة انكار الجنه والنار . واستمرت هذه المبهلة حتي هذا العصر مستندا قويا يستند عليه اعداء الدين في الغرب ، ان نشأ عن الكفر برجل الكنيسة المثلثه للنصرانيين الكفر بالدين ذاته . ( ١ )

وكان هناك امس الاموي احد خيارين لا ثالث لهما - وضعهما له اعداء الدين - اما ان يؤمن بجدي صكوك الغفران وعليه قد حكم علي نفسه بالفساد والرجعية والتخلف . واما ان يكفر بها فيجب عليه ان يكفر بالدين الذي نشأت صكوك الغفران في ضله فيكفر بما جاء فيه وعلي الاخص ما يتعلق بالايوان بالخيبيات ومنها الجنة والنار .

( ١ ) وهذا ما يوجد للاسف عند كثير من انحراف عن الاسلام عن ذراري المسلمين فحين يزعمون انحرافا من احد علماء الدين الاسلامي يتصورون ان هذا الفصل امر به الدين الاسلامي لذا فهم يشغلون القضية من بغض من انحراف عن علماء الدين الي بغض ما يمثل هذا العالم . نسأل الله العافية وما علمسوا ان كل انسان يمثل نفسه فقط ، وان كان تأثير عالم الدين اشد من غيره لكن ذلك لا يوجب الانحراف .

### • حق الحرمان • وحق النخلة •

٢- حق الحرمان : ادعى رجال الكنيسة لانفسهم هذا الحق - حرمان الاشخاص المخالفين لهم في الآراء والمعتقدات من الجنة وطرد هم منها كأنهم الهة مع الله سبحانه وتعالى . وكان حق الحرمان هذا سابقا لحق الغفران ما يدل على ان رجال الكنيسة " قضبهم يسبق رحمتهم " بخلاف ما يتصف به الله سبحانه وتعالى فقد ورد في حديث قيس عن الله سبحانه وتعالى " ان رحمتى سبقت غضبي "

وقد كان أول حرمان فيطاطم - قررت الكنيسة هو ما قرره مجمع القسوس الثاني عام ٤٤٩ م اذ اتخذ في هذا المجمع قرارات بحرمان بعض البطارقة ، ثم في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م حيث لعن ليطور ود يسفوس واتباعها ، ثم لعن وطرد اصحاب فكرة تناسخ الارواح في مجمع القسطنطينية الثاني عام ٥٥٣ م . (١)

وتوالي صدور قرارات الحرمان والطرد واللعن على كل من يخالف رأى الاكثريه سواء كان من رجال الكنيسة او غيرهم ، فادعوا لانفسهم ما لا يكون الا لله فهو الذى يحرم ويملن ويطرد من رحمة لا يشاركه ولا ينازعه في هذا السلطان احد من خلقه . وحق الحرمان هذا حقوه ممنويه وقوية التأثير في نفوس النصارى وهي كالشبح المخيف للافراد والشعوب في وقت واحد . وقد تعرض لها على مر التاريخ الكسبي افراد بلا حصر فمنهم الملوك - مثل فردريك الثاني ، وهنرى الرابع الالطاني ، وهنرى الثاني الانجليزى • (٢)

ومنهم رجال الكنيسة المخالفين امثال آريوس ، ولوتر (٣) ومنهم الباحثون العلميون امثال كوبرنيك ، وجاليليو وغيرهم .

(١) انظر المسيحية : ١٦٩ / ١٢٠

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٨٩٢ / ٣ ، فيط يتعلق بفردريك الثاني ونفس المصدر ٩١٠ / ٣ فيط يتعلق بهنرى الرابع .

(٣) محاضرات في النصرانية : ١٥١ حيث تجد ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الامم . القبطية عن مجمع نيقية والمسيحية ٢١٧ ، ومحاضرات في النصرانية : ٢١٥ فيط يتعلق بحرمان لوتر .

هكذا ، يقرر البابا الحرامان ثم يرفعه علي حسب مزاجه ، الا انها الجاهلية  
الفرقة في التحكم والطفيان ، والمجب كل العجب كيف يوضح شعب اوامة لشمل  
طفيان رجل يقرر حرمانها من نعم الطكوت ، ثم يرفعه ، بل كيف يصدق هذا الشعب  
او هذه الامة بهذا الهزار ولكن البشر حين لا يهتدون بهدى الله يكونون كالانعام  
بل هم اضل سبيلا اسأل الله ان يحفظنا بالاسلام قائمين وان يحفظنا بالاسلام  
قاعدين ، وان يحفظنا بالاسلام راقدين .

٣- حق الشئله : وهذا الحق ايضا من ضمن المدعيات التي ادتها رجال الكنيسة  
... زاعمين لانفسهم انهم يطكون ان يحلوا للانسان المسيحي التحلل من احكام  
الشريعة ، فتى مارأت الكنيسة ان الصلحة - صلحة الكنيسة في ذلك .

ونترك الحديث في هذه القضية للمؤرخ الانجليزى ويلزفمذا تراه يقول :

يقول : " . . . . . وشبه دعوى اخرى ادعتها الكنيسة كانت هي ايضا اكثر سرفا ومعدا  
عن الحكمه هي قولها بأن لها " حق الشئله " ومعنى ذلك ان البابا كان يستطيع  
في كثير من الاحيان ان يهمل قوانين الكنيسة في حالات فرديه خاصة ، فهو قد  
يأذن لابناء العم وابناء الخال ان يتزاوجوا ، وقد يسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ،  
او يحل اى انسان من نذره ولكن اتيان هذه الامور ينطوى علي اعتراف بأن القوانين  
التي تتصل بها ليست قائمة علي اسس من الضرورة اللازمة والصلاح الفطرى ، وانها  
في الواقع انما تنطوى علي التطبيق والمضايقه . فان شرع القوانين للبشر فاطيه ما يلزم  
اكثر من كل انسان بالولاء للقانون . وهو دون الناس كافة ملزم ان يتصرف كائنا القانون  
سيف مسلط عليه كما الناس . ولكنه ضعف الانسلتية عامة ذلك الذى يوجه اليه  
بأن تتخيل أن الوديعه التي تسلم اليها لاداراتها انما هي ما ملكت ايدينا " (١)

وصف واضح ، وتقد جرى وجيد لمن زعموا لانفسهم حق الشئله . ولقد ذكر

الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك وعد النصارى عابدين لهم بهذا العمل فقال .

” اتخذوا احبارهم وروهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا

الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ” التوبة : ٣١ .

وقد سمع عدى ابن حاتم (رضي ) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الاية وكان قبل ان يسلم نصرانيا فقال يا رسول الله انا لا نعبدهم - ظنا منهم - العباد - تتحصر في الشعائر التعبدية - فقال صلى الله عليه وسلم اليسو يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه فقال عدى بلى يا رسول الله فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم .

وبعد التحريف بالزيادة والنقصان ، والكتمان ، وبعد الابتداع في دين الله ما لم يأذن به .

وبعد كل هذه الانحرافات التي انحرف فيها رجال الكنيسة هل بقي شيئا في الجعبه عندهم ؟ نعم . بقي الحديث من طفانيهم ، المستغل في الطفاني الديني ، والسياسي ، والمالي .

قللم يكتف رجال الكنيسة بتحريفهم للنصرانية - عقيدة وشريعة ، ولا بانحرافهم ولا بما احدثوه من بدع بل مارسوا عطيا اشع صدوف الطفاني ، الديني والسياسي والاقتصادي وهذا ما سوف نعرفه في الفقره التاليه من البحث .

### المطلب الثالث : طفيان رجال الكيسه

سوف اتطرق في هذا الفصل للحديث عن امور عدة يمكن ايجازها في الاتي

- ١- ماهينو الطفيان - تعريفه ٢- اسباب الطفيان ودواعيه ٣- [فوايده]
- ١- تعريف الطفيان : يحسن بي أن انقل ما كتبه الامام ابن منظور في لسان العرب حيث قال .

" طفي : ابن سيده : طفي يطفئ طفياً ويطفو طفيانا جاوز القدر وارفع وغلا في الكفر . وفي حديث وهب : إن للمعلم طفيانا كطفيان الطال : اي يحمل صاحبه علي الترخص بما اشبه منه الي ما لا يحل له ، ويرفع به علي من دونه ولا يعطي حقه بالعمل به كما يفعل رب المال وكل مجاوز قدره في العصيان طاغ .

وطفي ماء البحر : ارتفع وعلا علي كل شي فاخترقه . وفي التزيل العزيز انا لما طفي الماء حملناكم في الجارية . وطفي البحر : هاجت امواجه . وطفي الدم . تبخ . وطفي السيل . اذا جاء بما كثير . وكل شي جاوز القدر فقد طفي كما طفي الماء علي قوم نوح . وكما طفت الصبحة علي ثمود .

الليت : الطاغية الجبار العنيد . ابن شميل : الطاغية الاحق المستكبر

الظالم " ( ١ )

من هذا التعريف نخرج بهذا التعريف المختصر وهو : الطفيان : مجاوز الحدود في التعامل مع الاشياء واشده ما جاوز الحد في التعامل مع الله سبحانه وتعالى بالعصيان . والطاغية هو : المتجبر الظالم العنيد المستكبر بحق .

واذا نحن نظرنا الي حديث بن وهب وطبقناه علي واقع رجال الكيسه

( ١ ) لسان العرب المحيط اعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي : ٥٩٦ / ٣ / ٥٩٧ وانظر ترتيب القاموس المحيط : طاهر احمد الزاوي الطرابلسي : ٢١ / ٣ .

وجدناه مطابقا لهم تمام المطابقة ، كما اننا نظرنا الي قول ابن منظور وكل ما جاوز قدره في المصيان طاغ ، وقول الليث وابن شميل وجدنا كل ذلك مطبق تمام الانطباق علي حال رجال الكنيسة فهم قد جاوزوا القدر في عصيان الله ، وهم قد تجبروا ، واستكبروا وظلموا بحق .

٢- اسباب الطفيان ودواعيه : الطفيان مرض نفسي خطير ، يحيل من يمارسه السي مسخ شيطاني ، ومن المعلوم ان اعراض هذا المرض لا تصيب الا اذا نفس ضعيفه ، اتيح لها من الوسائل ما يفوق قدرتها - مع خلوها من الوازع الديني الذي يكبح جماحها - حين تتجه للطفيان في ادنى صورته قبل وصولها لا علي صورته كما ان الطفيان هو اكبر المتغفسات لكل من يشمر في داخل نفسه بالنقص فمنه عن طريق الطفيان ستر نقائصه الداخلية التي يحطمها .

واذا مارس الطفيان واكبر وثني ، فانه يكون اكثر ملاءمة ومفعولية من ان يمارسه رجال يعتقد فيهم الناس الصلاح ، ويزعم لهم او يزعمون لانفسهم انهم ( قدسين ) ورسلا سلام ومحبة وطلاب لما عند الله في الآخرة . لكنه اذا صدر عن هؤلاء ومارسوه فهذا هو البلاء المبين والطاعة الكبرى . وهذا ما حدث من رجال الدين في اوربا الذين زعموا لانفسهم انهم رسل السلام والمحبة والتسامح وادعوا ان عيسى قال : " من لطمك على خدك " الايمن فادر له الاخر ايضا . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك لـه الرداء ايضا ومن سخرك ميلا واحدا فانه يذهب معه اثنين \* ( ١ )

وغيرها من النصوص الداعية الي المحبة والتسامح مع الآخرين تسامحا قد يزرى بالانسان ويحبط حقوقه .

وبار مكاننا تلخيص اسباب طفيان رجال الكنيسة - بعد الذي عرفناه عن احوال رجال الكنيسة و احوال المجتمع الغربي - في الاتي :

١- المركز الديني لرجال الكنيسة الذي فرض علي الناس عن طريق الاستدلال ببعض النصوص التي فسرت علي انها تعني رجال الكنيسة مثل القول المنسوب الي عيسى " انت بطرس . . . . "

٢- وراثة رجال الكنيسة عن اُحبار اليهود الصفات المقوتة كاتباع الهوى وفرض الجبروت

٣- انذاع الناس وطاعتهم العمياء لكل ما يقول رجال الكنيسة اغرى رجال الكنيسة بالطفيان .

٤- ان المجتمعات التي انتشرت فيها النصرانية كانت مجتمعات قد الفت العبودية والخنوع والخضوع لغير الله - من سحرة وكهنة وحكام وآلهة من الاصنام - فساعد ذلك علي طفيان رجال الكنيسة وتعبيد هم الناس لهم لانهم كانوا قد الفوا هذا الوضع ولان رجال الكنيسة استدلوا بنصوص فسروها علي انها توجب طاعتهم فما كل امر دون قيد او شرط .

## ٣- أنواع الطفيلان :-

أولا : الطفيلان الديني لرجال الكنيسة

منذ اليوم الاول الذي ظهر فيه الي الوجود ما يسميه مؤرخوا أوروبا  
بالسبيحية الرسمية او علي الاصح مسيحية بولس - وهو اليوم الذي عقد فيه مجمع نيقية  
واتخذت فيه تلك القرارات الخطيرة التي تسر العقيدة وانشوربه الصحيحتين التي  
ارسل بالدعوة اليها عيسى عليه السلام - منذ ذلك اليوم . ورجال الكنيسة يمارسون  
طفيلاناً وارهباً دينياً بشعاً لم يمارس في تاريخ الديانات الا ما كان من قتل اليهود  
للانبياء واول طفيلان مارسه رجال الكنيسة بتأييد الامبراطور قسطنطين هو فرض عقيدة  
التثليث قهراً . <sup>ولكنهم</sup> اوطي من خالف هذه العقيدة بالحرمان واللعنة وطي رأسهم آريوس  
الذي نفى مع اتباعه (١) ، كما سفكت دماء من قدر عليهم وان يقوا اصناف العذاب  
والنكال ، ونصب رجال الكنيسة انفسهم الهة مع الله يحلون ويحرمون بضيق  
وينقصون ، ولا قدرة لاحد بل ليس له حق الاعتراض علي هؤلاء ابداء الرأي علي  
اضعف الاحوال مهما كان له من مكانه ، فإن فكر في الاعتراض او ابداء الرأي فلا  
يلومن الا نفسه اذا قرار الحرمان واللعنة والطرد جاهز لكفره .

لقد كان من مظاهر الطفيلان ، او الطاغوتيه . تحليل الحرام ، وتحريم  
الحلال - كما ورد في حديث عدي بن حاتم الذي سبق بيان معناه - ان كان  
الختان واجبا علي كل مسيحي فاصبح غير واجب ، وكان اكل لحم الخنزير محرماً  
فاصبح مباحاً (٢) وكانت التماثيل والصور شركاً فاصبحت تعبد (٣) وكان اغني  
اموال الناس من عامة المسيحيين من المنكرات فاصبحت الضرائب فرضاً لازماً علي الناس  
كما سيأتي شرح ذلك - وكان زواج رجال الدين حلالاً فاصبح حراماً - كما مر بيان  
ذلك وما اضافة رجال الكنيسة ايضاً الي ما سبق عقيدة الاستحالة في العشاق  
الرباني (٤) وعقيدة الخطيئة الموروثة لبني الانسان (٥) وعقيدة الصلب وانها

(١) قصة الحضارة : ٣٩٥/١١ (٢) المسيحية : ١٠٥ ، ١٠٧ ومحاضرات

في النصرانية : ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) قصة الحضارة : ١٤/١٥٤-١٥٨ (٤) محاضرات في النصرانية : ٢٠٤

والمسيحية : ٢١٣ .

(٥) المسيحية : ١٣٥ ومحاضرات في النصرانية ١٢٩

كانت فداء الخطيئة البشر (١) والطقوس - اى الصلوات - السبعة والا سرار السبعة (٢) كل هذه الامور فرضها رجال الكنيسة علي اتباعهم بحجة انها اسرار عليا لا يجوز الشك في صحتها . وقد ساعد هؤلاء علي تبجحهم في كل ذلك احتكارهم للمصادر الدينية ولفهمها وتفسيرها وشرحها ، فعلي هذا لا يمكن لاحد ان يدخل ملكوت الله لا بواسطة من يملك حق تفسير الكتاب المقدس ، ولا يتمكن احد من الاتصال بالله بذاته بـل لا بد ان تكون صلته بالله جل وعلا عن طريق هؤلاء . وهكذا اهل رجال الكنيسة الحرام ، وحرمو الحلال دون ان يشعروا بادني حرج بل كان ذلك تمحا للاهواء والصالح .

واليك نص ما قاله ويلز في وصف رجال الكنيسة فهو يعبر اصدق تعبير عن حال الكنيسة من رجل مسيحي يعرف ما اصاب به قومه .

" ولم تعد لهم بعد رغبة في رؤية ملكة الرب موطدة في قلوب الناس فقد نسوا ذلك الامر واصبحوا يوغنون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم ، متسلطة علي شئون البشر . وكانوا في سبيل توليد تلك القوة علي اتم استعداد للمساومة مع اى شيء حتى البغض والخوف والشهوات المستقرة في قلوب البشر . ونظروا لان كثيراً منهم كانوا علي الأرجح يسرون الريبة في سلامة بنيان مبادئهم الضخم المحكم وصحته المطلقه ، لم يسهحوا بأية مناقشة فيه . كانوا يحتفظون اسئلته ولا يتسامحون فسي مخالفه ، لالانهم علي ثقة من عقيدتهم ، بل لانهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون من حولهم موافقتهم علي رأيهم لاسباب تتصل بالسياسة . وقد تجلي فسي الكنيسة عند ما وفي القرن الثالث عشر مايساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بنا مدعاتها باكملها وقد تجعله اقتراباً بعد عين فلم تكن تستشعر اى اطمئنان وكانت تتهدد الهراطقة في كل مكان . فلم تكن تبحث المعجزات الخائفات - فيمسا يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي الدواليب قبل الهجوع الي فرشهن " (٣)

(١) المسيحية : ١٣٥٠ وصحاحات من الزهرانية : ١٢٩١

(٢) المسيحية : ٢٠٨٠ ، ٢٠٩٦

(٣) معالم تاريخ الانسانية : ٣ / ٩٠٤ ، ٩٠٣



ولم يكتف رجال الكنيسة بذلك بل طبقوا الطغيان علياً - فأثبتوا بذلك  
إصرارهم عليه - وذلك يحشد الجيوش الجزاره لحرب كل طائفة تسول لها انفسها  
مخالفة آرائهم او اعتناق عقائد لا يمشقها رجال الكنيسة من النصرى ولحل من اظهر  
الشواهد علي ذلك وابيها ما تعرض له " الكاثاريون " و" طائفة " الوالدونيون " <sup>١</sup>  
الذين يقطنون بلغاريا وجنوب فرنسا فقد شنت عليهم حرب ارتكب فيها كل ما يمكن  
أن يتصوره العقل من أنواع انتهاك الحرمات ،  
ولم يكن لهؤلاء من ذنب سوى انهم اظهروا الشك في صحة مبادئ روما ، وفي  
تفسير الكتاب المقدس ، واتكروا علي رجال الكنيسة ثراءهم وثرفهم الذي لا يليق  
برجال مثلهم . (١)

حرب ضارية ، انتهت فيها الحرمات من اجل مخالفة بسيطة - وكان  
معهم الحق في هذا - مع ما يتسم به هؤلاء المخالفون من روح السالبة ، ولكن  
الطغيان والمنجيه والمجرم التي قادت هؤلاء المتسلطين علي الناس باسم  
الدين الي انتهاك الحرمات ، والى ايقاد حرب شرسه بشعه تتضائل ازاء بشاعتها  
بشاعة الوثنيين في حرب المسيحيين في القرون الثلاثة الاولى - كما يقول ويلز

" ولبت امر هؤلاء وقف عند هذا الحد ، بل تعداء الي ما هو اشنع  
وافضل - خاصة بعد ان تبين بما لا يدع مجالا للشك لرجال الدين اقرارا لسلام  
في الآراء المخالفة لهم - ان انشئوا محاكم التفتيش لمحاكمة كل من يخالف  
آراءهم ، وقد بدأ هؤلاء بالمسلمين في الاندلس باعتبار ان لهم تأثيرا في افكار  
المعارضين فأبیدوا ابادة تامة بلقضع ما يتخيله البشر من الوحشية والقسوة والحق ،  
ثم ثنى بالمخالفين من النصرى وانتقلت من اسبانيا الي بقية بلدان اوروبا ،

وكانت المحكمة الكبرى ، او الام لهذه المحاكم في روما وتدعي " المحكمة المقدسه " باعتبار ان البابا مقدس . ( ١ )

ويسبب هذا الارهاب والطفيان العنيف عاش الاربينون تلك الاحقاب فسي رهبة مفزع ووقف كبار المفكرين والنقاد مبهوتين ، لا يستطيع احد منهم التصريح بعدم ايمانه بالسيحية مهما كانت آراؤه مخالفة لتعاليمها ، ويصف هذه الحالة وخاصة بين المفكرين والفلاسفة المفكر الامريكي المعاصر " كرين بونتن " ان يقول

" . . . . كل منا منذ القرن الرابع " مسيحي " علي صورة من الصور . وهسو علي اقل تقدير مسيحي بالاعتراف ، ولم يكن بوسع الكثير من افراد المجتمع الغربي ان يعترفوا صراحة وجماعة بالالحاد واللااداريه او بذهب الاتصال بالله ، أو بلأى عقيدة اخرى غير المسيحية الا خلال القرون القلائل الاخيره . وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قلة نادرة في الالف سنة التي استغرقتها القرون الوسطي ولما كان الناس جميعا مسيحين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحية هي كل شي " لكل الناس فلقد كان القديس " فرانسيس ورازمس ولو يولا ، وميكافلي ، وباسكال ، ووزلي ، وتايليون ، وغلايستون ، وجون روكفلر " جميعا مسيحين ، وتستطيع بطبيعة الحال ان تقول ان بعضا من هؤلاء كانوا مسيحين حقا ، ولكنك لا تستطيع ان تصنف المسيحين كما يستطيع عالم النبات ان يصنف النبات . ( ٢ )

لكن هل يستند رجال الكنيسة في طفيانهم هذا علي مستند يحتاجون به يعطيهم حق هذه السلطة والهيمنة علي شئون المجتمع ؟

نعم لقد احتج رجال الكنيسة بحجة هي عبارة عن قول منسوب الي عيسى عليه السلام يخاطب فيه بطرس كبير الحواريين وهذا نصه .

" ( ١٣ ) ولما جاء يسوع الي نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه

قائلا من تقول الناس ان ابن البشر هو ( ١٤ ) فقالوا . قوم يقولون

( ١ ) أصدر قرار مجمع روما عام ١٨٦٩ باعتبار ان البابا معصوم ، وان لا تأييدي من استهلال رجال الكنيسة بالقول المنسوب لمسي عليه السلام ان بطرس عميد تكون مثلية عيسى .  
وله اعتراف عمود

انه يوحنا المعمدان ، وآخرون انه ايليا ، وآخرون انه ارميا ،  
واحد من الانبياء\* (١٥) قال لهم يسوع وانتم من تقولون اني هو  
(١٦) اجاب سمعان بطرس قائلا انت المسيح ابن الله الحي  
(١٧) فأجاب يسوع وقال طوبى لك يا سمعان بن يونا فانه ليس  
لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السموات (١٨) واننا  
اقول لك انت الصفاة وظلي هذه الصفاة\* سأبنى كنيسة وابواب  
الجحيم لن تقوى عليها (١٩) وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات  
فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما حللته على  
الارض يكون محلولا في السموات\* (٢٠)

فهم رجال الكنيسة من هذا القول - المنسوب الي المسيح - ان المسيح  
عليه السلام - يريد بذلك ان السلطة الدينية المهيمنة باسمه ستكون في الموضع  
الذي يموت فيه كبير الحواريين " بطرس " وقد مات في رومه عام ٦٥ م صلبا\* (٢١)  
ولهذا اعتبر المسيحيون ان روما هي المركز الرئيسي الذي يحكم العالم  
باسمه باسم المسيح وفيها مقر الكنيسة التي يرأسها مثل المسيح " البابا " المحصوم  
من الخطأ (٢٢) فكل ما تقرره هذه الكنيسة يكون هو الصواب لان المسيح هو الذي  
يظلي عليها عن طريق الروح القدس كل تصرفاتها وما دام الامر كذلك فيجب طاعة  
رجال هذه الكنيسة على كل المؤمنين بالمسيح ، والخارج على سلطان رجال هذه  
الكنيسة او المنتقد لقراراتها كافر تحمل عليه اللعنة والحرمان من ملكوت الله  
مهما بلغت وجاهة رأيه الذي يطرحه بل مهما كانت سوابقه وخدمته للمسيحية  
وكنيستها .

ج ف

- (١) الكتاب المقدس " انجيل متى " ١٦/٢  
(٢) محاضرات في النصرانية ٨١ ، ٨٢  
(٣) تقرير البابا مصوم من الخطأ في مجمع رومه عام ١٨٦٩ م انظر المسيحية : ١٧١  
\* هكذا وردت بنصها " الصفاة " من الكتاب العسقي مقدس

ان المسلم لا يملك الا ان يرفض ويفكر صحة نسبة هذا القول الي المسيح عليه السلام ، لان مضمون هذا القول هو تحليل ما حمله رجال الكنيسة باهواءهم ويتبع ذلك تحريم ما حرّمه رجال الكنيسة بل هو يتضمن ما هو اعظم من ذلك يتضمن اقرار عيسى عليه السلام باسمه ان بطرس حين قال لعيسى عليه السلام " انت المسيح ابن الله الحي " عندما قال له " طوبى لك " ، والقرآن الكريم كما سبق ان ذكرت يحكي عنه عكس هذا القول ومن ذلك قوله تعالى :

" ما كان لبشر ان يوهبه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً ايأمركم بعد ان انتم مسلمون " آل عمران ٧٩ ، ٨٠ .

فانبياء الله ورسله دعاة للتوحيد ، فلا يتصور ان يصدر عنهم اى قول او عمل او دعوى فيها شائبة من شوائب الشرك ، فضلا عن ان يزعم اى واحد منهم لنفسه شيئا من خصائص الالهيه كالعباده ، والتشريع فما بالك بادعاءه وهيب هذه الخصائص لغيره كما يزعم النصارى لبطرس .

واما الزعم بان عيسى يمتلك مفاتيح الملكوت ، فواقع الحال ان عيسى عليه السلام او غيره من الرسل بشر فضلهم الله ، باصطفايتهم للرسالة ، ومقتضى هذه البشرية ان عيسى او غيره لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما كتبه الله له " لقد كسر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا " فكيف يملك مفاتيح ملكوت الله . اذاً مفاتيح الملكوت لا يملكها الا الله سبحانه وتعالى .

واذا تقرر هذا فلا بطرس يملك ذلك ، ولا غيره من رجال الكنيسة من بعده . الا اذا اعترفنا بالوهية عيسى وهذا ما نكره جازمين .

هذا وقد سخر الكاتب الامريكى المعاصر " كرين برنتن " من استدلال الكنيسة بهذا النص علي ان المكان الذى مات فيه بطرس هو المكان الذى يجسب

ان تتطلق منه المسيحية ، وارجع السبب في وقوع الكنيسة في هذا الفهم الخاطيء الي وجود التشابه اللفظي بين " بطرس " و " صخره " واليك ما قال .

" ... ومن الحق ان اسقف روما في الزمان القديم قد زعم لنفسه حقوقا خاصة للسيادة علي الاساقفة الاخرين . ويعتقد الذين يعملون الي الشك من هم خارج الكنيسة الرومانيين اصحاب المصالح منذ الجيل الثالث والرابع قد بما بعد المسيح قد اقبحوا علي العهد الجديد تلك الفقرات التي اقامت التقليد البطرسي علي اساس من الكتاب المقدس والمسيح - طبقا لهذا التقليد - هو الذي خطط البابويه الرومانيه . جاء في انجيل متى ان يسوع قال لتلاميذه " وانا اقول لك انت بطرس ، وفوق هذه الصخرة سوف ابني كنيسة . ولهذا توعد ضدها ابواب جهنم " وفي هذه العبارة ما تسميه الموضوعات غير الموقرة ثوريه ، لان اللفظة الاغريقية التي تدل علي " بطرس " هي بعينها اللفظة التي تدل علي " الصخره " . جاء في التقليد القديم ان بطرس رجل الي روما فباتها ، واسس

الكنيسة هناك " ثم مات شهيدا " (١)

١- ان هذه العبارات لا تصح نسبتها الي عيسى عليه السلام كما سبق ان قررت بل هي مقحمه وان الذين اقبحوها اصحاب المصلح من الجيل الثالث والرابع بعد المسيح من الرومانيين .

٢- ان الدافع الي اقام هذه العبارات هو هب السيادة والزعامة علي الناس لذلك استندوا علي هذا النص المحقم في الانجيل منسوبها الي عيسى عليه السلام . ثم ان المرء ليتساءل هل وصل المسيح عليه السلام الي روما حتى يخاطب بطرس فيقول له ما قال .

هذا . وانا نحن راجعنا نصوص انجيل متى الذي ورد فيه هذا الانسترا لوجدنا انه ينسب الي المسيح عليه السلام بعد فقرات ثلاث من هذا القول مخاطبا لبطرس بقوله .

" (٢٣) اذهب عني يا شيطان لانك لا تهتم بماله لكن بمال الناس " (٢)

(١) افكار ورجال : ١٩٣ ، ١٩٤ (٢) متى : ٢ : ١٧

فكيف يوفق رجال الكنيسة الذي يدعون لانفسهم حق التشريع للمسيحيين من المقر الرئيسي روما - بين ذلك القول ، وهذا القول المتضمن اتهام بطرس ، هبة لبطرس ، ثم اتهام في مكان واحد لا يفصل بينهما الا ثلاث فقرات هل يصدق القول الاول او الثاني او نرفضهما جميعا ؟ الجواب علي ذلك هو رفض هذين القولين جميعا والاستدلال بهما علي التناقض والتحريف الذي لحق الانجيل .

ونتساءل لماذا تنظر الكنيسة الي هذا القول السابق ، وتغض عن شلل القول المنسوب الي المسيح عليه السلام في انجيل لوقا .

\* (١٧) لكن اقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم واحسنوا الي من يبغضكم (١٨) باركوا لاعينكم وصلوا لاجل من يعنتكم (٢٩) من شريك علي خدك فقدم الآخر ومن اخذ دائك فلا تمتعه ثوبك \* (١)

والقول الاخر المنسوب الي المسيح ايضا في انجيل متى .

\* (٢٤) فلما سمع العشرة غضبوا علي الاخوين (٢٥) فدعاهم يسوع وقال لهم قد علمتم ان اراكنه الام يسودونهم وعظماهم يتسلطون عليهم (٢٦) واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم كبريا فليكن لكم خادما \* (٢) وهذا ان النصارى ينهيان النصارى عن التسلط علي الناس والتحكم في حياتهم وهو ماخالفة رجال الكنيسة مخالفة واضحة فاضحه في محاكم التفتيش وغيرها من الاعمال التي اشركوا انفسهم مع الله سبحانه وتعالى .

## ثانياً : الطفهان السياسي لرجال الكنيسة

الامر الطبيعي الذي لا يستكر ان تكون ازمة الامور جميعها كـ اقتصادية وسياسية واجتماعية بيد فله مؤمنه تدبش بدين الله وتطبق شرع الله في خاصة نفسها وتقيم في واقع حياة الناس . وهذا ما كان يجب ان يقوم به رجال الكنيسة . لكن هل قام رجال الكنيسة بذلك فاقاموا شرع الله الذي انزل علي عيسى عليه السلام في واقع حياتهم ، واقاموه في واقع حياة الناس ؟ ان الاجابة علي ذلك يندى لها جبين كل مسلم . ذلك ان هؤلاء الرجال كانوا والعيان بالله ابعد الناس عن ذلك ، فهم حرفوا دين الله الذي أنزل علي عيسى عقيدة وشريعة ، كما مربيا ن ذلك - وانحرفوا عنها حتى بعد تحريفها ، ولم يكتفوا بذلك بل مارسوا ظفياناً فظيماً فصاروا طواغيت ومحترفين سياسيين باسم الدين ، وذلك حين فرضوا لانفسهم الوصاية على الطوك والامراء ، وارغموهم علي الخضوع النذل لهم ، واشاعوا في الناس ان مقدار صلاح هؤلاء الطوك مرشبط بمدى ومقدار ما يقدمونه لهم مسن مراسم الطاعة - لا بمقدار التزامهم بالعقيدة والشريعة التي انزلت علي عيسى عليه السلام - فذلك هو الامر المحيب والمعاقب عليه عند رجال الكنيسة - وما الاضطهاد الذي وقع لأتباع آريوس الا دليل واضح علي ذلك .

لقد ظل الاوروبيون يعانون تمزقا نفسيا شديدا بسبب الصراع الذي دار في العصور الوسطي بين رجال الكنيسة وبين ملوك اوربا للتحكم في المجتمع ، ذلك ان رجال الكنيسة يدعون لانفسهم حق الهيمنة والسيطرة علي المجتمع لانهم وكلاء عيسى عليه السلام ، والطوك يدعون لانفسهم ذلك لانهم هم الذين يحكمون هذه المجتمعات واقمياً وقد ورثوا ذلك كابراً عن كابر .

ولم تكن الحرب بين البابوات والباطرة الا حربا بين فيئتين متحاربتين هدفها الاساسي التسلط والسيطرة والطامع الدنيوي ، وان كانت شعارات كل منهما تختلف عن الاخرى .

ولقد ضاق ملوك اوربا نرط بتدخل رجال الكنيسة في كافة شئونهم ولم يكونوا ليجدوا الرجال الكنيسة مبررا لتدخلهم مطلقا كما لم يكونوا

يرون ان 'لرجال الكنيسة ميزه عليهم الا ' القداسه ' ومع هذا فقد كان بعض ملوك  
أوروبا يرون انهم مقدسون بانسائهم . (١)

هذا ما كان من بعض ملوك أوروبا ولكن الباباوات كانوا يعتقدون ان خضوع  
الملوك والحكام لهم ليس امرا تطوعيا للملوك فيه الخيار ولكنه امر واجب عليهم بحكم  
مركز الباباوات الديني ، وسلطانهم الروحي علي البشر لان البابا مثل الله فسي

الارض . (٢) وقد أعلن (جريجوري السابع) « ... »  
ان الكنيسة بوصفها نظاماً إلهياً خليفه بان تكن صاحبة السلطة العالميه ،

ومن حق البابا واجبه ، بوصفه خليفه الله في ارضه ، ان يخلق الملوك غير الصالحين  
وان يؤيد او يرفض اختيار البشر للحكام او تنصيبهم حسب مقتضيات الاحوال . (٣)

ولم يكتف بهذا بل قدح في دينهم ووصمهم بالخدر وارتاب الجرائم قول  
ول ديورانت " قد تسأل " جريجوري " في رسالة كتبها وهو غاضب الي " هرمان "   
اسقف متر :

" من ذا الذي يجهل ان الملوك والامراء يرجعون باصولهم الي الذين  
لا يعرفون الله ، ثم يتعالون ويصطنعون العنف ، ويرتكبون في الحقيقة جميع انواع  
الجرائم ... ويطالبون بحقوقهم في حكم من لا يقلون عنهم - اى الشعب جشعا  
وعماية وعجرفة لا تطاق " (٤)

ولقد كان رجال الكنيسة اقوياء طيلة القرون الوسطي بسبب سلطتهم الروحيه  
المزعومه ، وهيكلمهم التنظيم الدقيق واستعدادهم الذي لاتحده حدود ، فقد  
كان الباباوات هم الذين يتولون تنويع الحكام ، وكانوا هم الذين باماكنهم دون -  
غيرهم خلق الحكام او عزلهم ، ولم يكن احد من الحكام بقادر علي الافلات ممن

(١) تاريخ أوروبا في المصور الوسطي : ٢١/١

(٢) انظر في هذا قصة الحضارة : ٣٥٢/١٤

(٣، ٤) نفس المصدر : ٣٩٣/١٤ ، ٣٩٤



ذلك ، ومن اراد ان يوفى الرعيخ لرجال الكنيسة ، فان حكمه في رأى رجال الكنيسة غير شرعي ، ومن ثم يحق للبابا اعلان الحرب عليه وحرمانه<sup>واعنته</sup> ، وسوف اسوق حادثة واحدة تعطي النخل الواضح لطغيان رجال الكنيسة وهي<sup>صوب</sup> النزاع بين ملك ايطاليا فردريك الثاني وبين جريجورى التاسع ،

" ذلك ان فردريك الثاني تأخر في القيام بحملته الصليبية الموعودة اثنتى عشرة سنة ، لذا حرره البابا وشهر برذائله وهرطقاته وذنوبه عامة في رسالة طنيية نشرها (١٢٢٧) فردريك علي هذه الوثيقة موجهة الي كل الامراء - وصفها ويلز - بانها وثيقة ذات اهمية قصوى في التاريخ ، لانها اول بيان واضح صريح عن النزاع بين مدعيات البابا في ان يكون الحكم المطلق علي عالم المسيحية بأسره ، وبين مدعيات البابا في ان يكون الحاكم المطلق علي عالم المسيحية بأسره وبين مدعيات .. مدعيات الحكام العلمانيين ، وقد كان هذا النزاع يسرى علي الدوام كالنار تحت الرماد ، ولكنه كان يضطرم هنا علي صورة ما ، ويتأجج هناك علي صورة اخرى ، ولكن فردريك وضع الامر الان في عبارات واضحة عامه يستطيع الناس ان تتخذها اساسا لاتحادهم وهم بعضهم ببعض .

وفي عام ١٢٣٩ حرم جريجورى التاسع فردريك للمرة الثانية ، ثم انبعثت الخصومة مرة اخرى في عهد البابا انوسنت الرابع ، واصدر فردريك للمرة الثانية رسالة ضد الكنيسة شهر فيها بكبريا رجال الدين واتعدام التدين فيهم وعزى مقاصد الزمان الي كبرهم وثراءهم اقترح علي الامراء مصادره املاك الكنيسة لخير الكنيسة" (١) وقد كان فردريك هذا اعظم من تحدى رجال الكنيسة وقاومهم ، وقد سماه بعض المفكرين المعاصرين باعجوبة العالم ، ووصفته الكنيسة بالزندقة<sup>(ج)</sup> وذلك لزعما انه اعتنق الاسلام ، ولا شك انه كان متأثرا بدراساته التي درسها في الاندلس .

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٨٩٨/٣ ، ٨٩٩ بتصرف وانظر قصة الحضارة : ١٩٤-١٩٥/١٥ لمعرفة قصة النزاع بين الملك هنري الثاني ملك انجلترا وبين رئيس اساقفه " كنتربرى " توماس بكت . وانظر نفس المصدر : ٩١٠/٣ ، ٩١١ وتاريخ اوربا الوسطي : ١٤٧/١-١٤٩ . لمعرفة قصة النزاع بين هنري الرابع امراطور الباطيا وبين البابا جريجورى السابع .

(\*) "ول ديورانت هو الذي سماه " اعجوبة العالم في كتابه قصة الحضارة وكذا " فشر " في كتاب تاريخ اوربا في العصر الوسطي .

## ثالثا : الطفيلان الاقتصادي لرجال الكنيسة

لم ته الا ناجيل - المحرفة - عن شي \* وتشدد فيه كما نهت عن اقتناء الشروة والركون الي الحياة الدنيا ، ولكن لما تطاول هليهم الاسم ظهرت مفارقات بين المفهوم المسيحي الموجود في الا ناجيل حول المال والثروة ومتع الدنيا كلها وبين واقع الكنيسة المعطي ، ان تشددت الا ناجيل فحرمت ما احل الله من طيبات الحياة الدنيا - وكان ذلك لما اقتبسته من نظره اليهوديين المتشابه الي الحياة الدنيا - هذا فسي جانب وفي الجانب الاخر سجل رجال الكنيسة في القرون الوسطي علي انفسهم صفحات مخزية من الشهاك علي الدنيا الذي نافسوا فيه اليهود عبدة الذهب وفاقوا فيه كبار الاقطاعيين ونسوا بذلك ما يوجد في اناجيلهم من نسبوه الي المسيح عليه السلام ان يقول - كما زعموا -

\* ( ١٠ ) انه لاسهل ان يدخل جمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت

الله \* ( ١ )

\* ( ٢٤ ) وايضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب ابرة من ان

يدخل غني ملكوت السموات \* ( ٢ )

\* ( ٩ ) لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم ( ١٠ ) ولا مزودا للطريق

ولا ثوبين ولا هذا ولا عصا لان الغافل ستحق طعامه \* ( ٣ )

واذا فرجال الكنيسة قد اصبحوا من تتحقق فيهم هذه الصفات لهذا فهم

من ابعد الناس عن الدخول في ملكوت السموات او ملكوت الله .

ولكن رجال الكنيسة هؤلاء الذين حرفوا دين الله الذي انزله علي عيسي لم

يكتفوا بذلك بل انحرفوا حتى عن الدين الذي صنفوه هم ونسبوه الي عيسي فجمعوا

بين سيئين التحريف والانحراف ، وزادوا عليهم بالطفيلان الذي تعش في صورتين

الاولي انهم فرضوا علي اتباعهم الزهد والتقشف ، الثانيه : انهم اصبحوا من كبار

الاقطاعيين في اوروبا فخالفوا ما امروا به الناس وخالفوا ما وضعوه من تشريع محرف .

( ١ ) الكتاب المقدس " مرقس " ١٠ / ٢ / ٢٧

( ٢ ) نفس المصدر " متى " ١٩ / ٢ / ٣٥

( ٣ ) نفس المصدر " متى " : ١٠ / ٢

ويصور " كرسون " هذا في اوضح عبارة حين يقول :

" . . . كانت الفضائل المسيحية كالفر والتواضع ، والقناعة ، والصوم والورع والسذاجة والرحمة ، و ارادة السلام بالعدل ومحبة الله الخالصة ، كل ذلك كان خيرا للمؤمنين ، وللقسيسين المصنفين ، وللقديسين ، وللخطب والمواظ .  
اما اساقفه البلاط والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر البسوخ والاحاديث المتأنقة مع النساء والشهرة في المجالس الخاصة والعجلات والخدم والارباح الجسيمة والموارد والخصاص : ( ١ )

وبما كنا ان نلخص مظاهر هذا الطغيان في الاتي :

١- الاقطاعيات الكبرى : لا تغلو معظم كتب التاريخ الاوربي التي توفخ الاحداث القرون الوسطي من ذكر بعض مظاهر الطغيان لرجال الدين ومنها تلطمهم دون ادني مشروعية لاقطاعات كبيرة يقول احدهم مايلي :

" وكان مالك الضميمة في بعض الاحيان اسقفا اورثيس دير ، وكان كبير من الرهبان يحطون بايديهم ، وكثير من الاديرة والكنايس تتال حظها من اموال المشور التي تجبي من الابرشية ، ولكن المؤسسات الكهنوتية الكبيرة كانت بالاضافة الي هذا العمل اليدوي وتلك الامور في حاجة الي المعونة العاليه ، وكانت تتال الجزء الاكبر من هذه المعونة من الملوك والاشراف علي صورة هبات من الاراضي وانصبه من الابرادات الاقطاعية وتراكت هذه الهدايا حتى اصبحت الكتيسة اكبر ملاكي الاراضي ، واكبر السادة الاقطاعيين في اوربا ، فقد كان دير " فلندا " مثلا يملك " ١٥٠٠٠ " قصر صغير من قصر الريف ، وكان دير " سانت هيل " يملك الفين من رقيق الارض ، وكان " الكوين في ثور " سيداً لعشرين الفا من ارقاء الارض وكان الطك هو الذي يمين رؤساء الاساقفه ورؤساء الاديرة ، وكانوا يقسمون يمين الولاء له لغيرهم من الملاك الاقطاعيين ، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرهما من الالقاب الاقطاعية ، ويسكنون العطله ، ويرأسون محاكم الاسقفيات والاديرة ، ويضطلمون بالواجبات الاقطاعية الخاصة بالخدمة العسكرية والاشراف الزراعي . . .

وهكذا أضحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من النظام الاقطاعي \* (١)  
 هذا بالنسبة للأديرة ، وهي كما نعرف لماكن تجمع الرهبان ، والرهبان  
 هم الذين زهدوا في الدنيا ، فإذا كان هذا ما يميز الزهاد - الرهبان -  
 فما بالك برجال الكنيسة الآخرين الذين لم يزهدوا ، (٢)

٢- المظهر الثاني : الأوقاف التي كانت تتبع الكنيسة :  
 كان رجال الكنيسة يملكون مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على  
 اعتبار أنها أوقاف للكنيسة تصرف عائداً لها على سكان الأديرة - وبنائهم الكنائس  
 وتجهيز الجيوش للحروب الصليبية . إلا أن هذه الأوقاف وصلت نسبة جعلت  
 \* ويكلف \* المصلح الكنسي يحالف دوق " جناحونت " الذي يعمل مع غيره على  
 إلغاء أوقاف الكنيسة على الغنائم . (٣)

وقد بلغت املاك الكنيسة من الأوقاف ١/٢ أراضي إنجلترا كما يقرر ذلك  
 ويكلف . (٤)

وقد اتهم ويكلف رجال الكنيسة بأنهم " أتباع قياصرة لا أتباع الله " (٥)

٣- المظهر الثالث : العشور والضرائب الأخرى : فرض رجال الكنيسة  
 على أتباعهم ضريبة أسموها - العشر - وهي ضريبة تجعل لرجال الكنيسة  
 الحق في الحصول على عشر ما تنتجه الأراضي الزراعية ، والماشية ، وعشر ما  
 يحصل عليه أصحاب الحرف الأخرى وجاء في كتاب تاريخ العالم بياناً لذلك  
 ما يلي :

" .. ويلي ذلك - أي السخرة التي تكلم عنها قبل هذا - في قائمة

الحقوق المفروضة على الفلاحين ، ما هو معروف باسم العشر ، وهو المكس <sup>المقرر</sup>

( ١ ) قصة الحضارة : ١٤ / ٤٢٥ و ١٤ / ٤٢٦ .

( ٢ ) انظر لمعرفة تعريف الاقطاع ومقوماته كتاب : شبهات حول الاسلام :

٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ .

( ٣ ) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

على ما تخرجه الارض من الزرع ، والماشية ، والركاز ، وهو مكن شائع بالبلاد المسيحية كافة ، ولم تنزل الكنيسة عنه في اراضيها الا بعد لآي واكراه . علي ان ذلك المكس ظل بيد جهات كثيرة حتى صار يشترى ويباع ، ويقسم الى اجزاء واصبح من الضروري تنظيم حسابه وتحصيله في سجلات مضبوطة ، بواقع وحده عن كل عشر وحدات من المحاصيل الزراعية ، ولذا فدت " عربة العشر " من الاشياء المعتادة

وهي تشق طريقها بين الحقول وقت الحصاد (١) ولم يقرض رجال الكنيسة هذا العشر كمثل من اعطى الاحسان بل فرضوه كواجب محتم (٢) ولكن هل كان في مقدور احد رفض هذا القانون أم لا ؟ الواقع ان احداً من

الناس سواء كانوا من الشعوب والحكام لم يكونوا قادرين علي رفض هذا القانون اذ الشعوب خاضعة تلقائياً لطوة رجال الدين لانهم مثلوا المسيح في الارض كما نفخ في روعهم ذلك . هذا من ناحية الشعوب اما الطوك فقد كانوا هم الاخرى من يخشون جبروت رجال الدين للسبب نفسه الذي تخشاهم من اجله الشعوب ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كانت هناك بين البابوات والحكام مصالح مشتركة تتمثل في مساعدة كل منهما الاخر في توحيد سلطانه - يقول تولستوى احد نقباء رجال الكنيسة مايلي .

" لقد استولي حب السلطة علي قلوب رجال الكنيسة كما هو مستول علي نفوس رجال الحكومات . وصار رجال الدين يسمعون لتوطيد سلطة الكاثوليكس من جهة ، ويساعدون الحكومات علي توطيد سلطانتها من جهة اخرى واخذوا يفسرون احكام الانجيل حسب مطامعهم ، حتى انهم لم يتأخروا عن تحريفها وفق منافعهم وبهذه الصورة وجدوا كل تلك الخرافات التي تنسب الي ديانته المسيح والمسيح نفسه برى منها . (٣)

وهكذا كانت مصالح الفريقين - رجال الدين ، والحكام - تقتضي بقضاء<sup>على</sup> الاوضاع صورتها الخجوة .

(١) تاريخ العالم : ١٨/٥ ، ١٩٠١ (٢) معالم تاريخ الانسانية : ٨٩١/٢

(٣) احاديث في الاجتماع والسياسة : ٣٠١ .

٤- المظهر الرابع من مظاهر الطفيان : ضريبة السنة الاولى : لم يكتف رجال الكنيسة بالعشور والاقواف بل فرضوا ضرائب اخرى خاصة في الاحوال الاستثنائية مثل الحروب الصليبية ، فلما تولي البابا حنا الثاني والعشرين ، فرض ضريبة جديدة اسماها ضريبة السنة الاولى (١)

ولكن ماهي ضريبة السنة الاولى يقول فشر :

"... وهي مجموعة الدخل السدوي لوظيفة من الوظائف الدينية والاقطاعية

التابعة للبابا" (٢)

وهكذا اصبح لرجال الكنيسة مورد مالي جديد يصب في حوضهم الطمسي\* بالاموال المحرمة . لكن لابد ان تقول ان احد مجامعهم وهو مجمع سبازل انكر هذه الضريبة . (٣)

٥- المظهر الخامس : العطايا والهبات : كان رجال الكنيسة يحتلون بكثير من العطايا والهبات التي يقدمها الاثرياء والطوك خشية من سطوتهم وطففانهم فكانهم بذلك يتطقونهم وهناك اناس يهبونهم ذلك بدافع من الاحسان والصدقـه ولم يكن هؤلاء ليفعلوا ذلك لو لم يكونوا يحملون حرص رجال الكنيسة على الدنيا وتكالبهم على المال ، كما انهم لو لم يحملوا انهم بذلك يستعملون رجال الكنيسة لما فعلوا ذلك لعلمهم يقينا بان رجال الكنيسة بيدهم المغفرة فيخشون حرمانهم منها عند موتهم . وقد اشتدت هذه الدوافع بعد سبازل صكوك الغفران اذ بعد ما انتهت الهبات والعطايا على رجال الكنيسة ، بشكل لا نظير له وهذا تشخيص وازدادت ثروة رجال الكنيسة واليك وصفا لما حصل من الهبات في مهرجان عقد عام ١٣٠٠ انقله من معالم تاريخ الانسانية .

(١) تاريخ اوروبا في العصور الوسطى : ٣٣٩/٢

(٢) (٣) نفس المصدر : ٣٨٠/٢

" . . . . في عام ١٣٠٠م عقد مهرجان " الليويل " واجتمع له جمهور حاشد من الحجاج في روما . بلغ من عظيم انشغال الطال الى خزائن البابيستي ، ان ظل موظفان يجمعان بالمحاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطرس (١) وهذه الهبات والعطايا وان لم يفرضها رجال الكنيسة علي الناس رسميا ، الا ان الناس انط فعلوا ذلك طمعا في - فقرانهم - وخوفا من حرمانهم فهم بذلك كأنهم الزمواهم بهذه الهبات .

٦- المظهر السادس - العمل المجاني - السخرة - بينت فيط سبق ان رجال الكنيسة سلوكا الاقطاعيات الكبيرة بوقيقها وان بعض رجال الدين كان يملك آلافا من الرقيق ، ومع هذا فانهم لم يقتنوا بذلك بل ارغوا اتباعهم علي العمل المجاني في الحقول التي يمتلكونها ، والشروط التي يقيمونها خاصة بناء الكنائس وكسان من الواجب علي الناس يوصف رجال الكنيسة خلفاء الله في الارض - ان يوضحوا الا وامرهم ويعملوا مجانا لصلحة هؤلاء ، يوما واحدا في الاسبوع جاء في كتاب تاريخ العالم مايلي :

" . . . اما السخرة ، وهي المواجهة التي شاعت تأديتها للسيد الاقطاعي بالخدمة في ارضه منذ اوائل ايام الدوجين ، فهذه زالت عن كثير من الاقاليم في القرن الثالث عشر الميلادي ، بقيام الفلاحين المكلفين بها بدفع بدل نقدي مقابل الاعفاء منها ، علي انها بقيت ببعض الاقاليم ، وبات رزق ثقيلا في حياة الفلاح ووسيلة غير اقتصادية لزراعة الارض الخاصة بالسيد الاقطاعي وكثيرا ما يحاول كبار الملاك في العصور التي قلت فيها الايدي العاملة - قتل عصر الفناء الكبير - ان يراجعوا عن المواجهات التقدير الي نظام السخرة القديم ، مما ادى الي ثورة الفلاحين في كثير من البلاد الاوربية " (٢)

وبهذا يتبين ان جماهير الشعوب كانت توزح تحت نير رجال الكنيسة ،

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٩١٣/٣ .

(٢) تاريخ العالم : ١٨/٥

وكان الملوك والباطرة وصغار رجال الكنيسة يشعرون بمسايعانيه الناس ، ويبتلون  
فرصة لاعلان احتجاجهم ورفضهم لجذروت كبار رجال الكنيسة ، ومن تشجرو من ذلك  
واندفع بجرأة الي الاحتجاج العلني على سلوك رجال الدين الطك لوييس التاسع  
ملك فرنسا ان بعث برسالة احتجاجيه الي البابا يقول فشر :-

"وليس من المسير علي قارى" حوليات المؤرخ " ماثيو باريس " ان يستشف  
علامات السخط الذي اثارته تلك المطالب التعسفيه في بلاد اشتهرت دون غيرها  
بطاعة الكرسي البابوي المقدس ، حتى ان ملك فرنسا " لوييس التاسع " الذي  
اختصت البابويه ملكته بشي " من حسن المعاملة والرفق ، اضطر الي تنبيه البابا  
في رسالة احتجاجيه خطيرة ، ان الذي يشتد في ادراء الاخراج لابد ان يصيب  
الدم من حلقاتها " . واستفاد رجال الدين من الانجليز من المطالب البابويه  
وشكوا حالهم سنة ١٢٤٦م الي المجلس الديني العام المنعقد في مدينة ليمون  
ومع ان السلطان البابوي ظل فوق الشبهات ، فالواضح ان روحاً من الغضب  
وسوء الظن حلت محل المحبة القديمة والاحلال (١)

وهكذا يتضح ان الشكوى من طغيان البابوات قد امتدت حتى الي رجال

الدين الصفار ولكن هذه الاحتجاجات من رجال الدين الصفار وغيرهم ممن

يسمون في عرف رجال الكنيسة رجال الدين " ظلت " صرخة في واد ونفخة في رماد "

واستمر رجال الكنيسة علي طغيانهم وعنجهيتهم ، حتى بعد عصر النهضة الذي

حدث نفث الصراع ، بين رجال الكنيسة ورجال العلم واستمر حتى نهاية القرن

الثامن عشر حيث وقعت الثورة الفرنسيه فانتقل الصراع من صراع بين رجال الكنيسة

وجال العلم الي صراع بين الكنيسة والشعوب النصرانيه وكان وراء ذلك الصراع

العنيف الذي تشل في الثورة الفرنسيه - التي اصبحت ملط بارزا من معالم تاريخ

اوربا - رجال اذكيا استغلوا هذه الاحداث وشاركوا في صنعها الا وهم اليهود

ثم جاءت طامة كبرى اخرى ساعدت علي هروب الغربيين من الدين نهائيا تلك

هي نظرية دارون التي كان لها نتائج سيئه في كل العلوم ومازال لها هذه النتائج

رغم الانتقادات الموجهة الي اصول النظرية .



## الفصل الاول

### عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي

المبحث الثاني : عوامل مساعدة .

فرضية التطور وأثرها في الفكر والعلم والفلسفة .

...

### فرضية التطور وأثرها في الفكر والعلم والفلسفة في العالم الغربي

عند الحديث عن فرضية التطور التي قال بها شاولس دارون لا بد من معرفة المناخ أو الجو الفكري الذي ظهرت فيه هذه الفرضية ولا بد من معرفة ما سبقها من فرضيات في التطور افترضها علماء سابقون لدارون ، ومعرفة درجات الاستدلال العلمي <sup>عندهم</sup> معارضي الأديان ، ومن أي أنواع الاستدلال الأدلة التي استدل بها دارون ، ثم انتقل الى بيان الأسس التي تقوم عليها فرضية التطور الداروينية ، ثم أذكر أقوال علماء الطبيعة المعاصرين لدارون ومن جاء بعده في رفضها وخاصة الداروينيين المحدثين وأختم هذا الجزء بالحديث عن آثار فرضية التطور .

وطى هذا يكون الحديث عن فرضية التطور سلسلا كالآتي :-

- ١- المناخ أو الجو الفكري الذي ظهرت فيه الفرضية .
- ٢- الفرضيات السابقة على فرضية دارون .
- ٣- درجات الاستدلال العلمي عند معارضي الأديان ومن أي أنواع الاستدلال أدلة دارون .
- ٤- الأسس التي تقوم عليها فرضية التطور وأفكارها الأساسية .
- ٥- أقوال علماء الطبيعة المعارضين في رفضها .
- ٦- آثار فرضية التطور على الإيمان ، والعلم ، والفكر ، والفلسفة . (١)

« ١ » لم أجد شكاً عند حكم الإسلام من هذه الفرضية ، وعنه كانت الآراء من الإسلام لهذه المجال هذا ليس مجال بعض هذه الفرضية من خلال حكم الإسلام ، بل المجال هو بيان تأثيرها في نشر العلمانية وأثرها على الإيمان والعلم ، والفكر ، والفلسفة . وقد مرصت على بيان رأي علماء الطبيعة والإيمان في هذه الفرضية - من علماء الغرب - ليكون ذلك ابلغ في بعض هذه الفرضية .

أولا : المناخ أو الجو الفكري الذي ظهرت فيه الفرضية :

تعرضت المسيحية - المحرقة - قبل ظهور فرضية دارون لضربات قوية وهزات عنيفة أودت بالعقائد المسيحية والأخلاق المسيحية المحرقة ، يمكن تلخيصها في الآتي :

- ١ - تهافت النظرية المسيحية عن الكون المتمثلة في نظرية بطليموس .
- ٢ - انتقادات الفلاسفة وعلماء الطبيعة في القرنين السادس عشر والسابع عشر خاصة فولتير وسينوزا وديرو الذين كانوا من أشد المنتقدين على الكنيسة .
- ٣ - الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م وملاحق برجال الكنيسة على أيديها من أذى ونكبات .
- ٤ - النظرية الآلية الميكانيكية عن الكون المنبثقة من نظرية كوبرنيك ونوتن .
- ٥ - تقديس العقل وتقديمه على الوحي والدين الطبيعيين اللذين تميز بهما القرنان السادس عشر والثامن عشر .
- ٦ - نظرية التطور الفكري كما تخيلها كومت .
- ٧ - المذهب اللا أدري ومذهب الموهبة الربوبيين " الذي يرميه " (١)
- ٨ - الجمعيات السرية وأفكارها الهدامة مثل الماسونية التي وجدت في الفلاسفة الملحدين مثل فولتير ورسوود المار وفردريك ملك بروسيا ، اختصارا تكاتفوا في هدم أركان الدين وتخريب الممالك والعروش " ١ "
- وقد أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها عام ١٧١٧ م " ٢ "
- وهكذا ساعدت الأمور السابقة على تقويض بيمضد عائم الكنيسة ورجالها ورغم ذلك فإن الانهيار الكامل للمسيحية - المحرقة - لم يكن متوقعا إلا بعد قرون لأنها بقيت برغم هذه الأحداث التي - زلزلت كياناتها - كيانا معترفا به تدعوه عواطف الجماهير وتعصده موروثة قديمة متأصلة في نفوس الناس

(١) انظر كتاب صليل عن حضرة إلفصا في كتابه " ليعقل الحريته " . وكنا بعد مجاز على رحمه الله

(١) جذور البلاء : ١١٨ التوراة الزمنية

(٢) المرجع السابق : ١١٨٨

من القيم والمثل التي اشرقت بها نفوس الجماهير .

لقد حدثت تغيرات كثيرة في تصورات الناس لكل شيء ، فقد حدث تغير في نظرة الناس الى المسيحية ورجالها وبعض تعاليمها الا انه حتى ظهور هذه الفرضية لم يحدث تغير بالنسبة للتصور الديني ذاته ان بقي سائقا لدى جمهرة كبيرة من الناس يدل على ذلك ما بذله الفلاسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر من جهود لاحداث دين طبيعي أو انساني .

وحدث تغير في نظرة الانسان الى الكون ودوره فيه ، ولكن لم تتغير نظرتة الى انسانيته وتفرده عن سائر المخلوقات وتفوقه عليها ، جسما وعقلا وروحا ،

وحدث تغير في نظرة الانسان الى حركة سير التاريخ ولكن لم يجزء أحد على التصريح بأنه لا توجد قيم ثابتة أو اخلاق ثابتة ، حتى جاءت فرضية دارون القائلة بتطور خلق الانسان من وخلقوات ارضية ، فأدى ذلك الى القول بتطور الاخلاق والقيم . ان الاخلاق يتخلق بها الانسان والقيم - المعائد - يعتقد ها الانسان . فاذا كان الانسان قد تطور في خلقه فان الاخلاق والقيم متطورة تبعاً لذلك . ومن ثم خرج فرويد ودوركايم وغيرهما بنظريات عن تطور الدين - بعد أن خرج دارون بفرضيته في تطور الانسان ، والكائنات الأخرى في خلقها .

ثانياً : الفرضيات التي سبقت فرضية دارون :

يمكن اعتبار " لينوس " أول من قال بالتطور ان انه استنتج من مشاهداته وجود كثير من التغيرات بين افراد النوع . مما دعاه بحيل نحو الاعتقاد في تغير النوع " ١ " ثم جاء " يوفون ( ١٧٨٨ - ١٨٠٧ ) الذي استنتج من دراساته في التشريع المقارن ان للاستعمال والاغفال أثراً في تشكيل أعضاء

الفقاريات<sup>١</sup> وأشار في بحثه التاريخ الطبيعي الى الداروتيه قبيل وجودها<sup>٢</sup>

ثم جاء "لامارك" ، جان يايست<sup>٣</sup> ( ١٧٤٤ - ١٨٢٩ ) واشتهر بتقدمه نظريات التطور ، والخاصة للفقاريات ( )<sup>٣</sup> ( ) ويعتمد لامارك على أثر البيئة المباشر في تحليل التطور وتسمى نظريته بنظرية الاستعمال والاهمال في بنية الكائن الحي استجابة للمطالب الجديدة ، ويدعم وجودها ، أو يضعف نتيجة للاستعمال أو الاهمال ، ثم تتكفل الوراثة بنقل الصفات المكتسبة الجديدة للاحقاد<sup>٤</sup>

ثم جاء "كوفيه" ، جورج ليوبولد<sup>٥</sup> ( ١٧٦٩ - ١٨٣٢ ) الذي أدت به دراساته للخفريات وتكوين الارض الى رفض النظريات الخاصة بالتطور المستمر ، والى تأييد نظرية الكوارث<sup>٥</sup> وقد رفض "كوفيه" آراء لامارك<sup>٦</sup>

ثالثا : مصريات المستور لذلك الصنف : فقد طعن ضوفاً في الجدول المسمى "نظريات التطور" في أنواع الاستعمال أدلة داروين :-

ان آراء معارضي الاديان تركز على اساس واحد وهو ان اى شيء لا يصبح حقيقة الا اذا تم اثباته تجريبيا وتبعاً لذلك فالاديان من النوع الذى لا يمكن اثباته تجريبيا فعلى هذا يكون محض عقيدة لا دخل لها في الحياة ( العلمنة ) وهذا هو المعيار الوحيد لمعارضى الاديان . ولكن له درجات أربع هي :

( ١ ) الموسوعة العربية الميسرة : ٥٣٠ ،

( ٢ ) نفس المصدر : ٤٣٧

( ٣ ) المصدر نفسه : ١٥٤٣

( ٤ ) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ٣٥

( ٥ ) الموسوعة العربية الميسرة : ١٥٠٦ .

( ٦ ) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيه : ٣٥١

- ١ - أن يكون الامر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول يدينا مباشرة .
  - ٢ - ألا تكون الدعوى قابلة كلياً للمشاهدة ، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها . كدعوة " كروية الارض " ان لا يمكن مشاهدتها في صورتها الكاملة ، الا انه يمكن مشاهدة أجزاء منها تؤكد هذه الحقيقة اذا صورت الارض بكاميرا مزودة بمنظار مكبر فسوف تبدو الارض كروية في الصورة كالقمر ومن المعلوم ان ذلك جزءاً من كرويتها وليس هو الصورة الكاملة لها . " ١ "
  - ٣ - ان الاستدلال يعتبر مقياساً علمياً سليماً اذا شوعدت فيه بعض جوانب التجربة التي تؤكد وجود حقيقة ما ، وذلك بالرغم من عجزنا عن مشاهدة تلك الحقيقة بكامل جوانبها في تلك التجربة وذلك مثل الالكترود . " ٢ "
  - ٤ - ان المشاهدات والتجارب ، وان لم تكن مرتبطة بالقضية المطروحة - بالمعنى العلمي التكنيكي البحث - الا انه اذا كانت هناك قرينة جائزة لتأييد تلك القضية - وذلك في حالة عدم وجود نظرية اقوى لتفسير تلك المشاهدات - فان ذلك الاستدلال ( بالقرينة الجائزة ) على القضية المطروحة سيكون مقبولاً وسليماً " ٣ "
- " . . . . وجدير بالذكر ان كل مقياس من المقاييس ( الاول ، والثاني ، والثالث ) التي مر ذكرها يرفض نظرية الارتقاء رفضاً قاطعاً ، الا ان المقياس الرابع وحده يتصدى لاثباتها . " ٤ "
- " ونصل من هذا الى ان العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة ، وانما يعتبر أن اية قرينة منطقية تستند الى تجارب ومشاهدات غير مباشرة ، يمكنها ايضاً ان تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي نتكن من مشاهدتها مباشرة " ٥ "

" ومن المعلوم انه مهما كانت المقاييس ، فان اى شي \* يثبت بنا \* على تلك المقاييس يمكن ان يكون صحيحا او باطلا " .

والنظريات تتغير من يوم لاخر في عالم العلم ، بالرغم من انه لا يمكن اثباتها بصفة عامة ، بمقياس او آخر من المقاييس العلمية المذكورة أنفا .

فالتسليم بجواز وحقية مقياس مالا يلزمنا ان نقبل بالضرورة كل ما يقدم الينا بواسطة ذلك المقياس على انه حقيقة علمية . فاحتمال كون النتيجة باطلية باق ، مع ان صحة المقياس وجواز الاستدلال به يبقى قائما أيضا في نفس الوقت " . " ١ )

وعلى هذا فان اتباع نظرية دارون الذين يقولون بالتولد الذاتي لا بالخلق المباشر ، بنا \* على اعتمادهم على هذا المقياس الرابع لا يحق لهم ان يعترضوا على القائلين بالخلق المباشر الخاص لان الادلة التي يستدلون بها موجودة عند القائلين بالخلق الخاص المباشر وهم اتباع الاديان وخاصة الدين الاسلامي - موجودة بصورة اكمل وأشد .

رابعا : الأسس والافكار الرئيسية التي تقوم عليها نظرية دارون :

يمكن تلخيص فرضية دارون في الآتي :

- ( ١ ) الانتخاب الطبيعي .
  - ( ٢ ) التطور العضوي الذاتي للكائنات الحية .
  - ( ٣ ) التنارع وبقا \* الاصلح .
  - ( ٤ ) القول بتسلسل الانسان من حيوان ادنى منه ووجود شبه بينه وبين القرد .
- يقول الاستاذ قيس القرطاس تلخيصا لبعض هذه الأمور :

" وتتلخص نظرية دارون بما يلي : اننا نشاهد ان الخلق تظهر فيه بعض الاختلافات الطفيفة التي يتضح ظهورها بعد اجيال عديدة بواسطة ناموس

التغير وهذه الاشكال المختلفة تخرج الى الحياة في صراع دائم لتحقيق عملية " تنافس البقاء " ليزداد القوى على قوته والضعيف ضعفا على ضعفه . وبذلك يتحقق " فوز القوى " أو " بقاء الاصلح " . ويحمل " الانتخاب الطبيعي " عمله فيفتي الذي لا يتلائم مع البيئة الجديدة ويبقى المرغوب وأن الصفات المكتسبة التي حصل عليها الحيوان خلال صراع الحياة تنتقل الى السلف لتحقيق نوعا جديدا تحقيقا " لقانون الوراثة " وتستمر العملية الى أن تجد أمامك ماتراه من الانواع . " ١ "

أما عن التطور العضوي الذاتي للكائنات الحية فان دارون يفترض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد الى الدقة والتعقيد ، ومن الاخط الى الارقو . وان القرون الخلقية ( داخل النوع الواحد تنتج انواعا جديدة مع مرور الاحقاب الطويلة ، ولذلك يفترض دارون ان اصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائنا حقيقا ذاك خلية واحدة " ٢ "

وأما علة الانتخاب الطبيعي وبقاء انواع دون أخرى ، فان دارون يرى : " . . . ان التطور يحدث نتيجة للاختيار الطبيعي ، وان التغير في الانواع يحدث بانقراض الافراد الضعيفة والتي لا تتلائم والبيئة التي تعيش فيها وتحيط بها ، وبذلك تنقرض ولا تورث صفاتها .

وان الطبيعة " *Nature* " اختارت كائنات معينة لتعيش وتتناسل وتتكاثر ولتبقى . . وهذه الكائنات هي التي تتلاءم مع بيئتها أما الكائنات التي لا تستطيع أن تتلاءم مع بيئتها او الكائنات الضعيفة فانها تموت وتنقرض . . اي ان البقاء للاصلح " ٣ "

( ١ ) نظرية التطور بين مؤيديها ومعارضها : ٣٨

( ٢ ) العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة : ١٤٨ بتصرف طفيف

( ٣ ) نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٤ ، ٤٥ .



أما فيما يتعلق بشبه الانسان بالقرود وغيره من الحيوانات فيقول عنه  
دارون في كتابه " اصل الانسان " مايلي :

" انه لشيء منفر أن نقول أن الانسان قد بني على ذات الطريقة العامة  
أو النموذج الذي بنيت عليه جسم " الثدييات الاخرى ، فكل العظام فسي  
هيكله يمكن مقارنتها بمثيلاتها في القرود ، أو في الخفاش ، أو في الفقة ، وكذلك  
هو في عضلاته وأعصابه وأوعيته الدموية ثم في احشائه الداخلية وكذلك يتبع المخ  
- وهو الاكثر اهمية من بين كل الاعضاء - ذات النظام كما اوضح هكسلي وعلماء  
التشريح الآخرون " ١ "

ويقول في نفس الكتاب :

" بعد التقارير السابقة التي قدمها مؤلفون كبار ، فلسوف يكون من  
ناغلة القول في الجزء الخاص ان اقدم عدداً من التفاصيل المستعمارة مبنياً أن  
جنين الانسان يشبه تمام الشبه غيره من اخية الثدييات الاخرى . ومن الممكن  
- رغم ذلك - ان اضيف ان الجنين البشري يشبه كذلك وفي نقاط عديدة في  
التركيب ، اشكالا خاصة من الكائنات غير الراقية عندما تنضج ، فمثلاً يوجد القلب  
في أول الامر كوعاء نابض بسيط ، وتخرج الفضلات عن ممر المذرق ، وتبرز عظمة  
العصص شبيهة بذنب حقيقي ، وممتدة الى درجة كبيرة خلف الأرجل  
الظامرة " ٢ " ثم يقول :

" انه يمكن حتى في مرحلة هنيئة متأخرة - ملاحظة بعض التشابهات اللافتة  
للنظر فيما بين الانسان والحيوانات الادنى " ٣ " . الى ان قال :

"ولسوف اختتم بعبارة مقتبسة من قول هكسلي الذي يقول بعد تساؤل عما اذا كان الانسان قد نشأ بطريقة مختلفة عن كلب ، او طائر ، او ضفدعة او سمكة ؟ . . . يقول بأن الجواب على ذلك لا يشك فيه لحظة واحدة . وبدون تساؤل ، فان طريقة النشوء ، ثم المراحل المبكرة لتطور الانسان متطابقة مع مثيلاتها عند الحيوانات التي تسبقه في سلم التطور . . وبدون شك في تلك الاعتبارات فان الانسان يقربا من القرد بأكثر مما يقرب القرد من الكلاب " <sup>١</sup>

أما أدلة دارون واتباعه فقد استندت الى علم التشريع المقابل ، والاعضاء الاثرية والتصنيف الطبيعي ، والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ، وعلم الاحافير . وأكتفي هنا بدليل واحد من أدلتهم وهو دليل علم التشريع المقابل :

" يقول انصار التطور لو فحصنا يد الانسان وجناح الخفاش ومجداف الحوت وحافر الحصان وأطراف العضايا والتمساح والضفدع بواسطة التشريح لوجدنا ان في جميعها نفس العظام والعضلات والاعصاب وان هذا التشابه لا يمكن أن يفسر الا ان هذا النظام التركيبي قد تطور من سلالة واحدة " <sup>٢</sup>

وأكتفي في الرد على ذلك بنقل رأي آرثر كيث وهو احد كبار انصار التطور ان يقول :

" وتبلغ العلامات المشتركة بين الانسان وكل من الشمبانزي والغوريلا الى سائر العلامات التي احصيتها تقدر بثمانية وسبعة اعشار بالمائة " <sup>٣</sup> فقط ، وهكذا يستنتجون من تشابه ضئيل مزعوم لا يبلغ الا ٨٧ ٪ على تسلسل الانسان من الحيوان .

( ١ ) العلم اسراره وخفاياه : ٤٩٩ / ٣ .

( ٢ - ٣ ) نظرية داروين مؤيد بها ومعارضها : ٥٥ .

وانظر بقية الادلة ، وهي ادلة الاعضاء الاثرية ، والتصنيف الطبيعي ،

والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ، وعلم الاحافير : ٥٩ - ٧٧ ،

وانظر كتاب " نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٩ - ٩٩ .

لقد كان الجديد في أمر الفرضية لم يست هي فكرة التطور فقط فقد قيل  
بذلك قبله اشخاص سابقون له - لكن الجديد هو في القانون الذي تسير عليه  
عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية .

ولكن لم تكن آراء هؤلاء العلماء - وكان منهم غير من سبق ذكرهم :  
راى ، وباركتسون ، وليغو - قد قدمت للتطور تفسيراً آلياً ميكانيكياً كما فعل  
دارون واتباعه وانما كان تفسيرهم دينياً ، ولذا سميت نظريتهم بنظرية التطور  
اللاهوتية .

جاء في كتاب " تراث الانسانية " في توضيح ذلك وبيان سبب انتشار  
مذهب دارون<sup>دعوى</sup> :  
...

" ... والامر الذي حى معه وطيس الجدل ، وثار فيه المناقشات هو  
ذلك الموقف الذى يقفه كل من علماء التطور من جهة ، ورجال اللاهوت من  
امثال ( راى ) من جهة أخرى ، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة العثور على حفريات  
تتميز تارة وتتشابه أخرى مع نظائرها الحية من نفس النوع مثل الفيل والماموت ،  
والماستدون . فذهب ( راى ) الى انه من اليسير تفسير مثل هذه الظاهرة  
عن طريق القول بوجود الثغرات " أو " الحلقات المفقودة " التي لم تعثر عليها  
بعد في سلسلة الخلق المستمر لمثل هذه النظائر بين الانواع الحفريّة والانواع  
الحية . وذهب " باركتسون " مذهب اللاهوتيين ، حين يطبق مضمون التصورة  
المسيحية للتاريخ الطبيعي للانسان والعالم ، وهي التصورة القائلة بخلق  
الارض كسوح لتاريخ الانسان ، وان الثغرات التي طرأت عليها انما تؤكد  
ماضيها الجيولوجي الحافل بالاحداث التي سجلتها الحفريات حتى تحكي  
قصة " التقدم الكوني " كما وضعها خالق الكون استنادا الى خطة زمنية  
الهية ، تترتب فيها المراحل التي بمقتضاها تتجه عملية الخلق المستمرة . بمعنى  
ان التطور عند اللاهوتيين " هو رحمة مستديمة تغض من العناية الالهية حسب  
تعبير المؤلف " .

هذا هو التطور اللاهوتي الذي يفيض عن الخالق ، ولكن التطور العضوي عند " لمارك " و " داروين " يقوم على الصراع والبقاء ، للاصلاح ، وهما مبدآن تطوريان يفترضان القسوة كأساس والحرب كعلامة بين كائنات حية وسيئة فيزيقية صارمة . فالتطور اللاهوتي خطة مرسومة نحو حياة أفضل ، وفيها رحمة للعالمين فقد خلق الله في الطبيعة عددا محددا من الانواع ، وسيبقى ثابتا ، وتلك هي وجهة النظر في فلسفة اللاهوت المسيحي " ١ "

وهكذا فلأنها كانت تسمى لاهوتية أو كانت تتسبب التطور في الخلق الى الخالق جل وعلا اضفى عليها المفسدون في الارض النسيان . وذلك لان الصراع بين الدين مثلا في رجال الكنيسة ، والعلم مثلا في رجال العلم كان في ذلك الوقت في حالة غليان لا يسمح بانتشار نظرية تشتمل منها رائحة الكنيسة واللاهوت .

ولقد كان علم نيوتن قد قذف في روع اعداء الدين الكنيسة امكان تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً ميكانيكياً اي دون حاجة الى خالق مدبر - رغم أن نيوتن لم يقل ذلك لذا فقد كانت ظروف النزاع تستدعي من رجال العلم ايجاد فكرة عن الحياة تقوم على قانون ميكانيكي بحت . ولهذا فقد حاول الكثير من العلماء الحصول على شرف اكتشاف هذا القانون قبل داروين منهم : ليننيوس ، ثم بوفون ، ثم " لابارك جان بابست " ثم " كوفيه جورج ليوپون " وغيرهم فقد بذلوا جهودا كبيرة في سبيل ذلك وقد استطاع داروين العثور على هذا القانون اذا استوحاه من نظرية مالتوس في دراسة السكان التي تقول :

" . . . ان التكاثر ان لم يحدده قيد فإنه يدعو الى التزايد . السكان وفقا لمتوالية هندسية / في حين ان الزيادة في موارد الغذاء ليست بهذه السرعة أو انها بعبارة أخرى تسير حسب متوالية عددية " ٢ "

( ١ ) تراث الانسانية : ٧٢ / ٩ .

( ٢ ) المذاهب الاقتصادية الكبرى : ٧٣ ، والمتوالية الهندسية هي :

٢ ، ٤ ، ٨ ، ٣٢ ، ٦٦ ، الخ .

والمتوالية العددية هي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، الخ

فاستنتج داروين عن افناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة بقاء الاقوياء -  
 - كما تخيل وتوهم مالتوس - قانونه المسمى " الانتخاب الطبيعي وبقا  
 الأنسب " وبواسطته وباستعمانه بابحاث " اليل " الجيولوجية تمكن من  
 صياغة فرضية التطور الميكانيكية ، ومن ثم عثرا على الدين - النصراني - على  
 ضاللتهم المنشودة .

خامسا : اقوال العلماء المعاصرين واللاحقين لدارون في نقضها :

تعرضت فرضية دارون لانتقاد علماء الطبيعة المعاصرين واللاحقين لـ  
 بل ومن الداروينيين المحدثين أنفسهم . وهذا ابلغ رد على افتراضات دارون ،  
 ان لم يأت الرد من اللاهوتيين - الذين لم يكن ليسمع لكونهم في عصر  
 دارون - فقط . بل شمل حتى علماء الطبيعة والداوينيون ايضا ، يقول  
 العقاد :

" وقول مذهب النشو باعتراف شديد بين علماء الطبيعة الذين ناقشوه  
 بالادلة العلمية ، وطلبوا من دعائه دليلا محسوسا على فعل الانتخاب الطبيعي  
 في تحول الانواع ، ولا سيما نوع الانسان . . . فالمعتضون عليه - طلبا للادلة  
 الطبيعية - ، لا يقلون عددا ولا اعتراضا عن المعترضين اللاهوتيين . وقد أيد  
 اناس من كبار علماء الطبيعة وتحمسوا لتأييده ، فكان تحمسهم له باسم حرية  
 الرأي أشد من تحمسهم له ايمانا بحقيقته واعترافا بكافة براهينه . فمن هؤلاء  
 العلماء - بل من اشد هم حماسة له - توماس هكسلي صديق دارون وصهره

ومدره المذهب كله في حياته ، فانه لم يزعم قط أن ادلة الانتخاب الطبيعي  
 المؤيده لتحول الانواع بكافية لتقرير هذه النتيجة ، وانما كان يقول ان الانتخاب الطبيعي  
 يفسر لنا جملة من الظواهر والمشاهدات نهى بغير تفسير لو لم تتقبل مبادئ

الانتخاب الطبيعي ، كما عرضها دارون بعد تعديله لاراء مارك . ويرى ان  
 نظرية التطور على اساس الانتخاب الطبيعي ، انما هي نظرية منطقية وليست  
 بالنظرية التي تعتمد على شواهد التجربة والادلة الحسية . قال في رده على  
 هيرت سبنسر : " اننا لن نستطيع ان نثبت بالمشاهدة عملية الانتخاب

الطبيعي . " (١)

(١) الانسان في القرآن : ١٠٩

كما عارضها الفلكي " سيرجون هرسكل " الذي وصف النظرية الداروينية بانها " قانون الخلط طط " . واما الاستاذ " سيد جويك " استاذ الجيولوجيا بجامعة كمبريدج الذي كان استاذ دارون فقد اعتبر النظرية " خاطئة ومؤذية بشكل مريع " وكتب الى دارون يقول : " انه ضحك حتى تالمت جوانبيه " من كتابه وأنه اعتبر ذلك الكتاب " آلة بدائية تشبه القاطرة التي اخترعها القسيس ويلكر لكي تبحر بالناس الى القمر " (١) .

وقد يقال ان انتقاد هؤلاء الاشخاص كان لاسباب دينية أو شخصية حسدا منهم لدارون خاصة استاذة - وهو امر محتمل ولهذا اريد ان انتقل الى بيان آراء علماء آخرين ومنهم الدارونيون .

يقول العقاد رحمه الله :

" يقول ولاس في كتابه عن عالم الحياة " انه من المحتمل جدا ان السجلات الجيولوجية الباقية لا تحلنا الى ابعد من منتصف العمر الذي عمرته الحياة على الكرة الارضية فليس في السجلات الجيولوجية دليل ولا قرينة تؤيد القول بتطور الانسان من نوع آخر . واهم من ذلك لا يوجد امامنا دليل يؤيد تحول الانواع في عالم الحيوان او عالم النبات وان تشابه الاجنة الذي يتخذه النشويين دليلا على التشابه القديم بين انواع الحيوانات دليل مكذوب ، لان صور الاجنة الصحيحة لا تبرز هذا الشبه ، وما عدا ذلك من الصور المتشابهة فهو مهزوز باعتراف واضع تلك الصور العالم الالمانى " ارنست هكل " فانه اعلن

---

( ١ ) تراث الانسانية : ١٢٥/٩ بتصرف .

بعد انتقاد علماء الاجنة له انه اضطر الى تكملة الشبه في نحو ثمانية فسي  
المائة من صور الاجنة لنقص الرسم المنقول " ١ "

وهكذا يتضح ان بعض العلماء زوروا - لشهوة تأييد مذهب التطور -  
فلما كثر النقد الموجه الى احدى " ارست هكل " اعترف بتزوير صور للاجنة  
ليؤيد بها فرضية تطور الانسان من حيوانات أخرى ، وقد يقال عن ولاس ان نقده  
ايضا كان بدافع الحسد لدارون فلا يقبل . فاليك بعض علماء آخرون

يقول الاستاذ " شايان بنشر " انه لا احتمال لتسلسل الانسان من  
القردة كما نعرفها ، لان القردة متفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحها أن  
يتطور منه تركيب الانسان ، ان كان الانسان قد نما له خلال مليون سنة دماغ  
أكبر وقامة أقوم وبذخ فوق هذا وذاك - اصلح للتناول والتصرف بالاستعمال " ٢ "

ويقول : " أ . كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور " النشوء  
والارتقاء " لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة " الجينات " وقد وقفوا في  
مكانهم حيث بدأ التطور حقا ، اعني عند الخلية ، ذلك الكيان الذي يحتوى  
الجينات ويحملها " ٣ "

ويقول : " روبرت هورتون كامرون " ، " ويختلف الانسان في جميع  
الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الارضية الاخرى ، فهو خليفة الخالق على  
الارض . . . " ٤ "

وهكذا نقض العلماء في اقوالهم هذه ، الاستدلال بقضية التشابه على  
انحدار الانسان من كائنات حيوانية كالقرود مثلا . والقول بالتولد الذاتي .

- ( ١ ) الانسان في القرآن : ١٠٦ وانظر اعتوائ هكل في كتاب : " مذهب  
النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ١٣ .
- ( ٢ ) الانسان في القرآن ج ٩٣ وانظر : ١٢٣ ، ١٢٤ .
- ( ٣ ) العلم يدعوا للايمان : ١٤٧ وانظر ١٣٩ في بيان محتويات الخلايا المذكورة  
والمؤنثة وتأثيرها بقدرة الله على خصائص كل نوع . و ١٤٠ لمعرفة طريقة  
تطور الجنين وقدرة الله عز وجل على ذلك و ١٤٦ لمعرفة ما يوجهه علم الوراثة  
من اسئلة على قضية التطور .
- ( ٤ ) الله يتجلى في عصر العلم : ١٢٧ ، ١٢٨ .

ونتيجة للهجوم العنيف على نظرية دارون من قبل معارضيها من علماء الطبيعة والاحياء وغيرهم اضطر الدارونيون المحدثون الى اجراء عدة تعديلات على النظرية ، اوضحت فيما بعد نظرية مستقلة أو نظريات . فلقد ارغموا على الاعتراف بان قانون الانتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور ، فاضافوا اليه واستبدلوا به - قانونا جديدا - اطلقوا عليه اسم " الطفرات " أو - <sup>المارثة عن طريق المصادفة</sup> " التحولات المفاجئة " <sup>١</sup> " صاحب هذه النظرية هو " دى فريس " من أتباع دارون - وخلاصة هذه النظرية : " ان التغيرات بعد ان تتم فجأة وعطسى سبيل الطفرة التي لا يستبين فيها سبب ضائي تتسجل فوراً في الدخيرة الوراثية حيث تنتقل بعد ذلك الى السلالة بعامل من الوراثة ، ثم يقوم الانتخاب الطبيعي باختيار الملائم منها وافناء غير المرغوب فيه لتوجيه عملية التطور " <sup>٢</sup> ثم اضطروا أيضا (الى التراجع والقول بانه لا يوجد اصل واحد نشأت عنه الحياة كلها كما تخيل دارون بل اعتقدوا بوجود عدة اصول تفرع عن كل منها أنواع مستقلة - ومنها الانسان - فهو ينتمي الى اصول متعددة . <sup>٣</sup> ثم اضطروا اخيرا الى الاعتراف بتفرد الانسان " البيولوجي " . رغم التشابه الظاهري ، الذي أسس عليه دارون فرضيته في تطور الانواع بعضها من بعض ، واليك ما قاله بعض اساطين الدارونية الحديثة . قال جوليان هكسلي - زعيم الدارونية الحديثة - بعد ذكره لجملة كثيرة من خصائص الانسان وسماته التي لا يشاركه فيها احد من المخلوقات قال :

-----

- (١) الطريق الطويل الى الانسان : ١٩٧ وما بعدها .
- (٢) كبرى اليقينيات الكونية : ٢٨٤ ، ونظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه .
- (٣) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ٤٥ - ٤٧ صاحب النظرية هو " هرمن كلاتش " .



" . . . وهكذا يضع علم الحياة ، الانسان في مركز ماثل لما انعم به عليه كسيد للمخلوقات ، كما تقول الادريان . ومع ذلك فهناك فروق هامة ببعض الشيء بالنسبة لنظريتنا العامة ، فمن وجهة النظر البيولوجية لم تخلق الحيوانات الاخرى لخدمة الانسان ، ولكن الانسان تطور بصورة مكنته من التخلص من بعض الانواع المناقسة ، ومن استبعاد انواع اخرى بالاستئناس . ومن تعديل الاحوال الطبيعية والبيولوجية في معظم اجزاء اليابس من الكرة الارضية ، ولم تكن وجهة النظر الدينية صحيحة في تفاصيلها او في كثير ما تضمنته ، ولكن كان لها اساس جيولوجي متين " ١

ولقد اعترف آرثر كيت وهو من الداروينيين المتعصبين - كما سيتضح ذلك فيما يأتي - " بأنه كان يتوقع ان يكرر الجنين الصفات المميزة لا سلافه من ادنى اشكال الحيوان الى اعلاها ، ولكن بعد دراسة الجنين في كل مراحل تكوينه خابت آمالنا . فالجنين لم يكن قردا في أى من مراحل " ٢

وهكذا يعترف هكسلي بوجود فروق هامة بين الانسان والحيوان ، ويعترف بان لوجهة النظر الدينية - وهي الخلق المباشر - اساس جيولوجي متين وهكذا يتضح أيضا ان النظرية استقلت في حرب الدين ومخالفة رأيه لان الصراع في تلك السنين كان على اشد بين رجال الدين ، ورجال العلم وقد كان رجال الدين قد اسرفوا من غلم رجال العلم ، فكان رد الفعل من رجال العلم فلسفة كل كشف علمي أو كل فرضية نظرية الى حرب الدين والهزء بما يتضمنه من عقائد حول الانسان أو الكون او الحياة .

ومن الثغرات التي استغلها اعداء فرضية دارون - وحق لهم ذلك -

قضية الحلقة المفقودة بين القرد والانسان .

( ١ ) معركة التقاليد ج ٦٤ ، ٦٥ .

( ٢ ) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ١١

يقول " انتوني ستاندين في كتابه العلم بفكرة مقدسة :  
 " انه لا قرب من الحقيقة ان نقول ان جزءاً كبيراً من السلسلة مفقود  
 وليس حلقة واحدة ، بل اننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها " ١  
 وقد أعلن " اوستن كلارك " انه لا توجد علامة واحدة تحمل  
 على الاعتقاد بأن أيّاً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره . ان كل  
 مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة لقد ظهر  
 الانسان على الارض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن " ٢  
 وتقول مجلة العلوم المصورة : " ان العلم يؤيد قصة آدم وحواء الى  
 حد ما ، اننا نعتزف بحقيقة الاسرة البشرية ذات الاصل الواحد " ٣  
 وهذه النقول تقرر امرين مهمين في قضية التطور الانساني - وهذا  
 هو ما بهما في الخصومة

أولهما : ان الانسان لم يتطور عن غيره من المخلوقات قديماً كان او  
 غيره وانما خلق خلقاً خاصاً مباشراً .

ثانيهما : وهو متفرع عن الاول هو انه لا يوجد حلقات مفقودة مادنيا  
 قد انتهينا باعتراف علماء الاحياء والطبيعة - الى ان الانسان لم يتطور عن غيره  
 من المخلوقات . ولكن علماء الاحياء ينقدون على فرضية التطور وجود هذه الحلقة  
 المفقودة بين القرد والانسان لان دارون واتباعهم اعترفوا بها فاذا كان هناك  
 حلقة مفقودة لم يتوصلوا الى معرفتها فهذا نقص في النظرية ومطمعن قاتل يسدده  
 اليها معارضوها وقد فعلوا .

( ١ ) المصدر السابق : ١٤ . ( ٣٤٢ ) مذهب النشوء والارتقاء في مجلدات ليرن

٣٤١٣ وانظر كتاب الانسان والعلاقات البشرية ص ١٢٨ ، ١٢٩ ففيه يقول  
 ستوراث تشيس ان " علماء الاحياء ايدوا قصة آدم وحواء " .

( ٣ ) المرجع نفسه : ٢٣

هذا ما قاله علماء الطبيعة والاحياء والجيولوجيا والفلك عن هذه  
الفرضية وهو كاف لرفضها وسقوطها . ولكن هناك مقتلا آخر هو أشد المقاتل  
في نظرى للقضاء على الفرضية وآثارها . ذلك هو ما اشار اليه ( سير آرثوركيت )  
أحد الداونيين المتعصبين ، ان يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الان بدون براهين ، وستظل كذلك  
والسبب الوحيد في اننا نؤمن بها هو ان البديل الوحيد الممكن لها هو  
الايان بالخلق المباشر ، وهذا غير وارد على الاطلاق " ١

وما اشار اليه البروفيسور واطسون في قوله :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كستيجة للملاحظة ، او الاختيار  
او الاستدلال المنطقي ولكن لان فكرة الخلق المباشر فكرة بعيدة عن التصور " ٢  
وما أشار اليه كل من البروفيسور د . هسبكوت والجيولوجي " سيرج . وداوسون  
في قوليهما :

" ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ، ولا يمكن أن تتخلى عنها ، حتى ولو  
اصبحت مجرد عمل من اعمال الاعتقاد " ٣

" هذا الاعتقاد هو نوع من الايمان الاعمى المتمتع بالسذاجة والخرافة " ٤  
وهكذا يرفض هؤلاء القول بالخلق الخاص المباشر ويتشبثون بهذه الفرضية  
لمجرد انهم اتخذوا لانفسهم الالحاد مذهباً . فالسير آرثر كيث مع معرفته  
بأن البديل للتطور القول بالخلق الخاص . الا انه لا يؤمن به مع عدم ثبوت  
فرضية التطور بببراهين دافعة .

وواطسون يقرر ان علماء الاحياء يؤمنون بفكرة التطور لان فكرة الخلق  
المباشر فكرة بعيدة عن التصور . وفي اعتقادي ان الغصام النكس كما يسميه  
الشهيد سيد قطب - يبين رجال الكنيسة ورجال العلم كان من اسباب اصرار  
هؤلاء العلماء على آرائهم واعتقادهم في التطور رغم معرفتهم بعدم ثبوت

هذه الفرضية كحقيقة طمية ، وهكذا أكون قد أتيت على جملة  
 من آراء المعارضين لفرضية التطور من المعاصرين لدارون واللاحقين  
 له ، ومن أتباعه أيضا الداروينيين المحدثين ، فهل يكون في هذه  
 الاعتراضات الصريحة عبرة لبيغاوات الشرق الاسلامي الذين يلقى بهم  
 المسلمون في هذا العصر ، أم أنهم سيظلون من الناعقين بما لا  
 يعرفون .

سادسا : آثار فرضية التطور :

لقد كان لفرضية التطور آيات كبرى وخطيرة على المجتمع البشري  
 يمكن تقسيمها الى أقسام عدة هي :

- ١- انهيار العقيدة الدينية .
- ٢- نفى فكرة الغاية والقصد من خلق الله للخلق
- ٣- الاعتقاد بحيوانية الانسان .
- ٤- الاعتقاد بمادية الانسان .
- ٥- الاعتقاد بالتطور المطاوع
- ٦- آثارها على الفكر والفلسفة والمعلم .

أولا : انهيار العقيدة الدينية :

عرفنا فيما سبق أن بذور الالحاد في العالم الغربي قد بدأت بعصر النهضة ، ثم وصل الالحاد الى ذروته بعد الثورة الفرنسية التي اباحت الالحاد باسم حرية الاعتقاد التي كُفِّلت لمن يريد التخلص من واجبات - المسيحية المحرفة - ولا شك ان حركة نيوتن وتجاريه ونظريته قد مت خدمة كبيرة للملاحدة فقد اتكوا عليها واستنتجوا منها أنه يمكنهم تفسير أحداث الكون تفسيراً ميكانيكياً دون حاجة الى الاعتراف بالله سبحانه وتعالى رغم ان نيوتن لم يدعي ذلك " ١ "

ورغم ذلك فقد ظل الالحاد حتى عام ١٨٥٩ م قضية فلسفية محصورة في مجموعات من الطبقة المثقفة ، وظلت المسيحية تحتفظ بالمركز القوي بين أفراد الشعب وفي الجامعات التي كانت في معظمها هيئات دينية خاضعة لنفسوز الكنيسة . أما بعد عام ١٨٥٩ م وهو عام نشر فيه داريون كتابه الاول " أصل الانواع " ( فقد اصيب العالم بنقص حقيقي في الايمان ) " ٢ " كما ذكر ويلز . وبسبب هذه الفرضية نشبت معركة تعد من أعظم معارك الفكر في التاريخ بين أنصار الفرضية وأعداءها خاصة من رجال الكنيسة - وربما كانت آخر المعارك بين هذين المعسكرين فيما اعلم - واشتط اصحاب الفرضية واعداؤها ، فأصحاب الفرضية اشتطوا في موقفهم المتمثل في انكار التصور الديني جملة ، واعلان الحادهم الصريح . واشتط رجال الكنيسة باعلانهم كفر وهرطقة كل من لم يؤمن برأيها دون ان تقدم الدليل القوي لرأيها بينما وقف انصار الفرضية أمام الناس وكأنهم يملكون الادلة المادية على صدق فرضيتهم وكان هذا العصر هو

( ١ ) انظر الدين في مواجهة العلم ( وحيد الدين خان ) : ٤٢ فقد نقل

النص الاتي عنه " هذا هو اسلوب الله في العمل - فانه يجري مشيئته

في الكون بواسطة اسباب وعلل ، وهو خالق الاسباب والمسببات .

عصر الاسمان بالمحسوسات فما لا يقع تحت الحواس لا يصح الايمان به . فكلما استطاع رجال العلم سابقا إقناع الناس بنظريتهم عن الكون واستطاعوا زلزال العقائد الدينية ونشر الالحاد الكنيسة عن الكون فقد استطاعوا هذه المرة زلزلة العقائد الدينية ونشر الالحاد . ان أن ما يوجد في العقيدة المسيحية - المحرفة - عن الانسان هو ان الله خلق آدم وحواء ونهلهما عن الاكل من الشجرة - شجرة معرفة الخير والشر - فأغرثهما الحية فأكلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر وظل البشر يرسفون في اغلال الخطيئة الموروثة حتى ارسل الله الى العالم من زعم النصارى انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فخلص البشرية من الخطيئة .

هذه هي محور تعاليم المسيحية المحرفة عن الانسان ولا شك ان الاديان السماوية ومنها الاسلام تقول بالخلق الخاص المباشر لآدم وحواء ، وارتكابهما الخطيئة ولكن الاسلام لا يجعل وزر احد على احد " ولا تزووا وزارة وزر أخرى " ولذا فمن البديهي ان تقضى هذه النظرية مضاجع رجال الدين الذين رأوا - محقين في ذلك " ان التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التي فسرهما داروين معناه أنه لم يكن هناك آدم ولا حواء ولا عدن ولا خطيئة واذا لم يكن ثمة خطيئة فإن الصرح التاريخي للمسيحية وقصة الخطيئة الاولى وهي السبب الداعي الى الكفارة ، التي أسس على اركانها التعليم السارى للمواطنين المسيحية والاخلاق المسيحية ، فإن ذلك كله ينهار كبيت من ورق اللعب " ١ " وما دام الانسان الغربي لا يعرف عن الدين الا أنه هذه المسيحية المحرفة فإنه سيجد نفسه قد اصبح ملحدا . وهنا يظهر مدى تقصير المسلمين في ابلاغ الدعوة الى الامم الاخرى فلوان المسلمين قد بلغوا الاسلام للشعوب الاخرى لما حدث شي " ما نحن نتحدث عنه الآن .

يقول المؤرخ ويلز في وصف الحالة في عهد دارون :

" والحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة في المسيحية - فان  
الامبراطور فردريك الثاني كان على وجه التعقيق احد المتشككين ، وفي القرن  
الثامن عشر كان جييون وفولتيرينكران المسيحية صراحا وجهارا ، وأثرت  
كتابتهما في عدد من القراء مبشرين هنا وهناك . على ان هؤلاء كانوا أناسا  
غير عاديين . . فأما الان فقد اصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككة ، ان  
مست هذه الخصومة الجديدة كل انسان قرأ كتاباً أو سمع محاوراة بين أذكيا ،  
وتاجيل من الشباب نظر حوله فوجد المدافعين عن المسيحية في حالة - سن  
الشراسة الحادة ، يحاربون من أجل قضيتهم بلا كرامة ، ولا انصاف ، وكسان  
الذي رُج في مأزق الخطر بسبب تقدم العلم الحديث هو اللاهوت التقليدي  
الفلسفي ، غير ان اللاهوتيين القضاة كانوا يصرحون بأن الخطر انما يحدق  
بالدين .

وقد يكتشف الناس في النهاية ان الدين سوف يزيد من بريق صقاله  
عندما يزول منه كل ما هو ملغف به من مبادئ مذهبية ، فأما الشباب فخيال اليهم  
أنه كان هناك نزاع فعلا بين العلم والدين ، وأن العلم كان المظفر في ذلك  
النزاع الكبير في فكرات الناس وطرائقهم في طبقات الموسرين وذوى النفوذ  
في كل أرجاء العالم الغربي الصيفة ، أثرا هداما بالفا في الواقع ، ولم  
يأت العلم البيولوجي الجديد حتى ذلك الحين بشي \* انشائي يحل محل  
الاشياء القديمة التي طرحت جانبا ، وتلا ذلك انحلال حلقي حقيقي " ١ " .  
ومن المرجح أن هذه الفرضية <sup>١</sup> لو لم توجد في مثل الظروف التي كانت  
تعيشها أوروبا من تقديس العقل والنزعة الانسانية ، ومعارضة الدين ومخاصمته  
متمثلا في النصرانية بالاضافة الى جهلهم بالدين الاسلامي الناشي \* عن تقصير  
المسلمين في ابلاغه مع سيادة المذهب التجريبي والايمان بالحواس او بما يقع  
تحت الحواس ٣٠ - ولو لم يستغلها المفسدون في الارض ، وتركت ليحكم لها

أو عليها العلماء في هذا الشأن كما حصل أخيراً . أقول لو لم يحصل شيء من ذلك لما كان لها هذا المقام كله بين جمهرة من علماء الطبيعة والاحياء والجيولوجيا وغيرهم ممن اتخذوا الالحاد مذهباً لهم واعتقاداً ووجدوا في هذه الفرضية مجالاً ومنقذاً للتخلص من فكرة " الايمان بالله " مع علمهم بعدم ثبوت هذه الفرضية كحقيقة علمية - كما سبق ان أوضحت سابقاً من خلال ماكتبوه - اولاً كان لها هذه الالهامات الفكرية والفلسفية التي شملت كل فروع المعرفة بهذه السرعة . بيد أن الذي جعل لفرضية دارون هذا المقام هو تضافر عاملين أشرت اليهما اعلاه .

ولقد اعترف اليهود جازحاً في <sup>لشبهه</sup> <sup>القرصية</sup> " لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والاثـر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الالهي ( غير اليهودي ) سيكون واضحاً لنا على التأكيد . . . " (١)

ويمكن للباحث أن يتأكد من صحة الدعوى عند ما يعلم السرعة المذهلة التي أثـرت فيها <sup>قربانية</sup> التطور على كافة مجالات الفكر والفلسفة والعلوم ، وعند ما يعلم أن رؤوساً من اليهود - أمثال فرويد ، ودوركايم ، وماركس - قد قاموا بصياغة الفكر الاوربي كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع على أساس معاد للدين ، بل محطم لكل مفاهيمه " (٢)

وهناك أسباب أخرى غير هذين السببين لا تقل أهمية عنهما توضح لنا دور اليهود في نشر هذه الفرضية منها :

- ( ١ ) الاهمال الكامل للنظريات التطورية اللاهوتية وغيرها مما فيها الاعتراف بخلق الله للانسان ، والاعتراف بوجود غاية للخلق عامة - خلق الانسان وغيره - وكدليل على ذلك فإن ولاس وعو من القائلين

---

( ١ ) الخطر اليهودي " البروتوكولات " : البروتوكول الرابع عشر ١٩٦٧ ، ١٠٧٠  
 ( ٢ ) التطور والثبات في حياة البشرية : ٣٤ بتصرف طفيف .



بالتطور لا يكاد يعرف عند غير المختصين والسبب في ذلك أنه قال بأن وراء التطور قوة مدبرة ، قال في كتابه عالم الحياة :  
 " إن كثرة التراكيب في الأجسام الحية تستلزم وجود قوة خالقة ، وثانيا  
 وجود عقل مدبر وثالثا وجود غاية لاجلها خلقت الأحياء ، وهي أن تصل في  
 ارتقاءها إلى الإنسان الذي هو غاية كل أعمال النشوء في الكون " (١)

### الفرص

- ٢ - الطريقة التي استقبلت بها الفكرة والتي اشيعت بها ، ما جعل  
 الناس يتلقونها لا بوصفها فرضية بل بوصفها حقيقة لا تقبل النقاش ،  
 وهذا ما جعلها ~~أكثر انتشارا~~ محل المسيحية كما مر بنا في فقرة " خامسا "
- ٣ - ما أضفى على دارون من التمجيد : إذ حاز داروين على شهرة لم  
 يظفر بها أحد من خدم البشرية بأبحاثه أمثال " باستور أو باستير "  
 وأديسون (٢) وغيرهم ممن اكتشف أو اخترع أمورا ناعمة للبشرية . وقد  
 شبهه بعض مؤرخي الفكر الغربي بالمسيح فقال : " كان له مثل طبع  
 المسيح " وشبهه آرنست هيكل " بأنه اطلح يحمل عالم الفكر على  
 منكبيه " ولقبه جورج هانا " بقاتل الطبيعة " (٣)

- 
- (١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ٤٤ .
  - (٢) باستور ( ١٨٢٢ - ١٨٩٥ ) أول من اكتشف ماتوديه الجراثيم  
 من دور في نقل الأمراض ، وأول من اكتشف علاجا لداء الكلب ،  
 " دائرة معارف الشباب " ١٦٥ ، ١٦٦ . وأديسون ( ١٨٤٧ -  
 ١٩٣١ ) مخترع المصباح الكهربائي وسكة الحديد الكهربائية ،  
 والهاتف ( دائرة معارف الناشئين : ١٥ ) .
  - (٣) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ٤٣ .

وهذه أدلة واضحة ليس فيها على أن المعركة التي نشبت بين الكنيسة ودارون لم تكن طبيعية ، بل كانت مستقلة من قبل عنصر آخر استفاد من هذه المعركة هم المفسدون في الأرض وكان هدفهم الاجهاز على كل القيم والمعتقدات الدينية المتعلقة بالانسان وهذا غاية ما تهدف اليه مخططاتهم . وقد كانت النتيجة المترتبة على انتصار الدارونية على المسيحية - المحرفة - ان عمت موجة الالحاد مجتمعات الغرب ، ثم انتقلت منها الى بقية انحاء العالم ومنه العالم الاسلامي للأسف ، وقد تمثلت هذه الموجة اللاحادية في سيطرة الافكار المادية على عقول الطبقات المثقفة ، والتخلي عن الايمان بالله وطفيان الفوضى المعنوية على العالم الغربي - ففي كل يوم عقيدة جديدة ومبدأ جديد - ينتشر في المجتمع - .

وبعد أن كانت أوروبا تعبد المسيح قبل نظرية دارون اصبحت تعبد الشيطان ، فطائفة تعبد ، عن طريق عبادة الطبيعة فقد قال دارون : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحث " ١ " وهذا لا يعني أن أوروبا لم تكن تعبد الطبيعة سابقا فقد بدأ تقديس الطبيعة منذ القرن الثامن عشر ، ولكن دارون اصبحت زعيما جديدا لهذه العبادة .

وبعد ان طائفة أخرى عن طريق عبادة الانسان ، وهي الفكرة التي نادى بها الفيلسوف الالماني نيتشه فقد " نادى بفكرة الانسان الاعلى " "suporman" و " موت الاله " ٢ "

ولذا وجد اليهود فيه بغيتهم فأشادوا به في " البروتوكولات " ٣ كما

( ١ ) التطور والثبات في حياة البشرية : ٤٠ هامش .

( ٢ ) نفس المصدر : ٥٧ هامش . و ٣٣ الختم ليهودي : ١٢٣-١٢٤  
: به البروتوكولات الثاني

دعا الى هذه العبادة في هذا القرن - الدارويشي المتحد جوليان هكسلي  
 مؤلف كتاب " الانسان في العالم الحديث " الذي قال في هذا الكتاب :  
 " ان الله - سبحانه وتعالى - كان خرافة خلقها الانسان لنفسه  
 لتوئسه حين يحس بالوحشة في هذا الكون ، وأنه قد آن الأوان لهذا هـذه  
 الخرافة ، ولأن يضع الانسان نفسه مكان الله " (١)  
 وعبدته طائفة عن طريق عبادة المادة ووسائل الانتاج وكان زعيم هذه  
 الطائفة يهودى هو " ماركس " .

وعبدته طائفة عن طريق عبادة " الجنس " وكان اليهودى سجيوند  
 فرويد هو زعيم هذه الطائفة (٢)  
 وكل هذه الانواع استمدت الفرضية<sup>٣</sup> ، ولقد كان الفرضية التطور  
 آثارا على دارون نفسه في تذبذبه بين الالحاد واللاپرية ، وهي الحاد  
 في نهاية الأمر (٣)  
 كما كان لها آثار على عقائد معتنقي هذه النظرية سواء كانوا أوربيين  
 أو شرقيين مسلمين للأسف . (٤)  
 وبذا يتضح ان نظرية التطور اسهمت اسهاما فعالا في هدم العقائد  
 الدينية - وان كانت محرقة - .

(١) معركة التقاليد : ٦٢ «٣» النظر الكتاب التطور والسياسة : ٢٩-٥١ ودراسة فى النفس الإنسانية : ٦١-٥٧  
 (٢) معركة التقاليد : ٦٢ «٣» النظر الكتاب التطور والسياسة : ٢٩-٥١ ودراسة فى النفس الإنسانية : ٦١-٥٧  
 (٣) انظر أقوال دارون المتناقضة حول ما يعتقد في كتاب نظرية :  
 " دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ١٤٣ - ١٤٥ " .  
 (٤) انظر أقوال المعتنقين لهذه النظرية وفيهم كتاب شرقيون من أمثال اسماعيل  
 مظهر مترجم كتاب أهمل الانواع وشيلي شميل في نفس الكتاب x ١٤٥ -  
 ١٤٧ ولولا خشية الاطالة لنقلت هذه الاقوال .

## ثانياً : نفى فكرة الغاية والقصد من خلق العالم - المصادفة - :

مما اتفقت عليه الأديان وتطابقت على الإيمان به العقول والنظر غير المطوّقة  
أن للوجود عامة ، ولوجود الإنسان على ظهر هذه الأرض - خاصة - غاية أراد هــ  
خالق الكون واقتضتها حكمته . قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ،  
ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " .  
(الذاريات : ٥٦ - ٥٨) .

وهذه الحقيقة - الإيمان بوجود غاية من الخلق - آمنت بها الاجيال المتعاقبة  
من البشر ولم يكن إيمانها بهذه الحقيقة منبثقاً عن الإيمان بالخلق المستقل للمخلوقات  
فقط كما يظن التطوريون بل لأن كلاً الفكرتين الإيمان بالخلق الخاص المستقل ،  
والإيمان بوجود غاية من الخلق - مركوزتان في الفطرة البشرية . قال تعالى :  
أولاً لذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً " مريم : ٦٧ .  
فالاية تقر أن الإنسان خلق خلقاً مباشراً مستقلاً . وقال تعالى : " فاقم وجهك  
للدّين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين  
القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ( الروم : ٣٠ ) . فتبين من هذه الاية أن الدين  
هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها " (١) .

لذا فنحن نجد أن الرسائل السماوية لم تأت لاثبات هذه الغاية ، بل  
للتذكير بها ، وبإيمان حقيقتها وتجلية ما ران عليها من الأباطيل ، كما يلاحظ الباحث  
أن الفلاسفة كانوا يركزون جهودهم على الحديث عن العلل الفائية للأشياء ومن ثم  
يبنون عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والإنسان والحياة ولم يكونوا يبالون بالعلل  
الصورية فالفلاسفة إذا يجهدون أنفسهم في البحث عن الغاية من خلق الإنسان  
ووظيفته في هذا الكون ولا يهتمون بالبحث عن كيفية الخلق والعلل المباشرة  
لذلك " (٢) .

وحين ظهرت فرضية دارون في التطور العضوي الذاتى " التي نادى بها  
الإنسان كان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة حتى وصل إلى ما هو عليه ، لم  
يعد ما يدعو إلى التفكير في الغاية من خلق الإنسان من نظر الفلاسفة

( ١ ) انظر في ايضاح معنى هذه الاية تفسير ابن كثير : ٣٢٠ / ٦ - ٣٢٣ . فقد اوضح  
بالادلة ان فطرة الانسان مجبولة على العبادة لله ولكن الشياطين اجتالت بعض  
بنى آدم عن ذلك .

( ٢ ) العلة الصورية هي التي يجب عن وجودها وجود المعلول لها بالفعل كالشكل  
والتأليف للسريـر . والعلة الفائية هي التي يكون وجود الشيء لا اجلها كاجلوس  
على السريـر فهي الغاية التي من اجلها وجد . انظر المعجم الفلسفي : ٩٦ .

إن فرضية دارون تنسب عملية التطور الى العوامل الطبيعية البحتة ،  
 وإذا كان الامر كذلك فمن العبث البحث عن الغاية من الخلق عموماً والغاية  
 من خلق الانسان خصوصاً . ولذا قال الدارويني الملحد - جوليا هكسلي - مايلي :  
 " . . . ويظهر نظرية دارون بدأ الخطأ يرتأرجح عكسياً ، واعتبر  
 الانسان حيواناً مرة أخرى . . . ووصل الخطأ شيئاً فشيئاً الى اقصى مدى تأرجحه ،  
 وظهر ما بدا أنه النتائج المنطقية لفروض " دارون " : فالانسان حيوان كغيره  
 ( من الحيوانات ) . ولذلك فإن آراءه في معنى الحياة الانسانية والمثل العليا  
 لا تستحق تقديراً أكثر من آراء الدودة الشريطية أو بكتيريا الباشلي والبقاء هو  
 المقياس الوحيد للنجاح التطوري . ولذلك فكل الكائنات الحية الموجودة متساوية  
 القيمة وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت  
 الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر " ١ "

وكان ظهور هذه الفرضية في العصر الذي ازدهرت فيه النظرية الميكانيكية  
 عن الكون وعمت أحد العوامل التي شجعت على قبولها ان فرضية دارون ترجع  
 حوادث الكون كلها الى قوانين الطبيعة وهذا هو لب النظرية الميكانيكية عن  
 الكون .

جاء في كتاب " عرض تاريخي للعلم والفلسفة " في معرض بيان اثر

الداروينية على نفي فكرة الغاية والقصد مايلي :

" من الوجهة الفلسفية تنحصر أهمية مذهب دارون في أنه يساعد على  
 النزعات الطبيعية والوضعية التي ظهرت في ذلك العصر ، فإن فكرة تنازع البقاء  
 وبقاء الاصلح بدأً أنها تقضي على الحاجة الى الآراء عن الغاية والنظام الحكيم ،  
 لتفسير الظواهر البيولوجية . فقد بدأ أنها تقدم تفسيراً ميكانيكياً محضاً في ناحية  
 تعتبر الحصن الحصين للفلاسفة المثاليين " ٢ "

( ١ ) معركة التقاليد : ٦٣ .

( ٢ ) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه : ١٤٧ .

وجاء في دائرة معارف افريمان ( ٦٨١/٣ ) مايلي :

" أما في ميدان التفكير الفلسفي ، فالذى يبدو أن الداروينية تتعارض مع أى إدراك نحائي ، كما تتعارض مع النظرية القائلة بأن الله تدخل في خلق الكون على اساس خطة مترابطة ، وبدلاً من ذلك تقدم الداروينية فكرة ميكانيكية " ١ "

وقد ترتب على ذلك أن أهملت العلوم الفيزيائية فكرة القائلة بدعوى انها لا تدخل في نطاق عمل الباحث العلمي المتحرر ولا تهمة ، ونتيجة لذلك تحررت علوم الفلك والاحياء والجيولوجيا والطبيعة والطب وغيرها من أنواع العلوم من أى تأثير ديني ، واستبدل من يسعون بالعلماء - من الملاحدة - بهذه الفكرة فكرة أثبت العلم في هذا القرن هزلها وبمعدتها عن الحق وهي فكرة " المصادفة " ان بعد أن ابطال " لوى باستور " - خرافة التولد الذاتي بابحاثه التجريبية " ٢ " لم يجد دعاة الاحاد الهاريون من الدين - المحرف - ما يسترون به فشلهم وعوار مذهبهم في التولد الا القول بالصدفة .

ويدهش المرء حين يرى كثيراً ممن يدعون بالعلماء يعتقدون بأن هذا الكون بما فيه من دقة متناهية مذهلة وجد صدفة .

" شجع مذهب دارون في التطور على قيام النزعات الطبيعية والوضعية في القرن الماضي ، وأغنى الباحثين عن فكرة القائية والنظام المعقول في تفسير الظواهر البيولوجية وقدم للعلماء تفسيراً آلياً ميكانيكياً للوجود " ٣ "

ويعرف برنارد شو الانتخاب الطبيعي : بأنه " كشف طريقة يمكن ان تكون كل مظاهر التبديل الفكرى من عمل الصدفة المحضة " ٤ "

( ١ ) نفس المصدر : ١٤٧ ، ١٤٨ . وانظر مقالته الفيلسوف برتراند رسل

في هذه الفلزية بأنها ميكانيكية لا تعترف بالخالق في كتابه " العلم من حيث هو " ١٣٤ ، ١٣٥

( ٢ ) انظر المصدر : ١٤٧ ، ١٤٨

( ٣ ) انظر بيان ذلك في كتاب مواقف حاسمة في تاريخ العلم : ٣٢٦ - ٣٦١

( ٤ ) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيه : ١٦٢ .

ولكن الله كشف عوار هذه النظرية " الصدفة " على ايدي الغربيين  
 أنفسهم من ملاحمة علماء آخرين " نصارى " يقول ادوارد هارتمان عن الصدفة :  
 " ان وجود هذا الرأى عند الوارونيين هو من المسلمات التي  
 لا يقوم عليها دليل ومن الاوهام التي لا اساس لها " (١)  
 ويقول " هنرى فيرفيلد اسيرن " عن الصدفة :

" ان آراء دارون كلها وجيبة ، ولا تزال في مكانها مهما كتب ضدها  
 رغم كل ماكتب ضدها ، ولم يضعف منها الا ما قال عن وراثة التنوعات الجسدية أو  
 الصفات المكتسبة ، وعن فعل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء ويقا  
 الاصلح ، وهذا الامر الاخير أهمها ، ويكاد يثبت الآن ، انه لا يحدث شيء  
 بالصدفة والاتفاق : بل لكل شيء ناموس يجرى عليه ، ولو كنا لا نعلمه ، ولما  
 ذكر دارون الصدفة ، قال إنه عني بها مالا يعلم سببه اى أنها مرادف للجهد " (٢)

ويصدق على القائلين بالصدفة قول الله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل  
 للذين كفروا من النار " سورة ( ص ) : ٢٧ .

هذا ما حصل من نتائج على المستوى النظرى أما على مستوى الواقع  
 المعاشى للاوربيين فقد تزعزعت قيم الحياة لدى كافة الناس ، واستبد بهم شعور  
 بالقنوط واليأس والضياع ووجدت في اوروبا اجيالٌ حائرةٌ لا تطمح الى غايةٍ ولا تعرف  
 لحياتها هدفاً ، وهذه نتيجة منطقية لعقيدة تولد الانسان من الحيوان ،  
 ولعقيدة أن الخلق كان صدفة وليس للخلق هدف ولا للحياة غاية . وأصيب  
 المثقفون بالخواء الروحي الذى سيطر عليهم وفي هذا المناخ - الذى استغلبه

( ١ ) المصدر : ١٦٣ السابق وانظر قول لويز بوردو وفون باير في نفس

الصفحة فقد نفي وجود شيء بالصدفة .

( ٢ ) نفس المصدر : ١٦٣ ، ١٦٤ .

اليهود - جاء فرويد بنظرية التحليل النفسي وهنرى برجسون بالروحية ،  
وسارتر - المقدس عند منحرفي وملاحدة العرب - بالوجودية وكلهم من اليهود ،  
واشيع عن برجسون انه اعتنق المسيحية "١"

ثالثا : حيوانية الانسان وماديته :

حينما خرج كويرنيق بنظريته الفلكية القائلة بأن الارض ليست مركز  
الكون - التي كان يعتقد بها المسيحيون - صدم الاوربيون في كرامتهم ،  
ومركزهم في الوجود أو هكذا خيل اليهم ، وتصور البعض أن الايمان بهذه  
النظرية يعد أهانة واضحة للانسان ، ثم جاء دارون بالمصيبة الكبرى ،  
فادعى حيوانية الانسان فوجه بذلك أعنف لطمة للانسان في تاريخه ، وقلب  
المشاعر الانسانية رأسا على عقب وزلزل المعتقدات يقول الاستاذ محمد قطب في  
آثارها مايلي :

" أولى نتائجها زلزلة الايمان بالله والعقيدة " :

وثانية نتائجها زلزلة الايمان بالانسانية والانسان ورفعت وسموه ،  
وروحانيته .

وثالثة نتائجها زلزلة الايمان " بثبات " أى نظام من النظم أو قيمه  
من القيم أو فكرة من الافكار .

ورابعة وخامسة وسادسة . . زلزلة كل شيء . كان راكزا من قبل  
وتحطيم كل بنيان راسخ الاساس "٢"

ويحصر في موضع آخر التصورات التي نشأت عن هذه الفوضى في :

" ١ - حيوانية الانسان وماديته .

٢ - والتطور الدائم الذى يلغى فكرة الثبات .

( ١ ) مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة ( كلية الشريعة بمكة ) فقد ذكر المؤلف

الشيخ الميداني ان برجسون وسارتر كانا يهوديين وانظر بالنسبة لفرويد  
كتاب ( التراث الصهيوني والفكر الفرويدى ) .

( ٢ ) مجلة الانتباه : ١٨٤١٧



٣ - وحتمية التطور الذي لا يذفيه للانسان ، ولا رأى ولا اختيار "١"

وأصبح الحال كما وصفها جوليان هكسلي .

"... وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتباره

نفسه حيوانا "٢"

والواقع ان احياءات هذه النظرية كانت صدمة عنيفة للبشر .

ومن بعد دارون جاء اناس تلقفوا النظرية ووجهوها لخدمة أهداف معينة خفية . وكان المتنقلون لها هم اليهود - باعتراغهم كما مربنا - ولذا فلم يكن غريبا ان يعترف الداروينيون "٣" المحدثون - رضوا أم أبوا - بحقيقة تفرد الانسان عن كل المخلوقات بينما بقي مجموعة من المفرضين مصرين على ما يعتقدون من افكار تنظر الى الانسان على انه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان - الاكل - والشرب - والجنس - وتدرسه كما تدرس الحيوان ومن هنا كان مذهب ماركس الذي يحدد مطالب الانسان بالبحث عن الطعام ، ومذهب فرويد واتباعه الذي يحدد مطالب الانسان في الجنس والاشباع الجنسي . هذا عن الاحياء الاول للنظرية اما الاحياء الثاني للنظرية ، وهو القول بـ " مادية الانسان " ، " بمعنى حصره في نطاق حواسه ومحيطه المادى فقد كانت على رأى هكسلي - تبدو نتيجة منطقية لنظرية دارون عن حيوانية الانسان ، فالحيوان محدود بنطاق حواسه ، ومن ثم كان الانسان - الذى هو حيوان - محدودا كذلك بالمحيط المادى وما تدركه الحواس "٤"

-----

( ١ ) معركة التقاليد : ٦١ .

( ٣ ) التطور والثبات : ٣٨

( ٣ ) انظر كتاب معركة التقاليد : ٦٤ - ٦٨ . حيث نقل الاستاذ محمد قطب

مقتطفات من اقوال جوليان هكسلي الدارويني الحديث ، وقد لخص تفرد الانسان في خصائص نفسية واجتماعية ثلاث اضافة الى تفرد في الجسم .

( ٤ ) نفس المصدر ٧٧ ٧٦

ولقد كان تطور الانسان في نظر دارون واتباعه مظهرًا لخضوعه للبيئة الطبيعية اى لمعامل خارجية محتمة عليه ، ولم يكن متوقعا ان يقول الداروينون في ظروف اوربا السائدة في ذلك الوقت ان الله هو الذى خلق الانسان ، ان ذلك سيفقد الصيغة التي امتازت بها وهي - النظرة الميكانيكية - في الخلق ، بل ان هذا يستدعي منها الاعتراف بان للانسان روحا ، وان لوجوده غاية كما يقول رجال الكنيسة ، وهم في صراع مع الكنيسة وآلة الكنيسة . فلا مفر من القول بان العوامل الطبيعية وحدها هي صانعة التطور وهي التي تفرضه على الانسان .

ولقد ظهر بعد ذلك أثر هذين الايحاءين واضحا لا ليس عليه في الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تناولت موضوع الانسان فراد أو جماعة . ولعل من أبرز هذه الافكار الاجتماعية والنفسية - النظرية الشيوعية - ونظرية العقل الجمعي ونظرية التحليل النفسي ، فاليهودى كارل ماركس استمد من حيوانية الانسان مظهر واضحا في البيان الشيوعي ان حدد فيه مطالب الانسان الرئيسية في " الغذاء " والسكن والجنس " . واستمد من ماديته التي اوحى به - حتمية التطور - التفسير المادى للتاريخ والجبرية الاقتصادية .

يقول الاستاذ محمد قطب بيانا لذلك :

" يقول التفسير المادى للتاريخ ،

أولا : ان تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام .

ثانيا : ان القوى المادية او القوى الاقتصادية هي التي تكيف الحياة البشرية

وتعطيها طابعها ، وتنشئ افكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب

درجتها من التطور .

فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة

-----

المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتي لا علاقة لها بارادته الذاتية فإن صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير ويتغير كل شيء في المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً ضئيلاً ، لا يملك السيطرة عليه احد لانه ليس من صنع البشر ، وانما هو من صنع البيئة المادية أو القوى الاقتصادية " ١ "

وأما دوركايم وهو يهودى أيضاً " ٢ " فقد جمع في نظريته في العقل الجمعي بين حيوانية الانسان وماديته وتتلخص نظريته في أن الانسان خاضع بحكم حيوانيته لجبرية اجتماعية أو قهر اجتماعي ، يقول دوركايم في ذلك :

" .. ويجب على الباحث ، من جهة أخرى ، ألا يعجب من أن

الظواهر الطبيعية تشبه الظواهر الاجتماعية من جهة انها تحتوى باعتبار آخر على نفس الخاصة التي استخدمناها في تعريف الظواهر الاخيرة وذلك لان هذا التشابه يرجع الى هذا السبب اليسير ، وهوان هذه الظواهر اشياء حقيقية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية ، فان لكل شيء حقيقي طبيعة خاصة تفرض نفسها وتجبر المرء على ان يحسب لها حسابها ، ولا يستطيع قهرها ابداً تمام القهر ، حتى لو تمكن من محو الآثار التي ترتبت عليها ، وهذه هي الحقيقة أهم العناصر الاساسية التي ينطوى عليها معنى القهر الاجتماعي ، ذلك لان هذا القهر لا يتضمن شيئاً آخر غير المعنى الاتي وهو : ان خروب السلوك والتفكير الاجتماعيين اشياء حقيقية توجد خارج ضامرات الافراد الذين يجبرون على الخضوع لها في كل لحظة من لحظات حياتهم . فهذه الخروب اشياء ذات وجود قائم بنفسه ، ويجدها الفرد تامة التكوين منذ ولادته ، وهو لا يستطيع القضاء عليها او تغيير طبيعتها ولذا يجبر على ان يحسب لها حسابها ، وانك لمن العسير كل العسر ( ولا تقول من المستحيل ) أن يفر أشكالها وذلك لانها تساهم الى حد ما في خلق كل النفوذ المادى والادبي الذى يباشره

( ١ ) معركة التقاليد : ٢٣ ، ٢٤ .

( ٢ ) انظر ما كتبه الاستاذ محمد قطب تحت عنوان اليهود الثلاثة في كتاب التطور والثبات .

المجتمع على افراده " ١ "

وأما مذهب التحليل النفسي أو نظرية التحليل النفسي وصاحبها  
 " فرويد " الذي استمد من حيوانية الانسان نظريته في تفسير سلوك الانسان  
 من الولادة الى الوفاة تفسيراً حيوانياً قذراً ، ان يرى ان الدافع الجنسي  
 هو الدافع الوحيد للانسان ، فالمولود يرضع لدى امه بدافع جنسي ويتبرز  
 بنفس الدافع ، ويستمر في تعامله مع الآخرين مسوقاً بهذا الدافع دون غيره ،  
 والدين والاخلاق العليا في نظر فرويد تابعة من هذا الدافع فالانسان عنده  
 ليس حيواناً فقط بل هو حيوان جنسي ، وراء كل حركة من حركاته شهوة جنسية  
 ظاهرة أو خفية " ٢ "

الانسان

واستمد فرويد من القول بمادية القول بالجبرية النفسية يقول

الاستاذ محمد قطب :

" . . . كما نشأ من احياءات فرويد لون من الاعتقاد بالجبرية ، ولكنها  
 ليست الجبرية الدينية التي كانوا يعميونها على الشرق المتأخر ، والتي تؤمن  
 بان الانسان ليس حراً في تصرفاته لان الله هو المسيطر ، بل هي جبرية نفسية ،  
 يؤمن أصحابها بان الانسان مسير لان غريزته هي المسيطرة عليه " ، وهي التي  
 توجه السلوك دون أن تدع للفرد مجالاً للاختيار .

ومن الايمان بهذه الجبرية حدثت تطورات عنيفة في المجتمع الغربي ،  
 فحطمت تقاليده واخلاقه ، واثرت في قوانينه كذلك ، فقد اطلق العنان للفرد -  
 في المسألة الجنسية - يصنع ما يشاء بلا حظر ولا عقاب ، لانه مسكين معذور . .  
 مجبر على ما يفعل ، وليس امامنا اذاً الا نتيجة واحدة هي الكبت المدمر  
 للاعصاب " ٣ "

( ١ ) قواعد المنهج في علم الاجتماع : ٤٢ - ٤٣ .

( ٢ ) الموجز في التحليل النفسي : ٢٢ - ٢٤ .

( ٣ ) الانسان بين المادية والاسلام : ٥١ .

رابعاً : القول بالتطور المطلق :

" كان الثبات هو الطابع المسيطر على الحياة كلها في الغرب في العصور الوسطى ، وكان العالم الاسلامي قد أخذ دوره من النشاط الحي المتحرك المضروب ثم أخذ يركن الى الهدوء والى الركود التدريجي البطيء . وكان مفهوم الثبات في أوروبا مستمداً من الدين ، كما هو مستمد من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الثابت الاركان " ١ "

وبعد أن أفضلت أوروبا بالعالم الاسلامي عن طريق المعايير التي انتقلت بها العلوم والمعارف من المسلمين الى أوروبا ، وهي الاندلس ، وعقلية ، وكذلك الحروب الصليبية بدأت أوروبا تتحرك " واخذت الحركة تصطدم بمفهوم الثبات وقد كان هذا المفهوم بعيد الغور في التربة الاوربية . . " ٢ "

وكانت أول هزة لهذا المفهوم المطلق " الثبات " على يد " كوبرنيكس " ، " وجاليليو " ولم يقصدا احداث هذه الهزة ، فدوران الارض الذي نادى به " كوبرنيكس " يتلخص في أن الشمس لا الارض وهي مركز الكون الذي تدور حوله الكواكب وانها تدور حول الشمس ثم ازداد الايمان بفكرة كوبرنيكس ، وضعف الايمان بفكرة الكنيسة بعد التقدم في الكشوف والابحاث الذي بدأ بمصر نهضلاً .

ثم ظهرت فكرة التطور لدى بعض الباحثين فظهرت نظرية التطور العقلي والديني " من الخرافة الى الدين الى العلم الوصفي " وصاحبها " وصيف كونت " ، ثم ظهرت نظرية عويز التي قال فيها بان المجتمع البشري تطور من الوحشية القابضة الى الحالة الاجتماعية .

ثم جاء رسو الذي قال بتطور المجتمع من الحالة الطبيعية الى الحالة الفوضوية وهذا يستوجب وجود عقد اجتماعي " بين الافراد .

بيد أن هذه النظريات لم تكن قوية ولا عامة بحيث يكون لها اثر فسي  
زلزلة فكرة الثبات ، لكن لاشك ان لها اثرا في التمهيد لذلك .

ثم جاء القرن التاسع عشر فحدث تحول عام في حياة الاربين بسبب  
ما أحدثه الانقلاب الصناعي - الذي بدأ من منتصف القرن الثامن عشر - من نقل  
الناس من البيئة الزراعية الى البيئة الصناعية وكان لهذا أثره العظيم في أخلاق  
الناس وتقاليدهم وأوضاعهم بشكل عام ، وهذا تطور اقتصادي واجتماعي يسوازي  
التطور العلمي .

في ظل هذه الاحوال المضطربة المتغيرة المتطورة خرج داروين بنظريته  
في التطور العضوى للكائنات الحية - الذي اودعه في كتابه اصل الانسان وأصل  
الانواع الذي قال عنه " وست " .

" لقد كان تأثير هذا الكتاب عظيما ولا شك ، فمن طريق وضع مبدأ جديد  
للدراصة وهو مبدأ ديناميكي وليس مبدأ استقراريا واستاتيكيما امكنه ، أن يحدث  
ثورة في كل فروع المعرفة من علم الفلك الى التاريخ ، ومن علم الحفريات القديمة  
الى علم النفس ، ومن علم الاجنة الى علم الدين " ١

ومن ثم حدثت الزلزلة في كل شيء على يد داروين في كتابه ، فانتقلت  
اوربا من الايمان بالثبات المطلق الى الاعتقاد في التطور المطلق .

ولم يقل دارون صراحة انه لا يوجد شيء ثابت على الاطلاق وان الحياة  
البشرية تضي في حلقات مختلفة كل حلقة تختلف عن التي تسبقها اختلافا  
جذريا ، بيد أن النظرية توصي بذلك .

" اذا كانت الحياة تتطور - من الخلية الواحدة الى الانسان الشديد  
التمقيد ، وانما كان الانسان ذاته قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه  
الانسان ، الى انسان يشبه الحيوان . . الى انسان . . فاما يمكن أن يكون  
ثابتا على وجه الارض على الاطلاق ؟ " ٢

( ١ ) تراث الانسانية : ١٢٧/٩ .

( ٢ ) التطور والثبات : ٢٠ .

لقد ارتكزت فرضية داروين على عنصرين هما " الحتمية " ، والاضطراب " .  
 اى حتمية التطور ان كل مرحلة من مراحل التطور - في نظره - تلت المرحلة  
 السابقة بطريقة حتمية بمعنى ان العوامل الخارجية - كما مر سابقا - هي  
 المحددة لنوعية هذه المرحلة .

وأما الاضطراب فهو من خط سير التطور فالتطور في كل مراحله مضطرب  
 ليس له غاية او هدف لان الطبيعة هي الموجهة للتطور وللخلق والطبيعة  
 غير واعية ولا عاقلة فهي تخبط خبط عشواء .

وهكذا عن طريق هذين العنصرين اوجت فرضية داروين بالتطور الحتمي  
 المطلق الذى لا غاية ولا حدود له . وهكذا فالايان بالحتمية يجعل الايمان  
 بثبات أى شيء " وان كان الدين رجعية وتخلفاً وجموداً ، ويستدعي معركة خاسرة  
 مع الطبيعة التي لا تقهر ، والاضطراب في خط سير التطور يلغي كل ماتعارف  
 عليه الناس من معايير وضعوها للحكم على الاشياء والاحداث .

وهكذا آمنت أوروبا بالتطور المطلق ، وتأثرت بذلك المذاهب النفسية  
 والاجتماعية والاقتصادية خاصة التي كان زعماءها من اليهود - فرويد ، دوركايم ،  
 ماركس " فأما فرويد فيرى حسب تفسيره الدنس للدين ان اصل الدين ،  
 او العبادة هو الشعور بالندم ' الذى استولى على ابناء الاسرة البشرية البدائية  
 الاولى حين قتلوا اباهم لانه كان يحول بينهم وبين اللقاء الجنسي بامهم فابتدأ  
 الدين في أول صورته عبادة للاب . ثم تحول الامر الى عبادة الطوطم لانه  
 من النفس البشرية هكذا يرتبط الاب برمز الحيوان . ( لماذا ) وفي الوقت  
 ذاته وجد الابناء انهم سيتقاتلون بينهم للحصول على الام . وهذا امر لا يجوز ( لماذا )  
 فقرروا تحريمها على أنفسهم فنشأ بذلك أول تحريم ( جنسي ) وانصب  
 على الام ، كما نرروا التعاون فيما بينهم بدل الخصام والعراك ( لماذا )  
 فنشأت القيم " ٢ "

وأما دوركايم فله نظرة أخرى في الاجتماع يلخصها الاستاذ محمد قطب فيقول : " . . . ثم يجي " علم الاجتماع على مدى دوركايم فيقول ان الدين والزواج والاسرة ليست فطرة . لدى الانسان إنما هي من عمل " العقل الجمعي " وهو شعبي " ( ماهو ؟ ) دائم التطور والتغيير والتشكل ، لان المجتمعات لا تثبت على حال واحد ، ومن ثم فكل مجتمع يضع دينه ( ولا دينه ) ونظم زواجه ( أو لا زواجه ) ونظم أسرته ( أولا أسرته ) فإذا قال العقل الجمعي في طور من اطواره : ليكن دين . . فليكن دين ؟ وإذا قال : ليكن زواج . . فليكن زواج . وإذا قال : لتكن اسرة . . فلتكن اسرة . . اما اذا قال - حسب هواه ، أو حسب " حتمية الظواهر الاجتماعية " التي لا تنشأ من ضمير الفرد ولا فطرته ، ولا علاقة لها بمشاعره الفردية ، ولا يرضاه أو عدم رضاه عنها - اذا قال ليكن لا دين . وليكن لا زواج . وليكن لا اسرة : فسرعان ما يرضخ الافراد " لقهر الظاهرة الاجتماعية " فينسلخون من دينهم واخلاقهم ويبتعدون عنها ويحلون روابط الزواج والاسرة ، ويصيحون أى شيء يريد العقل الجمعي . . " ١

والاخلاق بدورها مرت بمراحل تطور الدين نفسها لانها جزء من الدين ويرى أحد فلاسفة هذا القرن المحدثين وهو برتراند رسل : " ان الاخلاق مرت بثلاث مراحل تطورية هي :

أولا : اخلاق " التايو " المحرم .

ثانيا : ثم اخلاق الطاعة الالهية .

ثالثا : اخلاق المجتعي العلمي " ٢

ويقول " وليم جيمس " عن أثر نظرية دارون على الاخلاق :

" . . . دعنا نوضح هذا بذكر بعض الامثلة ان فلسفة النشوء والارتقاء

قد ألقت المعايير الاخلاقية التي سبقتها كلها لانها رأتها معايير ذاتية شخصية

وقد مت لنا معياراً آخر نتعرف به الخير من الشر وبما ان المعايير السابقة معايير

( ١ ) نفس المصدر : ٢٩ ، ٨٠٠ .

( ٢ ) المجتمع البشرى : ١٩ / .



نسبية فهي مدعاة للقلق والاضطراب وأما هذا المعيار الذى ارتضوه وهو ان الحسن ما قدر له ان يظهر ويبقى فهو معيار موضوعي محدد ولكننا نلاحظ ان هذا المعيار لا يمكن أن يبقى موضوعيا الا اذا بقيت انا وما أعمل خارجين عن الاعتبار ، وأما اذا كان ما يسود أو ما يبقى لا يمكن ان يسود ويبقى الا بمجهودى الشخصي والا اذا كنت عنصرا فعلا فيه ، واذا كان لابد ان يسود شي آخر اذا ما غيرت تصرفي واتجاهي فكيف اتمكن الان مادمت مدركا لوجود السماء شتى للفعل ، كل منها يمكن افتراضه قادراً على أن يغير مجرى الحوادث في المستقبل ؟ فاذا كانت الحوادث ستأخذ نفس الوجهة التي اتجهت اليها فمن البين انها هي التي تمتعت اتجاهاً ولم يكن اتجاهاً نتيجة لمجراها ... " ١ "

فأما ماركس فقد خرج بالنظرية الشيوعية التي تستمد تفسيرها المادى للتاريخ من فكرة التطور الحتمى . ان المجتمع البشرى كما تخيل فلاسفتها ومنهم ماركس مرتباً من مراحل حتمية لكل مرحلة عقائدها ، واخلاقها التابعة من الظروف الاقتصادية والاضاع المادية . يقول الاستاذ محمد قطب في بيان ذلك :

" كان الانسان في المجتمع الزراعى يعبد الله .. لانه .. يضع البذرة في الارض ويطلب الحب من الرب (لانه عاجز بنفسه عن التأثير في عملية الانتاج ، لا هو يستطيع أن يسرعها أو يبطئها عن مدتها ( الفيزية ) ولا هو يتسطيع - الا بقدر ضئيل - أن يتحكم في النتائج ( بالجهد المبذول من جانبه ) فالاعاصير والآفات ، وتقلبات البرد والحر لا سلطان له عليها البتة .. ولا بد أن ينتظر فيها كلمة السماء .. وكان الرجل هو المنتج الرئيسى ، وهو الذى يعمل المرأة ، ومن ثم كان هو المسيطر صاحب السلطان ، وكانت الاسرة تمثل سلطان الزوج ، وهو حريص عليها شديد الحرص لانها شئ له ذلك السلطان ،

ومن ثم يفرض على المرأة قيوداً خلقية شديدة ، فالعفة شرط رئيسي لحياتها  
وعنصر لا غنى عنها ، والعفة معناها ( في هذا التفسير ) ان يتأكد الرجل  
- صاحب السلطان - ان هذه المرأة أو تلك له وحده لم يمسه أحد غيره . ثم  
يجي " الدين ( الذى يمثل هذا الطور ) فيقول ان العفة مطلب الهى من البشر  
عليهم أن يلتزموا به من اجل الله . "

" ثم انتقل الناس الى الطور الصناعي . . فتبدلت الاحوال ، عملية  
الانتاج لم تعد غيبية فهي عملية متطورة - الالة المنتجة متطورة ، والمادة المنتجة  
متطورة كذلك ، والانسان هو الذى يديرها وليس الله ( ! ) ومن ثم فلا  
ضرورة شعورية لعبادة الله ! ! والمرأة قد استقلت اقتصاديا بحكم سلسلة من  
الظروف الاقتصادية المتوالية ، فلم يعد الرجل هو الذى يعولها ومن ثم لم يعد  
الرجل هو المسيطر أو على الاقل لم تعد سيطرته مطلقة فلم يعد في وسعه  
- تدريجيا - ان يفرض العفة على المرأة . أى يفرض عليها أن تكون له وحده  
- فصار من حقها - تدريجيا الا تكون عفيفة لانها لا تستطيع حين يرفضها الرجل  
- اذا رفضها - لعدم عفتها ، ان تعمل نفسها بنفسها . . ولانها استقلت  
اقتصاديا اضطر الرجل ان يحترمها ، وينزل عن سلطانه ويعطيها حقوق  
الاباحية الجنسية . . ثم انتهى الامر أن يحبد هو تلك الاباحية بحكم التطور<sup>١</sup>  
وهكذا آمنت أوروبا كلها بفكرة التطور المطلق التي مودعها ان لاشي .

ثابت على الاطلاق وقد عبر عن ذلك " برتراند رسل " حين قال :

" ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقدم بعدها . . وأى اعتقاد

نعتقه وان كان مما نظنه بالغ الاهمية ليس بباقي مدى الدهر ، ولو تخيلنا

انه يحتوى على الحق الابدى فإن المستقبل كفىل بأن يضحك منا " ٢ "

والواقع ان هناك رغم ذلك علماء عارضوا فكرة التطور المطلق - المنبثقة

( ١ ) التطور والثبات : ٧٧ ، ٧٨ .

( ٢ ) العقل والمادة : ٢٥٦ .

أو التي اوجت بها فرضية التطور العضوى - غير أنهم قولوا بالنقد اللاذع ،  
والاستنكار العنيف .

يقول كارل " يوسير " :

" انما ندعوه بفرض التطور انما هو تفسير لجمهرة من المشاهدات  
البيولوجية والحفائريه مثل بعض وجود الشبه بين الانواع والاجناس المختلفة  
وذلك استنادا الى القول باصل واحد تشترك فيه اشكال الحياة المتأمرة . الا  
انني اشعر بشي " من الارهاب لما يعيل اليه اصحاب مذهب التطور من الصاق  
تهمة الوقوف في وجه الاصلاح والتنوير بكل من لا يشاركهم موقفهم العاطفي ازاء  
التطور باعتباره تحديا جريئاً ثورياً للفكر التقليدى " (١)

خامسا : تأثير الفرضية على الفكر والعلم والنظريات العلمية :

يمكننا ان نلمح ونعلم مدى تأثير هذه الفرضية على الفكرة والفلسفة ،  
والنظريات العلمية اذا قرأنا بعض أقوال أهل الفن ، فلنستعرض ما قاله المفكرون  
والعلماء الغربيون بيانا لتأثيرها :

يقول جورج بوهن : " ان نتائج كثير من الباحث البيولوجية  
والسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة المعطية التي كان  
أصحاب هذه الباحث يعطونها لنظرية الانتخاب الطبيعي ويكفي في ذلك  
ان يقرأ الانسان الكتابات الاخيرة التي نشرها ( ج . لويب ) وكتابات  
" دولاخ " و " جولد سميث " ليدرك مبلغ نقص الثقة في هذه النظرية " (٢)  
وهكذا فان الالتزام بفرضية التطور يؤثر في نتائج ابحاث الباحثين  
البيولوجيين وغيرهم في مصلحة الفرضية فاذا تخلصوا من أثرها خرجت الحقيقة  
ناصعة .

(١) نظريه دارون بين مؤيديها ومعارضيهها : ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيهها : ٤٠ : ١٤٩٠ .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية ( فصل نظرية التطور ) حول سيطرة

هذه الفرضية <sup>على</sup> جميع مبادئ العلوم " ولم تسيطر هذه النظرية على جميع العلوم التي لها علاقة بالأمور الحياتية فحسب ولكن نتائجها نفذت إلى جميع المجالات العلمية . ولتثبيت هذا النجاح ، فلا بد من القضاء على

كل معارضة كالعصبية الدينية والاستمرارية الثقافية ، وكان أصعب

شيء \* ، التغلب على نظرية الجينات التي كان الطبيعيون يمتدنون

بها " ١ " \*

ويقول : " راندال " .. فكرة التطور غيرت خارطة العالم

الفكرية بأكملها أولا في الفلك ثم علم طبقات الأرض ، ثم في علم الحياة ،

وأخيرا في العلوم الاجتماعية " ٢ " \*

أما أثر هذه النظرية في علم النفس فيوضحه قول " هيلفورد " ومن

المحتمل ان عددا قليلا جدا من علماء النفس وغيرهم من العلماء

يتسكون بالرأى القائل بان نمو الفرد من الجنس البشري يعيد عن

نوع الانواع الحيوانية كلها ولكن تطور الطفل بما فيه حياته الجنينية هو

من جهة أخرى حلقة الاتصال بين سيكولوجية الحيوان وسيكولوجية

الانسان البالغ " ٣ " \*

ولقد كان لعظيمة دارون في " تنازع البقاء وبقاء الاصلح .. أثر على

حركة الاستعمار يقول المؤرخ " هربرت فشر "

" وكذلك تأثرت السياسة بنظريات دارون فقد أخذ الناس يسألون اذا

كان علم الاحياء هو المفتاح لفهم مغالبيق الماضي ، أفلا يمكنه أيضا ان يساعد على

صوغ المستقبل ؟ وهل في وسع السياسة الا يكثرثوا للعامل البيولوجي ؟

أو ليس واجبهم يدعوهم الى تشجيع السلالات القوية وتثبيط السلالات الضعيفة ؟

وهل يستطيع مجتمع البقاء دون أن يتعاون اما عن طريق التشريع أو

( ١ ) نفس المصدر : ١٥٤

( ٢ ) تكوين العقل الحديث : ٢ ، ١٤٢ .

( ٣ ) مبادئ علم النفس النظرية والتطبيقية : ( ١ / ٢٢ ، ٢٣ ) وانظر ص ٣٤ لمعروفة  
أثر هذه الفرضية في مسألة الفرائض والذكا .

عن طريق العرف - مع الطبيعة في إهانة غير الصالح . . . " ١ "

هذا كله من آثار الداروينية بالإضافة الى العصبية العلمية للفرضية وقد مر ذكر شي من ذلك خاصة قول آرثر كيث ، كما كان من آثارها تحريف المصطلحات العلمية فقد استبدلت كلمة الخالق الدالة على الله سبحانه وتعالى وهي صفة من صفاته ، بالطبيعة ، وجرت بهد ذلك كتب الملوم حتى المدرسية على هذا التحريف . " ٢ "

وبذا يتبين ان من عوامل نشوء العلمانية في الغرب مايلي :

- ( ١ ) تحريف المسيحية - عقيدة وشريعة - .
  - ( ٢ ) انحراف وطغيان رجال الكنيسة - عن الدين الحق وطغيانهم على الناس - .
  - ( ٣ ) قسوة التطور وآثارها في الايمان ، والفكر والعلم والفلسفة والسياسة .
- واذا أردنا ان نضع لكل عامل نسبة معينة فاننا نعطي العنصر الاول نسبة كبيرة لا تقل عن ٥٠ ٪ .

وقد كنت عازما على الحديث عن أثر العلمانية في التربية والتعليم في الغرب الا انني صرفت النظر عن ذلك لأمرين :

أولهما : ان الحديث عن هذا الموضوع يستدعي مني الرجوع الى المراجع باللغتين الانجليزية والفرنسية أو الانجليزية وانا لا اعرفها .

ثانيهما : أن اثر العلمانية في التربية والتعليم في الغرب يمكن التماسه في الواقع الاسلامي المعاصر في البلاد التي تأثرت بالاستعمار .

وسوف يتضح شي من آثار العلمنة في التربية والتعليم في افكار التربويين المسلمين وقد تخرج بعضهم في جامعات الغرب . . وتأثروا بالفكر

( ١ ) تاريخ أوروبا في العصر الحديث : ٣٢٥ . ( ٢ ) نظرية داروين

مؤيدها ومعارضها : ١٥٣ - ١٥٦ .

العلماني - أو جامعات من العالم الاسلامي تسير على ذات المنهج العلماني ،  
وفي الواقع العملي المتمثل في تقليل نصاب علوم الدين بالاضافة الى عدم صياغة  
المقررات من وجهة نظر اسلامية ، وفي الاختلاط في التعليم ، وفي عدم  
سلامة أهداف التعليم في بعض البلدان الاسلامية .

## الفصل الثاني

### عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

المبحث الاول : عوامل داخلية .

المطلب الاول : عوامل ذاتية .

- أ - الانحراف الذاتي للمسلمين وأثره في تقبل العلمانية .
  - ب - مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .
  - ج - المستغربون وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .
- المطلب الثاني : نصارى العرب وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

...

## المطلب الأول :

عوامل ذاتية :

## ١ - الانحراف الذاتي للمسلمين :

لم يتوف الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ، قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً " المائدة : " ٣ " . وقد أمرنا الله بالتباعد ما أنزله على نبينا صلى الله عليه وسلم وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على حكم الوحي وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في كل أحوالنا .

قال تعالى : " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون " الاعراف : " ٣ " .

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نأتمر فيما بيننا بالمعروف ونتناها عن المنكر وجعلها صفة أساسية للمسلمين فقال تعالى :  
 " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتوأمنون بالله " آل عمران : " ١١٠ " .

ووعده الله من يتبع شرعه وهديه بالاستخلاف في الأرض فقال تعالى :  
 " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم الدين الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً " النور : " ٥٥ " .  
 ورد الله على أبينا إبراهيم دعوته حين طلب من الله أن يكون ذريته من بعده الأئمة . قال تعالى :



" واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتهمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين " البقرة " ١٢٤ "

وحكم أن الامامة لا تكون الا لمن اتبع طاعة ابراهيم ، وانه لا ينالها الظالمون حتى ولو كانوا من ذرية ابراهيم عليه السلام .

وبين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم سنته في اهلاك الأمم وتغيير حال الناس وربط سبحانه سنته الكونية بسنته في حياة الناس .

وأوضح ان الناس اذا آمنوا به فإنه سيفتح عليهم بركات من السماء والأرض .

وقال تعالى : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقنهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " الروم : " ٤١ " .

وقال تعالى : " ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم " الانفال " ٥٣ " .

وقال تعالى : " وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في ارضها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون " القصص " ٥٩ " .

وقال تعالى : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " الاعراف " ٩٦ " .

نستنتج من هذه الآيات ما يلي :

( ١ ) ان الله اشترط على المسلمين لا يستخلافهم في الارض أن يعبدون سبحانه وتعالى ولا يشركون به شيئا ، أى ان يجهلوا حياتهم كلها خاضعة لشرعه . فهل حقق المسلمون في العصور المتأخرة ذلك ،

أم أنهم انحرفوا فنزع الاستخلاص منهم .

( ٢ ) ان الامامة والقيادة للعالم لا تكون للظالمين فإذا ظلم المسلمون أنفسهم وغيرهم بإنحرافهم عن شرع الله فان الله ينزع منهم القيادة العالمية وهذا ما حصل فعلا .

( ٣ ) ان الله جعل من سننه الثابتة في اهلاك الامم أن الذنوب والفساد والظلم هي اسباب الهلاك وان الله لا يغير ما أنعم به على عباده الا اذا أئسروا ما بأنفسهم .

( ٤ ) ان من سنن الله في خلقه أن لا يهلك قوما حتى يبعث لهم رسولا يرشدهم الى ما يجب عليهم لله .

( ٥ ) ان سنن الله الكونية مرتبطة بسننه الاجتماعية في حياة الناس .

( ٦ ) ان من سنن الله في خلقه أن يفتح البركات على من يؤمن بالله وينفذ شرعه .

وبهذا يتضح أن القاعدة الخطرة في سنن الله في المجتمعات ان الله لا يغير ما بالمجتمعات من الذل والهوان حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانحراف في الافكار والسلوك ، وان الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ويؤيد ذلك ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج مسلم بسنده عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقتها ومغاربتها وان امتي سيلع ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لا امتي أن لا يهلكها بسنة " بعامه " وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك

أن لا اهلكهم بسنة " عامة " وان لا اسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم  
يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بائطارها أو قال من بين أقطارها  
حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا . " ١ )

ولا يهلك المسلمون بعضهم الا اذا انحرفوا عن اتباع نهج الله  
سبحانه وتعالى ، وقد وقع في المسلمين الانحراف في التصورات والسلوك  
وهذا كان عاملا اساسيا وحاسما في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي  
وكما أن تحريف القسس للنصرانية في أوروبا كان من العوامل المباشرة  
لنشوء العلمانية فقد كان انحراف المسلمين عن فهم الاسلام في العصور  
الاخيرة من العوامل المباشرة التي ادت الى انتقال العلمانية الى العالم  
الاسلامي .

فما هي مظاهر هذا الانحراف ؟

ان مظاهر الانحراف تتلخص في ان المسلمين في العصور الأخيرة  
انحرفوا في العقيدة بمعناها الصافي . وتبعاً لذلك انحرفوا في السلوك .  
وتمثل انحرافهم في العقيدة في انحراف تصورهم للالوهية ،  
والايمان بالقدر ، اما عن انحراف تصورهم للالوهية فتتمثل في انحراف  
فهمهم وتصورهم للعبادة ، والتحاكم الى غيره سبحانه .

ولذا فسوف اتتبع عوامل ومظاهر الانحراف على النحو التالي :

أولاً : الانحراف في مفهوم الالوهية .

ثانياً : الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر .

( ١ ) أخرجه مسلم في صحيحه : ٢٢١٥ / ٤ كتاب " الفتن " باب هلاك

هذه الأمة بعضهم ببعض .

الانحراف في مفهوم الألوهية :

لا ريب أن الفطر مجبولة على الاقرار بأن الله خالق كل شي \* ،  
قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله"  
لقمان : " ٢٥ " .

وهذا ما يسميه علماء المسلمين بتوحيد الربوبية ، والاعتراف بذلك  
لا ينفع الانسان حتى يتوجه بأعماله كلها لله رب العالمين ، ولهذا كان  
الكفار في كل عصر ومصر يقرون بأن الله هو الخالق الرزق المحي المميت  
الا ما كان من فرعون في العصر السابقة والشيوعيون في العصر الحاضر - ولكن  
ذلك لم يتفهم عند الله شيئا لأنهم أشركوا معه غيره في العبادة . ولن ينفع  
أيضا هذا الاقرار اى مقرب بالربوبية مشرك في العبادة .  
أما الذى ينفع الانسان الاقرار به ، المقرب به في عداد المسلمين  
فهو توحيد الألوهية وهو كما يعرفه علماء المسلمين " توحيد الله بأفعال العباد "  
أى التوجه بكافة أنواع الاعمال لله سبحانه وتعالى تحقيقا لقوله تعالى :  
" قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين وبذلك أمرت  
وانا أول المسلمين " : الانعام " ١٦٢ - ١٦٣ " .

ويقسم بعض علماء السلف الصالح توحيد الألوهية الى قسمين هما :

- ( ١ ) توحيد الطاعة والاتباع .
- ( ٢ ) توحيد الارادة والقصد " العبادة " . وسوف أسير على هذا التقسيم

في تتبع مجارى الانحراف عند المسلمين في ذلك .

# ١ - الانحراف في الطاعة والاتباع - منه الحكم - ١ -

القرآن والسنة مليئان بالنصوص التي تأمر

المسلمين بالطاعة والاتباع لله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ،  
أذكر بعضاً منها هنا لنرى أين المسلمون من ذلك في العصور المتأخرة ،  
قال تعالى : " وأطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا أعمالكم " محمد :

" ٣٣ " .

وعن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" لا طاعة لبشر في معصية الله إنما الطاعة في المعروف " أخرجه البخاري  
ومسلم وابوداود والنسائي وأحمد وابوداود الطيالسي . وفيه قصة .  
فهذه النصوص وغيرها كثير توجب على كل مسلم أن يتبع ما  
أنزل الله على رسوله وان يطيع الله ورسوله في كل ما أمرا به ، في شئون  
الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . ولكن المسلمين في عصور الانحطاط نسوا  
ذلك أو غفلوا عنه ، وبعضهم انحرف عن ذلك فنتج عن هذا ان صرفوا  
هذا النوع من العبادة " الاتباع والطاعة " أو جرد منه الى الحكام وعلماء  
المذاهب ، بل مشائخ الطرق الصوفية الذين ظل بسببهم خلق كثير  
من أجيال المسلمين المتأخرة . وهذا الانحراف بدأ ضعيفا ثم اتسع  
واتسع حتى شمل أكثرية المسلمين للأسف .

وقد كان العالم الاسلامي في القرون الأخيرة تتقاسمه ثلاث دول  
هي الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، والدولة المغولية .  
وبهني في هذا المقام ايجاز الحديث عن الدولة العثمانية لانها  
كانت تحكم مساحة شاسعة من بلاد المسلمين بينما الدولة الصفوية كانت  
منحصرة في ايران وأفغانستان ، والدولة المغولية منحصرة في حكم  
الهند .

وأبادر فأقول أن الدولة العثمانية في أول عهدها كانت أصلح هذه الدول الثلاث عقيدة وسلوكا ولكنها بعيدة عن منهج الخلافة الراشدة الذي سار عليه الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز ، وهذا البعد يقل أو يزداد حسب نوعية الخلفاء الذين يتولون الحكم .

كما أبادر فأقول أن الدول العثمانية كان لها مآثر لا يستطيع الباحث المتصف أن ينكرها بل يتوجب عليه أن يقدرها ، إذ هي التي جعلت المد الإسلامي يصل إلى أقصى مدى له في أوربا الشرقية والوسطى ( المجر ، والنمسا ، وسويسرا ) بعد أن فقد المسلمون بلاد الأندلس في أوربا الغربية بسبب انحرافهم عن منهج الله المتمثل في الولايات التي نشأت على العصبية .

كما أنها - أي الدولة العثمانية - أخرت سقوط البلاد الإسلامية في أيدي المستعمرين الأوروبيين قرونا عدة .

إضافة إلى روح الحماسة للدعوة الإسلامية ونشرها في أوروبا التي اعترف لهم بها حتى أعداء الإسلام . " ١ "

بيد أن وجود كل هذه المآثر لا يعني عدم وجود انحراف في هذه الدولة فقد استمرت الدولة العثمانية على خط الانحراف الذي ورثته عن الدول السابقة لها وزادت عليه بحسن نية وبدون وعي خاصة في أوائل الدولة العثمانية .

وكان من مظاهر هذا الانحراف في الحكم أن الدولة العثمانية واجهت حركات الإصلاح والتجديد التي كانت تدعو إلى التوحيد بأفراد الله

---

( ١ ) انظر في ذلك كتاب الدعوة إلى الإسلام : ١٧٠ - ٢٣٤ وانظر

خاصة ( ١٨٤ ، ١٨٥ ) .

بأنواع العبادة ونهذ الشرك الذى وقع فيه المسلمون المتمثل بـ «الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم» ، والتي دعت الى نبذ التقليد والجمود الفكرى ، بالاخذ من الكتاب والسنة مباشرة لمن له أهلية الاجتهاد . وكانت اكبر هذه الحركات حركة الامام محمد بن عبد الوهاب ( ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ ) التي جيشت الدولة العثمانية الجيوش لـ «وها بقيادة ابراهيم باشا» .<sup>(١)</sup>

وقد نتج عن هذا الانحراف أمران خطيران :

الأول : استمرار الحكم على طريقة الوراثة الذى بدأ في عهد الدولة الأموية ، ولهذا ماله من ايجابيات ولكن كان في الامكان أن يكون مبدأ الشورى هو قاعدة وركيزة هذا النوع من الحكم . " وأمرهم شورى بينهم " الشورى : " ٣٨ " وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله " آل عمران : " ١٥٩ " .

أما ترك الامور على تلك الحال فان الطريق الى الاستبداد والجبروت والظلم مهياً والصنخ مناسب وهذا ما حصل فعلا من بعض السلاطين ، بل بين ولاية الاقاليم ، هذا ما كان حاصله . أما في أوروبا التي - سنعرف كيف أثرت في العالم الاسلامي فيما بعد - فقد كانت عروش اباطرتهم - اضطرب تحت مطارق الدعوات التحريرية التي كانت تطالب بالشاركة في الحكم وحرية الشعب في اختيار الولاة . فكان على الخلفاء في الدولة العثمانية أن يتمثلوا بذلك ويقطعوا الطريق على دعاة التقريب الذين كان لهم أثر

( ١ ) انظر تاريخ هذه الفترة في كتب التاريخ ومنها كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٢٠١ - ٢٠٥ . وانظر كتاب الاتجاهات الفكرية عند

كبير - في أواخر حكم الدولة - في القضاء عليها من داخلها ، وذلك  
يكون بالعودة الى الاصول الاسلامية الراشدة .

الثاني : قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع الحديثة بالاستنباط  
الفقهي من الكتاب والسنة .

لا يشك مسلم في أن القرآن والسنة يتضمنان منهاجاً كاملاً شاملاً  
لكافة جوانب الحياة البشرية منذ أن أنزل الله القرآن على نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم ومنذ تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحاديث الى أن يرث الله  
الارض ومن عليها ان لا يخرج عن دائرة توجيهه وهيئة الشريعة أى شيء من  
احداث البشر مهما استجدت ومهما تغيرت الاحوال .

قال تعالى : " ما فرطنا في الكتاب من شيء " الأنعام : ٣٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : " قد تركتكم على مثل البيضاء "

ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الهالك " ١ "

وهذا من البدهيات في التصور الاسلامي وفي حس المسلمين ،  
والريية في هذا الامراتهام واضح للبارى عز وجل بالنقص واتهام الله بالنقص  
كفر واضح .

كما أن البشر في حركة دائمة وسعي متواصل لعمارة الارض ، فاذا  
كانت هذه الحركة مقرونة بالاستسلام لله والدينونة له - بعمارة ارضه  
بطاعته - فلا بد أن تنشأ لهم من الاقضية بقدر ما يسمعون . وانما المسلمون

-----

( ١ ) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن : ١٩ / ١ ، ٢٦ ،

٢٧ بالفاظ متقاربة ، وأسانيد مختلفة .



بحاجة الى من يجتهد لهم في تلمس الاحكام المناسبة لما يجد لهم من  
أقضية وقد آمن المسلمون بشمولية الشريعة الاسلامية ، وغابت عن أذهان كثير  
منهم في العصور المتأخرة الحركية في الواقع البشرى ، ذلك لانهم  
يعيشون واقعاً اسلامياً جامداً لا جديد فيه ، ولا ينمو الفقه ولا تنمو ملكة  
الاستنباط والاجتهاد الا في ظل حركة واقعية في ظل الشريعة الاسلامية  
فتجد للمسلمين وقائع يحتاجون فيها الى احكام مستنبطة من عمومات  
القرآن والسنة .

ولقد كان من هؤلاء الذين غابت عنهم هذه الناحية علماء الدولة  
العثمانية وخلفائها الذين تأثروا بالعلماء - الذين عارضوا فتح باب  
الاجتهاد فأصيب الفقه الاسلامي بالجمود ، وظلت حياة البشر متطورة  
متحركة حسب سنة الله في الحياة . وهكذا ضاق لأول مرة في تاريخ  
المسلمين مجال الفقه الواقعي عن الاحاطة باحداث الحياة في بلاد  
المسلمين ، وذلك بسبب ضيق أفق العلماء واقتصارهم في الفقه على المتون  
والحواشي التي ألقت في عصور سابقة ، وقد كان المجال مفتوحاً أمام من  
لديه أعلى الاجتهاد ان يجتهد ويستنبط من القرآن والسنة ولكنهم أخذوا  
الى الركود والجمود على المتون والحواشي .

يقول الشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي مايلي :

" وقد غلب التقليد للعلماء - وعلى الاخص الأئمة الاربعة ابو حنيفة ،  
ومالك ، والشافعي ، واحمد - وان وجد مجتهدون قلة من مبدأ المائة  
الثالثة الى نهاية المائة الرابعة ، وصار التقليد غالباً في الرابعة بل أصبح  
جل علمائها مقلدين معصبين مع ان الكل يعلم ان لكل امام هفوة وسقطعة

بل سقطات فما من امام الا وقد ثبت عنه قول أو فعل خفي عليه فيه السنة وأخطأ به في الاجتهاد . . . وهذا كله باعتبار الغالب . . . " ١ "

ويقول الشيخ الغزالي مايلي :

" . . . مع ان الزمن لا يقف . . . ومع انه تحدث للناس أقضية بقدر ما احدثوا من فجور ، ومع ان الجماعة الانسانية تدخل في أطوار متباينة ، من ناحية العلاقات الدولية والوضع الادارية والاقتصادية السياسية . ومع ضرورة بقاء الدين مهيمنا على توجيه القافلة السائرة . مع هذا كله فان التفكير الاسلامي الفقهي توقف في أغلب ميادين المعاملات ، ان لم يكن جمدا فيها كلها . . . واغلقت ابواب الاجتهاد بضعة قرون حتى انكسرت أخيراً تحت ضغط الحاجات الملحة . وصحب <sup>انكسار</sup> فوضى منكرة فسي الفهم والتطبيق . . . " ٢ "

والواقع ان الذي حصل في الدولة العثمانية - من عهد السلطان سليم الثالث اهضع من فتح باب الاجتهاد أو كسره . فالتاريخ يحدثنا جـ

-----

- ( ١ ) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي : ٢ / ٥ - ٩ ، وانظر ٢ / ٤٨ من قوله ففي القرن الثالث و ١٦٣ ان حدد المؤلف طور الشيخوخة في الفقه بما بين القرن الخامس والرابع عشر وأوضح اسباب ذلك وانظر مقاله صاحب كتاب المعجب عن حالة الفقه في الثلث الاول من القرن السادس ص ١٧٤ . وانظر الهامش ، وانظر ص ١٧٥ ، ١٧٦ ففيه بيان أن الفقهاء لا يهتمون بالنظر في الاحاديث .
- ( ٢ ) الاسلام والطاقت المعطلة . : ١٠٠ ، ١٠١ ،

" أن المطبعة ادخلت على يد " ابراهيم متفرقة " في أوائل القرن الثامن عشر ، وطبعت فيها الكتب غير الدينية والشرعية ظهر من بعد ذلك عدد من المثقفين العلمانيين من غير رجال الدين " ١ "

وان الدولة العثمانية : " استعانت بخبراء أجانب من امثال الفرنسي

( Bonhval ) ( والبارون دي توت " ٢ " .

وقد كان أول من بدأ بالاستعانة بالاوربيين السلطان سليم الثالث الذي استعان بهم لتحديث جيشه ليحل محل جيش الانكشاريين فاستقدم هناك من المهندسين من السويد وفرنسا لصنع المدافع ، واصلاح مدرسة البحرية ومدرسة الطبوجية التي أسسها البارون دي توت المجرى . . " ٣ "

وليت الأمر يقتصر على تنظيم الجيش وتدريبه وتقويته فإن ذلك لا غبار عليه ولا أحد يعارضه لان في قوة جيش الدولة قوة للمسلمين ، ولكن الذي حصل هو ان تنظيم الجيش كان البداية لدخول تنظيمات بل تعديات حتى في التشريعات الاسلامية ، بل كان الافكار الجديدة بعد الثورة الفرنسية والتي رافقتها كان لها أثر على بعض السلاطين ، فهزت أفكار بعضهم وسار على منوالها البعض الآخر وتأثر بها " ٤ "

-----

- ( ١ ) التاريخ الحديث للشعوب الاسلامية : ١٢٥ .
- ( ٢ ) المرجع نفسه : ١٢٥ .
- ( ٣ ) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ١٢٩ .
- ( ٤ ) التاريخ الحديث : ١٢٥ ، ١٢٦ في الحديث عن سليم الثالث .

ثم ماذا ؟

تولى السلطان محمود الثاني الحكم عام ١٨٠٨ بعد مقتل سلفه سليم الثالث على يد الانكشارية وقد كان يضر الاصلاح ، ولكنه يخشى أن يصيبه ما أصاب سلفه وكان يبحث عن وسيلة تمكنه من القيام بالاصلاح دون اثاره أعداء الاصلاح عليه .

وحين عزم على تحقيق هذا الاصلاح واجه أزمات معقدة ، ورغم ذلك سار في طريق التغيير الجذري لنظم الدولة العثمانية على أساس :

١ - الاقتباس من نظم الغرب ( westernization )

٢ - وتقوية قبضة الحكومة المركزية على مختلف أجزاء الولايات .

٣ - مع اجتثاث المفاصل من جذورها ان أمكن .

فكانت هذه الخطة الثلاثية هي التي سار عليها السلطان محمود الثاني فكيف نفذها .

كانت الخطوة الاولى هي القضاء على الانكشارية واستطاع ذلك فسي مذبحه عليها لهم عام ١٨٢٦ "١"

" ثم شرع في تكوين جيش جديد على الطراز الاوربي الحديث واستدعى لتدريبه ضباطا ومهندسين فرنسيين وألمان . وتأسست أكاديمية عسكرية في ١٨٣٤ وارسل بعض خريجيه الى العواصم الأوروبية لاستكمال دراساتهم العليا . . . "٢"

( ١ ) المصدر السابق : ١٧٦ - ١٧٨ .

( ٢ ) نفس المصدر : ١٧٨ بتصرف .

ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، بل أنشأ إدارة للترجمة تحولت  
بعد ذلك الى وزارة للخارجية وأنشأ المجلس الاعلى للقضاء الذى كلف  
باعداد القوانين الجديدة ، وكان أعضاؤه من مختلف الأديان وانبثق منه  
مجلس الدولة ( شوارى دولت ) . .

كما أنشأ مجالس للولايات تضم مسلمين ومسيحيين ترتبط هذه  
المجالس بالولايات المركزية . " ١ " ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، وسبيل  
ساوى بين المسلمين والنصارى ثم وضع الجزية عنهم ابنه عبد المجيد . ( ٢ )  
ثم جاء عهد عبد المجيد الاول فأصدر مرسوما بالتنظيمات ،

وعرف بخط كلخانة عام ١٨٣٩ م وقد كان هو الخطوة الكبيرة الثانية  
كما يرى الدكتور عبد العزيز سليمان نوار للأخذ بالقوانين الوضعية حين  
قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم فكان ذلك هو الخطوة الاولى لفرض  
الخدمة العسكرية على غير المسلمين . كذلك ساوى الخط بين الطوائف  
المختلفة في فرض الضرائب أمام القانون بصفة عامة .

وصدرت في أعقاب هذا الخط سلسلة من القوانين التنظيمية لوضع  
أسس هذا الخط موضع التنفيذ ، فصدرت القوانين الجنائية والقضائية  
والمدنية ، وظهرت المحاكم على مختلف أنواعها وصدرت فرمانات بتأسيس  
بنك الدولة والاوراق النقدية وانشاء جامعة عثمانية . " ٣ "

واستغل الاوربيون الدولة العثمانية اقتصاديا ، وتوقعوا فتح  
باب الارساليات التبشيرية والمدارس الاجنبية على مصراعيه .

---

( ١ ) المصدر : ١٧٨ - ١٨٠ ( ٢٠ ) نفس المصدر : ١٨١

( ٢ ) نفس المصدر : ١٨٥ .

واستغلت الدول الأوروبية هذه التنظيمات لاغراضها فسعت فرنسا الى حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية ، وسعت روسيا الى حماية الارثوذكس ، وسمى مبشروا بريطانيا الى تحويل مسيحي الكنائس الشرقية الى الكنيسة البروتستنتية "١"

وفي عام ١٨٥٥ صدر فرمان يرفع الجزية عن المسيحيين ، وفي عام ١٨٥٦ أصدر الخط الهاميوئي "٢" وقد تضمن عدة أمور منها :

- التمكين للدول الأوروبية للتدخل في شئون الدولة العثمانية ، والمساواة الدينية ، وفصلت للنصارى حقوقا مهيبة منها :
- ان المسائل للدنية تكون العهدة في ادارتها الى مجلس مختلط من بين المدنيين ورجال الدين النصراني ينتخبه الشعب بنفسه ، ومنها عدم اكرام المسلم الذي يعتنق النصرانية على الرجوع الى الاسلام بل يسمح له بافردة عن الاسلام واعتناق النصرانية . . "٣"
- وأكد الخط الهاميوئي حق الدولة في تجنيد المسيحيين ، وان أبقى على حقهم في دفع البذل العسكري ، كما سمح للاجانب بامتلاك العقارات وفق شروط معينة . "٤"

-----

- ( ١ ) المصدر السابق : ١٨٦ ، ١٨٧ .
- ( ٢ ) نفس المصدر : ١٩٣ .
- ( ٣ ) تاريخ الدولة العثمانية : ١٦١ .
- ( ٤ ) التاريخ الحديث ( الشعوب الاسلامية ) : ١٩٣ .

وقد رأت الغالبية العظمى من مسيحي الدولة في صدور هذا الخط مظهراً من مظاهر ضعف الدولة وتطلع زعمائهم الى الدول الاوربية ، وتمسكوا بالحقوق التي سنّها لهم الخط الهامبوتي ، وضربوا صفحاً عن مافيه من التزامات عليهم بل تمسكوا بما كان لديهم من امتيازات قد يمسّه تتعارض مع الخط الهامبوتي . "١"

وحصلت لبنان بعد هذا الخط وبعد الفتن التي حصلت بين المسلمين والنصارى على استقلال ذاتي بنظام المتصرفية وعين له حاكم نصراني . "٢"

ويقول الدكتور / عبد العزيز سليمان نوار :

" وصدرت بعد الخط الهامبوتي مجموعة من القوانين التنظيمية التي

مست المجتمع العثماني بقوة أهمها :

- ١ - قانون الاراضي " الطابو " ١٨٥٨
  - ٢ - قانون الولايات ١٨٦٤
  - ٣ - مجموعة القوانين الجنائية والتجارية ( ١٨٦٠-١٨٦٣ ) "٣"
- يقول الدكتور علي حسون : " واستدعى - اى في عهد السلطان عبد المجيد - الخبرات الفرنسيون والبروسيون لتدريب الضباط وافتتحت المدارس التدريبية للاطباء وموظفي الدولة المدنيين وأرسل الطلبة لأول مرة الى أوروبا لاتمام تحصيلهم فأنشأت وزارة المعارف وأعلن مبدأ التعليم المجاني

-----

- ( ١ ) نفس المصدر : ١٩٣ ، ١٩٤ .
- ( ٢ ) نفس المصدر : ١٩٣ ، ١٩٤ وتاريخ الدولة العثمانية : ١٦٢
- ( ٣ ) نفس المصدر : ١٩٤ .

والاجبارى واعيد تنظيم الادارة المحلية والعركزية ولربما كان الشيء الاكثر خطورة هو ذلك النوع من التعليم العلماني الجديد الذي ادخل الاصلاح السلطنة القضائية ولم يبق تحت حكم الشريعة الاسلامية سوى قانون الاحوال الشخصية ، واصدر قانون جنائي جديد يعتمد على القانون الفرنسي ، ثم نشر قانون تجارى في عام ١٢٦٧ هـ وازدادت الاتصالات مع الغرب فمن جهة عين الشهبان العثمانيون الذين تعلموا في ديار الغرب ، يبلطاسيين . .

" وشقت الأزياء الأوروبية طريقها الي العاصمة الاسلامية واعطي السلطان المثل بارتداء اللباس الاوربي وبخذه المطايا واقامة المناسبات والحفلات طسي ذلك الطراز . .

" وقد ادخل نظريا قانون مبدأ المساواة التامة الغربي الحديث والعلماني في الدولة قبل قانون الرطيا ومع ذلك فمدوها - أى الاوربيين - سطحه وطالبوا بما اسموه اصلاح الافئدة والحقول وثورتها في صفوف من يقودون دفة الحكم في الدولة ، وازداد تدخلهم في شئونها تحت شعار انصاف النصارى والدفاع عن حقوقهم . . (١)

وقد حدث ذلك بسبب الضغط الاوربي علي الدولة العثمانية ،

يقول الدكتور زين نور الدين زين :

" . . . في القرن التاسع عشر ادخلت الدولة العثمانية عددا من الشرائع والقوانين العلمانية وعمتها في طول البلاد وعرضها وقد جاء هذا التشريع العلماني الحديث نتيجة لعدد من العوامل منها وقع الفكر الغربي علي الامبراطورية العثمانية والضغط السياسي الذي كانت الدول الغربية تمارسه في علاقاتها مع الاتراك والمحاولات المختلفة التي قام بها الاتراك انفسهم لاصلاح مؤسسات الدولة العثمانية لاسيما التنظيمات " (٢)

ويقول الاستاذ صالح بن عبد الله العبود - بعد ان ذكر الامتيازات التي اعطيت لفرنسا في الدولة العثمانية - خاصة في التعليم للنصارى الكاثوليك . . . وهذه الامتيازات التي نفذت منها فرنسا الماسونية واستطاعت ان تجبر تركيها عليها لصلحة اليهود ترجع الي ثغرات قد فتحها العثمانيون علي انفسهم في الداخل والخارج ، اما في الداخل فكيف كان

(١) تاريخ الدولة العثمانية : ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام : ٤٢



السلطين - كما يقول زين نور الدين زين - " لا يطبقون الشرع الاسلامي على الجاليات غير المسلمة الا في حالات نادرة ... "

" وفسروا هذا المبدأ بأن على السلطان الفاتح أن يلتزم بما منح الابطارة البيزنطيون هذه الجاليات من امتيازات وضمانات بل للسلطان أن يضع لهم احكاما خاصة بهم توفر لهم تصريف امورهم بطريقتهم الخاصة .. "

" فنشأ ما يسمى نظام الامتيازات وهو نظام كانت تتبعه الدولة البيزنطية الصليبية في الولايات التي أنشأوها في الشرق الأدنى " (١)

وهكذا بسبب قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع المتجددة بالاستنباط الفقهي - الذي نتج عن غلق باب الاجتهاد - اصبحت القوانين الوضعية المستوردة من الغرب تحتل شيئا فشيئا جوانب من حياة المسلمين فتهيمن عليها ، ولم يكن في ذلك ما يلفت نظر المسلمين لخطورتها ان أن المجتمع في الدولة العثمانية كان خاملا ومصابا بالجمود الفكري ، فاذا أتاه ما يحركه استقبل ذلك بترحاب ، واستمر الوضع على هذه الحال حتى لم يبق للشريعة الاسلامية من عينة الا على الاحوال الشخصية للأسف ، لا بل لم يبق لها في بعض بلاد المسلمين أي شيء فقد قيد الطلاق ، وتعدد الزوجات بقيود غير شرعية ، وابتح للعمال الفطر في نهـار رمضان ، وهكذا لم تأت العقود الاولى والوسطى من هذا القرن الميلادي العشرون حتى اصبحت القوانين في اكثر البلاد الاسلامية مقتبسة من القوانين الغربية - فرنسية ، وانجليزية ، وسويسرية وغيرها - .

وبذا حصل الشرك في الطاعة والاتباع ، وأهم ذلك هو الحكم  
بغير ما أنزل الله !

وهذا يجعلنا نقرر في غير حرج ان انحراف المسلمين في الطاعة  
والاتباع افراد وجماعات ودولا - الناتج عن الجهل بحقيقة الاسلام ،  
وسنن الله في حياة البشر والعجز عن الاجتهاد والاستنباط الاحكام  
الاسلامية لكل واقعة تحدث لهم مستدين من القرآن والسنة - كان  
ولا ريب أحد العوامل الرئيسية . لانتقال العلمانية الى بلاد المسلمين .

## ٢ - الانحراف في توحيد الارادة والقصد " العبادة " :

لابد لمعرفة كيف حصل الانحراف فبني هذا المفهوم وماهي  
مجاريه الفكرية والمعلية - من بيان التصور الاسلامي الصحيح للعبادة ، ولدينا  
القرآن والسنة وأقوال أئمة السلف المستندة والمستنبطة في القرآن والسنة  
التي توضح المعنى الصحيح للعبادة .

قال الله تعالى : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب  
العالمين وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .  
" وعن عدى بن حاتم : " انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ  
هذه الآية : " اتخذوا اخبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن  
مريم " الآية ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : اليس يحرمون ما أحل الله  
فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه ؟ . فقلت : بلى ، قال : فتك  
عبادتهم " رواه احمد والترمذى وحسنه .

وقال الامام ابن شيميه في بيان معنى العبادة لما سئل عن ذلك :  
 " العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال  
 وطلاعمال الباطنة والظاهرة . . " (١)

ثم حصل الانحراف من المسلمين في العصور المتأخرة عن  
 العبادة الحققة لله بمعناها الشامل الواسع - ولأسف فقام من  
 المسلمين - انواعا من العبادات لغير الله أو اشركوا معه غيره ، فذهب  
 بعضهم لغير الله ، وندروا لغير الله ، واستعانوا بغير الله ، واستغاثوا  
 بغير الله ، وطلبوا الشفاعة من الأموات وغلوا في الصالحين والأولياء  
 أو من ضنوهم أولياء - أحيانا - وخاف بعضهم من غير الله فيما لا يخاف فيه  
 الا من الله ، واشركوا في التوكل ، واحبوا وأبغضوا لغير الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه علي رضي الله عنه  
 قال : " حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من  
 ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والده ، لعن الله من آوى محدثا ،  
 لعن الله من غير منار الارض " رواه مسلم .

والله يقول في ذم الاستعانة بغيره سبحانه وتعالى : " وانه كان  
 رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " الجن : "٦" .  
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن جاء من الصحابة  
 يستغيثون به من أحد المنافقين انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله "٢"

( ١ ) المبودية : ٣٨ . وقد ورد في مجموع من الأقوال والأعمال المشتملة للعبادة

( ٢ ) كتاب التوحيد حق الله على العبيد : ١٤٨ ، ١٤٩ باب من  
 الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .

وقال تعالى في الشفاعة ونقيها عن البشر الا بعد ان الله :  
 " وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي  
 ولا شفيع لعلمهم يتقون " ( الانعام : ٥١ ) .

وما قلته عن الانحراف في العبادة يشاهده كل مسلم عند المشاهد  
 وقبور الصالحين أو الاولياء حيث تصرف - وللاسف - أنواع من العبادة  
 لأصحاب هذه المشاهد . وإذا بدا المسلم واع أن يرد هذه الجموع عن  
 هذا الانحراف لبيان أن العبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله إحتجوا  
 عليه بأن هؤلاء مقربون عند الله ونحن نطلب الزلفى إلى الله عن طريقهم .  
 أو يقولون ان هؤلاء شفاؤها عند الله ونسوا او نسي مشائخهم الذين  
 ألهمهم أن الله رد هذه المزاعم على مشركي الزمان الغابرة " ١ " .

١ - وقد فهم المسلمون الاولون أن العمل لعمارة الارض بطاعة الله  
 سبحانه وتعالى من العبادة لأنهم فهموا من القرآن والسنة ذلك ،  
 ولذلك كانوا يسعون في الارض لابتغاء الرزق . وعلموا أنهم إنما  
 يعبدون الله بعملهم ذلك لانهم أحسنوا القصد والنية لله .  
 قال تعالى : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من  
 فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون " ( الجمعة : ١٠ ) .  
 وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، هل لي  
 أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ؟  
 إنما هم بني فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم " متفق عليه .

( ١ ) انظر في بيان ذلك : سورة يونس : آية ١٨ ، وسورة الزمر :  
 آية " ٣ " .

وغيرها من الاحاديث الدالة على أن الكسب وطلب المعيشة  
إذا اقترنت بنية صالحة كانت عبادة يؤجر عليها ، وإذا اقترنت بنية فاسدة  
كانت معصية يعاقب عليها .

٢ - كما فهم المسلمون الاوائل أن التوكل على الله لا يعني ترك الاخذ  
بالاسباب بل ان التوكل الحقيقي هو في عمل الاسباب \* اعقلها  
وتوكل \* "١" كلمة قالها صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل  
المسجد وتزلق ناقته غير معقولة فلما خرج وجدها قد هربت . ولقد  
انحرفت مفاعيم المسلمين في هاتين القضيتين :

١ - لقد وجد أول الامر اناس تركوا العمل \* زهدا في متاع  
الدنيا \* واستندوا في ذلك الى بعض آيات واحاديث تنهى عن التكالب  
على الدنيا فظنوا ان العمل للدنيا واكتساب الرزق أمر ينهى عنه الاسلام  
ونسوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال في مقابل ما احتجوا به من  
احاديث : " نعم المال الصالح للرجل الصالح " "٢" فراحوا يستسلمون  
للدعة والكسل ويأوون الى الخلوات والزوايا ، ثم خلف هؤلاء خلف  
تطور الامر بهم الى أن وضعوا احاديث في التفرير من الدنيا وبغضها نذكر  
منها :

ترك الدنيا أمر من الصبر ، وأشد من حطم السيوف في سبيل الله ،  
ولا يتركها احد الا اعطاه مثل ما يعطي الشهداء ، وتركها قلة الاكل  
والشبع ، ويقض الثناء من الناس .

( ١ ) أخرجه الترمذي عن أنس وحسنه .

( ٢ ) أخرجه احمد : ١٩٧/٤ ، ٢٠٢ .

حب الدنيا رأس كل خطيئة .

\* من أصبح ، والدنيا أكبر همه ، فليس من الله في شيء .<sup>١</sup>

" وقال أبو سليمان الداراني : إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا " ٢٠

" وقال الجنيد - وهو سيد طائفة التصوف - كما يسمنه :  
 " احب للميتى \* الا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، والا تغير حاله :

(١) التكسب .

(۲) طلب الحديث ( کذا !!! )

( ٣ ) والتزوج . وواجب الصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه  
أجمع لهما " ٣ "

بل وصل الامر بهؤلاء الذين عرفوا في التاريخ الاسلامي بالمتوصفة

- الى تأويل الاحاديث الصحيحة على غير ما تدل عليه ليؤيدوا

مذموبهم فى الخمول والدعة والاتكالفة المتناعفة على الاخرى .

فقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي ان بعض الصوفية أول قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أطيب ما أكلتم من كسبكم بأنه المسألة عند  
الفاقة .. (كذا !!) "٤"

(٤ - ١) التصوف بين الحق والخلق : ١٠٨ - ١٠٩ / ٤٣ / ١

112 / 131 • 130

وانظر هذا التصور المضحك المحزن في آن واحد من علمه ممن  
أعلام المتصوفة :

" قيل لابي يزيد ما نراك تشتغل بكسب فغن أين معاشك ،

فقال : مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزى ابا زيد " (١)

وهكذا ساعدت هذه الاحاديث الموضوعية واقوال هؤلاء الزعماء

وتأويل الاحاديث على غير ما تدل عليه ، ساعد كل ذلك على انتشار الدعة

والخمول والالتكالية على الغير في طبقات معينة من المجتمع الاسلامي فتعطل

بذلك جزء كبير من طاقات الامة الاسلامية وانتشرت البطالة باسم الدين والدين

من ذلك براءه فحق عليهم وصف " الطاقات المعطلة " وهي معطلة ذاتيا

لم تجبر على التعطل والتبطل .

ولعل خير ما يرد على هذا التصور البائس للزهد ما ورد عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قد وتنا الذي أمرنا بالاقتداء به .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه " ان نفرا من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله فسي

السر ؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم

وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ،

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ ولكنني

اصلي وأنام ، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني "

متفق عليه .

-----

(١) المرجع السابق : ١١٢ . ان ابا يزيد حين قال هذا الكلام غفل  
عن ان الكلب والخنزير رزقا بعد ان بحثا عن الرزق فاحتجاجهما  
يرزقهما احتجاج غير صحيح ، وهذا ما يؤسف له ويجعل الاسم  
يقتصر قلب المسلم لموصل اليه بعض من كان يأيد بهم القيادة الفكرية  
لعامة المسلمين من المستوى الفكري المنحط .

وانظر الى الفهم السليم للزهد في هذا القول للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه :

" سئل الامام احمد عن الرجل يكون معه مائة الف دينار هل يكون زاهدا ؟ قال : نعم ، بشرط أن لا يفرح اذا زادت ، ولا يحزن اذا نقصت " (١)

ولارغب أن لنشأة هذه النزعة - أول منشآت - أسباباً معينة لانها لم تنشأ في فراغ بل نشأت في مجتمع ، ولعل من أسباب نشأتها هذه النزعة - التي بدأت أول مبادئ زهداً معقولاً ثم تطورت الى زهد لم يأمر به الاسلام ، ثم انتقلت الى نزعة لها فلسفة معينة في كل الامور دخلت على المتصوفة من البوذية والنصرانية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاشراقية لعل من الاسباب انحراف الخلافة ، ثم انغماس الناس في الترف وانصرافهم عن الاهتمام بالآخرة .

يقول الاستاذ الغزالي في ذلك :

" . . . اقبل العامة بقيادة المتصوفين - على الطقوس والاوراد -

وأقبل الحكام ومن في ههوا شئهم وركابهم على الشهوات والمذات . وهذا الخلط الصوفي الاحق يعتبر أول صدع أصاب التفكير الاسلامي في . . .  
أول تصدع أصاب كيان الامة الاسلاميه - فيما بعد - بالانهيار " (٢)

( ١ ) عدة الصابرين : ٩٠ .

( ٢ ) انظر لمعرفة أثر الفلسفات الوثنية على التصوف كتاب الفكر السامي في

تاريخ الفقه الاسلامي : ٥٣/٢ ، وانظر ٥٩ ففيه ما يؤكد ذلك .

وكتاب ظهر الاسلام : ١٥٤/٤ - ١٥٦ .

( ٣ ) الاسلام المفتري عليه : ٦٨ .



وهكذا أصبح الاسلام في نظر هؤلاء \* كما يتضح من عباراتهم محصورا في الشعائر والايراد المشروعة وغيرها فانحسر بذلك مفهوم العبادة وأصبح يتعذر بسبب هذه النظرة المنحرفة القيام ببعض أركان الاسلام كالزكاة .

لقد كان المسلمون الأوائل يستشعرون في قرارة أنفسهم أنهم يعبدون الله حتى وهم يسعون لطلب الزرق ، أو لطلب العلم ، أو يستحيون في أرض الله ، دون أن يوجد في نفوسهم شعور بالانضمام للشعائرية بين الشعائر وهذه الاعمال . ولكن أصبح المريد من المتصوفة - الذي انحصر عنده مفهوم العبادة في الصلوات والايراد يحس بأن جزءا كبيرا من حياته فارغ فيلجأ الى شيخه لملأ هذا الفراغ ، فيكلفه الشيخ بدوره بحفظ أوراك كثيرة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرووها بطريقة غير شرعية . وأحيانا يكلفه بما يسمى السباحة في الارض بلا زاد حتى يقوى ايمانـــــــــــــــــه ، ويصدق في توكله - كما زعموا - .

وهكذا تطور الامر الى انحراف مفهوم العبادة ذاته بعد أن كان الانحراف متمثلا في انحسار مفهوم العبادة في أعمال الصلاة والذكر . ان المريد أصبح يستقي الازكار - وعي عادة - من غير الكتاب والسنة .

هذا هو التصور الغالب على المسلمين في القرون المتأخرة ، وهذه هي حالتهم الغالبة ، لكن ذلك لا يعني أنه لم يوجد احد من المسلمين مخالفا لهذا الواقع يفقه المعنى الصحيح للعبادة ويسير عليه خاصة العلماء بل وجد من اعرض على هذه السخافات وشدة كابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وغيرهم من الفواكها في انكار هذه الانحرافات حتى تم  
 القرية المراجعة عشر

كما أن معظم الناس في القرون المتأخرة برغم هذا الانحراف لم ينقطعوا عن الدنيا بل كانوا يملكون فيها ويسعون في الأرض إلا أنه كان ينتابهم شعور بالذنب لأنهم يرون أنهم لا يعبدون الله حين يقومون بذلك . لما رسخ في حسهم من أن العبادة لله تكون في الاكثار من الصلوات والاذكار . ونسوا أنهم حين يسعون في الأرض إنما يقومون بجزء من العبادة .

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " الزاريات : ٥٦

" هو الإنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " ( هود : ٦١ )

" هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من

رزقه " ( الملك : ١٥ ) .

وقعت هذه الانحرافات قبل قيام الدولة العثمانية ، وعندما سيطر العثمانيون ازداد الانحراف حتى أصبح في حسن معظم الناس أن العبادة نفسها هي ما يأمر به الاوليا - المزعومون - من البدع وهذا وقعت في شرك حقيقي . بما كان الجهلة - لا بل بعض العلماء - يارسونه من تقديس للموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضر ، بل وصل الأمر الى حالة أسوأ فقد كانت الجموع الحاشدة من الجماهير المسلمة الجاهلة يستغيثون بالسيد والولي حتى في حال الكرب والشدة .

قال الامام محمد بن عبد الوهاب :

" القاعدة الرابعة : ان مشركي زماننا اعظم شركا من الاولين ، لان

الاولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء ، ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى : " فاذا ركبوا فسي الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اناداهم يشركون - ليكفروا بما آتيناهم فسوف يعلمون " ١

وقال الاستاذ الغزالي : - بعد أن سرد حوارا بينه وبين أحد  
الذين يتعلقون بالموتى للتوسل بهم - " ان الخاصة الاولى في الاسلام  
أنه دين التوحيد المطلق . ويظهر أن بعض الناس تهبط طبائعهم دون  
ذلك فيجنحون الى الاوهام المجسمة لينشئوا علاقات معها تنمو على  
حساب التوحيد الخاص !

وقد يبا عندما هاجم التتار بغداد ، سمع بعض المغفلين من  
هو لا يقولون :

يا خائفين من التتار      لودوا بغير أبي عمر  
ولا أعرف أبا عمر هذا ، ولا قبره ، سواء كان صالحا أو طالعا ،  
فإن اللباز به لا يفني شيئا .  
وقد سقطت بغداد ، وأعمل السيف في رقاب الرعايا اللائذين  
به . . . . وكان بعض الحشاشين في القاهرة يستكثرون أن يحتلها الانجليز ،  
وفيها قبر فلان وفلان من الائمة ، ماذا دعى المسلمين حتى سرت بينهم  
تلك الخزعات ؟ فإذا شرحت عقيدة التوحيد في أدب وتيسير جاء من  
يتهمك بعداوة الصالحين " ١ "

( ١ ) ركائز الايمان : ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وانظر ما كتبه الجبرتي عن  
القصة المحزنة المخزية في المنزلة المقدسة التي كان يقدرها من  
يسمى الشيخ عبد اللطيف ، والتي ذهبها الوالي وقد سماها طعاما  
له ولا تباعه وحاشيته ثم بكت الشيخ ونهكم به : ١ / ٤٠١ -

٢ - أما عن الانحراف في مفهوم التوكل فيمكن القول بأن التوكل على الله كان هو الباعث للصحابة والتابعين على الجهاد والانطلاق والحركة في الارض لعمارتها بطاعة الله واقامة شرعه فكيف انحرفوا وانقلب هذا المفهوم الى تواكل ودعة وخمول في القرون المتأخرة من حياة المسلمين ؟

لا يمكن أن نعرف ذلك الا اذا عرفنا معنى التوكل الحقيقي والمعين الذي نأخذه ونستنبط منه نحن المسلمين مفاهيمنا - هما القرآن والسنة النبوية فماذا في القرآن والسنة ؟

يقول الله تعالى : " وشاؤوهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله . . " ( آل عمران : ١٥٩ ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه عمر بن الخطاب : " لو انكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا " ١

فالأية ترشد الى أن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى المؤمنين برسالاته أن يتشاوروا فيما بينهم فاذا عزم القائد - يعمل الاسباب - فليتوكل على الله في حصول النتيجة .

والحديث واضح الدلالة على هذا المعنى ايضا فالطير تغدو وفي الصباح الباكر ضامرة من الجوع وتأتي مساء شيعى فهي تسمى في ارض الله لطلب الرزق فيحصل لها ذلك . فعلى المؤمن أن يسعى في طلب الرزق

( ١ ) أخرجه احمد في مسنده : ٣٠ / ١ ، والترمذى في سننه : ٥٥ / ٢ . وابن ماجه في سننه : ٤١٦٤ ، والحاكم في المستدرک : ٣١٨ / ٤ .

بأسباب يتوصل بها الى ذلك ، ويتوكل على الله في حصول النتيجة فقد يسعى الانسان لعمل ولا يفيد منه وذلك لان الله قدر له أن لا يفيد رزقاً من هذا العمل وكذا طالب العلم قد يفوجه الى دراسة علم من العلوم ولكنه لا يوفق فيه لأن الله قدر له أن يوفق في علم آخر وهكذا ، فإن الأسباب لا تؤثر في المسببات ولكنها وسيلة لحصول السبب .

وقد فهم السلف الصالح هذا الفهم السليم .

فقد بكت عربن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد ، فذمهم " قال معاوية بن قرة : لقي عربن الخطاب ناساً من أهل اليمن ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال : بل أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ، ثم يتوكل على الله " . " ١ "

ولهذا لما فهم اعرابي - التوكل فهما خاطئاً فلم يعقل ناقتيه بل تركها عند باب المسجد بلا عقل فهربت - قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " اعقلتها وتوكل " فقد ارشده الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعمل السبب الذي يكون به في الغالب حفظ الشيء ويتوكل على الله في النتيجة .

هذا ما فهمه السلف رضوان الله عليهم في التوكل ، ولكنه خلف من بعدهم خلف من متصوفة القرون الأخيرة ، ومن الجهلة المتبعين لهم فانقلب التوكل عندهم الى تواكل سماه بعضهم يقينا وسماه آخرون قناعة " والكل مخفي " في هذا الفهم . ومن المؤسف حقاً أن يكون تصور بعض العلماء الذين يشار اليهم بالبنان هذا التصور الخاطي . يقول ابو حامد

الغزالي في شرح مقامات التوكل في ملابسة الاسباب مايلي :

" والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات : ( الاول )

مقام الخواص ونظرائه ، وهو الذى يدور في الهوى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعاً وما فوقه ، أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شي من ذلك ، فإن الذى يحمل الزاد قد يفقد الزاد ويصل بغيره ويموت جوعاً ، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده .

( المقام الثاني ) : ان يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ، ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة ، معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق ، فإن ذلك من الاسباب الجالبة ، الا ان ذلك لا يطل توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد لا يصل رزقه اليه لا الى سكان البلد ، ان يتصور أن يقلل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتمريفهم وتحريك دواعيهم .

( المقام الثالث ) : أن يخرج ويتكسب اكتساباً على الوجه الذى ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب . . . " ١ )

( ١ ) احيا علوم الدين : ٢٦٨ / ٤ . وهذا الترتيب من الغزالي يجعله المقام الاول هو مقام الخواص من الناس والمقامات الثانية هي لعامة الناس يشعر بفهم منحرف لمعنى التوكل فالناس في التعامل مع ربهم سوا .

وقال فيه كلاما حسنا . . . واذا علمنا أن الفزالي رحمه الله قال هذا الكلام وجحافل الجيوش الصليبية في حملتها الاولى تدك معازل المسلمين ادركنا مدى الانحراف في الفهم الذي وقع فيه حتى العلماء ، بل قال ببعض مشائخ المتصوفة : " لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار مغلقة مخافة اللصوص " ١

ويقول الامام ابن تيميه :

" . . . فكل ما أمر الله به عباده من الاسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى : " . . . فاعده وتوكل عليه " وفي قوله : " هَلْ هُوَ رَبِّيَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ " وقول شعيب عليه السلام " عليه توكلت وإليه انيب " . ٢

ويقول الدكتور حسن الترابي في نقد الفهم الخاطي للتوكل كلاما حسنا هذا نصه :

" . . . فالتوكل شعبة من شعاب الايمان تهبط المؤمن في واقع الدنيا لحياة عامرة بضروب العمل الصالح مقهمة بوجوه الخير وفقاً لتوجيهات الشريعة وحدودها وهو لذلك ايجاب لا سلب يدفع للاقوام لا للقعود .  
وينبغي لذلك أن تنفى عن عقيدة التوكل الصحيحة بعض التصورات الواهمة التي انحدرت اليها معتقدات العامة من بعض المسلمين ، فقد أخذوا من التوكل معنى التعطل ومن القضاء والقدر معنى الجبر المحتوم فانتهوا الى الخنوع والقعود عن محاولة التأثير الفعال في الحياة اعتذاراً

( ١ ) التصوف بين الحق والخلق : ٤٣ .

( ٢ ) العبودية : ٧٣ .

بأن القدر جاء على وجهه المكتوب بهما فعلوا واتكالا على أن الله سيدبر لهم الخير مهما تركوا .

والحق أن اقدار الله هي أسباب الطبيعة وقواها وما الانسان بقوة الا بعضاً منها ولكنه مدعو . ومدعوهم بسلطان من الله - الى تفهم تلك الأسباب واقحام جهده فيها وتسخيرها بعضها على بعض . ولا يملك الانسان أن يغير السنن والأسباب المقدرة وإنما يحاول أن يرتب التفاعل بينها لئلا نشيجة يبتغيها ، فإن أصاب في محاولته وأدرك مبتغاه كانت النتيجة من كسبه هو بهذا الوجه ولكنها في الحقيقة الكلية من قضاء الله خالق الكائنات - انسانا وما سواه وفقد قواها وقاضي مصائرهما ، وليس التوكل أن يزهد الانسان في العلم والعمل بدعوى التفويض الى الله ان لا يترتب على ذلك سوى أن تجري معادلات الأسباب وتفاعلاتها بممزل عن تدخله وتستقر عند نتائجها المقضية بسنن الله واوامره . وانما يعني التوكل ثقة الانسان بالله ومن ثم الاستعانة بما يوقن به من حقائق الايمان وما يتعلمه من قواعد الشريعة ليزداد تفهماً للسنن الكونية ودراية بالمسالك الموعودة الى ما يتحقق من الخير " ١ "

ومنذ أن فهم المسلمون في العصور الاخيرة هذا الفهم الخاطي \* للتوكل الذي أصبح اتكالية وتواكلاً غطوا في نوم عميق ولم يستفيقوا الا على زحف المؤتية الغربية مثلة في الاستعباد الغربي للعالم الاسلامي - وهي تدمر معاقلهم . وفوجي \* المسلمون بذلك مفاجأة أنه هلتهم عن أنفسهم

( ١ ) الايمان وأثره في حياة الانسان : ٤٣ ، ٤٤ ، وانظر مقالته

شارح العقيدة الطحاوية : ٣٠١ .



وزلزلت ايمان بعضهم بدينهم . ذلك الايمان الذي كان خاملا مدة طويلة من الزمن حتى اعتقد بعض المسلمين أن الدين الاسلامي وعقيدة القضاء والقدر والتوكل على الله هي سبب تأخر المسلمين وجهودهم . ذلك لانهم عاشوا في مجتمع لا يعرفون فيه من شعائر الدين الا ما خطه لهم مشايخ الطمسوق الصوفية المنتشرة في العالم الاسلامي - من الصلوات والاوراد - غير المشروعة في غالبيتها . كما انهم لا يعرفون من قواعد الايمان واركانه الا ان يرضى كل مسلم بما كتب له - حسب المفهوم المنحرف للقدر - كما أنهم باسم الزهد في الدنيا والاستسلام ( الدليل للفقر والذل - بحجة الايمان بالقدر والتوكل على الله - تفهقروا أمام الزحف الاستعماري للدول الأوروبية وضاع كيانهم السياسي والفكري والعلمي .

#### الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر :

لمعرفة كيف انحرف المسلمون في فهمهم للايمان بالقدر وما هو المسار الذي ساروا عليه في هذا الانحراف ؟ لابد من معرفة التصور الصحيح للايمان بالقدر .

يقول الامام ابن تيمية :

" والقدر يؤمن به ، ولا يحتج به ، بل العبد مأمور أن يرجع الى القدر عند المصائب ، ويستغفر الله عند الذنوب والمعاصي كما قال تعالى : " ٤٠ - ٥٥ . فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك " ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت بأكله من الشجرة ، فذكر له آدم " ان هذا كان مكتوبا قبل أن اخلق ،

فحج آدم موسى \* كما قال تعالى : \* ٥٧ : ٢٢ ما أصاب من مصيبة  
في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله  
يسير \* وقال تعالى : ( : ٦٤ : ١٢ ما أصاب من مصيبة الا بإذن الله  
ومن يؤمن بالله يهد قلبه \*

وقال بعض السلف : هو الرجل تضييه المصيبة فيعلم أنها من  
عند الله فيرضى ويسلم .

فهذا وجه احتجاج آدم بالقدر ، ومعان الله أن يحتج آدم ، أو  
من عودونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر فإنه لو ساغ هذا الساغ  
أن يحتج ابليس ومن اتبعه من الجن والانس بذلك ، ويحتج به قوم نوح  
وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والعصيان ، ولم يعاقب ربنا أحداً ، وهذا  
ما يعلم فساده بالا ضطرار شرعاً وعقلاً .  
فإن هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء ، فإن طرده يوجب أن  
لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه .

\* وهذا المحتج بالقدر : لو جنى عليه جان لطالبه ، فإن كان  
القدر حجة فهو حجة للجاني عليه ، والا فليس حجة لا لهذا ولا لهذا .  
\* ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا : لم يكن للناس أن يعيشوا ،  
ان كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه ولا  
يمكن اثنين من أهل هذا القول ان يعيشا ، ان لكل منهما أن يقتل الآخر ،  
ويفسد جميع اموره محتجا على ذلك بالقدر \* . " ١ "

( ١ ) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

ولم يكن الايمان بالقدر يعني ترك العمل بالاسباب ، لأن الله  
 قدر الاشياء بأسبابها يوضح ذلك الامام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول :  
 وهو - يعد قاعدة عظيمة في هذه القضية - " . . . وبين صلى الله عليه  
 وسلم أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر فقيل له : " رأيت  
 رقى تسترقى بها ؟ وتقي نتقي بها ؟ وأدوية ندادى بها هل ترد من  
 قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله

" فالالتفات الى الاسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات ، شرك  
 في التوحيد وسعوا الاسباب أن تكون اسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن  
 الاسباب المأمور بها قدح في الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدا  
 على الله ، لا على سبب من الاسباب ، والله ييسره من الاسباب ما  
 يصلحه في الدنيا والآخرة . . . " ١

وقد أدرك أحد المستشرقين الألمان - للأسف - على كفره ، الفرق  
 بين الايمان بالقدر كما فهمه السلف ، والذي جعلهم أمة فاعلة في الارض  
 نشرت لواء الاسلام فوق ثلثي المعمورة في ذلك الوقت ، وبين ايمان الخلف -  
 - الذين أثر فيهم المتصوفة - بالقدر . قال :

" . . . ان طبيعة التدين هي شعور بقوة غيبة مقدسة لها  
 سلطان على المتدين تخضعه لطاعتها وتوجهه حسب إرادتها ، فالمتدين  
 يتلقى الاوامر وينفذها دون اعتراض ، بل يحاول التقرب الى هذه القوة  
 بتنفيذ ما سنه من شرائع وما أوحته به من سنن ، ولم تبلغ درجة هذه الطاعة

والخضوع في الأديان - ربما في الأديان كلها - قوة ما بلغته في الإسلام ،  
( فكلمة الإسلام تعني الاستسلام ) فطبيعة المسلم التسليم لإرادة الله  
والرضا بقضائه وقدره والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار ،

" وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان : ففي العصر الإسلامي الأول  
لعبت دوراً كبيراً في الحروب إذ حققت نصراً متواصلاً ، لأنها دفعت فسي  
الجندي روح الفداء . . . وفي العصور الأخيرة كانت سبباً في الجمود  
الذي خيم على العالم الإسلامي ، فقفز به إلى الانحدار وعزله وطواه  
عن تيارات الأحداث العالمية . " ١

وهذا النص يوضح أن الذنب هو ذنب المعتقدين لا ذنب العقيدة  
فالعقيدة واحدة ومع ذلك أدت إلى اثرين مختلفين بسبب حسن الفهم فسي  
العصور الأولى ، وسوء الفهم في العصور الأخيرة ،  
ولقد تنبه إلى هذا المروصاع في شعر جميل الشاعر الإسلامي  
محمد اقبال إذ قال :

من القرآن قد تركوا المساعي وبالقرآن قد ملكوا الثريا  
إلى التقدير ردوا كل مسمى وكان زماهم قد راخفيا ( اوحقيا )  
تبدلت الضمائر في أسرار فما كرهوه صار لهم رضى " ٢  
ومعنى هذه الأبيات أن المسلمين قد احتجوا في عصورهم الأخيرة  
بالقرآن في ترك السعي والعمل زاعمين أن ما قدر للانسان سيكون حتى لو  
لم يعمل ، وقد ملك آجدادهم الشريا بالعمل بالقرآن والاحتجاج به ،

( ١ ) الإسلام قوة اللغز العالمية : ٧٧ ، ٧٨ .

( ٢ ) ضرب الكلم : ٩ .

ذلك أن عزم أحدادهم كان قدرا من أقدار الله .  
ولا ريب أن كل ما أصاب المسلمين من ذل وهزائم حسية ومعنوية  
- كان بقدر الله الذي لا تخفى عليه خافية ، العالم بما كان وما سيكون ،  
لكن المسلمين في العصور المتأخرة حرفوا هذا المفهوم فجعلوا من الإيمان  
بالقدر مبرراً لعجزهم وانهميارهم ، غافلين عن حقيقة أولية ثابتة من حقائق  
الإيمان وهي أن أقدار الله تجري عليهم وعلى البشر وفق سنن ثابتة سننها الله  
جل وعلا وأوضحها في القرآن ، فالمسئولية مسئولية المسلمين وعندهم .  
وبعد أن وصل المسلمون الى هذا الحد من الانحراف في التصورات  
الإسلامية للطاعة والاشباع ، والعبادة ، والتوكل والقضاء والقدر ، أصبح من  
السهل أن يقال للناس إن هذا الدين لا علاقة له بالحياة ، وإنما هو رابطة  
تربط قلب الإنسان بربه ليحجوا في الآخرة ، أما في هذه الدنيا فليس له  
علاقة بها ، وليس من شأنه أن يهيمن عليها . وكان هذا هو المنفذ الذي  
تسربت منه العلمانية كاحدى مظاهر الغزو الفكرى للعالم الاسلامي .  
وهكذا انتقلت الفكرة العلمانية - وهي فكرة أجنبية - الى العالم  
الاسلامي ووجدت المناخ مناخاً مناسباً بما وصلت اليه الحالة الفكرية  
والعلمية والسياسية من الوضع السيئ المنحط .  
والحق أن انتقال هذه الفكرة الى العالم الاسلامي ما كان ليحدث  
لولا أن المسلمين كانوا مصابين بما أسماه المودودي رحمه الله بـ " قابلية  
الاستعباد " وما أسماه مالك بن رحمته الله بـ " قابلية الاستعمار " .  
يؤيد هذا ، ان الامة الاسلامية تعرضت لغزوتين شرستين هما :  
الغزوة الصليبية والتتري . ومع ذلك لم تخنق الامة الاسلامية للامم  
الغالبة ، ولم تقتبس من مناهجهم ونظمهم شيئاً بل التاريخ ويحدثنا أن

الحروب الصليبية كانت إحدى معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا كما يحدثنا التاريخ أن المفل قد اعتنقوا الإسلام ولم يحدث في تاريخ البشر أن اعتنقت الأمة الغالبة دين الأمة المغلوبة ، وماذا لا الآن المسلمين لم يكونوا قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الانحراف الذي وصلوا إليه في القرون الأخيرة . وبعد أن عرفنا شيئاً عن الانحراف الذاتي للمسلمين وهو عامل حاسم في التهيئة لانتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي ننتقل إلى بيان أثر عامل آخر في نقل العلمانية إلى العالم الإسلامي ألا وهم " ماعد من المفكرين تأثروا بالفكر العلماني الغربي شعوراً أم لم يشعروا " .

ب- مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي :  
 سوف أستعرض في هذه الفقرة من هذا الفصل آراء وأفكار مجموعة  
 من الكتاب الاوائل الذين عاشوا في الفترة من ١٢١٦ هـ الى ١٢٤٣ هـ  
 ( ١٨٠١ م - ١٩١٦ م ) وسوف يتضح من هذا الاستعراض مدى تأثير  
 أفكار هؤلاء الاشخاص في انتقال الفكر العلماني الى العالم الاسلامي ، وأن  
 كان أغلبهم لم يقصد الى ذلك وإنما كانت آراءهم وأفكارهم التي سطروها  
 ردود أفعال معينة لاجداث عاصروها خاصة الاجداث السياسية ، وللحالة  
 الاجتماعية السيئة التي يعيشها المسلمون في تلك الفترة ، ولحالة الركود  
 العلمي والفكري التي سيطرت على العالم الاسلامي في القرون الاخيرة من  
 الخلافة العثمانية ما تسبب عنه الجهل المطبق في علوم الشريعة وغيرها  
 من العلوم النافعة ، فإذا أضيف الى ذلك ما رآه المتقدمون من هؤلاء الكتاب  
 من طريق المدنية الغربية وقرب عهد أوروبا بالثورات التي غيرت وجه أوروبا  
 ونقلتها من عهد الى عهد جديد فعاير للعهد الاول - خاصة الثورة  
 الفرنسية اللادينية التي كان لليهود كما سبق أن ذكرناه الدور الكبير في  
 قيامها ، خاصة من سافر منهم الى أوروبا كالطهطاوي وخبر الدين التونسي -  
 أدركنا الأثر الذي كان لهؤلاء المفكرين في العالم الاسلامي .

أما رفاعه الطهطاوي ( ١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ) ( ١٨٠١ -  
 ١٨٧٣ م ) فقد أقام في باريس خمس سنوات موفداً لرافقة البعثة المصرية  
 الاولى الى فرنسا والتي بعثها محمد علي باشا لدراسة هناك وقد درس في  
 باريس .

وأما الآخر وهو خير الدين التونسي ( ١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ )  
 ( ١٨١٠ - ١٨٩٠ م ) فقد أقام في باريس أربع سنوات ( ١٨٥٢ -  
 ١٨٥٦ ) " ١ "

يقول عنهما الدكتور محمد محمد حسين مايلي :

" نستطيع ان نجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة ، هي صدى  
 لتفكير القرن الثامن عشر في أوروبا ، وفي فرنسا الشائنة بوجه خاص ، وهي  
 آراء تظهر للمرة الاولى في المجتمع الاسلامي ، ربما ردا لها عن حسن قصد  
 دون أن يسبرا اغوارها البعيدة أو يتعمقا حقائقها ، ولكنهما على كل حال  
 قد وضعوا البذور التي تعدها من جاء بعدهما بالسقي والرعاية حتى نمت  
 وضربت جذورها في الارض . وربما عرضت بعض هذه الآراء عرضا سريعا  
 عاجلا قد يبدو ضئيل الخطر ولكن أهمية الطهطاوى وخير الدين ترجع الى  
 أنهما قد جلبا هذه البذور الغربية والقيهاها في التربة الاسلامية " ٢ "

ويرى الدكتور محمد محمد حسين أن الكلام عن الوطن والوطنية  
 بالمعنى القومي الحديث في أوروبا ، والاهتمام بالتاريخ القديم لتدعيم هذا  
 المفهوم الوطني الجديد ، والحديث عن الحرية بوصفها الأساس في نهضة  
 أي أمة ، والدعوة الى وضع مدونة فقهية واضحة محدودة ، في صورة موا  
 قانونية ، على نمط المدونات القانونية الاوربية ، ونقل النظريات الثورية  
 التي تريد مناقشة الحكم فيما عليهم من واجبات وتبصر الشعوب بما لهم من

( ١ ) الاسلام والحضارة الغربية : ١٧ .

( ٢ ) نفس المصدر : ١٧ .



حقوق ، والعرض للنظم الاقتصادية الغربية القائمة على المصارف والشركات ، عرضاً مجرداً أحياناً من التعليق ، ومشوباً بالإعجاب والتساؤل عن امكان تطبيقه بين المسلمين أحياناً أخرى ، وكذا الحديث عن المرأة وما يتعلق بها من تعليم ، ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين كل ذلك نجد له لدى هذين المفكرين ونجد انهما أول من طرق هذه الموضوعات في العالم الاسلامي . "١"

وجاء في كتاب " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي " عن خير الدين مايلي :

انه " . . من المصلحين الذين تأثروا بجاذبية الثورة الفرنسية واقتنعوا بأن على الشرق أن يغير أساليب الحكم الاستبدادي الذي جرى عليه " ٢ "

والآن سوف أستعرض جملة من الآراء لهذين المفكرين ثم أعقبه باستعراض جملة من آراء المفكرين الآخرين .

يقول الشيخ رفاة الطهطاوي عن الوطن والوطنية وحب الوطن مايلي :

" فابن الوطن المتأصل ، أو المنتجع اليه ، الذي توطن به واتخذه وطناً ينسب اليه تارة والى اسمه فيقال : مصري ، والى الاهل فيقال : أهلي والى الوطن فيقال : وطني ، ومعنى ذلك أنه يتمتع بحقوق بلده ، واعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأهيلية ،

( ١ ) المصدر السابق : ١٢ ، ١٨٠ .

( ٢ ) الأعلام : ٢ / ٣٢٧ هامس

ولا يتصف الوطني بوصف الحرية الا إذا كان منقاداً لقانون الوطن  
ومعينا على اجرائه . فانقياده لأصول بلده يستلزم ضمنا ضمان وطنه لئلا  
التمتع بالحقوق المدنية ، والتميز بالمزايا البلدية ، فبهذا المعنى هو  
وطني وبلدى . . . " ١ "

وقال أيضا :

" . . . فحضر تعصب الانسان لدينه لا ضرار ، غير أنه لا يعد الا  
مجرد حمية وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو  
المحبوب المرغوب " ٢ "

" ان الاخوة في الانسانية تلزم عادة الله . . . ثم إن أخوة  
العبودية التي هي التساوى في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم  
على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي  
الاخوة الاسلامية وهي اكتساب ما يصير به المسلمون اخواناً على الاطلاق " ٣ "

" فجميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على أعضاء الوطن  
في جميع حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن  
الاخوة الدينية فيجب أرباباً لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين  
الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثروته ، لان  
الفنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية ،  
وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لانتفاعهم جميعاً بحرية النخوة  
الوطنية . . . " ٤ "

( ١ ) الاعمال الكاملة : ٤٣٣ / ٢ .

( ٢ ) مناهج الالباب المصرية : ٤٠٦

( ٣ ) المصدر نفسه . : ٤٠٦

( ٤ ) المصدر نفسه : ٩٩

فإذا أردنا تقديم تقويم منصف لهذه الافكار التي تضمنتها النصوص السابقة فإننا نلاحظ أن الطهطاوى قد حدد الوطن بتحديد جديد لا عهد للمسلمين به منذ بزوغ فجر الاسلام - ان حده بقطعة من الارض كمصر أو الشام - كما يرى أن الرجل لا يعد وطنيا الا اذا انقاد لقانون الوطن وكان معينا على اجرائه دون أن يفرق بين القانون الصحيح والفاسد . فكأنه بهذا غفل عن ماورد في القرآن من تسفيه لقوانين أهل مكة الجاهلية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكأنه غفل عن وصم القرآن أهل مكة بالجاهلية رغم أنهم أهل وطن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل انه غفل عن ما جاء في القرآن بشأن عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب وهو من أهله وأقرب الناس اليه . كما أنه غفل عن التاريخ الاسلامي فالمستعرض لتاريخ المسلمين لا يجد أن مؤرخا من المؤرخين المسلمين استخدم كلمة وطن بل كان الاصطلاح الاسلامي المتعارف عليه بين علماء الشريعة ومؤرخوا الأمة هو تقسيم بلاد الله الى دار اسلام ودار حرب . فدار الاسلام هي كل بلد تقع تحت حكم المسلمين وتطبق فيها شريعة الله . ودار الحرب هي كل بلد تقع تحت حكم طواغيت الارض ولا تطبق فيها شريعة الله .

والطهطاوى في هذه النصوص يدعو الى الاخوة الانسانية ويرى وجوب التساوى بين ساكني أهل المملكة ، ويرى أنه يجب على أعضاء الوطن بعضهم على بعض جميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن لأنه يجمعهم وطن واحد لذا فإنه يرى أن من الواجب لمن يجمعهم وطن واحد أن يتعاونوا على تحسين الوطن واكمال نظامه بالسوية لانهم منتفعون بعزبة النخوة الوطنية .

ولو أن الطهطاوى كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة لعلم

ان الله سبحانه وتعالى فرق بين من يؤمن بالله ويخلص دينه له ، وبين من يشرك مع الله غيره ، ولقد كان ممن وصمهم الله بالشرك النصارى واليهود .  
والاسلام مع ذلك قد كفل للنصارى واليهود من أهل الذمة - الحقوق الانسانية وألزمهم بأشياء مقابل هذه الحقوق وهي ما تعرف عند مفكرى الاسلام بحقوق أهل الذمة - ، ولو انه رحمه الله كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وفقه فقهاء المسلمين لهذه النصوص لعلم أن النصارى في تلك الايام عاشوا عيشة هنيئة لم يظلموا فيها ماداموا موافقين للحقوق الواجبة عليهم للدولة الاسلامية .

ويقول في نس آخر مايلي :

" . . . ومن زاول علم اصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، جنم بأن جميع الاستنباطات العقلية ، التي وصلت عقول أهالي باقي الام المتمدنة اليها ، وجعلوها أساساً لوضع قوانين تدنهم واحكامهم ، قل أن تخرج عن تلك الاصول التي ينبت عليها الفروع الفقهية ، التي عليها مدار المعاملات . فما يسمى عندنا بأصول الفقه يشبه ما يسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية . وهو عبارة عن قواعد عقلية ، تحسنا وتقبيحا ، يؤسسون عليها أحكام المدنية . وما نسميه بالعدل والاحسان يصيرون عنه بالحرية والتسوية . وما يتمسك به أهل الاسلام عن محبة الدين والتولع بحمايته ، مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة ، يسمونه محبة الوطن " (١)

ثم يقول :

" . . . ولما كانت أعمال كل نوع من أنواع المخلوقات وكل عضو من أعضاء فرد ذلك النوع منقادة لنواميس طبيعية عمومية خصته به الحكمة الالهية لم كان لا يمكن مخالفة هذه النواميس بدون اختلال للنظام العليم والخاص ، وهذه النواميس الطبيعية التي خصت بها العالم القدرة الالهية عامة للانسان وغيره . . . "

" . . . فينبغي للانسان أن لا يتجارى على هذه الاسباب ويتعدى حدودها حيث ان المسببات الناتجة عنها منتظمة محققة . . . "

" . . . وأغلب هذه النواميس الطبيعية لا يخرج عنها حكم الاحكام الشرعية ، فهي فطرية خلقها الله سبحانه وتعالى مع الانسان وجعلها ملازمة له في الوجود ، فكأنها قالب له نسجت على منواله وطبعت على مثاله وكأنما هي سطرت في لوح فؤاده بالهام الهى بدون واسطة ، ثم جاءت بعد هذا شرائع الانبياء بالواسطة وبالكتب التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهي سابقة على تشريع الشرائع عند الام والبل ، وعليها في أزمان الفترة تأسست قوانين الحكاء الاول وقدماء الدول وحصل منها الارشاد الى طرق المعاش في الازمنة الحالية كما ظهر منها التوصل الى نوع من انتظام الجمعيات التأسيسية عند قدماء مصر والعراق وفارس واليونان وكل ذلك من لطف الله تعالى بالنوع البشرى حيث هداهم لمعاشهم بظهور حكماء فيهم يقتنون القوانين المدنية لاسيما الضرورية لحفظ المال والنفوس والنسل . . . " (١)

ويمكننا أن نستنتج من النص السابق مايلي من الأفكار :

- ١ - أن الطهطاوى - رحمه الله - يشبه أصول الفقه الاسلامي المستنبط من نصوص القرآن والسنة بما وصلت عقول <sup>البر</sup> الاوربيين بعيداً عن أحكام الشرائع المنزلة من عند الله ، وهذا خطأ بين ، فلا شك أن اصول الفقه لا يشبه شيئاً من القواعد التي توصل اليها الاوربيون بعقولهم بعيداً عن شرع الله .
  - ٢ - قياسية محبة الدين والعمل على حماية أهله على ما عند الاوربيين مما يسمونه محبة الوطن والحق أن محبة الدين أو الفكرة التي يؤمن بها الانسان تجعله يهجر وطنه - مسقط رأسه - من أجل ذلك ووقائع التاريخ خير شاهد على ذلك .
  - ٣ - يرى الطهطاوى أن الاسباب لا بد أن تنتج مسبباتها . والواقع أن هذا خطأ واضح فالأسباب لا تنتج بالضرورة مسبباتها ان قد يتخلف عنصر من العناصر المساعدة على تحقق المسبب فلا يتحقق .
  - ٤ - يرى أن النواميس الطبيعية - وهي القانون الطبيعي عند فولتير - لا تخرج احكام الشريعة عنها وهي مسطرة من فؤاد كل فرد بالهام ، وأن هذه النواميس الطبيعية سابقة على شرائع الأنبياء ، وأن على هذه القوانين تأسست قوانين الدول القديمة في حفظ المال والنفس والنسل وهو بهذه الافكار يقرب من أفكار فولتير وفي ذلك ما فيه من خطورة على المجتمع المسلم .
- ويقول عند الحديث عن الدستور الفرنسي - بعد أن تحدث عن الدولة وما يتألف منه الدستور ، وأن ملك فرنسا غير مطلق التصرف - يقول :

" والكتاب المذكور فيه أمور لا ينكر ذوو العقول أنها من باب العدل الذى فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاتينية ورقة ، ثم تسومح فيها ، فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة ، فلنذكره لك وان كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير التمالك وراحة العباد ، وكيف انتقدت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلماً ابداً ، والعدل أساس العمران . " ١

والطهطاوى يعلم أنه يخاطب بهذا النص وبكتابه المسلمين ، ومع ذلك فهو يذكر قانون فرنسا المسمى شرطه مع علمه بان غالب ما فيه كما يقول مخالف لما في الكتاب والسنة ، فكيف سوغ لنفسه أن يذكر ذلك القانون وان يثني عليه .

لا ريب ان هذا السلوك منه - <sup>على</sup> ~~وهو~~ <sup>هو</sup> ~~القانون~~ <sup>القانون</sup> ~~المخالف~~ <sup>المخالف</sup> لما في القرآن والسنة - أثر من آثار الفكر العلماني الاوربي على الطهطاوى عرف ذلك أو لم يعرفه .

ويقول الدكتور محمد حسين تعليقا على النص السابق :

" وبذلك مهد الطهطاوى ، من حيث يدرى أو لا يدرى ، لقبول التشريع الوضعي الذى يستند الى العقل - على قصوره ، وعلى مخالطة الشهوات له . " ٢

( ١ ) تخليص الابريز في تلخيص باريز : ١٤٠

( ٢ ) الاسلام والحضارة الغربية : ٣١ .

وفي ختام حديثي عن الطهطاوى - رحمه الله - أذكر ما قاله الدكتور عزت قرني - بعد أن قدم تقويماً عاماً لآراء الطهطاوى قال :

" . . . هذه الافكار الجديدة هي أفكار الثورة الفرنسية ( ١٧٨٩ )

كما عد لها دستور ١٨١٨ الذى صممه في عهد الملك لويس الثامن عشر وكما انتقدها وأكدت عليها ثورة ١٨٣٠ في فرنسا ، وهي التي إنتهت باعتلاء الملك لويس فيليب عرش المملكة ، والتي رأى احناشها رأى العين فتاناً القابه المنتبه وقد عرضها " تخليص الابريز " على الخصوص في الفصل الذى خصه بعنوان : " في تدابير الدولة الفرنسية " وهو الثالث من المقالة الثالثة . . " ١ "

هذا فيما يتعلق برفاعة رافع الطهطاوى ، أما خير الدين التونسي فسوف أذكر له عدة نصوص :

قال :

" انه قد جمع في كتابه ماتيسر له من مستحدثات الاوربيين المتعلقة بسياستي الاقتصاد والتنظيم " ، مع الاشارة الى ما كانوا عليه من المهدد القديم ، وبيان الوسائل التي ترقوا بها في سياسة العباد الى الغاية القصوى من عمران البلاد . . . والفرضي من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الاوروبية الى ما هي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية أن تتخير منها ما يكون بحالنا لائقاً ، ولنصوص شريعتنا مساعداً وموافقاً ، عسى ان تسترجع به ما أخذ من أيدينا ، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا " . " ٢ "

( ١ ) العدالة والحرية : ٣١

( ٢ ) أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك : ٣ - ٥ .



وقال في موضع آخر :

" ... هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعدادات المشار اليه بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهدة عند غيرنا ، وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي لشاهدنا عند غيرنا من الناس ، على دعائمي العدل والحرية ، اللذين هما اصلان في شريعتنا ، ولا يخفى انهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك ؟ " (١)

في النص الاول يذكر التونسي انه قد جمع ما يتيسر له من ما استحدث في أوروبا من النظم الاقتصادية والتنظيم ( اي النظم السياسية ) وهي التي يرى انهم ثرقوا بسببها الى الفاية القصوى من عمران البلاد ، وهو يريد أن يأخذ المسلمون بما يكون بحالهم لائقا .

والباحث المنصف اذا أراد ان يعرف ماهي النظم الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر فإنه سيجد أن النظم الاقتصادية السائدة في ذلك العصر هي النظم الاقتصادية الرأسمالية بزعامة آدم سمت ( ١٧٩٠ م ) ومالتوس ( ١٨٣٤ م ) وبريكاردو ، وهو نظام قائم على الربا والاحتكار وعلى تفسير لاديني للحياة . أما المذاهب والنظم السياسية فإننا نجد أن المذاهب السائدة في السياسة في ذلك العصر هي مذاهب ونظريات كل من جان جاك روسو ( ١٧٨٧ ) الذي يعد كتابه " العقد الاجتماعي انجيل الثورة الفرنسية " وقد كانت افكاره من الارهاصات الفكرية للثورة الفرنسية ، ونجد " جون لوك " ( ١٧٠٤ ) .

فهو يريد التونسي أن يأخذ المسلمون بهذه الأفكار والنظريات  
وهي قائمة على أساس لاديني أم ماذا يريد ؟  
ويقول خير الدين في موضع آخر في بيان مقصده من كتابة الكتاب  
مايلي :

" لما كان السبب الحامل على الشيء \* متقدما عليه طبعاً ناسب  
أن نقدمه وضعاً ولم نكتف بالايهام في الخطبة الى مادعانا لجمع التأليف  
بل رأينا من المهم أن تعود الى اجيضاحه هنا ونبني عليه ما أردنا ايراده  
في المقدمة فنقول : ان الباعث على ذلك أمران آيلان الى مقصد واحد :  
احدهما : اغراء ذوي الغيرة والحنن من رجال السياسة والعلم بالتماس  
مايمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية ، وتنمية أسباب  
تمدنها ، بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان ، وتمهيد طريق الثروة ، من  
الزراعة والتجارة ، وترويج سائر الصناعات ، ونفي أسباب البطالة ، وأساس  
جميع ذلك حسن لامارة المتولد منه الامن ، المتولد منه الامل ، المتولد منه  
اتقان العمل المشاهد في الممالك الاورباوية بالعيان ، وليس بعده بيان .  
وثانيهما : تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين من تعاديهم  
في الاعراض عما يجحد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في  
عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السيرة والتراتب ينفي أن يهجر ،  
وتأليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر " .<sup>(١)</sup>

ثم يقول :

" وحيث تقدم بيان الادلة الكافية على وجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الاجنبي والمتوطين منها لكان كافياً في الدلالة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة . كان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة كافلة بتهديب الرعايا وتحسين احوالهم على وجه يزرع حب الوطن في صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم . . . " ١

يدعو التونسي هنا الى اصلاح ولكنه يرى أن سبيل ذلك هو أن نأخذ من أوروبا ما وصلنا اليه من تقدم في مجال الزراعة والتجارة ، وتوسيع دوائر العلوم والعرفان ، وهو يحذر المسلمين من اعراضهم عن الأخذ من أوروبا لمجرد انهم كفار .

والحق أن هذه الدعوة لها جانب ايجابي وجانب آخر سلبي ، فأما الجانب الايجابي فيتمثل في أن الاسلام يدعو ابنائه الى السعي للوصول بأنفسهم الى أرقى ما يمكنهم أن يصلوا اليه في الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، والدعوة الى الله . وذلك بالعمل الذاتي المنتج بأعمال أفكارهم لا صلاح حالهم على هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا لم يستطيعوا ذلك بأنفسهم فإن الاسلام أباح لهم أخذ ما يفيدهم من غيرهم من الأمم واشترط عليهم حسن الاختيار وحصرها في الوسائل المفيدة الموصلة الى الاهداف والغايات النبيلة التي يسمعون لها وهو تطبيق شرع الله على البشر كلهم ، ذلك لان " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن انا وجدها فهو احق بها " .

والله المصير لبايعه : ٥

أما الجانب السلبي في هذه الدعوة فهو يتمثل في دعوة التونسي الى تحذير المسلمين من إغراضهم عن أخذ ما يحد من سيرة الغير ، فإذا أردنا أن نعرف من هو هذا الغير فإنتا نجد أن هذا الغير هم الأوروبيون وعلى الأخص الفرنسيون المتأثرين بالثورة الفرنسية التي مازالت أفكارها اللادينية في السياسة والاقتصاد والاجتماع توج في الساحة ، وتسيطر على الافكار والدول الأوروبية .

وفي هذا النص ايضا يرد ذكر الوطن وحبه وقد سبق أن تكلمت عن هذا المفهوم بما أراه كافيا . وأضيف هنا أن أول مثل عرف عن استعمال كلمة وطن بمعنى سياسي كان - كما يقول برنارد لويس - في تقرير ( لمورلي الشيد على ) افندى السفير العثماني غي باريس في عهد حكومة المديرين . " ١ )

والتونسي يدعو في وضوح اكثر بالاخذ بالنظام السياسي الديمقراطي  
الغربي في نصوص أخرى . "٢"

(١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٥ .

(٢) أقوم بالاعتراف بضرورة السؤال <sup>الخاص</sup> ١٢ ١٤ ١٦ ٤٣

ويدعو الى الاخذ بنظام المصارف والشركات ويمثل بينك فرنسا  
وما فيه من الثروة العظيمة ، ويمثل أيضا بشركة الهند الانجليزية (المسماة  
بالغربية " ١ " )

ولعل الذى دعا الطهطاوى وخير الدين التونسي لما تقدم منهم  
من آراء أمور معينة يمكننا تلخيصها في الآتي :

- ١ - سوء الحال الذى وصلت الامة <sup>الى</sup> من الناحيتين السياسية ،  
والفكرية والعلمية فقد كانت الدولة العثمانية قد بدأ يسرى فيها  
الضعف بل ينخر فيها بسبب تأثر بعض حكامها بالثورة الفرنسية  
وأفكارها ، وكان الركود العلمي والفكرى هو الطابع المميز للدولة  
العثمانية في أواخر عهدها .
- ٢ - تأثرهما بأفكار الثورة الفرنسية خاصة أن الطهطاوى مكث في  
فرنسا خمس سنوات ( ١٨٢٦ - ١٨٣١ ) والتونسي مكث أربع  
سنوات ( ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ) وفرنسا لاتزال تضطرب وتسوج  
بأفكار الثورة الفرنسية اللادينية ، وهما قد قدما من بلاد الركود  
العلمي والفكرى . والضعف السياسي ولا ريب أن الانسان غالباً  
ما يتأثر بما يحصل في بيئته . فإذا كانت البيئة بيئة علم وفكر  
وقوة وعزة في السلطان السياسي فإن الغالب أن يخرج مفكرون  
ناضحو الافكار لا تكاد تلمس الانحراف الفكرى في أفكارهم ، وإذا  
كانت البيئة بيئة ركود علمي وفكرى وضعف في السلطان السياسي  
فإن الغالب أن يخرج من هذه البيئة مفكرون ضحلوا التفكير ، يمكن  
أن يتأثروا سوءاً شعروا أم لم يشعروا بأفكار الام الغالبة في هذا

المجال ، وهذا ينطبق الى حد كبير على أفكار وآراء هذان الشخصان وغيرهم ممن تعرض لا أفكارهم في هذا القسم من الفصل .

وأننتقل الآن الى نقل بعض النصوص التي تمثل أحد جوانب

فكر الأفغاني : يقول الأفغاني في الحديث عن الدين والعلم مايلي :

" ان الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فإن كان

ظاهره المخالفة وجب تأويله . وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير

من المرتدين برداء العلماء حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق

العلمية الثابتة ، والقرآن يرى ما يقولون والقرآن يجب أن يجلب عن

مخالفة العلم الحقيقي خصوصا في الكليات " <sup>١</sup> " وقد عجل بعضنا عن حقيقة  
وهو في الحقيقة لا يصح مزاج صيانة العلم احدى لطائف التي وهبها الله للإنسان كغيرها من الخصال  
أما تأويل النصوص لتوافق العقل فهو منهج قديم وحديث ،

في القديم سلك المعتزلة هذا المسلك وفي الحديث سلك جماعة من

علماء المسلمين على رأسهم الأفغاني ثم محمد عبده هذا المسلك متأثرين

بالفكر المعتزلي القديم والفكر الاوربي الحديث فقد دعا " جون لوك " .

اخضاع الوحي للعقل ، وكلا الفكرين الاعتزالي القديم والجديد متأثران

بالفكر الاوربي فقد تأثر المعتزلة بالفكر اليوناني .

ويقول الأفغاني عن الامة مايلي :

" ان الامة هي مصدر القوة والحكم . واردة الشعب هي القانون

المتبع للشعب والقانون الذي يجب على كل حاكم أن يكون خادما لـ

وأميناً " <sup>٣</sup> "

( ١ ) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : ١١٤ .

( ٢ ) تهافت العلمانية : ٢٦ .

( ٣ ) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٠٢ .

وهذا المفهوم - ان الامة هي مصدر القوة والحكم - أو مصدر السلطات والإرادة الشعب هي القانون المقنن للشعب وأنه يجب على الحاكم خدمته . مفهوم غربي وهو المفهوم الديمقراطي في الحكم الذي يرفع هذا الشعار وهو ترجمة لكلمة ديمقراطية " حكم الشعب للشعب ومن الشعب " أما المفهوم الاسلامي فهو أن الحكم لله وحده " إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ لَا تَفْعِلُوا إِلَّا الْإِيحَاءَ " والحكم لله يعني تنفيذ شريعة الله على الجميع وتساوى البشر كلهم كبيرهم وصغيرهم حاكمهم ومحكومهم امام شريعة الله . وليس للشعب أن يصدر قانوناً ولا للحاكم أن يصدر قانوناً فالشرع قد تكفل للناس ببيان كل ما يحتاجونه أما فيما يتعلق بالامور المادية فللبشر أن ينظموا شئونهم بشرط أن لا يكون فيها مخالفة لقاعدة من قواعد الشرع الحنيف .

ويقول عن الاشتراكية مايلي :

" . . . ودعوى الاشتراكية . . . وإن قل نصراؤها اليوم ، فلا بد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان أنه وأخصاه من طين واحد أو قسمة واحدة وأن التفاضل إنما يكون بالأفنع من المسمى للمجموع وليس بتاج أو ابتاج . . . " (١)

وقال قبل ذلك : - بعد ان نقد الاشتراكية الغربية - عن ما أسماه

بالاشتراكية في الاسلام مايلي :

" . . . اما الاشتراكية في الاسلام فهي ملتصقة بالدين الاسلامي ملتصقة في خلق أهله ، فقد كانوا أهل بدائة وجاهلية . أول من عمل بالاشتراكية بعد الدين بالاسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة ، وأعظم

المحرضين على العمل بالاشتراكية كذلك من أكابر الصحابة أيضا . . . " ١ " وهذا النص ينبي \* عن تأثر الافغاني بالفكر الغربي كما اوضح ذلك النص السابق الخاص بالامة وانها مصدر السلطات أيضا . وهذا ما تبعه عليه تلامذته ممن محمد عبده وغيره ، ولعل هذه المحاولة هي المحاولة الاولى للتقريب بين الاسلام والمذاهب الوضعية البشرية والافغاني هنا يتنبأ بأن الاشتراكية ستسود العالم وماهي هذه الاشتراكية - هي اشتراكية الاسلام الملتحمة مع الدين الاسلامي ، والتي عمل بها الخلفاء من الصحابة - وقد نسي الافغاني ان يضيف الى هؤلاء " ابا ذر الفقاري " الذي أضافه احد المؤلفين في كتاب له سماه " أبو ذر الاشتراكي " ورد عليه مؤلف آخر بكتاب أسماه " أبو ذر الزاهد " ٢ "

هذه المحاولات التقريبية بين الاسلام والانظمة البشرية تنبي \* عن الانهزام النفسي والروحي - كما يرى سيد قطب رحمه الله - امام هذه الأنظمة وبهرجها الذي يخلب بريقه الابصار فيفشيها عن النظر الصحيح . وهناك مفكر آخر كان له أثر فيما اعتقد - في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وإن كنت أعتقد أن ذلك كان عن غير قصد ذلك هو الاستاذ عبد الله النديم وسر \* أنقل عنه نصين اثنين يقول في أولهما مايلي :

" . . . يابني مصر ليعد المسلم منكم الى أخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييدا للجامعة الوطنية ، وليكن المجموع رجلا واحدا يسمى خلف شي \* واحد هو حفظ مصر للمصريين " ٣ "

- 
- ( ١ ) الاعمال الكاملة : ٤١٤ ، وخطرات الافغاني : ١٢٠ .
- ( ٢ ) مؤلف الكتاب الاول عبد الحميد جودة السحار ، ومؤلف الثاني محمد منير الفصيان .
- ( ٣ ) سلاقة النديم : ٧٨ / ٢ .



هذا النص واضح الدلالة في الدعوة الى الوطنية الضيقة التي دعا اليها الطهطاوى وأصدر من أجل ترسيخها أول ترجمة عربية لتاريخ مصر الفرعونية في أوروبا عام ١٨٣٨ ، وحاول عام ١٨٦٨ م كتابة تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي . "١"

وقد سبق آن فندت هذا المفهوم الوطني الغربي .  
ويقول في النص الثاني بعد أن تحدث عن حاجة الشرقيين الى نقد الافكار في الشؤون الاهلية وما وصلت اليه الام الغربية من ذلك ، وما استطاعت ان تفعله عن طريق الشورى - مايلي :

"... ولئن قيل إن التجارب دلتنا على أن الشورى لا تنجح في الشرق ، أو أن الشرقيين غير عقلاء كما يزعم محبو الاثره والانفراد بالتسلط ، قلنا : إن اتحاد الشرقي مع الغربي في الخلق يرد هذه الدعوى الباطلة ، وإنما ثابر الغربيون على العمل بالشورى وأخذوا يصنعون  
الاغاليط ويراجعون الخطأ ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات وتصورت المطالب امامهم بصور الواقعيات ، وما اوصلهم الا لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والاذكيا منهم ، حتى اضطر الاغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التي بها ترشحوا للدخول في الشورى ... "٢"

الاستاذ النديم يقرر في هذا النص أن ما هو حاصل في أوروبا في النظام السياسي هو الشورى ، والحق أن ما هو موجود في الغرب أمر آخر

(١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٧

(٢) الفكر العربي الحديث : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

غير الشورى يقوم على تصويت الافراد جميعا لا حزاب عدة تتصارع للوصول الى الحكم فإذا وصل حزب منها الى الحكم بالاغلبية كانت السيطرة لاجزاء الحزب الفائز في البرلمان . أما الشورى الاسلامية فهي على العكس من ذلك هي أخذ مشورة أهل الاختصاص كل في اختصاصه فيما يهم الأمة والمجتمع مما هو متعلق بالامور المادية وما كان من قبيل الوسائل ، ولا وجود للحزاب في الدولة الاسلامية لأنها تفرق المجتمع الى فرق شتى ، كما أن أعضاء البرلمان يشرعون ، وأعضاء الشورى لا يشرعون فالتشريع من عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا ولا شك أثر من آثار الاتصال بالغرب وأفكاره .

على أنني أود أن اذكر أنه كان له جهاد بالقلم في مهاجمة الاربين الذين يسعون لاضعاف المسلمين ولا أدل على ذلك من المقال الذى نشر في عدد ١٧ يناير عام ١٨٩٤م "١" ، ومقاله عن الاستعمار بعنوان " لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا " الذى هاجم فيه كرومر حين أنذر - كرومر - عباس لا قاله فوزارة مصطفى فهمي باشا صديق الانجليز ، وقد عرج فيه الى افساد الانجليز لخلق المصريين ، وهاجم آذ ناب الاستعمار الذين يرتكب الاستعمار ما يرتكب باسمهم ، وأوضح أن سوء حال المصريين سببه زعماءهم وعرض بمصحفة المقطم المتعاونة مع الاستعمار . "٢"

ومن المجيب أنه يتحدث في نفس المقال عن الشاميين ويعددهم من الغرباء ، وفي نفس المقال يتحدث عن أن الشام ومصر توأمان ابوهما واحد "٣" فكيف تجمع بينه وبين النص الاول الذى نقلته في الحديث عن

( ١ ) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ٢١ / ١ ، ٢٢٠ .

( ٢ ) نفس المصدر : ١٦٥ / ١ - ١٧٠ .

( ٣ ) نفس المصدر : ١٦٨ / ١ و ٢٢٤ / ١ ، ٢٢٥ .

مصر والوطنية فلعلمه يقصد نصارى الشام الذين نزحوا الى مصر .  
 كما أن التديم يهاجم التصوف والصوفية ، ويهاجم التفرنج بأحمد  
 أولاد الفلاحين الذين درسوا في الغرب وجاءوا معتقرا أبويه . " ١ "  
 لا يستطيع الباحث المنصف أن يقول أن الفكرة الإسلامية غير واضحة  
 في ذهن هذا الرجل رحمه الله .

أما محمد عبده تلميذ الافغانى وصديقه فإننا نقرأ له افكاراً فسي  
 الوطنية والانتخابات التي يشبهها بالشورى ، وفتاوى عن اباحة التعامل  
 مع الكفار وعن اباحة صناديق التوفير ، وغير ذلك وسوف أقصر على بعض هذه  
 الأفكار يقول في تعريف الوطن وما يجب على الانسان نحو وطنه ما يلي :  
 " نقرر ما سلف أن لابد لذوى الحياة السياسية من وحدة يرجعون  
 اليها ، ويجتمعون عليها اجتماع دقاتك الرجل حجراً صلباً ، وإن خسر  
 أوجه الوحدة الوطن ، لامتناع النزاع والخلاف فيه ، ونحن الآن نعيش  
 بمعون الله ماهية هذا الوطن وبعض ما يجب على ذويه " .

" والوطن في اللغة محل الانسان مطلقاً ، فهو السكن بمعنى :  
 استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها ، أى اتخذوها سكناً . وهو عند أهل  
 السياسة مكانك الذى تنسب اليه ، ويحفظ حقك فيه ويعلم حقه عليك ، وتأمين  
 فيه على نفسك وآلك ومالك . ومن أقوالهم فيه : لا وطن الا مع الحرية .  
 وقال لا برونز الحكيم الفرنساوى : لا وطن في حالة الاستبداد ، ولكن هناك  
 مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء

( ١ ) نفس المصدر السابق : ٣٢١ / ١ ، ٣٢٢ ، و ٣٦٨ / ١ ، ٣٦٩ .

الرومانيين : المكان الذي فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية " ١ "

ثم يقول :

" على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطــــة

بأهداب الشرف الذاتي ، فهو يفار عليه ويؤود عنه كما يدود عن والده الذي ينتهي اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه ، ولذلك قيل في مثل هذا المقام : إن ياء النسبة في قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هي من موجبات غيره مصرى على مصر والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على انجلترا . . فإذا تقرر ذلك مما قلناه وجب على المصرى حب الوطن من كل هذه الوجوه ، فهو سكنه الذي يأكل فيه هنيئاً ، ويشرب فيه مريئاً ويبيت في الأهل آمناً . وهو مقامه الذي ينسب اليه ، ولا يجد في النسبة اليه عاراً ولا يخاف تغييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التي حصلت له بما أوضحناه من دخوله في دور الحياة السياسية . . " ٢ "

ويقول الدكتور محمد محمد حسين بعد أن ذكر هذا النص ، وذكر

نصاً آخر بعنوان " ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها " .

" وهذا المقال يدعونا الى تعديل فكرتنا عن مدلول الوطن والوطنية

في مقال محمد عبده الاول من الوقائع المصرية . وهو - مع ماسبقه وماتلاه من كتابات محمد عبده - يدعو الى التفكير في تحليل مايسود آراء محمد عبده من تباين واختلاف يبلغ حد التناقض في بعض الاحيان " ٣ "

-----

( ١ ) الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر : ٧٠

( ٢ ) نفس المصدر : ٧٠ ، ٧١ .

( ٣ ) نفس المصدر : ٧٣



وما علم الشيخ رحمه الله أن عمليات الانتخاب ليست من العمليات السليمة في مثل هذه القضايا التي تتعلق بمصير الأمة فقد أثبت الواقع المشاهد أن من ينتخب هو من يكون ذا دعاية أقوى وبذل أكثر لشراء ضمائر الناس .

ويقول كرم . . . : إن محمد عبده كان مؤسساً لمدرسة فكرية حديثة في مصر قبية الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان ( في الهند ) ( مؤسس جامعة عليكرة ) ثم يقول : " إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوية التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع ، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي . . . " ١

ويقول الدكتور محمد محمد حسين عن اتجاه محمد عبده وشيخه الأفغاني - وهو التوفيق بين الإسلام وأفكار الغربيين :  
 " وحقيقة الأمر في حركة الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني الذي اقترن اسمه به في الشطر الأول من حياته لا تزال تحتاج إلى مزيد من الوثائق التي توضح موقفهما وتزيل ما يحيط به من غموض ومن تناقض فيما اجتمع صولهما من أخبار . فبينما ينزله رشيد رضا - ومعه كل أتباع الشيخ محمد عبده الذين ازداد عددهم على الأيام - منزلة الاجتهاد في الدين ، ويؤمنونه إلى أعلى درجات البطولة والاخلاص الذي لا تشوبه شائبة ، كان كثير من علماء الشريعة المعاصرين له يتهمونهم بالمروق عن الدين والانحراف فيه وتسخيرهم لخدمة العدو . فإذا تركنا هؤلاء هؤلاء ممن قد

---

( ١ ) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر : ٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

يجد الطاعنون سبيلا الى زعيمهم بالشعير والمحاباة ، والتعامل والتزمت ، وجدنا كثرة من النصوص في كتب سياسة الغرب ودأريه لتصور رأيهم فيسه وفي مدرسته وتلاميذه ومكانه من الفكر الحديث ، وهي جنبها تتفق على تجيده والاشادة به وما اداه للاستعمار الغربي من خدمات ، باعانت على تخفيف حدة العداء بينه وبين المسلمين ، وهو عداء يستتبع آثارا سياسية تضر مصالحه وتهدد بانكار التورات التي لا تفترو ولا تنقطع " ١ "

وانتقل الى نقل نص لا حد المؤسسين للكلمة النيابية العربية عام ١٩١١ م وهو عبد الحميد الزهراوى . فقد قال بعد حضوره للمؤتمستر العربي الاول الذى عقد ما بين ١٨ - ٢٣ حزيران عام ١٩١٣ م بهاريس مايلي لمراسل جريدة " Temps " الفرنسية :

" ان الرابطة الدينية عجزت دائما عن ايجاد الوحدة السياسية وأنا لا أرجع الى التاريخ لايرعن على هذا بل حسبي ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة . انظر الى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقو رابطتهما الدينية على ازالة خلاف بسيط بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق بالحدود " العاطفة الاسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميرا مسلما على التنازل عن حقوقه لا مير آخر من المدينتين بدينه حتى ولو كان هذا خليفة " ٢ "

----- ( ٢ ) -----

( ١ ) المصدر السابق : ٢٢٨ / ١ .

( ٢ ) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٥١ - ١٥٢٠ .

وهذه الدعوى وهي ان الرابطة الدينية عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية شبيهة بدعوى طه حسين وهي اثر من آثار الفكر الغربي بمعد الثورة الفرنسية العلمانية ، والتاريخ الاسلامي فيه من البراهين ما يدحض دعوى الزهراوى ويكفيها عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين ، وما حصل من الدول الاخرى أو من بعض حكامها هو انحراف منهم عن الجادة الصحيحة وليس عيباً في الاسلام . أما الاحتجاج بهما بين الحكومتين الفارسية والعثمانية فالواقع أنه لا حاجة فيه إلى أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة خلاف عقائدى يتعلق بالقرآن والسنة والصحابة وليس هو خلاف فرعى كما يدعى بعض المتساهلين ولا مجال هنا لتوضيح ذلك . وأما ان العاطفة الاسلامية لم تستطع أن تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لا مير آخر ، فإن حادثة عزل خالد بن الوليد من قيادة وامارة الجيش الاسلامي في الشام وتولية بني عبيدة غير مثل على ذلك فخالد ابن الوليد سمع وأطاع لعمرو واصبح جندياً في جيش ابي عبيدة ومن المعلوم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما عزله لأنه خشي على المسلمين أن يفتتنوا به فيعتقدون أن لا نصر الا بقيادة خالد رضي الله عنه وهذا من عمر رضي الله عنه هو حماية للتوحيد وسد لباب الشرك أن يلج السى صفوف المسلمين .

ومن العجيب أن يصرح الحر مثل الزهراوى بمثل هذه العبارات الجريئة التي لم يكن يستطيع التصريح بها اى واحد من اولئك المفكرين الذين استعرضت شيئاً من افكارهم ولم يستطع غيره من عاصره التصريح بذلك ولعل السبب في ذلك هو تأثره من حيث لا يدري بأفكار النصارى المحليين الذين كانوا يسمعون لتمزيق الدولة العثمانية بمساعدة من صليبي أوروبا .



وقد ساعدت أفكار هؤلاء المفكرين في الوطنيات والاعجاب بفرنسا وأوروبا كلها في نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي العلم والدين وفيما يسمى بالديمقراطية أو حكم الأمة وغير ذلك . ساعدت هذه الأفكار على انتقال العلمانية على أيدي مفكرين جاؤا من بعدهم صرحوا بمنزل الدين عن الهيمنة على الحياة فردياً واجتماعياً . وعم من اصطلاح على تسميتهم بالمستقرئين وسوف أفرد جزءاً من هذا الفصل للحديث عن أفكارهم ان شاء الله .

وبعد أن عرفنا شيئاً من أفكار بعض المفكرين ممن كان لهم أثر في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي - شعروا أم لم يشعروا - نتيجة لسعي بعضهم للإصلاح لكنهم اخطأوا والسبيل <sup>مستعمل</sup> الى معرفة أثر المفكرين المستقرئين في نقل العلمانية ، وهم يختلفون عن المفكرين الاولين ان تميز هؤلاء <sup>على</sup> اولئك في الجرأة على الاسلام والمسلمين .

ج - المستغربون وأثرهم في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي :  
في حديثي عن المستغربين سوف أوضح المقصود بهذه الصفة  
ثم استعرض جملة من أفكار بعض قاداتهم التي كان لها أثر في انتقال  
العلمانية وذلك من كتبهم ~~والتأثير~~

أما من غم المقصود ون بهذه الصفة فهم قوم من أبناء المسلمين  
من تأثروا بأفكار الغرب الفلسفية والادبية والفكرية والسلوكية ثم صاغوا  
تلك الافكار بأساليبهم الخاصة ونشروها بين الطبقات المختلفة من أبناء  
المسلمين ، وليس ضرورياً أن يكون هؤلاء ممن درسوا في الغرب فقد وجد  
مستغربون لم يدرسوا في الغرب ولم يقيموا فيه إقامة طويلة ووجد اناس  
درسوا في الغرب ولم يزد هم ذلك الا استمساكا بدينهم . ولكن الغالب  
أن الفكر الغربي انتقل الى العالم الاسلامي عن أحد معبرين هما  
نصارى العرب ، والذين درسوا في الغرب من أبناء المسلمين ولم يكونوا  
من الحصانة الفكرية بحيث يقاوموا الفكر بالفكر فوقعوا فريسة وضحية للفكر  
الغربي .

ولقد كان للمستغربين أثر كبير على الحياة الاسلامية بل وعلى الواقع  
السياسي في العالم الاسلامي .

يقول برنارد لويس عن أثر هؤلاء المستغربين :

" . . . والتفريب الذي كان من عمل الغربيين بل كان أكثره من  
عمل المتغربين من أبناء الشرق جاء بتغييرات يشك كثيراً في قيمتها أول هذه  
التغييرات هو الانحلال السياسي الذي أدى الى تفتت المنطقة وتجزئتها  
فقبل ذلك التاريخ كان في الشرق الاوسط نظام سياسي مستقر فالشاه يحكم

ايران والسلطان هو عا هل المملكة العثمانية التي تشمل كل ما بقى من الشرق الاوسط وقد لا يكون كل السلاطين الذين شعاقبوا على الحكم محبوبين من رعاياهم ولكنهم كانوا في موضع احترام والاهم من ذلك انه لم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم فالسلطان هو الحاكم بلا منازع لانه عا هل لا خسر خلافة اسلامية <sup>بصحة</sup> لجميع مسلمي العالم تقريبا . " ١ "

يقول - لطفي السيد - آستان الجيل - كما يحلو للمستغربين

تسميته :

" . . . يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنعتها وتتواكل في ذلك على أوهام أو خيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربي ويسميها آخرون الجامعة الاسلامية " ٢ "

وهذا يعني أن لطفي السيد يدعو الى الوطنية الفرعونية ، اذا كان الاتحاد العربي أو الجامعة الاسلامية خيالات وأوهاما .

ويقول مصطفى كامل - وهو يمثل أحد اتجاهي الوطنية - الذي لا يرى اختلافا أو تناقضا بين الرابطتين الوطنية والدينية :

" ان الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد ، والاساس العتيق الذي تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة ، وكل ماترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية ، ما هو الا ثمار الوطنية . . " ٣ "

( ١ ) الغرب والشرق الاوسط : ٦١

( ٢ ) تحولات الفكر السياسي في الشرق العربي : ١٤٠

( ٣ ) مصطفى كامل : ١١٢ ، ١١٣ .

ويقول أيضا : " قد يظن بعض الناس أنَّ الدين يشافسني الوطنية ، أو أنَّ الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء ، ولكنني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان وأنَّ الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً ، ويفديه بروحه وما تملك يداه ، ولست فيما أقول معتمداً على أقوال السالفين الذين ربما اتهمهم أبناء العصر الحديث بالتعصب والجهالة ، ولكنني استشهد على صحة هذا المسبداً ببسارك أكبر ساسة هذا العصر وهو خير رجل خدم بلاده ورفع شأنها ، فقد قال هذا الرجل العظيم بأعلى صوته : " لو نزعتم العقيدة من فؤادي لنزعتم محبة الوطن معها " ١ )

والنص الاول واضح الدلالة ولا يحتاج إلى تعليق ، ولكن النص الثاني قد يكون مبهماً ولكن الابهام فيه يزول بقراءة النص الآتي الذي يمجّد الفرعونية ، ويرى أنَّ الوطني الحق هو الذي لا يفرق بين مسلم ونصارى بل الكل اخوة . صحيح أنَّهم إخوة في الانسانية ولكن هناك اخوة أخص منها وهي التي اناط بها الاسلام احكاما كثيرة . فجمال الاخوة الانسانية أنَّ لا يظلم الذمى في الدولة الاسلامية إذا أدى ما يجب عليه من واجبات ، أما أنَّ يستوى المؤمن والكافر فهذا أمر غير صحيح لان الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لم يسو بين المؤمن والكافر .

يقول مصطفى كامل :

" كيف يستطيع رجل وطني أن يدعو للشقاق والبغضاء ، وهذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة فالأقباط إخوة لنا في الوطن تجمعنا بهم



ساطع الحصرى ( ١٨٨٠ - ١٩٦٨ ) ولم يجد الدين عنصراً جوهرياً حاسماً في القومية ، ولاحت امكانية تأسيس " أمة " عربية جديدة غير مرتبطة بضرورة مفهوم " دار الاسلام " . وإذا كان لطفي السيد قد دعا الى وطنية مصرية علمانية ، فإن عمله هذا - اى ربط العلمانية بالشخصية المصرية منذ العهد الفرعوني - لم يكن في خطوة ماهدفة الى ساطع الحصرى الذى كان مغزى فكرته يتركز في علمته العروبة ، مادة الاسلام تاريخياً . . . ان عندما تتعلم العروبة لابد أن يتعرض ذلك المزيج العضوى التاريخي للتحلل بافتراق عنصريه : " العصبية " العربية و " الدعوة " الدينية ، اذا شئنا استخدام مصطلح ابن خلدون ومفهومه التاريخي " (١)

أما فيما يتعلق بفصل الدين عن الحياة فقد دعا الى هذه الفكرة عدد من مفكرى المسلمين بعد النصارى ومنهم ضياء كوك آل ب الذى يقول عنه هارولد ب . سميث مايلي :

" أما النظرية الثانية الجريئة التي قدمها كوك آل ب فهي مبدأ الفصل

بين الدين والدولة ودعواه أنه في الايام الاولى من الاسلام لم يكن رجال الدين أو العلماء عاملين في الحكومة ولم يصبح لهم وضع رسمي ولم يدخلوا في إدارة الدولة إلا بعد جيل أو جيلين وإذا كان هذا قد أضاف الى سلطانهم على سياسات الحكومة شيئاً كثيراً فإنه جردهم من الاستقلال الضرورى للتأثير الدينى النقدى على المجتمع . . " (٢)

ويقول الدكتور طه حسين في التبرير للدعوة الى فصل الدين عن

الحياة مايلي :

- 
- ( ١ ) تحولات الفكر السياسى في الشرق العربى ،  
 ( ٢ ) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٧٣

" ومن المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدولة " . ثم يضرب أمثلة على ذلك ثم يقول :

" ... وكانت مصر أسبق الدول الاسلاميه الى استرجاع شخصيتها

للقدية التي لم تنسها في يوم من الايام . . . . .  
 والتاريخ يحد ثنا كذلك بأن رضاها عن السلطان العربي بمصر  
 الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم  
 تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون ، وفي  
 ظل الدول المختلفة التي قامت بعده .

فالمسلمون إذ آ قد فطنوا منذ عهد بعيد الى أصل من اصول الحياة  
 الحديثة وهو أن السياسة شي\* والدين شي\* آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين  
 الدول انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوموا على أي شي\* آخر .  
 وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في اوربا . فقد  
 تخففت اوربا من اعباء القرون الوسطى واقامت سياستها على المنافع الزمانية ،  
 لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والاجناس . . . " ١  
 أما عن الدعوة الى تقليد الغرب فقد <sup>رفع</sup> لواء الدعوة الى ذلك أشخاص  
 عدة أذكر هنا أفكار شخصين أحدهما : د / طه حسين والآخر سيد احمد  
 خان . أما طه حسين فيقول - بعد أن اطال الكلام في مشابهة الشعوب  
 لاوربا في قيمها وسلوكها وأنهم لم يسمدوا الا حين تشبهوا بأوربا ومثل  
 لذلك باليابان - يقول :

" لكن السبيل الى ذلك ليست في الكلام يُرسل ارسالا ، ولا في المظاهر الكاذبة والاضاع المطفقة ، وانما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء . وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي : أن نسير سيرة الاربين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب وما يكره وما يحسد منها وما يعاب . " ١

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان عن أفكار سيد أحمد خان وينقل شيئا من كلامه في ذلك : يقول :

" . . . إن المع الاسماء التي طالبت المسلمين بدراسة العلوم الغربية الجديدة هو "سيد أحمد خان" ( ١٨١٧ - ١٨٩٨ ) الذي يعتبره المستشرقون مؤسس أول مؤسسة إسلامية عصرية . فقد أنشأ السير سيد أحمد خان كلية عليكرة المحمدية سنة ١٨٢٥ بالهند وضحى بحياته من أجلها حتى أصبحت جامعة بعد وفاته .

لقد كان سيد أحمد خان من اكبر المتحسين لتعلم علوم الغرب ، ولا شك في أن خدماته في هذا الصدد غير قابلة للنسيان ولكن ماذا كان هدفه من وراء تعلم علوم الغرب ؟

لقد كشف عن ذلك زميله الحميم " الطاف حسين حالي " في

بيت شعر حين قال :

" تعال ، يا حالي ، لنقلد الغرب الآن " .



" وحين عاد سيد أحمد خان من زيارته لانجلترا سنة ١٨٢٠ م ،  
مبهوراً بما رآه في الغرب ، أصدر مجلة " تهذيب الاخلاق " وكتب في مقدمة  
أول عدد لها :

" إنَّ الهدف وراء إصدار هذه المجلة هو ترغيب مسلمي الهند في  
الاقبال على " السيتيليتريشرم " او الحضارة الكاملة وذلك لينتهي الاحتقار  
الذى تنظر به الشعوب المتحضرة الى المسلمين بأنهم قوم ذوو شأن وحضارة"  
وكان سيد احمد خان يتصور رقي المسلمين المثالي ، في " الكولوتيلات  
والميجورات المسلمين المرتدين الملابس العسكرية الزاهية " (١)  
ويقول عنه أيضا :

" وكان الهدف النهائي للتعليم الذى نادى له سيد أحمد خان  
هو أن يتمكن المسلمون من الحصول على أعلى المناصب في ظل الحكومة  
الاستعمارية القائمة والحضارة التى نادى لها سيد أحمد خان قد سمعنا  
أحد تلامذته - مهدي افادى - بكل حق بانها " الثقافة الانجلوالمحمدية " !  
وهي ثقافة ذات قشرة اسلامية مظهرية وطبيعية انجليزية ، قامت على التقليد  
أما عن الاعجاب بالثورة الفرنسية وتشبيه دعوة الاسلام بها فاليك  
نصان يدلان على ذلك أوضح الدلالة :

قال اسماعيل مظهر :

" قامت الثورة الفرنسية على دعاية الانيسكلوبديين ، ديدرو  
وأصحابه لامتر وهو لباح لافنتيوس ، وعلى عقد رسو الاجتماعي وعلى  
آداب فولتير الواضحة ، بل على مجهود سلسلة من العظماء تعهدوا

( ١ ) المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل : ٢٢ - ٢٤ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٢٢ - ٢٤ .

الفكر الكامن في طبقات الامة المنتقا منذ عهد ديكارت بتلك الفكرات  
الثابتة التي يذهب أثرها الى أبعد غور من اغوار الحياة الخفية في نفس  
الافراد والجماعات ، فأخذت عناصر الثورة تتكون في الفترة ما بين ١٥٩٦  
الى سنة ١٨٧٩ أى منذ تنفس ديكارت شبح هذه الحياة الى اليوم الذى  
يخرج فيه أهل باريس يصيحون الى السلاح الى السلاح .

" استجمعت عناصر الثورة في قرنين من الزمان دأبت فيهما  
الجامعات على بث المذاهب العلمية والفلسفية . وقام بها فحول من  
الرجال أعطوا الجماهير أرقى المثل ، كما تتحكم في رقاب الشعب المستقيم  
لحكم الفرد ، مستبدون تعهدوه باقصى المثالات . " ١

أما الدكتور الفيني فانه يشبه الدين الاسلامي بالثورة الفرنسية ،

يقول :

" ان الاسلام - بلا مراة - ثورة اصلاحية ، لابد أن تتخذ مكان  
الصدارة بين الثورات الكبرى في تاريخ الانسانية . . مثل الثورة الفرنسية " ٢  
ويدعو اسماعيل مظهر الى ما اسماه بالقضاء على الاسلوب الفيني :  
فيقول : " على أنك لا تقع في كل هذا على حادث يلتئم من حوله الفكر غير  
أنني اتوقع وعسى أن يكون ذلك قريباً ، أن الخطوة التي خطونها في سبيل  
الخروج من ظلمات الاسلوب الفيني الى وضع الاسلوب اليقيني ، سوف  
تقودنا سعياً الى ميدان يتصادم فيه الاسلوبان تصادم ما يثير في جو الفكر  
عجاجة ينكشف غبارها عن الاسلوب الفيني وقد تحطمت جوانبه وانهدكت  
قوائمه ، وتترك الاسلوب اليقيني قائماً بهامة الجبار القوى الا صلابه

( ١ ) تاريخ الفكر العربي : ١١٣ ، ١١٤ .

( ٢ ) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

مشرقاً على الشرق وقد هب من رقاد القرون ، ليسير في الدرب السدى  
مهدت سبله للانام نواميس النشوء والارتقاء " ١ "

ويرى قاسم أمين بأن من أسباب ضعف المسلمين إعجابهم بحاضيتهم  
ويدعو في سبيل العلاج الى تربية أولادنا على التعرف على شئون المدنية  
الغربية ، فيقول :

" هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر الى علاجه - وليس له دواء ،  
الا أن نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على  
أصولها وفروعها وآثارها . وإذا أتى هذا الحين - ونرجو أن لا يكون بعيداً -  
إنجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن  
الغربي . وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم اصلاح ما في أحوالنا اذا لم

يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة . . . " ٢ "

ويشبه الدكتور طلعت الفخيمى العلاقة بين صفة النبي صلى الله عليه وسلم  
كرسول وصفته كرئيس دولة بالعلاقة بين التاج والملك في الدستور البريطاني  
ويرى أن البابا اضيفت عليه الشخصية القانونية من باب التكريم اما الرسول  
(ص) فقد قامت في حقه مبررات اقوى واسلم  
ويزعم بأن القانون الاسلامي ليست له طبيعة عامة بل هو خاص (٣) ومعنى  
ذلك انه لا يصلح للبشر كافة .

وننتقل في الفقرة التالية من البحث الى الحديث عن أثر طائفة مسن  
الذين يعيشون في العالم الاسلامي ، ولكنهم كانوا من العوامل الحاضرة  
- بقوة - في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي الا وهم : " النصارى  
المسروب " .

( ١ ) تاريخ الفكر العربي : ١١٥

( ٢ ) الاعمال الكاملة لقاسم أمين : ٢٠٩ / ٢ " المرأة الجديدة " .

( ٣ ) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

المطلب الثاني :

نصارى العرب وأثرهم في انتقال العثمانية الى العالم الاسلامي :  
 أثبتت النصوص التاريخية - ومنها اعترافات النصارى - أن أول من  
 دعا الى العثمانية - اللادينية - بشعارها الصريح أو تحت شعارات  
 أخرى كالقومية والوطنية في العالم الاسلامي ، هم نصارى العرب ، ومن  
 المجب أن هؤلاء النصارى لم تسعهم الحياة الكريمة التي كفلها لهم  
 المجتمع الاسلامي ، وأحياناً المحابة الزائدة التي عامل بها بعض خلفاء  
 المسلمين من الدول الاموية والعباسية والعثمانية ، بل لم تظفي نار الحقد  
 في قلوبهم ، فراحوا يميلون على تقويض أركان الدولة العثمانية ، وقد علموا  
 علم اليقين أن شريعة الله المهيمنة على المجتمع الذي يعيشون فيه هي  
 العائق الوحيد دون مآربهم ، لذا فقد إستماتوا في سبيل الوصول الى  
 إزالة هذه الهيمنة ، وإقامة الانظمة اللادينية مقامها . ووجد اليهود  
 والصليبيون الاوربيون في هذه الفئة من نصارى العرب البغية المنشودة لهدم  
 الدولة العثمانية ، ومن ثم القضاء على الحكم الاسلامي - المتمثل بهيمنة  
 الشريعة الاسلامية - عن طريق عزل الشريعة عن ميدان الحياة وتوجيهه  
 المجتمع - .

ولم يفت نصارى العرب ما الحقته العثمانية - اللادينية - بارخوانهم  
 في الدين في أوربا بل كان هذا هو الدافع لهم بأن ينادوا بهذا النظام  
 في العالم العربي حتى يتمكنوا بواسطة ذلك من القضاء على هيمنة الاسلام  
 على شئون الحياة والمجتمع .  
 وقد تمثلت جهود النصارى في هذا السبيل في الاعمال الفكرية ،  
 والاعمال السياسية لذا فسوف أقسم هذا القسم من البحث الى .

أ - الاعمال الفكرية : وفيه أستعرض جملة من أفكار نصارى العرب  
في أمور عدة .

ب - الاعمال السياسية : وفيه أستعرض جملة من الاعمال السياسية التي  
تمثلت في إنشاء الاحزاب ، والصحف والمجلات السياسية التي  
تطالب بالانفصال عن تركيا أو تطالب بإقامة دولة عربية وطنية  
قومية ، أو بعزل الدين عن الحياة .

أ - الاعمال الفكرية :

كان نصارى العرب أول من نشر الفكر والثقافة العلمانية ، وذلك  
عن طريق الصحف التي انشؤوها والكتب التي ألفوها ، فأصدروا صحفا  
منها الجنان التي أنشأها بطرس البستاني ( ١٨١٩ - ١٨٨٣ ) والمقتطف  
التي أصدرها كل من فارس نمر ( ١٨٥٦ - ١٩٥١ م ) وشاهين مكاريوس  
( ١٨٥٣ - ١٩١٠ م ) ويعقوب صروف ( ١٨٥٢ - ١٩٢٧ ) والهلال التي  
أصدرها جرجس زيدان ( ١٨٦١ - ١٩١٤ م ) .<sup>١</sup>

أما الكتب فقد إتجه قسم من هؤلاء النصارى الى التأليف الموسوعي  
فألفوا المعاجم اللغوية ، وقواميس الترجمة ومن هؤلاء بطرس البستاني الذي  
أصدر " دائرة المعارف العربية " ، " محيط المحيط " من اللغة  
العربية .

وقام بعض هؤلاء النصارى بالترويج للفلسفات الملحدة مثل  
سلامة موسى ( ١٨٨٧ - ١٩٥٨ م ) الذي ألف كتاب " نظرية التطور  
وأصل الانسان " . وشيلي شميل ( ١٨٥٣ - ١٩١٧ م ) الذي ألف  
كتاب : " فلسفة النشوء والارتقاء " .

( ١ ) انظر تراجم هؤلاء في كتاب الأعلام للزركي ( حروف الباء ، والفاء ،  
والشين ، والياء ) .

وقام بعض آخر من هؤلاء النصارى بالترويج للأفكار الغربية  
 العلمانية كالوطنية والقومية عن طريق الشعر ومنهم إبراهيم اليازجي  
 ( ١٨٤٧ - ١٩٠٦ م ) وكان أحد أعضاء جمعية بيروت السرية ومن أشهر  
 قصائده القصيدة السينية ، واليهائية ، والقروى ( ١٨٨٧ - )<sup>(١)</sup>  
 والشعراء المهجريين .

هذا بايجاز دورهم في الفكر ، فإذا أردنا أن نفصل ذلك فاليك  
 بعض التفاصيل :

يقول مؤلف كتاب : " تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي "

مايلي :

" قسم الدكتور شرابي صاحب كتاب " المثقفون العرب والغرب "

دعاة العلمانية المسيحيين الاوائل الى ثلاث فئات هي :

١ - الارباء الرواد : وهم فارس الشدياق ( ١٨٠٤ - ١٨٨٧ )

وناصيف اليازجي ( ١٨٠٠ - ١٨٧١ ) وإبراهيم اليازجي ( ١٨٤٧ - ١٩٠٦ )

وأديب اسحق ( ١٨٥٦ - ١٨٨٥ ) وفرنسيس حراش ( ١٨٣٦ - ١٨٧٣ )

وانطاكي الحمصي ( ١٨٥٨ - ١٩٤١ ) .

٢ - رواد الثقافة والتربية وهم : بطرس البستاني ( ١٨١٩ -

١٨٩٣ ) وجرجي زيدان ( ١٨٦١ - ١٩١٤ ) ولويس شيخو ( ١٨٥٩ -

١٩٢٧ ) وعيسى المعلوف ( ١٨٦٩ - ١٩٥٦ ) .

٣ - رواد الفكر العلمي والفلسفة والدعوة العلمانية الصريحة وهم

يعقوب صروف ( ١٨٥٢ - ١٩٢٧ ) وشبلي شميل ( ١٨٦٠ - ١٩١٦ )

-----

( ١ ) انظر تراجم هؤلاء في الاعلام : حرف السين ، والشين ، والالف ،  
 والفاء ، والقاف .

وفرّح انطون ( ١٨٧١ - ١٩٢٢ ) وسليمان البستاني ( ١٨٥٦ - ١٩٢٥ )  
 وامين الريحاني ( ١٨٧٦ - ١٩٤٠ ) وثقولا حداث ( ١٨٧٠ - ١٩٥٤ )  
 وسلامة موسى ( ١٨٨٣ - ١٩٥٨ )<sup>١</sup>

ويقول البرت حوراني في كتابه الفكر العربي في عصر النهضة :  
 " وقد نادى بفكرة مجتمع قومي علماني - فريق من الكتاب المسيحيين  
 السوريين كان الشدياق والبستاني رائدي مدرسة من الكتاب الذين فتح  
 نمو الصحافة الدورية العربية مجالا جديدا لمواهبهم ، ففي القرن التاسع  
 عشر<sup>ظهر</sup> نوعان جديدا من الصحف السياسية المستقلة التي تنشر أخبار  
 السياسات العالمية وتعبر عن الآراء السياسية ، والمجلات التي كانت تتوخى  
 غرضاً مزدوجاً هو اطلاع الفكر العربي على أفكار أوروبا وأمريكا واختراعاتها وعلى  
 كيفية التعبير عنها - باللغة العربية وكان العدد الاكبر من هذه المجلات  
 الصادرة في القاهرة أو بيروت يحررها مسيحيون لبنانيون تثقفوا في المدارس  
 الفرنسية أو الأمريكية فزودوا القراء طيلة جيل بكامله بمادة للمطالعة الشعبية  
 تكاد تكون الوحيدة في اللغة العربية آنذاك جاعلين للبنانيين تأثيـراً  
 كبيراً " .<sup>٢</sup>

وقد برز في الربع الاخير من القرن التاسع - كما يقول المحافظ -  
 تياران فكريان بارزا العلوم الحديثة أحدهما : يضم المفكرين التقليديين من  
 الازهريين وأنصارهم ، والثاني يمثل المفكرين الليبراليين . وقد وقف التيار  
 الأول موقف المداء من العلوم الغربية الكونية مكتفياً بالعلوم الشرعية الاسلامية .

١٣ هامش

بينما وقف الآخر موقفاً ايجابياً من تلك العلوم ، واعتبرها الاساس لقياس الحضارة المتفوقة ونموها ، ورأى ضرورة إقتباسها دون تردد ، ويضم هذا التيار جناحاً متمدلاً ، وآخر متطرفاً يضم قادة الصحفيين السوريين في مصر أمثال " يعقوب صروف ، وفارس نمر ، وجرجي زيدان " وحركة الفلسفة العلمية بزعامة الدكتور شبلي شميل ، وفرح النطون .

وأكد الجناح المتطرف على إهتمام العلم هو الاساس والتقليل من أهمية الدين وبرزت الدعوة العلمية العلمانية على يد شبلي شميل فكان أول من أدخل مذهب دارون في النشوء والارتقاء الى العالم العربي عن طريق الترجمات والمقالات التي كان ينشرها في مجلة " المقتطف " <sup>(١)</sup>

وقد كان نصارى العرب أول من نادى كما ذكرنا - بالقومية العربية . وكانت قد انتقلت من أواسط وشرق أوروبا عبر عدة أقليات ، وكان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب أول الناقلين عندما ذهبوا لتركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨ وبقي قسم كبير منهم فيها واعتنقوا الاسلام واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية وكان أحد هم الكونست قسطنطين يورزيسكي وقد تسمى بمصطفى جلال الدين باشا . ونشر عام ١٨٦٩ م كتاباً بالفرنسية في استنبول اسمه " اترك الاس وأترك اليوم " وفي الكتاب جزء كبير يشكل تقريراً للسلطان عن المشاكل الحاضرة فسي الامبراطورية واقتراحات حلها ، وفيه جزء تاريخي يضم دراسة أجراها المستشرقون الاوربيون عن التاريخ القديم للشعب التركي يؤكد فيه دور الأتراك الايجابى في التاريخ . وحاول " يورزيسكي " جهده لاثبات



ان الاتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوروبا ويقتنون لما أسماه  
العرق " الطوراني الآري " " ١ "

وهكذا يتضح تأثير الصليبيين الاوربيين في صليبي الشرق ،  
وموازرتهم لهم في سبيل الوصول الى مجتمع علماني تحكمه دولة أو دول  
علمانية - لا دينية - وقد كان المبشرون الاوربيون أول من عاضد وقوى  
شوكة نصارى العرب خاصة نصارى لبنان .

ففي مجال التعليم عاضد المبشرون الاوربيون نصارى العرب  
يقول انطونيوس : - مايلي :

" . . . ويأتي في المنزلة الثانية المبشرون الامريكان وكان لجهودهم  
اينع الثمرات بفضل ماكان يوجهها من أفكار وماكان يدفعها من حماسة  
وأدركوا أن ماكانت تحتاج اليه البلاد قبل كل شيء " هو نظام تعليمي يلائم  
تراثها ( ٤ ) وأدركوا كذلك أن الامة إذا أضاعت تراثها فإنها لا تستطيع  
استعادته الا عن طريق آدابها وكان أولى الامور بالتقدم تأليف كتب  
للعربية وكتب مدرسية مختصرة فعزم " ايلي سميث " وزملاؤه على أن يقولوا  
ذلك وانكبوا على تعلم اللغة العربية خلال الزمن الذي استغرقه نقل  
مطبعتهم من مالطة الى بيروت . ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى استطاعوا  
أن يسدوا بما طبعوا من كتب حاجة المدارس التي أنشأوها بل لقد  
زودوا المدارس الاخرى بهذه الكتب " ٢ "

من هذا النص يتضح لنا أن المبشرين الامريكان كان لهم جهود  
يوجهها أفكار ؟ ! ما هي هذه الافكار ، لاشك أنها افكار لتفتيت

( ١ ) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف طفيف .

( ٢ ) يقطعة العرب : ١٠٥ .

كيان المجتمع واثارة الطائفية بين أهل البلاد وذلك باستقلال أبناء دينهم من نصارى لبنان ، وأنهم رأوا أن البلاد لتصل الى هذا الهدف وهو " علمنتها " لابد أن يوضع لها نظام تعليمي يلائم تراثها كما زعموا ، وأدركوا أن ذلك يكون عن طريق الادب ، وعن طريق تأليف كثير من الكتب العربية ، ومن المهازل المضحكة أن " ايلي سميث " وزملاؤه الامريكان " تولوا ذلك وتعلموا اللغة العربية خلال زمن نقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت .

فاذا انتقلنا الى معرفة أثر هؤلاء النصارى في مجال آخر ألا وهو العلاقة بين العلم والدين - التي لا زالت غير واضحة في أذهان كثير من المفكرين المستغربين - وتصورهم للدين والعلم فإننا نجد أنهم يتصورون أن هناك تناقضاً واصطداماً بين الدين والعلم ، هكذا أرادوا تصوير ذلك . ويرون أن العلم وخاصة التجريبي يجب أن يكون هو أساس العلم وأن الدين بدائي لا يصلح للعصر .

وأكتفي بالحديث عن احد رواد الفكر العلمي والفلسفة العلمانية الصريحة وهو " شيلي شميل "

يقول البرت حواراني عن أفكار شميل هذا مايلي :  
 " ويقول العلم هو إعلان الحرب على الديانات القديمة . وما نشأت المسيحية الا عن الانانية وحب السيطرة من قبل رؤساء الدين وعن رغبة الانسان العادى في البقاء الفردى وليس ما يحرر الانسان من نير الانانية سوى إدراك فكرة وحدة المادة والاقرار بها لكن للدين الجديد مستلزمات اجتماعية وسياسية واسعة أيضاً فالعلم الطبيعية هي اساس العلم الانسانية ولا تستهد الشرائع السليمة الا من العلم الانسانية الصحيحة أما العلم

الوائفة فهي تؤدي الى شرائع وأنظمة حكم زائفة . وليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين فالحكم الديني يرفع بعض الناس فوق سواهم ويستخدم السلطة لمنح نمو العقل البشري نمواً صحيحاً أما الحكم الاستبدادي فينكر حقوق الافراد وما مصدر الاثنين الا المبدأ الخاطيء القائم على تفضيل المنفعة الشخصية على للمنفعة العامة . وهما يشجمان العقل على البقاء في حالة الجمود وبذلك يعرقلان التقدم التدريجي الذي هو قاموس الكون لكن بالا مكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على قواميس الكون ويسمح بالتالي لتطور النمسو الكوني ان يستمر وللانسان أن يعيش وفقاً لطبيعته ومثل هذا النظام ينبتق عن المبادئ ذاتها التي تنبتق عنها نواميس الطبيعة وهي أن الاشياء كلها سائرة الى التباين والتغير وأن التطور يتحقق بالصراع من أجل البقاء وأن البقاء للأصلح والام تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوروبا لم تصبح قوية وتمدنية فعلاً الا عند ما حطم الاصلاح ( اصلاح لوثر ) والثورة الفرنسية سلطة الكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الاسلامية " . " ١

في هذا النص الأخير يمكن أن نستنتج عدة أفكار يسعى الى تحقيقها شميل هي :

- ١ - أن العلم حرب على الدين ، والعلم المادي هو المقصود " وليس ما يحرر الانسان من نير الانانية سوى إدراك وحدة المادة والاقرار بها " .

- ٢ - أن العلوم الطبيعية هي أساس العلوم الانسانية وأن الشرائع السليمة لا تستمد الا من العلوم الانسانية الصحيحة التي هي فرع عن العلوم الطبيعية .
- ٣ - أن الحكم الديني غير طبيعي وغير صحيح ، وأنه يقوم على مبدأ تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة .
- ٤ - أن الحكم الديني يشجع العقل على البقاء في حالة الجمود .
- ٥ - ان بالامكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على نوايس الكون القائمة على مبدأ التطور .
- ٦ - إيمانه بفرضية التطور وإيمانه بالصراع من أجل البقاء <sup>والبقاء</sup> للأصلح . وأن الام تقوى بمقدار ضعف الدين ويضرب مثلاً بأوروبا ويزعم أن ذلك يصبح على المجتمعات الاسلامية فهو إذاً يدعو الى القضاء على الدين وإحلال ما اسماء العلم الطبيعي محله واقامة الدول اللادينية .
- ويفصح سلامة موسى عن حقهده على المسلمين ويعد نفسه غريباً عنهم وأن ساكنهم في وطن واحد فيقول :
- " . . . وسمع نفسه وهو يقول شرف وغرب إنه شرقي مثل سائر مواطنيه ولكنه تأثر على الشرق عندما أيقن أن عاداته تعوق إرتقائه . ودعا الى أن يأخذ الشرقيون بعادات الغربيين كي يقووا مثلهم ولكنه لم يجن من هذه الدعوة غير الكراهية والنفور . وأحس بالتناقض العميق بينه وبين المجتمع وهو تناقض كاد يفصل بينه وبين مواطنيه . فإن أسلوب حياته واهدافه الثقافية والسياسية والروحية تتأى عن عادات مجتمعه ، إنه ليخالف سائر الكتب ان هو وإن كان يكتب باللغة العربية ، فإنه يفكر تفكيراً أوروبياً وكان اعظم ما يقطع كالسكين في كيانه النفسي أنه كان يضطر الى التلفيق أو كما يقول

غيره " التوفيق " فإنه هنا واقف لا يعرف كيف يكتب كأن هاتفا اجتماعيا  
قد هتف به : الا تكتب عن الرقص دع هذا الموضوع . لا تقربه أو قل بضع  
كلمات لا تفني ولا تتورط فيها ) ولكنه عجز عن أن يصلح نفسه على هذا  
التلفيق " ١ "

ان تأثير هذه الأفكار في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي تكمن في  
أن الذين صرحوا بها كانوا هم الجسر الذي عبرت عن طريقهم علمانية  
أوروبا الى العالم الاسلامي وفي أن هذه الأفكار في الغالب كانت تنشر في  
المجلات التي يقرأها طبقات مختلفة من أبناء المسلمين .

## ب - الاعمال السياسية :

تتمثل الاعمال السياسية في اصدار الصحف والمجلات السياسية ، وفي الفكر السياسي الذي يبعث الافراد من النصارى الذين يؤمنون فسي المجتمع باسمائهم اللامعة ، وفي الاحزاب والجمعيات الادبية والسياسية التي كانت تنشأ في أواخر الدولة العثمانية للاجهار عليها واقامة دولة علمانية في المناطق التي يكون فيها نصارى بل وفي العالم العربي كله ، وفي الاحزاب التي تأسست بعد تنزيق الدولة العثمانية " كحزب البعث العربي " (١) بزعامة ميشيل عفلق ، ( والحزب القومي السوري ) (٢) بزعامة انطون سمادة . ويهمني في هذه الفقرة الحديث عن الاحزاب القديمة التي كانت تسمى الى القضاء على الدولة العثمانية ومن ثم القضاء على وحشية المسلمين ، وعن الصحف والمجلات السياسية القديمة أيضا ، وعن أفكار الرواد في هذا الفكر العلماني . ذلك لأن الاحزاب والصحف والمفكرين الرواد هم الذين كان لهم اكبر الاثر على حياة المسلمين ، ولأن الاحزاب التي لا زالت في الساحة يرى الناس ماهي فيه ومدى فشلها في تحقيق ما زعمت تحقيقه للعرب .

أما الصحف التي صدرت فسوف أذكر بعضاً منها : فمنها صحيفة الجنان ، والمقطم ، والمقتطف ، والهلال ، والاهرام وغيرها .

" يقول جورج انطونيوس عن صحيفة الجنان مايلي :

" .. وفي سنة ١٨٢٠ بعد صدور معجزة الكبير - يقصد بطرس

البستاني - أنشأ صحيفة سياسية أدبية تصدر كل اسبوعين ( نصف شهرية )

( ٢ و ١ ) انظر حديثا جيدا ومناسيا عن حزب البعث في " فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام " وانظر عن الحزب القومي السوري " حركات ومذاهب في ميزان الاسلام : ( ٧ - ٨٥ ) .

وكانت الغاية منها كذلك محاربة التعصب والدعوة الى التفاهم والاتحاد  
لخير الوطن وكان شعار الصحيفة " حب الوطن من الايمان " وهو شعور لم يكن  
يعرفه العالم العربي حتى ذلك الزمن وكان يحرض على أن يبرز هذا الشعار  
على الصفحة الاولى مع العنوان من كل عدد " ١ "

أما ما يتعلق بالفكر السياسي الذي اطلقه النصارى فإنهم أول من  
أطلق شعار الوطن والوطنية ، وسبق أن ذكرت نصاً يثبت أن أول من دعا  
الى مجتمع قومي علماني هم النصارى وسوف أذكر نصاً آخر يثبت أن أحد  
النصارى دعا الى اقامة دولة علمانية .

يقول : " برنارد لويس " عن الوطن والوطنية :

" وفي سنة ١٨٨٢ كان الاحتلال البريطاني عاملاً ضخماً في إثارة  
الشعور الوطني حتى قبل أن يحتل الانكليز مصر قامت في مصر موجة كراهية  
للاجانب وكان شعارها مصر للمصريين ، ولقد أطلق هذا الشعار الصحفي  
المسيحي " سليم نقاش " ٢ " وعنه " أبو نذارة " وطبقه القائد المسلم عرابي  
باشا وفي الاعوام العشرة التي تلت ١٨٧٠ حدثت عدة تطورات في مصر  
أدت الى خلق ونمو هذا الشعور والتعبير عنه بأسلوب رشيق لبق " ٣ "

( ١ ) يقظة العرب : ١١٥ .

( ٢ ) توفي عام ١٨٨٤ م / ١٣٠١ هـ وهو من أهل بيروت ألف كتاب " مصر  
للمصريين " تسعة أجزاء طبعت الستة الأخيرة وفقدت الثلاثة الاولى .  
( راجع الاعلام حرف السين ) ومن العجيب في هذا ان يدعو هذا  
البيروتي لهذا الوطن وهو ليس وطنه ، ولكنه لا يسمي للاسلام وأهله .

( ٣ ) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٢ .

ويقول البرت حوراني عن فرح أنطون وهدفه السياسي الذي كان يسمى اليه :

" .. كان هدفه السياسي شبيها بهدف الشميل وسواه هـن كتاب عصره اللبنانيين ذلك أنه توفى وضع أسس دولة علمانية يشترك فيها المسلمون والمسيحيون على قدم المساواة التامة . فالطبيعة البشرية واحدة أساسياً في نظر جميع الأديان والحقوق والواجبات البشرية واحدة أيضاً حتى أن الدين لا دين لهم يختلفون عن غيرهم في الطبيعة والحقوق " .

ويذكر البرت حوراني قول فرح أنطون : إن العالم قد تغير فالدولة الحديثة لم تعد قائمة على الدين بل على أمرين : الوحدة الوطنية ، وتقنيات العلم الحديث ، أما في العصر الحديث فالوحدة تتم بخلق الولاء القومي والفصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية .

ثم يقول البرت حوراني : " اننا نسمع من وقت الى وقت من خلال صفحات فرح أنطون نقمة هي أكثر من مجرد صدى لمعلمهم أوربيين إنما التعبير عن وعي سياسي إيجابي عند المسيحيين العرب لقد بقوا مدة طويلة مكتفين بأن لا يتدخل أحد في شئونهم مكرسين مواهبهم السياسية لمعالجة شئون بطريركياتهم المفقدة لكن فرح أنطون الآن بمطالبته بدولة علمانية لم يطالب بعدم إضطهاد المسيحيين ومنحهم حقوقاً متساوية فحسب بل طالب بمجتمع يتسنى لهم فيه القيام بدور إيجابي لا بل بمجتمع يتمكنون فيه من ممارسة شطر من المسئولية السياسية . ومع ذلك فقد تردد معظم الكتاب المسيحيين في دفع هذا التفكير الى نتائجه السياسية وفي التحدث عن أمة عربية إذ انهم تخوفوا من أن تنكشف القومية العربية عن شكل جديد من اشكال التسلط الاسلامي ولم يكن بإمكانهم إزالة هذا



### التخوف الا باحدى طريقتين :

الاولى : ان يجاوروا الاكثرية شأن الاقلية أحياناً ولو  
أثار بعض الالتباس .

والثانية : أن يصبوا في قالب مفهومهم للعروبة محتوى مفهومهم  
للبنان أو لسوريا فيحلموا بأمة عربية تكون منفصلة عن أساسها الديني وتضم  
بدون أى وجه من وجوه التفريق المسلمين والمسيحيين جميعا وتتمتع بحماية  
روؤفة من قبل أوربة الليبرالية " ١ "

أما الأحزاب والجمعيات فقد اتخذت أول الأمر طابع الجمعيات الأدبية وهي تخفي ورائها أهدافاً فكرية تتلخص في إذكاء الروح القومية في العرب ، وأخرى سياسية تدعو لانفصال العرب عن الدولة العثمانية ، وقد كانت أول جمعية تأسست في هذا الصدد هي جمعية الآداب والفنون التي تقدم باقتراحها ناصيف اليازجي وبيطرس البستاني إلى البعثة التبشيرية الأمريكية وحقق المشروع عام ١٨٤٧م وكان من أعضائها ، اليازجي والبستاني ، وإيلي سميت وكونيلوس فان دايك وعدد آخر من الأميركيين وشخص إنجليزي يدعى " الكولونيل تشرشل " !!! وبلغ عدد أعضائها بعد سنتين من تأسيسها

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٦ .

خمسين عضواً . أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت ، ولم يكن فيها عضو مسلم أو درزي .

ثم أسس اليسوعيون عام ١٨٥٠ الجمعية الشرقية على نفس الأسس التي أسست عليها الجمعية السابقة وكان المحرك لها هو الاب \* دويرونيير \* (الفرنسي) والذي وصل الى بيروت عام ١٨٤٩ وتعلم اللغة العربية فور وصوله .  
ثم أسست الجمعية العلمية السورية عام ١٨٥٧ وهي أكبر من سابقتها وتختلف عنها في أمرين :

- ١ - أنَّ جميع أعضائها كانوا عرباً .
  - ٢ - أنَّ المسلمين والدروز اشتركوا مع النصارى وبلغ عدد أعضائها ١٥٠ عضواً . وكانت في غايتها ووسائلها وأنظمتها وقانونها على غرار الجمعية التي انشئت سنة ١٨٤٧ . ونالت اعتراف الحكومة بها سنة ١٨٦٨ م "١"
- أما أول جمعية تأسست منظمة تنظيماً سياسياً فهي " جمعية بيروت السرية " يقول عنها مصطفى الشهاب :
- " تأسست " جمعية بيروت السرية " عام ١٨٧٥ م على يد بعض الطلاب في الكلية الأمريكية السورية البروتستانتية ( الجامعة الأمريكية ) وأخذت توزع منشوراتها المكتوبة بخط اليد في الشوارع ، وتلصقها على الابنية فسي بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا وكانت تطالب بما يلي :

---

( ١ ) يقظة العرب : ١١٧ - ١٢١ بتصرف . وان تعجبكم زعم هؤلاء " العربيون " الذين يدعون الى تمجيد العروبة واستبدادها بالاسلام ويدخلون معهم اعاجم من الامريكان والانجليز والفرنسيين ان هذا هو التناقض الذي يفضح أهدافهم الخبيثة وهي محاولة تمزيق المسلمين . وقد نجحوا للأسف .

- ١ - منح سوريا الاستقلال .
- ٢ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .
- ٣ - إلغاء الرقابة والقيود الأخرى المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة .
- ٤ - جعل الخدمة العسكرية محلية " ١ " وكان الأعضاء المؤسسين - كما يذكر كسرتوفيق علي برو - أكثرهم من المسيحيين وبعضهم تخرج من كلية بيروت الأمريكية وكان عددهم اثنا عشر رجلاً ثم ارتفع إلى سبعين منهم :
- ( ١ ) يعقوب صروف ( ٢ ) إبراهيم اليازجي ( ٣ ) فارس نمر ( ٤ ) إبراهيم الحوراني ( ٥ ) شاهين مكاريوس ( ٦ ) الياس حبالين " ٢ " واستطاع هؤلاء الأعضاء الأوائل أن يضموا اليهم ( ٢٢ ) شخصاً من مختلف الطوائف الدينية وهم من الصفوة المختارة " ٣ " .
- ويقول ساطع الحصرى عن مافعله نجيب عازورى مايلي :
- " .. وأنشأ نجيب عازورى "عصبة الوطن العربي" في باريس بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم التركي ، ونشرت العصبة حوالي خمسين ندوة موجهة إلى العرب تدعوهم إلى الثورة على الأتراك . ونشر نجيب عازورى عام ١٩٠٥ كتاباً بالفرنسية

- 
- ( ١ ) القومية العربية : ٤٥ وانظر يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .
  - ( ٢ ) العرب والترك : ٢٧ ، وكان إبراهيم اليازجي ينشئ " القوائد في الدعوة إلى اتحاد العرب ضد الأتراك وأشهرها القصدتين السينيتين والهاثية ويرى انطونيوس ان المؤسسين كانوا خمسة .
  - ( ٣ ) يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .

" يقظة الأمة العربية في آسيا " دعا فيه الى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقراً لخلافة إسلامية عربية ، وأن تتكون من الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية ، كما طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية ، وينتد عامين اصدار مسع مجموعة من الكتاب الفرنسيين مجلة شهرية هي :

## " L'Independance Arabe "

" استقلال العرب " صدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٠٧ م وكان الغرض منها التعريف بالبلاد العربية وإثارة اهتمام الناس بقضية تحريرها الا أن عازوري لم يفلح في إثارة اهتمام العرب بهذا الموضوع فكان أثره ضعيفا وحالت الرقابة العثمانية دون وصول نداءاته ومنشوراته الى البلاد العربية " ١ "

ويقول الاستاذ على المحافظة عن أهداف هذه العصبة مايلي :

" فهي ترغب ، قبل كل شيء ، في فصل السلطة الزمنية على السلطة الروحية ، من أجل صالح الاسلام ومصلحة الأمة العربية . . . " ٢ "

لكن من هو هذا العازوري الذي يدعو الى دولة عربية علمانية قائمة على حرية المعتقد والمساواة بين جميع المواطنين ؟ انه كما يقول دمر وجيه كوثراني :

- 
- ( ١ ) البلاد العربية والدولة العثمانية : ١٢٥ - ١٢٦ ويسى جورج انطونيوس هذه الجمعية " جامعة الوطن العربي " ويرى أنها أنشئت عام ١٩٠٤ م وان اسم المجلة " الاستقلال العربي " ( يقظة العرب : ١٧٢ - ١٧٤ ) .
  - ( ٢ ) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٣٥ هامش .

" ماروني من جبل لبنان ، عاش منذ صغره في فرنسا ، نشأ وتعلم في جوامعنا - ثقافي فرنسي ، ولم يكن يعرف العربية " ١٢٤  
يقول الدكتور وجيه كوثراني في تقويم هذه الحركات القومية النصرانية وموقف المسلمين منها مايلي :

" .. بيد أن هذه النقطة المشتركة لم تمن ابدأ التقاء بالوسائل والأهداف بين الفئتين الاجتماعيتين الاسلاميه والمسيحية ففي حين كان مثقفوا البرجوازية المسيحية في بيروت المتشربون بالافكار الاوربية " الليبرالية " قد بدأوا يلهجون بالانفصال عن الاتراك منذ ( ١٨٨٠ ) ( جمعية بيروت السرية ومناشيرها ) وينظرون لهذا الانفصال في باريس عام ( ١٩٠٥ ) بتعايير ومفاهيم اوربية ( كتاب نجيب عازوري مثلا : يقظة الامة العربية . كان المثقفون المسلمون الذين غلبت على ثقافتهم سمات التراث العربي - الاسلامي - يرون في هذه الاتجاهات محاولات استعمارية مشوهة يجب محاربتها " ٢ "

- 
- ( ١ ) الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ما أعجب هذا الامر شخص لا يعرف العربية ويتربى في فرنسا يدعو الى اقامة دولة عربية علمانية قومية الا يدل ذلك على ان هناك هدفا كبيرا يسعى له مسيحيوا المشرق والمغرب الا وهو القضاء على عز المسلمين .
- ( ٢ ) الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١١٠ .

ثم يقول أيضا :

" أما بالنسبة للبرجوازية المسيحية الدينية : صحيح أنها لم تكن  
 أسيرة الموقع الاجتماعي الضيق الذي احتله الموارنة في الجبل في إطار  
 " النظام الأساسي " وسيادة الكليروس الماروني ، ولكنها بارتباطها  
 الاقتصادي بأوروبا وثقافتها " الليبرالية " التي تنحو نحو " العلمانية " وافتتاحها " الكوسموبوليتي " التي تجسد في انتماء بعض عناصرها إلى  
 المحافل الماسونية ، فإنها كانت لا تدعو فحسب للاستفادة من " النموذج  
 الأوروبي " ، بل أيضا لاعتبار أوروبا صديقة ينبغي أن تتدخل وتحكم  
 لاصلاح حالنا واعداد " الدولة / الامة " المنشودة " هذه الامة " .  
 هي المشرق العربي كما فهمها نجيب عازوري ، هي " سورية الطبيعية " .  
 كما دعا لها فارس نمر ويعقوب صروف صاحب المقطم والمقطف أو كما تصورهما  
 ندره مطران وجورج سمع وخير الله في كتبهم التي حملت عنوان " سورية " .  
 " ان هذه الحزبة " القومية " . . . الانفصالية حملتها في رأيها  
 - وقبل ١٩١٥ - فئات اجتماعية غير " جماهيرية " ، بل أكثر من ذلك  
 معادية " لخط الجماهير " من هنا لا يمكن - في رأينا - اعتبار اصحاب  
 هذه النزعة " طليعيون " لا لسبب ، الا " لعلمانيتهم " المعلنة . ما يهم  
 ليس الفكر مجزءا عن الواقع الذي انتجه . ان المشروع السياسي الذي  
 أنتجه اصحاب هذه النزعة هو " مشروع امبريالي " أو دعوة للاستعمار متلبسة  
 لباس " التقنية " . قد يدعو هذا الكلام الى الدهشة . لكن ماذا يسعنا أن  
 نحكم -----

نحكم حين نقرأ لفارس نمر - وهو يجادل رشيد رضا في الموقف عمن  
الاستعمار - : " انا احتلالي على رؤوس الاشهاد " (١)

وهكذا اتضح لنا في الصفحات السابقة ومن نصوص النصارى  
مدى الدور الخطير الذى أدوه لنقل العلمانية الى العالم الاسلامي واتضح  
لنا مدى موازنة نصارى الغرب لهم في أداء هذا الدور . وبذا يتضح لنا  
مدى حق نصارى الشرق والغرب على المسلمين ، وأن نصارى الشرق  
بمعيدون كل البعد عما ادعوه من الوطنية الزائفة ، ولعل أقرب مثال حي  
حاضر هو مهزلة من يسمى بـ " المنشق سعد حداد " وسكوت نصارى  
لبنان وغيرهم عن هذا الفعل . وهذا يؤكده ما يقوله كل مسلم ملتزم باسلامه  
من انه لا رابطة بين الناس الا رابطة العقيدة ، وكل الروابط الاخرى لا تصلح  
لتتكون منها المجتمعات والدول . وهذا كله مصداق قوله تعالى : " ولن  
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبلغ ملتهم " ( البقرة : ١٢٠ ) .  
غير أن هذا لا يعني أن نلقى تبعاتنا على النصارى واليهود  
وننسب اليهم كل ما أصابنا كأننا هم قوة لا تقهر - في خططهم - وقد اجتاحتنا  
على حين غرة دون ان نقدر على دفعها .

( ١ ) نفس المصدر : ١١١ ، ١١٢ ، وتكلمة العبارة المنقولة عن فارس في  
مجادلته لرشيد رضا مايلي : " من اكبر الاحتلاليين ، لانسي  
جاهرت وشهدت ولم أخف ولم أنكر أن المحتلين أصلحوا في هذا  
القطر اصلاحا عظيما " .

نفس المصدر : ١٦٤ عن المقتطف مجلد ٦ ص ٢٦٠ -

إننا كما أوضحنا في الفصل الاول لم نؤت الا من قبل أنفسنا وما عوقبنا الا بما جنته ايدينا \* ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم\* فنحن الذين أعطينا الكفار - من يهود ونصارى - الفرصة للتخطيط ضدنا وذلك حين واليناهم والله يقول ناهياً لنا عن ذلك : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فمسى الله أن يأتيهم بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا من أنفسهم ناديين " . .

( المائدة : ٥١ ، ٥٢ ) .

" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : " وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً " فلولاً إفلاسنا من الصبر والتقوى ، بل ومن الايمان والتصور السليم ماكان لهذه المخططات من أثر ، وإن كان فهو كالجرح الذى سرعان ما يندمل او الاغفلة تعقبها الوثبة .

" . . . وحين نقول إننا كنا مسلمين حقيقيين حتى جاء الكفار فأفسدوا علينا ديننا ودياننا فإننا لانكون مخطئين في تصورنا فحسب ، بل نكون قد قطعنا على أنفسنا الطريق الصحيح للعودة . ذلك الطريق الذى يبدأ أساساً من معرفتنا باننا كنا منحرفين ، وفهمنا لاسباب ومظاهر الانحراف والاستقامة " . " ١ )



وبعد معرفتنا لأثر هؤلاء النصارى - الفكري ، والسياسي -  
في العالم الاسلامي بنقلهم للعلمانية في الفكر والسياسة هل بقي عوامل  
أخرى ، كان لها أثر في نقل العلمانية - فكرا وتطبيقا - ؟ هذا  
ماسوف نعرفه في الفقرة التالية " المخططات الصليبية واليهودية " .  
المتثلة في قوى الاستقياد ، والتبشير ، والاستشراق .

## الفصل الثاني

### عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

المبحث الثاني : عوامل خارجية ( المخططات الصليبية واليهودية )

\* تمهيد

أ - قوى الاحتلال المباشر وأثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني

ب - التبشير وأثره في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي

ج - الاستشراق وأثره في نقل الفكر العلماني

—...—

## المبحث الثاني : عوامل خارجيه - المخططات الصليبيه واليهوديه -

### تمهيد :

نزل القرآن الكريم وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت الدعوة فيه الى الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم موجهة الى كافة البشر . (١)

بل وجهت الدعوة الى اليهود والنصارى خاصة باعتبارهم أهل كتاب ساقى على القرآن منزل من عند الله . قال تعالى :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا تعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون . " (٢)

فماذا كان موقف أهل الكتاب عموما من هذه الدعوة وماذا كان موقف اليهود خصوصا ؟ .

أما موقف اليهود فيوضحه قوله تعالى :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشرىوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بثسما يأمركم به ايمانن ان كنتم مؤمنين . " (٣)

( ١ ) انار سورة الاعراف : ١٥٨ .

( ٢ ) سورة آل عمران : ٦٤ وانظر سورة المائدة : ١٥ - ١٩ .

( ٣ ) سورة آل عمران : ٨٩ - ٩٣ وانار : ٩٩ - ١٠١ .

فالأية تبين أن موقف اليهود كان هو الكفر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن كفرهم هذا كان سببه الحسد للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه وحى وأن تخرج الرسالة عن بنى اسرائيل .

ولم يكتفوا بهذا الموقف بل أنهم أخذوا يحاجون الرسول صلى الله عليه وسلم في قضايا كثيرة منها : ١- ملة ابراهيم (١) ٢- القبيلة (٢) ٣- مواقف السخرية والتحدى للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمحااجة للرسول (٣) بل زادوا على ذلك بالدسائس التي غطوها بين المسلمين ، والتآمر مع المنافقين والمشركين . (٤)

وقد وصل بهم الحقد على المسلمين الى حد أنهم أساءوا الى احدى نساء المسلمين في سوق بنى قينقاع فكان ذلك سببا في اجلاء بنى قينقاع من المدينة .

بل تأمرت قبيلة بنى النضير على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم حسين جاورهم يستعين بهم في تحمل دية بعض القتلى من بنى عامر الذين قتلهم أحد المسلمين فكان ذلك سببا لاجلائهم . (٥)

وتآمرت قبيلة بنى قريظة مع المشركين في غزوة الأحزاب على قتال المسلمين فكان ذلك سببا في قتل مقاتلتهم . (٦)

أما موقف النصارى من الدعوة الاسلامية فكانوا في غالبيتهم يقفون موقف العداء والكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم .

( ١ ) انظر سورة البقرة : ١٣٠ - ١٤٠ .

( ٢ ) انظر سورة البقرة : ١٤٢ - ١٥٢ .

( ٣ ) انظر سورة آل عمران : ١٨٠ - ١٨٣ وانظر سورة النساء : ٤٤ - ٤٦ .

( ٤ ) انظر في ذلك : سورة المجرة : ٧٥ و ٧٦ و ١٤٠ وسورة النساء : ١٣٨ .

١٤٩ . وسورة المائدة : ٥٢ و ٥١ ، وسورة الحشر : ١١ .

( ٥ ) انظر سورة الحشر .

( ٦ ) انظر سورة الأحزاب .

قال تعالى " اتخذوا أربابهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .  
والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه  
عما يشركون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره  
ولو كره الكافرون " سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

فهذه الآية توضح أن النصارى اتخذوا رهبانهم أرباباً من دون الله  
واتخذوا المسيح كذلك وهم مأمورون بعبادة الله وحده ثم توضح أنهم لم  
يستجيبوا لهذه الدعوة بل هم يريدون اطفا نور الله (الاسلام) بأقوالهم  
السيئة في الاسلام لتشكيك المسلمين في دينهم ومن ثم انها وجود الاسلام .

بل ان النصارى حصل منهم حاجة ومجادلة للرسول صلى الله عليه  
وسلم في عيسى عليه السلام وخلقه ودعوى الوهينة . (١)

ولكن النصارى لم يستطيعوا التآمر على المسلمين وعلى الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، وذلك لبعدهم عن المدينة ولا نشغال دولة الروم النصرانية  
بصراعاتها مع دولة الفرس .

أما الحبشة فقد كان موقف طكها النجاشي موقفاً <sup>مشرقاً</sup> بل هو قد أسلم فأمن  
المسلمون جانبه بل أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى بلاده  
مرتين ، ولكن ذلك لم يمنع تصارى الروم حين علموا اتساع نطاق دعوة الرسول  
صلى الله عليه وسلم أن يجمعوا جموعاً كثيرة في الشام لغزو المدينة فبادرهم  
النبي صلى الله عليه وسلم بغزوة تبوك وقد حكى سورة التوبة شيئاً من هذه  
الغزوة

وقد نزلت آيات تدعو المسلمين لقتال النصارى حتى يعطوا الجزية  
عن يد وهم صاغرون ، قال تعالى : " ... قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله  
ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من  
الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " التوبة : ٢٩ .

( ١ ) انظر سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عداوة اليهود والنصارى للمسلمين  
في قوله تعالى :

" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى  
الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من  
الله من ولى ولا نصير " القرعة : ١٢٠ ، ١٢١ .

فهذه الآية توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن اليهود والنصارى لسن  
يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم - وليس معنى اتباع ملتهم أن يدخل  
المسلمون في النصرانية واليهودية فقط - بل يشمل ذلك اخراج المسلمين من  
اسلامهم واتباعهم لأهواء اليهود والنصارى - وهذا يكفى اذا لم يستطيعوا  
ادخال احد من المسلمين في النصرانية أو اليهودية .

ولعلنى لا أكون مبالغاً ولا مجاوزاً للحقيقة اذا قلت بأنه لم يوجد فى  
التاريخ البشرى عداوة تساوى أو تقرب فى شراستها فى الأساليب من عداوة  
اليهود والنصارى للأمة الاسلامية . ولم تكن أسباب هذه العداوة من نوع  
الأسباب السياسية أو الاقتصادية ، بل ان سببها المباشر الحقد على المسلمين  
الذين أنعم الله عليهم بهذا الدين .

وأوضح الأدلة على عداوة النصارى للمسلمين الحملات الصليبية التى  
جهزت للقضاء على المسلمين على مدى قرنين من الزمان ، كما أن الأدلة  
على عداوة اليهود للمسلمين المؤامرات الكثيرة ضد المسلمين التى دبرت من  
قبل اليهود بدءاً بقتل عمر رضى الله عنه ، وعثمان وانهاءً بالواقع الحالى  
المتصل فى سيطرة اليهود على العالم الغربى خاصة الولايات المتحدة ومن  
ضمن ذلك سيطرتهم فى اتخاذ القرارات السياسية وقد بدأت معالم سيطرة  
اليهود على العالم الغربى بعد الثورتين الانجليزية والفرنسية ، ومن ثم اتخذت  
العداوة بيننا واحداً متضامناً لأن مصالحهما متشابكة ومتداخلة ، وكان الصليبيون  
على استعداد للتخلي عن عداوتهم لليهود ، بعد أن سيطر اليهود عليهم ،  
وهكذا سخر اليهود الصليبيين للقضاء على العدو الأكبر لليهود وهم المسلمون .



الشرقية تغيير معتقدات المسلمين . وما دام أن هذا الهدف لم يتحقق للصليبيين فالعداوات كلها صليبية والحروب كلها صليبية .

ويؤكد أن هدف الأوربيين من كافة حروبهم هو القضاء على الاسلام أن أول عمل قام به الانجليز في الهند هو الغاء الشريعة الاسلامية وأن أول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الاسلامية واستبداله بالقانون الفرنسي ، وأن أول عمل قام به أناب اليهود والنصارى في تركيا بعد ثورة مصطفى كمال كان الغاء الشريعة الاسلامية ، وعلان الدولة التركية دولة عثمانية .

ولقد أدرك الصليبيون واليهود ان التخطيط المشترك بينهم أصبح ضروريا بعد الموقف المشرف الذي واجه به السلطان عبد الحميد رحمه الله - هرتزل زعيم الحركة الصهيونية آنذاك إذ آيقن هؤلاء أن القضاء على الدولة العثمانية سيخدم مصلحة للطرفين فالصليبيون كانوا يتحينون الفرصة لمواتية للأخذ بثأرهم من المسلمين لهزيمتهم في الحروب الصليبية واليهود أيقنوا أنهم بعد فشلهم مع السلطان عبد الحميد لا قدرة لهم على العمل المنفرد - فلا بد من التركيز على العالم الصليبي بثقل لجعله مسخراً لهم - واتفقت أهداف المعسكرين الصليبي واليهودي ووصلت إلى قمة التوحيد بعد قرار المجمع المسكوني الذي صدر من الفاتيكا عام ١٩٦٤ وقد نص على تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام وكان الهدف من هذا القرار محو كل اثر للعداء بين الصليبيين واليهود (١)

وإذا كانت العداوة للمسلمين لم تتغير فإن الوسائل والخطط تغيرت كثيراً وقد طرح رأيان في هذا العصر مسألة القضاء على المسلمين وعلى الاسلام في نفوس ابنائه .

الرأي الاول : يعتقد أن السبيل إلى ذلك هو احتلال الاراضى الاسلامية احتلالاً عسكرياً كما فعل الصليبيون سابقاً . وهذا رأى المستشرق كيمون الذي يرى أن من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدوير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر (٢) .

( ١ ) انظر بعض النقاط الاساسية في وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح في كتاب : التيشير والاستعمار : ٢٦٤ ، ٢٦٥ . وانظر حديث الشيخ محمد الفضالي عن الوثيقة في : حصار الضرور : ١٢٨ - ١٣٠ .

( ٢ ) الاسلام على مفترق الطرق : ٤١ والاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر ٣٤٩/١ . وانظر القومية والغزو الفكري : ١٩٢ .



ورأى

و " غلام ستون " رئيس وزراء بريطانيا سابقا الذي يقول

" مادام هذا القرآن موجودا بين أيدي المسلمين فلن تستطيع

أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " ١

ويبدو أن هذا التفكير الوحشي يطمح في أن يتكرر ما حصل فسي

الاندلس - من انهاء وجود المسلمين - في المشرق .

أما الرأي الثاني - وهو رأي ذكي - فقد بحث أصحابه في سر

الهزائم التي مني بها الغرب في الحروب الصليبية وفي عهود الاحتلال المباشر

لهبلاد الاسلام فوجدوا أن السرف في ذلك هو الاسلام ، فوضعوا بناء على ذلك

- خطأ لا تقوم على اباداة المسلمين واحتلال اراضيهم وإنما هدفها الاساسي

اقتلاع الاسلام من نفوس المسلمين ، أو عزله عن واقع الحياة ، وهكذا يريد

هو لا أن تنتقل المعركة من الارض الى الادمغة ، وأن تكون وسيلتها

الفكر بدلاً من السلاح ، وأصبحت المؤسسات الفكرية ، والمناهج والخطط

تدير هذه المعركة لاحتلال الادمغة وتسييرها حسب ما يريد الصليبيون .

وقد عمل أصحاب هذا الرأي احتياطات كثيرة لنجاح هذه الحرب الفكرية ،

كان على رأسها عدم التصريح بعداوة المسلمين ، وأن تتخذ المعركة

شعارات هدة ، كأن توصف بأنها معركة بين الشرق والغرب ، أو انها

حرب بين اليسار واليمين ، ويجب تجنب وصف هذه المعركة بأنها دينية

إذ أن هذا يستثير حمية الجهاد عند المسلمين ، واستشارتها يعني فشل

خططهم وتكرار هزائم حطين وغيرها .

وقد سبق هو لا وكان أول من نبه الى هذه الخطة " ليويس التاسع "

ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثانية الذي اعتقل في المنصورة بمصر .

يقول الشيخ الفزالي عن ذلك مايلي :

« (١) الاسلام على مفرق الطرق : ١٤ »

" يقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ " جوانفيل " الذى رافق لويس التاسع : إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبناها إزاء العرب والمسلمين .

ويقول : " رينيه جروسيه " : إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها .

" وهكذا انشاق لويس التاسع بقوة الأحداث فرسم التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تكنه من مواجهة الاسلام والنيل من قوته ثم زادت الأحداث استيعابها وتغلبا لمشكلات الغرب في هذا الصدد فوضح معالم سياسته الجديدة واتجاهاتها وأسسها على النحو التالي :

أولاً : تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لافرق بين الحطمين الا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم في المعركة . . . وقد تمثل ذلك بإثارة الخلافات في أوساط المسلمين ، والامعان في ذلك بتأييد بعضهم على بعض واستغلال ما يكون بين المسلمين من خلافات استغلالاً يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية وتفتت الكتلة الاسلامية وبذا ينتهي الاسلام من تلقاء نفسه . " (١)

ثانياً : تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب .

ثالثا : العمل على استخدام مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة

الغرب .

رابعا : العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي

يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزاً لقواته الحربية ولدعوتها السياسية والدينية ومنها يمكن حصار الاسلام والوثوب عليه كلما اتهمت الفرصة لمهاجمته .

وقد عين لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة ، الاراضي الممتدة على

ساحل البحر الابيض من غزة حتى الاسكندرية وتشمل فلسطين والاردن ، والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها .

والى هذه السياسة - التي اتخذها الغرب أخيراً خطة له

عن لويس التاسع وأعتنقها وطبقها يرجع الفضل في تأخير سقوط بيزنطة في يد الاتراك لمدة ثلاثة قرون " ١ "

وقد نفذ هذه الوصية وسار على نهجها نابليون بونابرت فقد وجه

خطاباً الى الشعب المصري حين وصل الى مصر أقتطف نهداً منه تدل على

مدى المكر والخديعة لدى هؤلاء الصليبيين وقد بدأها بالبسطة كما في

بعض ترجمات الخطاب في بعض الكتب التي نقلت الخطاب . " ٢ "

" يا شعوب مصر سوف يقولون لكم اني قادم لابطال ديانتم ، فلا

تصدقوهم بل قولوا لهم اني آت لاعد اليكم حقوقكم ، واعاقب مختلسيها ،

وانا احترم الله ونبيه الكريم أكثر مما يحترسهم الماليك قولوا لهم ان جميع

البشر متساوون لديه تعالى ، وانه لا فرق بينهم الا بالحكمة والمواهب العقلية

( ١ ) نفس المصدر : ٢٠٧

( ٢ ) نابليون المسلم .

والفضائل وعليه بأى حكمة ومواهب عقلية وفضائل يمتاز بها الماليك  
حتى يتسنى لهم أن يتمتعوا بكل ما يجعل الحياة هنيئة وعذبة ؟ -----  
" أيها القضاة والشيخ والشورجية . قولوا للشعب انا اصدقاء "

مخلصون للمسلمين الحقيقيين أولسنا نحن نكلنا بالبابا وقد كان ينادى بوجوب  
شهر الحرب على المسلمين ؟ أولسنا نحن الذين آيدنا فرسان مالطسة  
الأغرار وقد كانوا يعتقدون ان الناري عزولا يريد أن يشهر القتال على  
المسلمين ؟ ..... " ١ "

هذا ما قاله نابليون والواقع أن الاعمال الحقيقية التي غزا من أجلها  
مصر ، لم تكن خافية ولن تكون خافية على كل ذى عقل وبصيرة .  
وهكذا استفاد الغربيون من وصية لويس التاسع وبدأت مخططاتهم  
المتآزرة مع المخططات اليهودية ، لاخراج المسلمين عن دينهم وحطهم على  
العلمانية وقد عمل الغربيون على تحقيق هذا الهدف عن طريق الاحتلال  
المباشر ، والتبشير - التنصير - والاستشراق .

---

( ١ ) تاريخ نابليون الاول : ٩٢ / ١ ، ٩٣ ويثله مع اختلاف فسي  
الالفاظ أنظر " وثائق ونصوص من التاريخ الحديث والمعاصر "

أ - قوى الاستعمار وأثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني :

لقد استفاد الغربيون الصليبيون استفادة عظيمة من وصية لويس التاسع فقدت جيوش الاحتلال إلى العالم الإسلامي وهي تقاد بعقلية مختلفة عن للعقلية الصليبية السابقة ، أن هي تتنوع بدورها كبير وتعلمس مقدماً لأن مهمتها أعظم من مهمة الأجداد الصليبيين وأن أساليبها يجب أن تتغير ، وأن نجاح مهمة هذه الجيوش يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة التي نمت اليها لويس التاسع .

وكان من أول ثمرات هذه الخطة أن استطاعت الدول الصليبية محاربة جيوش الدولة العثمانية بإفراد من المسلمين ساروا تحت قيادة الجنرال اللنبي حتى دخل القدس .

والحق أن هذه الحروب هي أول حرب صليبية يكون وقودها مغفلون من المسلمين ، ولقد إقضت اتفاقية " سايجس بيكو " بين فرنسا وإنجلترا وروسيا توزيع بلاد المسلمين بين هذه الدول ،<sup>(١)</sup> وبدأت من بعد ذلك التقسيم الدول الصليبية تتفك مخططاتها المرسوم لها في كل بلد ويمكن تلخيص جهود الصليبيين في إبعاد المسلمين عن دينهم في هذه الفترة - في الآتي :

١ - القضاء على الحركات الإسلامية التي جاهدت الصليبيين المحليين لبلدانها مثل حركات إسماعيل الشهيد في الهند ، والمهدي في السودان ، والخطابي في المغرب ، وعبد القادر الجزائري في الجزائر

مصلة

(١) عقدت هذه الاتفاقية في ١٦ مايو عام ١٩١٦ م بموجبها فرنسا على

جميع بلاد الشام وجزء من العراق وحصلت بريطانيا على فلسطين

والاردن ومعظم العراق .

وعمر المختار في ليبيا ، وفي مصر قتل الشيخ حسن البنا بعد أن عجزت  
مخططات بريطانيا عن احتواء دعوته ثم ضربت الحركة على أيدي قادة الثورة  
عامي ١٩٥٤ م و ١٩٦٦ م .

٢ - الغاء المحاكم الشرعية وإحلال القوانين الوضعية محلها :

لا ريب أن إقامة الحدود الشرعية والقصاص بل كون جميع القضايا التي تعرض  
للناس في حياتهم وتعالجهم مع غيرهم ميت فيها قضية يستندون إلى أحكام الشريعة  
الاسلامية هذا فارادوا القضاء على المحاكم الشرعية وإحلال القوانين  
الوضعية محلها حتى يعدم الأمن بين الناس يقول الأستاذ علال الناسي  
في بيان ذلك :

• كان أول قطر بدأ فيه الغاء الشريعة الاسلامية - كما يقول  
المودودي - هو الهند فقد كانت الشريعة الاسلامية تطبق حتى عام  
١٧٩١ م لكن الانجليز أخذوا بعد ذلك يلغون من الشريعة الاسلامية  
شيئا فشيئا حتى تم الغاء التحاكم الى الاحكام الشرعية في منتصف القرن  
التاسع عشر .

• ثم الغى العمل بالشريعة الاسلامية في الجزائر عام ١٨٣٠ م

واستبدل بالقانون الفرنسي .

• ثم أدخلت القوانين الفرنسية في تونس عام ١٩٠٦ والمغرب عام  
١٩١٣ عوضا عن الشريعة الاسلامية ، وهكذا لبنان ، وأصبح لا يطبق  
حسب الشريعة الا ما كان متعلقا بالاحوال الشخصية ، وهكذا أصبح القانون  
المدني الفرنسي مطبقا في مصر ولبنان وتونس والجزائر والمغرب ، أما سوريا  
وفلسطين والاردن والعراق وليبيا فقد تأخر تطبيق القوانين الوضعية حتى  
انهيار الدولة العثمانية .

" أما البانيا وتركيا فقد ألغتا الشريعة ، فأعلنتا في القرن  
للعشرين بكل جرأة أنهما دولتان لادينيتان " ١

ولعل أوضح دليل على ماعمله الاستعمار في سبيل إلغاء المحاكم  
الشريعة ، اشتراط الانكليز على النحاس باشا حين ذهب الى لندن عام ١٩٣٦  
ليفاوض الانكليز في أمر المعاهدة - إلغاء المحاكم الشرعية - فاعتذر ،  
وأظهر خوفه من الهيجان الشعبي لكنه وعدهم بتقليص نفوذها من البلاد ،  
وعند ما تعهد الانكليز بالخروج من الكويت شرطوا إلغاء الحكم  
بالشريعة ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لابد من قانون يحمي  
حقوق الاجانب والمواطنين ، وسلمت المحاكم لحكام مدنيين . " ٢

٣ - الاجهاز على التعليم الاسلامي : وقد أدرك المحتلون  
للبلاد الاسلامية أن أنجع السبل لاقضاء الاسلام من نفوس ابناءه هو أن  
يصحوا جاهلين به ، وكان لهم في مصر كبير " ٣ - الحاكم العسكري

الفرنسي ايام احتلال نابليون - على يد أحد طلاب العلم وهو سليمان الحلبي  
كما كان لهم فيما اصبوا به من هزائم من جراء مقاومة المسلمين لهم في كافة  
البلاد الاسلامية وعلى رأس المقاومين علماء الاسلام وطلابهم - كما كان لهم في ذلك  
عبرة وعظة في استفادتها منها في التخطيط للحرب العالمية من حينئذ  
عنه طريقه تخليصهم من هزائمهم ومقرراتهم في التعليم

" ١ " دماغ عمر الشريعة : ١٧٥ - ١٧٩ . وانظر في تفصيل تركيز  
المحتلين على القضاء الشرعيه نفس المصدر : ١٧٤ ، ١٧٥ .  
" ٢ " المخطوطات لا سيما في الكافي الاسلام : ١٥٦

لذا فقد وضعوا من المخطط ما يقلص التعليم الديني تدريجياً  
واحلال التعليم اللاديني محله ، وقد كان أهم وأشهر هذه المخطوط ،  
مخطط كل من كرومر ود نلوب في مصر .

وسوف أذكر معالم هذا المخطط عند الحديث على أثر العلمانية

### في التربية والتعليم .

٤ - إستخدام الطوائف النصرانية وغيرها واحياء الطوائف الباطنية  
وهي من أعيث خطط المحتلين وأكثرها دلالة على مدى الحق على الاسلام  
والمسلمين ، فقد كان المحتلون الصليبيون يعملون ضمن ما يعملون على  
إحياء العقائد الميتة في البلاد الاسلامية ، وتنظيم الطوائف النصرانية ،  
ويمهدون لها كل السبل لتولي المناصب المهمة ، ولا يخفى على الباحث  
مأعله الصليبيون من ضغوط على الدولة العثمانية في أواخر عهدا لاعطاء  
النصارى في الشام حكماً ذاتياً عرف بنظام المتصرفية ، وهذا مهد الطريق  
لفرنسا حين احتلت لبنان لدعم النصارى وتسليحهم وظائف الدولة العليا ،  
وتنظيم طوائفهم في جمعيات ومؤسسات وأحزاب عسكرية ومدنية .

أما فيما يتعلق بالطوائف الباطنية فقد استطاعت فرنسا بحكم  
إحتلالها لبلاد الشام أن تبعث عقائد الباطنية عن طريق مستشرقيهما  
وتنشر كتبهم التي تدعو لهذه النحلة ، وأطلق الفرنسيون على الطائفة  
الباطنية " النصيرية " اسم العلويين لتخفيف حدة العداء بين المسلمين  
وهذه الطائفة باضفاء اسم محب عليهم ليتوهم الناس أنهم من محبي علي  
ابن أبي طالب رضي الله عنه ومن اتباعه وهم أبعد الناس عن ذلك .  
واصطنعتهم عملاً لها وحرضتهم ومهدت لهم سبل الالتحاق بالجيش حتى  
تسبوا قيادته العليا ، ثم استطاعوا أخيراً التحكم في الاكثية المسلمة .



أما في مصر فقد مكن للاقباط من بناء الكنائس والمدارس بكثرة ،  
 ومكن لهم من تسلم المناصب الوزارية برعاية الانجليز ، ولقد كان الجنرال  
 يعقوب أحد الاعلام النصارى الذين قدموا خدمات جليلة للجيش الفرنسى  
 التى غزت مصر فى عهد نابليون . يقول الاستاذ جلال كشك عنه مايلي :  
 " والجنرال يعقوب هو الذى كون فيلقاً لضرب الشعب المصرى ،  
 ومعاونة الاحتلال الفرنسى ثم خرج هارباً مع جيش الاحتلال .  
 " وقد نهض يعقوب وحده باعباء تموين الحملة ( حملة ديسيه  
 على الصعيد ) والجيش المتفرقة على طول النيل . . . " <sup>١</sup>  
 وفى معظم دول افريقيا خرج المحتلون الفرنسيون وغيرهم وسلموا  
 الحكم لحكومات نصرانية فى غالبها وتحكم شعوباً اسلامية قد تصل نسبة  
 المسلمين الى أكثر من ٩٠ ٪ ولعل أقرب مثال على ذلك حكومة السنغال  
 فان رئيس جمهوريتها نصراني " نصرته فرق التبشير فى افريقيا منذ صفره " <sup>٢</sup>  
 أما فى الهند وايران فقد اصطنع الاستعمار الانجليزى عملاً خرجوا  
 بطوائف جديدة كالقاديانية والبهاية واليابية . <sup>٣</sup>

- 
- ( ١ ) الغزو الفكرى : ١٠٤ .  
 ( ٢ ) ابن محاض الجيل المسلم : ٣٣ .  
 ( ٣ ) انظر ماكتبه العلامة ابو الاعلى المودودى رحمه الله فى كتابه  
 " ماهي القاديانية " وماكتبه العلامة أبو الحسن الندوى فى  
 كتابه القادياني والقاديانية وماكتبه غيرهما . وانظر ماكتبه  
 محب الدين الخطيب رحمه الله عن البهاية وماكتبه محسن  
 عبد الحميد فى كتابه البابية والبهاية وغيرها من الكتب .

٥ - اصطناع العملاء من أبناء المسلمين : وأول من تنبه لهذا

الأمر فيما اعلم القسيس زويمر الذي قال :

" تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد اعضاءها " (١)

وقد نفذ المحتلون هذه النصيحة ، واستطاعوا أن ينظموا من ضعفاء الايمان من المسلمين أحزابا واتجاهات بعضها سياسي وبعضها فكري رخوا تحت رعاية المحتلين وحشيت أدفتهم بالاكانيب ضد الاسلام ، وتجبيد الغرب وعلومه ومدنيته ، ومع الزمن أصبح هؤلاء يشعرون بالنقص والتبعية للغرب وآثروا فيمن يتصل بهم .

واختار المحتلون من هؤلاء الافراد الذين رخوا تحت سمع وبصر المحتلين بالطريقة التي يريدونها - اشخاصاً رأى المحتلون فيهم أنهم أقدر من غيرهم على اكمال المخططات التي خطط لها بعد رحيله من البلاد . وكان لابد من ابراز اشخاص منهم فصنع لهم المحتلون بطولات زائفة حتى ظن معظم الناس ان نهضة البلاد ستكون على يد هؤلاء فخصموا واسلموا أمرهم لهؤلاء الابطال المزعومين فلما تمكن هؤلاء الصنائع انزلوا بالامة من الذل والخراب في العقيدة مالم يفعلها المحتلون الاسياد .

وان من أمثلة هؤلاء الواضحة مصطفى كمال في تركيا ، وجمال عبد الناصر في العالم العربي ، وسوكراتوف في اندونيسيا والشاه في ايران (٢)

(١) القارة علي العالم الاسلامي : ٨٠

(٢) انظر في هذا الكتب التالية : الرجل الصنم ، اختاروا احدى السبيلين ، الصراع بين الفكرة الاسلاميه والفكرة الغربية .

٦ - مساندة النزعات القومية وانكاس روح العصبية العرقية :  
يتحين المحتلون الغرض لخروج شخص من المسلمين بفكرة جديدة تعارض  
مبدأ من مبادئ الاسلام ، ومن أهم الامور التي رأى المستعمرون أنها  
مفيدة في القضاء على كيان المسلمين المتناسك هو مساندة الدعاة التي  
النزعات القومية أو اصطفاةهم لبث هذه النزعات ،

وقد كان أول من بدأ بالدعوة إلى الطورانية شخص يدعى " يوسف  
آتشورايف " من تركستان روسيا وقد شكل جمعية انضم إليها مجموعة من  
آمنوا بفكرته ودعوا إلى القومية الطورانية التركية ونفذ كل مآعدها من  
القوميات واطلقوا على هذه الجمعية اسم " ترك بوردا " أي وطن الترك ثم  
قامت حركة أخرى من هؤلاء الدعاة " باسم " ترك اوجاغي " أي حول الموقد  
التركي ، واستمر هؤلاء في دعوتهم عن طريق نشر المقالات والمنشورات والكتب ،  
وكان رجال المخابرات البريطانية يؤيدونهم وينفقون عليهم . وفي هذه  
المرحلة قامت فكرة التجمع العربي على أساس القومي ، وأيدهم الاستعمار  
وكانت مراكز تجمعاتهم في اسطنبول هي دور السفارات الانكليزية والفرنسية  
والامريكية .. " ٢ "

---

( ١ ) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : ١٢٥ ، ١٢٦ ،  
وانظر البلاد العربية والدول العثمانية : ١٢١ ، ١٢٢ .

ب - التبشير - القنصير - وأثره في نقل الفكر العلماني

الى العالم الاسلامي :

ماهي أهداف الصليبيين من حروبهم للمسلمين خاصة الحروب  
الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشراق ؟ وما هي خطة العمل التي يسير  
عليها المبشرون ؟ وماهي وسائلهم في هذا المجال ؟ وهل هناك تآزر  
بين المحتلين الصليبيين واخوانهم المبشرين ؟

كل هذه التساؤلات سوف يجيب عليها هذا الجزء من البحث فأقول

وبالله التوفيق :

أما عن الأهداف التي يسمي الصليبيون لتحقيقها في حروبهم للمسلمين  
عسكريا وفكريا : فقد أوضحها القرآن توضيحا كشافيا وهو العقد والحسد  
للمسلمين وهذا يدفعهم لمحاولة صد المسلمين عن اسلامهم واخراجهم  
منه "١" وقد أوضح كثير من الصليبيين هذا الهدف بوضوح ايضا .

قال غاردر : " لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي  
المسلمين ليقموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي - والحروب الصليبية  
لم تكن لا نقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمر الاسلام " ٢

وهكذا يوضح هذا القطب من أقطاب الصليبيين المبشرين أن هدف  
الحروب الصليبية كان هو القضاء على الاسلام وانها وجوده من واقعه  
المجتمعات ، وتحويل المسلمين الى نصارى واقامة دولة نصرانية مكان الدولة  
الاسلامية .

( ١ ) هذا هو مايدفع المبشرين من التعامل مع كل المسلمين ولكنهم غيروا

استراتيجيتهم فجعل الهدف هو تشكيك المسلمين عموما ومحاولة  
تنصير من يستطيعون تنصيره من الجبهة والا طفال .

( ٢ ) التبشير والاستعمار : . ١١٥ .

أما عن أهداف الحروب الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشراق فسوف أقصر هنا على ذكر أهداف التبشير ثم أذكر أهداف الاستشراق في موضعها من هذا البحث .

كان هدف التبشير ولا زال - في المناطق الجاهلة بأمور الاسلام - هو تنصير ما يمكنهم تنصيرهم من أبناء المسلمين ، ولا أدل على ذلك من أن بعض زعماء افريقيا ممن أمكن تنصيرهم ، وأقرب مثال على ذلك رئيس جمهورية السنغال ليوبولد سنغور فقد استطاع المبشرون تنصيره مع أن أبويه وأخوته وأقاربه لازالوا مسلمين .<sup>١</sup> وقد استقال أو أقيل وتولي الحكم بعده مسلم يدعى " عهدو ديوف " .

ويذكر الأستاذ احسان حقي في رسالة بعثت بها الى مجلة المسلمون عن التبشير في افريقيا أن الحكومات المثلثة للبلاد الاسلامية هناك والقسيس المبشرون ، عملوا على تنصير المسلمين لكنهم لم يفلحوا في اكتساب احد الا من الوثنيين أو الاطفال الذين كانوا يأخذونهم ويبرهنهم على المسيحية .<sup>٢</sup> ولهذا السبب فقد تنبه المبشرون الى أن هذه الوسيلة وحدها غير كافية فلا بد من وسيلة أخرى يكون مفعولها وأثرها على المسلمين أقوى ففعلوا في استراتيجيتهم فجعلوا هدفهم الأكبر يتحل في صورتين اثنتين :  
احدهما : زعزعة عقائد المسلمين بالقاء الشبهات على المسلمين .  
والثانية : فرض التجهيل على المسلمين وإبعادهم عن الاتصال باخوانهم المسلمين .<sup>٣</sup>

- 
- (١) ابن محاض الجيل المسلم : ٣٢ .
  - (٢) مأساتنا في افريقيا : ٨٠ - ٨١ .
  - (٣) انظر لبيان هذين الهدفين كتابي " التبشير والاستعمار : ٤٦

ومأساتنا في افريقيا : ٨٠ ، ٨١

ولقد كان أول من نبه الى هذا الهدف وهو - اخراج المسلمين من  
ديهم دون ادخالهم في النصرانية القسيس زويمر - رئيس مؤتمر القدس  
التبشيري - فقد وجه خطابه الى المبشرين منتقدا لطريقتهم وموجهها الى  
الطريقة الاسلام في نظره - والتي سار عليها المبشرون بعد ذلك فأثارت  
فقال :

" أيها الاخوان الابطال والزملاء ، من كتب الله لهم الجهاد  
في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام فاحاطتهم عناية الغرب  
بالتوفيق الجليل المقدس .

لقد أدبتم الرسالة التي انيطت بكم أحسن الأدب ووفقت لها  
أسى التوفيق ، وان كان يخيل اليّ انه مع اتعابكم العمل على أكمل وجه  
لم يفتن بعضكم الى الغاية الأساسية منه ، اني أقرم على أن الذين ادخلوا  
من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما  
قلتم أحد ثلاثة : اما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الاسلام ،  
واما رجل مستغف بالاديان لا يبتغي غير الحصول على قوته - وقد اشتد  
به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، واما آخر يبغي الوصول الى غاية من  
الغايات الشخصية - ولكن مهمة التبشير التي تدبتم دول المسيحية -  
" اليها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية " -  
فان في هذا هداية لهم وتكريما - وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من  
الاسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالي لاصلة تربطه بالاخلاق التي  
تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بمصلكم هذا طليعة  
الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية ، وهذا ما قمت به خلال الاعوام  
المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما اهنكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية  
والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة .. " ١

ولا يحتاج هذا النص الى ايضاح فهو واضح جدا .  
 أما عن خطط التبشير فيمكننا معرفتها اذا قرأنا هذه النصوص :  
 جاء في كتاب التبشير والاستعمار مايلي :  
 " رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة الاسلامية وانها مصدر  
 عزة للشرق وللعرب والمسلمين ، ثم انهم أيقنوا ان امة لها هذه الثقافة  
 لا يمكن أن تخضع لأي تذلل أو تهيد . وهكذا انصرفت اذهان هؤلاء  
 المبشرين والمستعمرين الى تشويه وجه هذه الثقافة والى الحط من شأنها فسي  
 نفوس أصحابها وكان العمل عليهم سهلا ، وهكذا غنوه ففسدوا العمل  
 قسمين : قسما يتناول حقيقة الرسالة التي ادبناها نحن الشرقيين  
 العرب المسلمين وما فيها من أوجه العظمة والحقائق التي كانت أساس الرقي  
 الانساني أو ما فيها من الآراء الصحيحة الخالدة على مدى الدهر ، ثم قسما  
 من الحقائق الحديثة التي لم تعرف قبل العصر الحاضر .  
 أما القسم الاول فساروا فيه ينحلون حقائقه الصحيحة وآراءه الصائبة  
 غير العرب وغير المسلمين ، يجمع هذا كله قولي " آرنست رينان الافرنسي "  
 " الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة باحرف عربية . . " (١)  
 وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا وقد تربي طائفة من كبار متعلمي  
 المسلمين على هذه الافكار وكان لهم تأثير في مجتمعات المسلمين وطبقاتهم  
 المثقفة على وجه الخصوص .

ويقول غردنر في كتاب له عند الحديث عن الأزهر :

---

( ١ ) التبشير والاستعمار : ٢١٨ .

" ان من سداد الرأي منع جامعة الأزهر ان تتشر الطلبة المتخرجين فيها في جنوب افريقيا اتباعا لقرار مؤتمر التمشير العام لأن الاسلام ينوبلا انقطاع في كل افريقية . . " ١

وانا كان لم يتحقق هذا الأمل وهو منع متخرجوا الأزهر من الانتشار في افريقيا فانه قد تحقق ما هو أظن من ذلك انه قد أصبح يتخرج من الأزهر في الجملة من لا يمثل الدعاة المسلمين فأصبح منعهم من الانتشار أو عدم منعهم غير ذي معنى - وسوف اوضح هذه النقطة عند الحديث عن أثر العلمانية في " الثقافة والعلم والتربية والتعليم " .

أما عن خططهم للمستقبل فيوضحه اجتماع أغنياه أمريكا عام ١٩٠٦ عقب مؤتمر " ناشفيل " من نفس العام واتفاقهم على تأليف لجنة منهم للمذاكرة مع رؤساء كل ارساليات التمشير الأمريكية في الأمور الآتية :

- ١ - بذل المجهودات لاجل تربية المشررين العلمانيين .
  - ٢ - البحث واعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة في مدة ٢٥ سنة
  - ٣ - تشكيل لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضوا أو اكثر بأقرب ما يمكن لكسي تتعهد وتزور مراكز الارساليات التمشير وتعمل التقارير عنها " ٢ "
- أما وسائلهم لتحقيق أهدافهم السابق ذكرها فكثيرة يمكن ذكر .

بعضها بإيجاز :

(١) تنصير من استطاعوا تنصيره :

وهذا ولولم يكن الهدف الاساسي لكنه كما ذكرت سابقا يكون في

(١) الغارة على العالم الاسلامي : ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .



الأقوام الجاعلة أو الأطفال الذين يربون على أيدي المبشرين ، ولا ريب أن الصليبيين يسرون لذلك لانهم بهذا يثأرون من الاسلام الذي اجتاحت ديارهم قديما ، كما أن اخراج بعض المسلمين من الاسلام الى النصرانية فيه زلزلة لعقائد الآخرين ضعفاء الايمان . " ١ "

٢ - فتح المحاضن والمدارس دون الجامعة والجامعات فسي كافة أنحاء العالم الاسلامي ، فقد بلغ عدد المعاهد التعليمية التابعة للكنيسة ما هو دون الكلية أو الجامعة أو دور المعلمين - بلغ ما يلي " ١٦٦٢١ معهدا .

وبلغ عدد الجامعات والكليات والمعاهد العالية العامة تحت اشراف المبشرين ( ٥٠٠ ) كلية وجامعة .  
وبلغ عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القسس والرهبان والمبشرين بلغ عددها ( ٤٨٩ ) مدرسة .

وبلغ عدد رياض الأطفال ( ١١١٣ ) روضة .  
وبلغ عدد الطلاب المسلمين الذين يشرف على تعليمهم المبشرون ( ٦٠٠٠ ر ١٩٠٥ ) " ٢ " هذا في افريقيا .

وفي الاردن " مائتي مدرسة تبشيرية " ذكر منها الاستاذ يوسف العظم في كتابه أربعين مدرسة وذكر المؤسسات التي تمولها " ٣ " .  
٣ - فتح المستشفيات والصيدليات وأرسال الالهاء : ففي افريقيا . . . . . مستشفى و ١٠٢٤ صيدليه . ( ٤ )

( ١ ) وهذا كان الهدف السابق ثم تنبه زويمر الى ان هذا لا يجوز ان يبقى الهدف العام لكل المسلمين

( ٢ ) اين محاض الجيل المسلم : ٣٤٠ ، ٣٥٠ .

( ٣ ) المصدر السابق : ٣٧ ، ٣٩٠ .

( ٤ ) اين محاضن الجيل المسلم : ٣٤ ، ٣٥٠ .

(٤) العمل على افساد المرأة المسلمة : ذلك لانهم اذا استطاعوا افساد المرأة المسلمة فسد معها الاجيال كلها الا من رحم الله ان الام هي الملازمة للطفل حتى يبلغ سنا معينة فهي التي توجهه الى ما تريد فاذا فسدت قسدت طفلها فيضمن بذلك الصليبيون بافساد المرأة افساد اسرتها ومن ثم تفسد الاسر كلها فيفسد المجتمع ، ولم يستطيعوا ذلك الا باحد طريقين :

### الطريق الأول :

السخرية بالحجاب الاسلامي الذي كان يعزل المرأة عن الرجل في المجتمع الاسلامي وذلك عن طريق بث الشبهات حوله ، واصطناع عملاء يعملون على ذلك لان المرأة اذا تركت الحجاب سهل افسادها .

### الطريق الثاني :

تعليمها فكما أن التعليم يمكن أن يكون وسيلة اصلاح للرجل والمرأة اذا وجد المنهاج السليم ، والمدرس المسلم ، والكتاب الجيد ، فكذلك يكون التعليم وسيلة افساد اذا لم تتحقق هذه الشروط . وذلك لان التعليم سلاح ذو حدين ولهذا فطن المبشرون لذلك .

" فقد طلب المبشرون الامريكيون منذ عام : ١٨٧٠ م مبلغ ضخمة من حكومتهم ليؤسسوا بها مدرسة دينية للبنات في بيروت وطلوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيئية ، وان تلك المدرسة المزج انشاؤها ستساعد على تنصير سورية في المستقبل " ٣

(١) التبشير والاستعمار : ٨٧ وانظر القارة على العالم الاسلامي :

( ٨٠ / ١٤٦ ، ١٤٧ لمعرفة جهودهم في ما يسمى بتحرير المرأة ،

وتعليمها ورقبها الاجتماعي والنفسي .

## ( ٥ ) محاولة القضاء على عقيدة الولاة والبراة :

أى الولاة للمسلمين والبراة من الشرك وأهله وهي عقيدة قتلت منذ العصور الاولى للاسلام الحاجز النفسي المنيع في نفوس المسلمين تجاه الكفار . وليس أدل على ذلك من قول أحد المؤرخين العثمانيين :

" ان الاختلاط بالكفار محرم على المسلمين ومن غير المرغوب فيه أن يختلط طرفان متناقضان بينهما من الاختلاف ما بين الليل والنهار " (١)

وقد عرف المبشرون مضار هذه العقيدة على علمهم وتنبهوا الى خطرها عليهم (٢) فعملوا على القضاء على هذه العقيدة ومن ثم استطاعوا اخراج بعض المسلمين للاسف من اسلامهم ولم يدخلوهم في النصرانية أو على الاقل تشكيكهم في بعض شرائع الدين الاسلامي الحنيف كما وجههم الى ذلك زعيمهم " زهير " في مؤتمر القدس الذي قدم للمبشرين نصائح بـ من بينها :

\* وجوب اقناع المسلمين أن التصارى ليسوا اعداءهم .

\* أنه يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم . (٣)

## ( ٦ ) تشجيع المسلمين على تحديد نسلهم :

لم يعرف المسلمون هذه البدعة حين كانت عقيدتهم سليمة لم تشمها شائبة من الشرك فحين كان المسلمون يؤمنون في قرارة انفسهم بـ " أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " لم تنتشر بينهم هذه البدعة وحين وهنت هذه العقيدة إنتشرت بينهم هذه البدعة التي نشأت في بريطانيا بعد نظرية مالتوس في زيادة السكان بنسبة اكبر مما يزرع ثم نقلها المبشرون الى العالم الاسلامي وهم يهفون بهذا الى انخفاض نسبة المواليد في المسلمين ليضعفوا السيطرة عليهم ،

( ١ ) الغرب والشرق الاوسط : ٥١

( ٢ ) انظر نصان يوضحان ذلك في كتاب التبشير والاستعمار : ٤٧

( ٣ ) القارة على العالم الاسلامي : ٧٩ ، ٨٠ .

واتخذوا لذلك أسلوب الايحاء للمسلمين بأن السبب في الاختناقات الاقتصادية إنما هو زيادة نسبة المواليد ، وفي الوقت ذاته يشجع الصليبيون - المحليون والأوربيون - النصارى وغيرهم من الطوائف الأخرى على الاكثار من النسل وأقرب دليل على ذلك التقرير الذى وضع من قبل القس في مصر وعلى رأسهم البابا شنودة ودعا فيه النصارى الى زيادة النسل ودعاهم الى تشجيع المسلمين على تحديد النسل حتى يصبح الاقباط مساويين للمسلمين في مدى سنين معينة . "١"

يقول التقرير القبطي :

" .. وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيادة

عددهم :

- ( ١ ) تحريم تحديد النسل او تنظيمه بين شعب الكنيسة .
- ( ٢ ) تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين ( خاصة وان أكثر من ٦٥ ٪ من الاطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة ) "٢"

- 
- ( ١ ) هي من ثلاثة عشر الى خمسة عشر سنة من صدور التقرير الذى صدر عام ١٩٧٣ م اى في عام ١٩٨٥ م أو ١٩٨٨ م . انظر قذائف الحق : ٦٠ وانظر ماقالتة مجلة التايم الامريكية في ١١ / يناير عام ١٩٦١ م الذى نقله خورشيد احمد في بحثه استعراض علمي لحركة تحديد " المطبوع مع كتاب حركة تحديد النسل للمودودى رحمه الله ص ١٧٤ . وانظر ما بعده .
  - ( ٢ ) قذائف الحق : ٦٠

( ٧ ) السيطرة على وسائل التربية : واستغلال الاعلام خاصة الصحافة :

يقول القس زويمر في خطبته في القس المبشرين مايلى :

" . . . لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة او التي تخضع للنفوذ المسيحي او التي يحكمها المسيحيون حكما مباشرا ونشرنا في تلك الربوع مكان التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ومن مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الاشارة اليها ، الامر الذي يرجع الفضل فيه اليكم اولا والى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حيات الانسانية كلها . انكم أعددت بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذي مهدت لها كل التمهيد ( اخرج المسلم من الاسلام ) انكم أعددت نشأ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها واخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشوي الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار لايهتتم بالعقائد ، ويحب الراحة والكسل . . . " ١٠

وفي هذا الخطاب ما يوضح حقيقة المبشرين على اخرج المسلم من الاسلام وهدم ادخاله في المسيحية لانهم يرون ان ادخاله في المسيحية شرف له - وليس لهذا من معنى الا أنهم يقصدون جعل المسلم الذي يستطيعون الاشراف على تعليمه وتثقيفه ( علمانيا ) لادينيا ، لانه اذا خرج من الاسلام - وان بقي اسمه اسم مسلم - ولم يدخل في النصرانية - كان لادينيا ، وهذا مايريد الصليبيون للمسلمين .

وجاء في كتاب التبشير والاستعمار عن الصحافة مايلى :

" . . . يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص

للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر ،  
لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، أما مأجورة في أكثر  
الاحيان أو بلا أجر في أحوال نادرة . . . " ١ "

### أقوال البشريين :

أما عن أقوال البشريين وأفكارهم المتعلقة بالإسلام والنبي صلى الله عليه  
وسلم فسوف أكتفي هنا بأربعة نماذج لتدل على مدى حقدهم الدفين ومدى  
سخفهم في فهم الإسلام ، ومدى ما يسمعون إليه من خلال أقوالهم وأفكارهم —  
تشكيك المسلمين في دينهم ومن ثم اخراج من يستطيعون من المسلمين —  
من بينهم :

( ١ ) جاء في كتاب " تاريخ فرنسا " تأليف " جوليمين " عن الرسول صلى الله  
عليه وسلم ما يلي :

" إن محمدًا مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا  
العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين  
( المسلمين ) وبين النصارى / إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا  
للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم .  
ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ إذن لكنا مسلمين  
كالجزائريين والمراكشيين " ٢ "

وقد أثر مثل هذا الهراء في بعض المسلمين ممن درسوا في المدارس  
التبشيرية كالجامعة الأمريكية ، وأثر في قوم آخرين تأثيرا سلبيا فقاموا يدافعون  
عن الإسلام <sup>بالقول</sup> أنه لم ينتشر بالسيف .

( ٢ ) وجاء في كتاب للخوري الحداد وهو من نصارى لبنان من الافتراءات فيما  
يتعلق بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام ما يلي :

( ١ ) التبشير والاستعمار : ٢١٣ « ٢ » الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار

١ - قال في الصفحة ٣٠٩ من كتابه مايلي :

" إن الدعوة القرآنية دعوة إصلاحية محلية لا انشائية ، وأنها لم تكن لتتجاوز أكثر من شعائر عملية زهدية في شكل طواف وامتناع اختياري عن الطعام والشراب وأعمال خيرية لم تحد كفيها بها . " ١

٢ - وقال في الصفحة ٢٦٨ من كتابه مايلي :

" إن معجزة محمد الحقيقية هي بخاصة في إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسي ديني عربي قومي ، وهي معجزته العظمى " ٢

٣ - وقال في نفس الكتاب مايلي :

" ... إن انقلاباً شاملاً كاملاً طرأ على النبي ودعوت بعد الهجرة إلى المدينة بسبب تدخل السياسة في الدين حيث انقلب الداهية إلى رجل دولة وحرب ، وانقلبت طريقه من الحكمة والموظظة الحسنة وترك من لم يؤمن وشأنه إلى قتال المشركين حتى يؤمنوا والكتابين حتى يخضعوا ، ويعطوا الجزية ، وتخلي عن الدعوة الكتابية إلى دعوة قومية عربية بسلطان سياسي وحربي ، وإلى ملّة وسط لا يهودية ولا نصرانية ، بل حنيفية إبراهيمية ، وصار يحمل على اليهودية والنصرانية واليهود والنصارى الذين كان منظماً اليهم وكواحد منهم . وكان الدين قد وحد معهم ففرقتهم السياسة عن بعضهم " ٣

وقد ادعت احزاب سياسية قومية نفس هذه الدعاوى ، من أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم "إصلاحية محلية" وأنها ( " دعوة قومية عربية " وأن النبي صلى الله عليه وسلم سعى لإقامة وحدة عربية "

( ١ ) القرآن والمبشرون : ٣٠٩

( ٢ ) نفس المصدر : ٢٦٨ .

( ٣ ) نفس المصدر : ٢٠٧

ج - الاستشراق واثره في نقل الفكر العلماني :  
 - التبشير والاستشراق -

الاستشراق هو أحد جناحي الغزو الفكري الغربي للعالم الاسلامي الذي يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين ، وتشكيكهم في صلاحية الشريعة الاسلامية في حكم أحوال الناس كلها . وقد سبق الحديث عن التبشير ، وفي حديثي عن الاستشراق سوف اتعرض لدوافع الاستشراق ووسائل المستشرقين لتحقيق اغراضهم كما اعرض بعض آرائهم وأفكارهم :

أما عن دوافع الاستشراق : فلا اكون مغالياً ولا متجنباً على الحقيقة اذا قلت بأن الدافع الاساسي للاستشراق هو دافع ديني ، فقد تعلم الصليبيون الغربيون أن القضاء على المسلمين لا يمكن أن يتحقق عن طريق الحروب العسكرية ، وإنما سبيله الافضل والاسلم هو الحرب الفكرية المتمثلة في تشكيك المسلمين في كل ما يتعلق بالاسلام والترويج لا فكار الغرب ونظمه وفلسفاته . والدليل على ذلك أن الاستشراق بدأ بالرهبان والاحبار ، ولا زالت طائفة المستشرقين من الرهبان والاحبار " (١) "

يقول الاستاذ محمد أسد في توضيح هذا الهدف : بعد أن وضع السبب الذي يمنع المسلمين من تقليد الغرب ، وأوضح اعتقاد الاوربيين بتفوقهم العنصري على سائر البشر :

" على أن هذا وحده لا يكفي لاظهار ما يمكنه الاوربيون نحو الاسلام خاصة وهنا ، وهنا فقط ( نعني فيما يتعلق بالاسلام ) لاتجد موقف الاوربي موقف كره في غير مهالة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الاديان والثقافات : بل هو كره عميق الجذور يقوم في الاكثر على صدود من التعصب الشديد . وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ ايضاً بصيغة عاطفية قوية ، قد لاتتقبل

(١) انظر " المستشرقون " ١١٣/١ ، و ١٢٠ - ١٢٧ ففيه بيان أن الاستشراق بدأ بالفتيكان . وفيه ذكر تسعة وعشرين مستشرقاً بين عامي ( ٩٣٨ - ١٥٥٢ ) يعدون طلائع المستشرقين منهم ثمانية عشر راهباً ويهسوديان وتسعة من غير الرهبان .



أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكسية ، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير ، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب ، حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحيز غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام . ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي ، بل على أنه منهم يقف أمام قضائه . إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع ، فهو مع إقتناعه شخصيا بأجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شي من الفتور " اعتبار الأسباب المخففة " وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصوصها في العصور الوسطى ، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها . ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه بدئياً ، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود ، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي سيهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر ، أي من قبل المسلمين أنفسهم " ١ "

من هذا النص يتضح أن جمهرة المستشرقين يكونون للإسلام حقدا وكرها عميقين ، ولكنهم في أسلوبهم عند معالجة ما يتعلق بالإسلام من عقيدة وتشريع وتاريخ ولغة يتقاسمون الأكرار فبعضهم يمثل دور المدعي العام ضد المتهم ، وآخرون يقفون موقف المدافع الذي يطلب تخفيف الأحكام فالصنف الأول ينفر منه

قاروه من المسلمين لينصرفوا لمعرفة ما عند القسم الثاني الذي يمثل دور المحامي وذلك بتمجيد الاسلام والثناء على حضارته ، وبيان أن الغرب استفاد منها ، وفي خلال ذلك يوحى للقارىء بأن الحضارة الاسلامية هي حضارة العرب بسل يصرح بذلك ، وحين يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يتهمه بشتى التهم وهكذا ينخدع المسلم الساذج بهذا الصنف وتر عليه هذه الطعنات أو قد لا يقرأ ما يتعلق بها وإنما ينصرف عنه لمعرفة فضل الحضارة الاسلامية على المدنية الاوربية . " ١ "

---

( ١ ) يمثل الصنف الاول أمثال جولك تسهير ، وشاخت ، وغيرهم من مستشرقى اليهود والنصارى . ويمثل الصنف الثاني أمثال غوستاف لوبون ، وتوماس آرنولد وعمولا يمثلون للأسف لدى جمهرة من المثقفين المسلمين طائفة المنصفين لانهم ذكروا أن المسلمين أو العرب بتعبيرهم سبقوا الغرب في جميع ان الحضارة والعلم ، وغفل هؤلاء المثقفون عن ماهي كتابي هذين المستشرقين وهما " حضارة العرب ، والدعوة الى الاسلام " عند الحديث عن الرسول والاسلام من افتراءات باطلة .

- أما وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم فيمكن تلخيصها في الآتي :
- ١ - تأليف الكتب عن الاسلام عقيدة وشرعية وتاريخاً ولغة ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والقرآن وتحقيق المخطوطات والتعليق عليها وفي هذه الكتب من الدس على الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه ، والدس على الاسلام واتهامه وتحريف ما فيه من شرائع ما الله به عليم حتى ممن يعدون في نظر المسلمين السذج منصفين كما اوضحت ذلك في الهامش السابق .
  - ٢ - إصدار دائرة المعارف الاسلامية التي ترجمت الى اللغة العربية وفيها من الدس والتحريف والتهميم كما في الكتب التي يصدر كل مستشرق على حدة . ويزيد في بلاءها أنها تجمع آراء جمهرة كبيرة من المستشرقين فيكون ضررها اكثر من ضرر الكتاب المفرد ، وانها قدم لها بمقدمه ممن المشرقين على الترجمة العربية فيها اطراء وثناء على هذه الابحاث والواقع أنها لا تستحق كل هذا الثناء والمدح .
  - ٣ - إصدار مجلات المختصة بنشر أبحاثهم حول الاسلام ، وبلاده ، وشعوبه ومنها " المجلة الآسيوية " الفرنسية ، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية الانجليزية ، ومجلة " الجمعية الشرقية الامريكية " " ١ " ومجلة جمعية الدراسات الشرقية " الامريكية ، ومجلة " شئون الشرق الاوسط " ومجلة الشرق الاوسط " الامريكيتين ، ومجلة " العالم الاسلامي " الامريكية وهي من أخطر المجلات . ومجلة " العالم الاسلامي " الفرنسية .
  - ٤ -لقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المخجل حقاً أن يدعي بعض من هؤلاء المستشرقين لالقاء المحاضرات في الجامعات في العالم الاسلامي ولا يفرق بين من يدعون بالمنصفين ، ومن هم شديدوا الحقد على الاسلام والمسلمين .
  - ٥ - نشر المقالات في الصحف المحلية في بلادهم والتي تصل بعضها الى بلاد المسلمين فتشر ثمرتها المرجوة منها .

٦ - عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم خطتهم وقد كلن أول مؤتمر

عقدوه عام ١٧٨٣ م يقول الدكتور محمد البهي مايلي :

" ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة

من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣ م وما زالت مؤتمراتهم تعقد حتى اليوم .

" وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية

في الغرب بما كان يقوم به الملوك والامراء في الماضي من الاغداق على المستشرقين وحبس الاوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق "١

٧ - المشاركة في الابحاث المقدمة للمجامع اللغوية ، بل الاشتراك في المجامع

اللغوية كأعضاء وهذا في الواقع من المهازل المضحكة المحزنة فـ

آن واحد . ٣

أما عن آرائهم وأفكارهم التي إحتوتها كتبهم فيمكن الحديث عنها في الآتي :

طرق المستشرقون كل مجال يتعلق بالاسلام والمسلمين سواء في العقيدة

والتشريع المتمثل في القرآن والسنة ، أو الفقه المنهني على فهم نصوص القرآن والسنة

او التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، او مايتعلق

بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، او اللغة العربية او الحديث عن الوحدة بين

المسلمين ومحاولة دغدغة الشغرات العرقية . كل ذلك طرقه المستشرقون فـ

كتبهم ، ودائرة معارفهم الموسومة " دائرة المعارف الاسلامية " ومجلاتهم . وسوف

اقتصر على ذكر المزاعم التي بثوها فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبهم :

#### ١ - الطعن في الاسلام عموما :

ويمثل ذلك في مثل المزاعم التالية :

١١ العكر لا سلام : الحديث ؛ ٥٢٦

١٣ انظر في كل ماسبق من فقرات كتاب (الفكر الاسلامي الحديث : ٥٢٤ - ٥٢٧

ورسالة الاستشراق والمستشرقون مالمهم وماعليهم : ٢٨ - ٣٢

- (١) انظر في هذه الكتب التالية : الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة :
- ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، مقترحات على الاسلام : ١٤٣ ، ٨٥٠ ، ٢٢٥ ،
- دراسات في حضارة الاسلام : ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ،
- ٢٨٤ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٢٧٣ - ٢٧٥ ، العقيدة والشرعية :
- ٥١ ، الفكر الاسلامي الحديث : ٤١ ، ٤٢ ، تراث الاسلام : ١١ ،
- حضارة العرب : ١٥٨ ، الدعوة الى الاسلام : ٥٠ .

٢- الطعن في الشريعة الاسلاميه والفقه الاسلامي عموما :

ويتمثل ذلك في الادعاءات المتوقعة كالادعاء بأن شرع الله كله لا يمكن ادراكه بالعقل بل هو تعبدى يجب أن يقبله الانسان مع تناقضه ، وأن هناك تشريعات أو صلوات لم تأت الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الشريعة الاسلامية اشتقت من شرائع النروب وشرائع الشعوب التي فتحت ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ شميرة الصلاة من اليهود والمسيحين وأن الصلاة شبيهة بصلوات اليهود والمسيحين ، وأن الحج شميرة وثنية أو هي عادة عربية وأن الحجر الاسود مقدس عند المسلمين كما مقدس الوثنيين الهياكل والادعاء بأن الفقه الاسلامي يستمد من السنة صحيحها ومنفها ، وأن الفقه الاسلامي تأثر بالقانون الروماني والادعاء بأن الاسلام يقف أمام أى محاولة للاجتهاد - اسفلالا لحاصل من المسلمين من خطأ حين قال بعض علمائهم باغلاق باب الاجتهاد وبعد وضع المذاهب الأربعة والادعاء بأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم كلها بشرية حتى ما لمس منها أمر الشريعة ، وأن مصلحة الجماعة تبرر التخلي عن القواعد العامة التي قررتها الشريعة . (١)

٣- الطعن في القرآن خصوصا : ويتمثل ذلك في الادعاءات الآتية :

الادعاء بأن القرآن لا يتضمن عقيدة موحدة بل فيه متناقضات ، وأنه لا يمكن نسبة القيم كلها الى القبول وأنه لا يمكن تأسيس حكمنا علي الاسلام بالاستقراء من القرآن ، وأن القرآن لم يحكم الا خلال العشرين سنة الاولى فقط ، وأنه قليل

(١) انظر في ذلك كله الكتب التالية :

دائرة المعارف الاسلامية : ٢٤٥/١٣ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧/١٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٥/٢ ، ٧٦ ، ٢٧٨ ، وتراث الاسلام : ١٠ ، والحقيسة والشريعة : ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٣٥٥ ، ٢٥٦ . دراسات فسي حضارة الاسلام : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ومفتريات علي الاسلام : ٢٥٤ ،

الارتباط ، وأن أسلوبه عاقل الترتيب فاقد للسباق ، وأنه لم يجمع إلا في عهد الخليفة الرابع ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث فيه باسم الله ، والادعاء بأن العرب يبالغون في وصف القرآن بالبلاغة ، وأن وصف الكون من القرآن هو الوصف الموجود في الديانتين السابقتين ، وأن بعض أحكامه موقفة بزمان معين . وأن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، والادعاء بأن فكرة المشرك والمشركين والتتديد بهم لم يوجد في أوائل السور في القرآن بسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان منشغلاً بمصيره الخاص من أي شيء آخر ، متأثراً بفكرة اقتراب يوم الحساب ، والنزم بأن النبي صلى الله عليه وسلم اعترف في قرآنه بأن عبادة الأصنام قد تكون صحيحة ثم ندم على ذلك ( قصة الغرانيق ) . والنزم بأن أسلوب محمد في القرآن كاسلوب وصاظ التضار ، وأن الوحي المدني أخذت بلاغته تصبح ضعيفة شاحبة حتى أصبح في مستوى النثر العادي ، وأن القرآن ثابت قطعاً رغم سعي الشيطان لتخليطه ، وأنه وصل غير محرف رغم نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من آياته . ١

٤ - الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

ويشمل ذلك في الطعن في نسبه وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسمى قبل البعثة هاشم بن عبد اللات ، ووصفه بأنه كان شاعراً ، وأن أسلوبه صلى الله عليه وسلم - طبعاً في القرآن وغيره على زعمهم - اسلوب الكهان ، والتشكيل فسي أمته ، والادعاء بأنه كان متعلماً . وأنه صلى الله عليه وسلم - على زعمهم - كان مصاباً بالصرع والهوس ، أو أنه تنطك رومي واحلام أو أنه قلق نفسياً وأنه لم يعلن

( ١ ) انظر في ذلك الكتب التالية :

- دائرة المعارف الإسلامية : ٢٦٦/٢ ، ٢٦٧ ، ٥٦٠ - ٥٦٣ ،  
و ٣٠١/٩ ، و ٣١٤/١٣ ، والعقيدة والشرعة : ٧٨ ، ٤١ ، ٢١٠  
والدهوة والسلام : ٤١ ، ٤٧ ، وحضارة العرب : ١٤٨ - ١٥٠ ،  
ومعالم تاريخ الإنسانية ج ٣ - ٧٨٧ - ٧٨٩ ، والفكر الاسلامي الحديث :  
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ومفتريات على الاسلام : ٢٠٩ .

الدعوة الا بعد قلق ونزاع نفسي شديد ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مصاباً  
بغيبوبة ، وأنه مصلح أو محقري ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف الدعوة  
النصرانية عن طريق المبشرين النساطرة ، وأنه هو موسى الاسلام أو مكتشفه وأنه  
يتأثر بتعاليم سابقة عليه ، أو متأثر باليهود والنصارى في نبوته ، - أو بأنه  
استقى افكاراً من اليهود والنصارى والادعاء بأن الذي دعا النبي صلى الله عليه  
وسلم لا دأ رسالته هو تصويره لهلاك العالم ، وأنه تلقى علم التوراة من راعب  
نسطورى وأنه اجتمع به مرة ثانية ، والادعاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان  
شديداً على النساء رغم ميله الجنسي نحوهن ، وأنه صلى الله عليه وسلم شهواني ،  
والزعم بأنه صلى الله عليه وسلم كالطوك ، وأن القرآن سجل لتجربته ، وأن رهبان  
النصارى وأحبار اليهود كانوا آساتذة للنبي صلى الله عليه وسلم ومع هذا تعرضوا  
لمهاجمته في القرآن ، والادعاء بأن سيرته صلى الله عليه وسلم أساطير ، وأن من  
هذا النوع القصصي التي ترمي الى أن أهل الكتاب عرفوا من كتبهم ببعثته ،  
والزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف الكثير عن اليهود ويعرف سخريتهم  
بالحجر الاسود ، ويرى عدم إخلاص العرب القاصدين للكعبة فضايق بذلك  
ذراعاً فأتى بالدين الجديد وربما أن اليهود كانوا قد ~~تفهموه~~ الى ذلك وهو  
لا يدرك ما حدث له . والادعاء بأن اتباع الاديان السابقة الذين مالوا عن دينهم  
قووا <sup>نحى</sup> النبي صلى الله عليه وسلم ان انصار الدين القديم كانوا قد حرقوا الكتاب<sup>اً</sup>

( ١ ) انظر في ذلك : العقيدة والشرعة : ١٢ - ١٤ ، ١٩٠ - ٢٠ ، ١٣٤ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، حضارة العرب : ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ - ١٤٥ ،

دائرة المعارف : ٥٧٠/٢ ، ٥٧٣ ، ٦٤٥ ، و ٣٩٧/٣ ، تاريخ

الادب العربي : ١٣٤ ، ١٣٧ ، الدعوة الى الاسلام : ٣٤ - ٣٥ ،

معالم تاريخ الانسانية : ٧٨٥/٣ - ٧٨٧ ، ٧٩٥/٣ - ٧٩٧ ،

٨٠٠/٣ ، ٨٠١ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٦٠ ، والفكر

الاسلامي الحديث : ٢٠٤ - ٢٠٦ .



٥ - الطعن في الحديث خاصة : ويتمثل ذلك في الادعاءات الآتية :

تكذيب السيرة النبوية التي وردت في السنة ، والزم بأن الحديث لم يوضع الا بعد أن وجدت المذاهب الفقهية ، وأن كتب الحديث لم يتداولها الناس الا بعد الشافعي فأسرع الوضعون لوضع الحديث . وأن المسلمين لما فتحوا البلاد حكموها بقوانينها بعد تحويلها واضفاء الصيغة الدينية عليها ثم جعلوها أحاديث شريفة ، وأن الأحاديث زادت في القرون الاولى وانهم استمدت اقوالا من المسيحية والبوذية .<sup>١</sup>

٦ - تحريف التاريخ الاسلامي وتفسير حركة الفتوحات تفسيراً مادياً :

ويتمثل ذلك في الادعاءات التالية :

الادعاء بأن انتشار الاسلام في المدينة كان عن طريق الحظ للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) وأن أهل المدينة اعتنقوا الاسلام غير من أهل مكة ، وأن العرب الذين أسلموا لم يتخلوا عن معتقداتهم القديمة ، وان هم رضي الله عنه ، خلع خالداً عن قيادة الجيوش المسلمين في الشام غير منه ، وقد انتقص المستشرقون من قدر بني أمية وأثاروا شبهة أنهم أعداء للاسلام منذ الجاهلية وعدوهم أعداء للاسلام حتى بعد اسلامهم ، وأدعوا أن التاريخ لم يخبرنا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في السنوات الخمس عشرة التي اعقت زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بخديجة ، والادعاء بان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفكر في العبادى الدينية ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبد نفورا من عبادات العرب ولم يقع في تفكيره قلب تلك العبادات والزم بأن العرب احتقروا غيرهم من اجناس المسلمين واستغلوا خيرات بلادهم ، والزم بأن حركة الفتوح الاسلامية كانت لضرورات اقتصادية ، وأن ذلك كان عاملاً في تحمس المسلمين لنشر الاسلام وأن الغالب على المجاهدين أنهم جاهدوا لطمع

( ١ ) حضارة العرب : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٥٨ ،

٢٥٩ ، ومفتريات على الاسلام : ٣٦ .

مادى مع وجوه من جاهد للآخرة ، وشمية الاسماعيليين والقراطة بشيوعى  
الاسلام والثناء على جميع الحركات والمذاهب الهدامة كالاسماعيلية والقراطة  
وثورة الزنج . "١"

٧ - محاربة اللغة الفصحى بالدعوة الى العاميات الاقليمية :  
ويتمثل ذلك في الدعوة الى التحول عن الكتابة باللغة العربية الى  
الكتابة بالعاميات الاقليمية او الكتابة بالحروف اللاتينية . وقد وضع المستشرق  
الالمانى : " ولهم سبيتا ، كتاب " قواعد اللغة العربية العلمية في مصر " .  
وكتب المستشرق " دوغرين " تقريرا للمستعمرين عام ١٨٨٢ م دعا فيه الى  
هجر الفصحى واحلال العامية المصرية محلها ، ووضع المستشرق " كارل ماركوس " كتابا  
اسما " اللهجة العربية الحديثة " ووضع المستشرق " سلدن ولور " كتابا  
اسما " العربية المحكية في مصر " ووضع المستشرقان " باول " و " فيلوت " كتابا  
اسما " المقترض في عربية مصر " ووضع المستشرق " ولكوكس " رسالة  
بعنوان " سورية ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم اليونانية لا العربية " وأسهم  
المستشرق <sup>الاولى</sup> " ماسينيون " في هذه الحركة فدعا الى الكتابة بالعامية بالحروف  
اللاتينية . "٢"

٨ - وضع المنهج اللاديني في البحث : وهو يرم على البعد على الصدق  
والعمل بالهوى وانتحال ما ليس حقا لدعم ما يؤيده كل باحث :  
يقول الاستاذ علي جريشة :

" يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب  
أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه او يقبلونه من النصوص ، وكثيرا ما يحرفون النص

(١) انظر في ذلك : حضارة العرب : ١٣١ ، ١٣٤ ، والمعقيدة والشرعية :

٨٠ ، ٨١ و ١٣٧ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٧٨٩/٣ ، ٧٩٠ ،  
و ٨٠٤/٣ - ٨٠٦ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٤٠ ، ومفتريات  
على الاسلام : ٧١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ .

(٢) انظر تفصيل ذلك : اجنحة المكر الثلاثة : ٢٩٩ - ٣٠٨ ، وكتاب التبشير

تحريفاً مقصوداً ، ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد أحياناً - في معنى النص حين لا يجدون مجالاً للتحريف .

" يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها ، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله الدميري في كتابه " الحيوان " ويكذبون ما يرويهِ الإمام مالك في الموطأ " ١ "

وتأثير المستشرقين في انتقال العلمانية هي أن كتبهم تنتشر بين أوساط المثقفين ويمجدها جماعة من كبار المثقفين ويعدونها عدة في الدراسات الإسلامية فيخدع بعض شباب الأمة ويتجهون لقراءتها فتعلق بأذهانهم شبهات المستشرقين وخاصة ما يتعلق بالتحريز في معالجة القضايا التي جاءت بها النصوص القرآنية والنبوية .

## الباب الثاني

أثر العلمانية في المجالين التربوي، والتعليمي في العالم الإسلامي

### الفصل الأول

في التربية عامة

### الفصل الثاني

في التعليم الرسمي

## الفصل الاول

### أثر العلمانية في التربية عامية

المبحث الاول : الافكار والنظريات المستوردة من الغرب

## المبحث الاول :

. الأفكار والمذاهب التربوية التي أثرت في التربية والتعليم :-

كان للمدرسين الأجانب والمدارس الأجنبية ، والكتب المترجمة ، والبحوث الدراسية التي <sup>يفتتحت إلى الغرب</sup> آثار كبرى في نقل أفكار الغرب وفلسفاته في مجالات العلم والثقافة والتربية والتعليم ، فكان تأثيرها في مجال التربية والتعليم بصفة خاصة لبعض هذه الأفكار والنظريات التربوية الغربية ، التي لم يسبق لمسلم أن سمع بها ، وأصبح لكل مذهب من مذاهب التربية في الغرب معتنق من أبناء المسلمين ، فهذا يعتنق المذهب الحسي الواقعي وذاك يعتنق المذهب الطبيعي ، وثالث يعتنق المذهب الانساني ، ورابع يعتنق المذهب البراجماتي ، وخامس يعتنق المذهب المنطقي الوضعي . وهكذا ، وكل يدافع عن ما يعتنقه من مذهب ويدبج المقالات بل يولف الكتب في بيان مزايا المذهب الذي يعتنقه ويعيوب المذاهب الأخرى ، حتى أصبحت المكتبات في العالم الاسلامي تمتج بمئات الكتب التي تنشر هذه المذاهب كلها .

وقد ساعد على انتشار هذه المذاهب وغيرها من أفكار الغرب خاصة بعد الثورة الفرنسية التي قلبت موازين الفكر - أمور سبق الحديث عنها أوجزها في الآتي :

١- الجهل بالاسلام الذي خيم على عموم المجتمع ، فاذا جهل عموم المجتمع الاسلامي بالاسلام فليس بمستغرب تقبله لتأثيرات الغرب .

٢- انحراف بعض العلماء والحكام ما مهد السبيل لانتشار أفكار الغرب وفلسفاته منذ بدء الاتصال بين المسلمين ودول الغرب .

٣- انفتاح المسلمين على الغرب وعلومه وفلسفاته وتقنياته في عصر كان يخيم على بعض علمائهم الجمود ، وعلى شعوبهم الجهل بالاسلام مما سهل عبور الفتن والسحرة من علوم الغرب دون تمييز من المسلمين . ذلك أن الانحطاط الفكري والعلمي ، والجهل لا يتيهان - لشعب يتصف بهما - التمييز ، ان أن فاقد الشيء لا يعطيه .

٤- تفوق الغرب في الوسائل المادية للحضارة في مقابل التخلف في هذه الناحية لدى المسلمين ما بهر بعض المسلمين بالتفوق الغربي .  
وبالتالى سهل ذلك قبول أفكارهم ومذاهبهم في النواحي الاجتماعية والثقافية ، والتربوية ، والاقتصادية والسياسية ،

وسوف أناقش بعض الأفكار والنظريات التى دعا اليها بعض المفكرين والتربويين ، وأبدأ بمناقشة آراء أعلامها رفاه رافع الطهطاوى وهو من طلائع المفكرين الذين تأثروا بأفكار الغرب ، فقد كان للطهطاوى رأى في الغايات التى يجب ان يحققها التعليم ، ورأى آخر في تعليم الفتاة .

أما رأيه في الغاية من التعليم فيوضحها في الاثني :  
" أولا : أن يكون للفرد المصرى شخصية متكاملة قوامها سلامة الجسد وصحة الادراك التى تقوم على المعرفة الصحيحة والاعتدال في التصرف ،  
ثانيا : أن يحترم الأسرة ويتحلى بالفضائل المنزلية الصحيحة ،  
ثالثا : أن يحب وطنه مصر ويشعر بالانتماء الى أبناء شعبه من المسلمين منهم وغير المسلمين ، ويتعامل معهم بالاستقامة والعدل والسخاء والنجدة .  
رابعاً : أن يؤمن بالله والا سلام ويمارس الفرائض .  
خامساً : أن يحترم حكاه ومطيعهم اطاعة كاملة بخضوعه الى القوانين المرعية ويفهم مسئولياته السياسية وحقوق المجتمع عليه من تضحيات .  
سادساً : أن يفهم قوانين الحياة الاجتماعية في وطنه والمشكلات القائمة فيه فيحاول أن ينكب عليها ويجد حلولاً لها في ضوء العلوم الأوروبية الحديثة ويسهم في الانتاج القومى بحسب مواهبه ومؤهلاته " (١)

والناظر في هذه الغايات التي وضعها رفاة للتعليم يرى ان الثلاثة الأولى سليمة لا غيار عليها ولا اعتراض ، أما الغايات الثلاثة الأخيرة فان فيها نظراً . ان أن قصر الحب للوطن والشعور بالانتماء اليه بهذا المعنى هو لوثة من لوثات الفكر الأوربي العلماني ، فلم يكن المسلمون في السابق يرتبطون بالوطن المحدود بحدود الوطن الصغير ان كانوا يشعرون ان كل بلاد الاسلام بلادهم

كما أن التسوية بين المسلم وغير المسلم في المحبة لوثة أخرى من لوثات الفكر الغربي العلماني ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يسو بين المسلمين والكفار " أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون " سورة ( ن ) : ٣٥ ، ٣٦ .

وهذا غير التعامل معهم فان الذميين اذا دفعوا الجزية ولم يظاهروا على المسلمين أعداءهم من الكفار ، لم يجز لمسلم معاملتهم بالسوء .

أما ما يتعلق باحترام الحكام وطاعتهم طاعة كاملة في كل ما يسنونه من قوانين باطلاق هكذا . فليس هذا من عقيدة المسلمين ولا من فكرهم في شيء فان نصوص القرآن والسنة أوضحت حقوق كل من الحاكم والرعية وواجباتهم نحو بعضهم . فمن حقوق الحاكم على الرعية طاعته فيما لا يخالف شرع الله فأما إن أمر الحاكم بما يخالف شرع الله أو سن من القوانين ما يخالف شرع الله ففي هذه الحالة لا طاعة له . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الكبرى في التعامل حيث قال فيما رواه علي رضي الله عنه :  
" لا طاعة لبشر في معصية الله ، انما الطاعة في المعروف " (١)

---

( ١ ) صحيح البخارى (باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية : ١٠٥ / ٨ )  
وصحيح مسلم : (باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ) ١٤٦٩ / ٣ وسنن النسائي (كتاب البيعة ، جزاء من أمر بمعصية فأطاع : ١٥٩ / ٧ ، ومسند احمد : ٩١ / ١ من مسند علي .



ومن حقوق الرعية على الحاكم وواجبه نحوهم . أن يحكم فيهم شرع الله  
كما هو في القرآن والسنة ، والا انطبقت عليه أحد الأوصاف الآتية " الظلم ،  
الفسق ، الكفر " .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " سورة المائدة : ٤٥

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " سورة المائدة : ٤٧

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " سورة المائدة : ٤٤

وان يعدل في حكمه نحوهم قال صلى الله عليه وسلم :

" ما من رجل يلي أمة عشرة ، فما فوق ذلك ، إلا أتى الله عز وجل مغلولاً  
يوم القيامة يده إلى عنقه ، فكفه بره ، أو أوثقه اثمه ، أولها ملامة وأوسطها  
ندامة وآخرها عذابي يوم القيامة " (١)

وهكذا البحث عن حلول المشكلات الاجتماعية في ضوء العلوم الأوروبية  
الحديثة ينبىء عن التأثير بالفكر الغربي فحلول المشكلات الاجتماعية في بلاد  
المسلمين يجب أن تستخرج من نصوص القرآن والسنة ، والدعوة إلى البحث عن  
حلول لها في ضوء العلوم الأوروبية يعنى أن تحل على ضوء مفاهيم علم الاجتماع ،  
وعلم الاجتماع الغربي بكافة مدارس علماني ومعنى هذا أن رفاعة يريد المسلمين  
أن يحلوا مشكلاتهم الاجتماعية حلاً علمانياً .

أما رأيه في تعليم الفتاة فيوضحه النص الآتي :

" ينبغى صرف الهمّة في تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرته  
الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب وذلك فإن هذا مما يزيدهن  
ادباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأى  
فيعظمن في قلوبهم ومعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش  
مما ينتج من معاشرته المرأة الجاهلة لمرأة مثلهن وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال

أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقاتها  
فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغبل  
النساء عن البطالة فان فراغ أيديهن عن العمل يشغل السنتهن بالباطيل  
وقلوهن بالاهواء واختلال الأقاويل فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقرها  
من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمومة عظيمة  
في حق النساء (١)

والطهطاوى في هذا القول يدعو الى أمرين اثنين في تعليم النساء  
الأول : عدم التفريق بينهما وبين الذكور فيما يتعلمنه ، وهذا ما يسير  
عليه الغربيون وتبصهم في ذلك المسلمون ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد  
فرق بين الذكر والأنثى من حيث التركيب البيولوجي والنفسى بحيث يتخصص  
كل منهما بنوع معين من الأعمال . فالمرأة لتحمل وتنجب الأطفال ولتدبر  
شئون بيتها ، والرجل للعمل والكساح خارج المنزل . وقد أوضح طما  
الأحياء ذلك . واذكر هنا قول الكسيس كاريل :

.. ان أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأنثى لم تفهم حتى الآن الى  
درجة كافية . مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة . . . ومن ثم فمن  
سخف الرأي أن تجعل المرأة تتفكر للامومة . ولذا يجب الا تلقن الفتيات  
التدريب العقلى والمادى ، ولا أن تثبت في نفسها المطامع التى يطلقها  
وحيث أن ينزل المربون اهتماماً شديداً بالصحة الجسمية والعقلية في الذكر والأنثى  
الفتيان وثبت فيهم . . . وكذا لوظائفها الطبيعية . فهناك اختلافات لا تنقضى  
بين الجنسين . . . ونذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات  
في انشاء عالم متدين (٢)

الثانى : ان تعمل المرأة من الأعمال ما يعطه الرجال على قدر طاقتها  
وقد اثبت طما الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شئ ، كما ذكرت  
وأكتفى هنا بذكر نصين للدكتور الكسيس كاريل في قضية عمل المرأة :

- 
- ( ١ ) المرشد الأمين للبنات والبنين : ٦٦ .  
( ٢ ) الانسان ذلك المجهول : ١١٠ ، ١١١ .

\* لقد ارتكب المجتمع المصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأشمرة بالمدرسة استبدالا تاما . . . ولهذا تترك الأمهات أطفالهم لدور الحضانة حتى يستطيعوا الانصراف الى أعمالهن ، او وظائفهن الاجتماعية ، أو مآزلهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو اللعب البريدج ، أو ارتيادهن دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن في الكسل \* (١)

وأوضح مهمته في المراد النص الاتي :

\* . . . ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تنأت من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . ان أنها ذات طبيعة أكثر من ذلك . . . انها تنشأ من تكوين الأنسجة . . . ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها البيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالدفاعيين عن الأنوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة . والحقيقة ان المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها . . . والامر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبي . . . فليس في الامكان اطلاق الرغبات الانسانية محلها ، ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هي ، فعلى النساء أن ينمىن أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون ان يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلسن عن وظائفهن المحددة \* (٢)

وهذا يتضح خطأ رأييه في تعليم المرأة ما يتعلمه الرجل ، وفي عطها ما يعطه الرجال .

( ١ ) نفس المصدر السابق : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

( ٢ ) الانسان ذلك المجهول : ١٠٨ ، ١٠٩ .

وكان على مبارك وهو من أوائل المبعثين الى فرنسا ، يدعو الى  
تعليم المرأة على نفس النمط الاوربي .

ويقول د . سعد مرسى احمد ورفيقه :

" . . . ومن الدعوات والاراء التى كان فيها على مبارك مستقبليا واسع  
الافق دعوته لتعليم المرأة . ، وما يقوله على مبارك فى تبرير هذه الدعوة  
أن المرأة المتعلمة السافرة أصون لنفسها ، وأحفظ لكرامة زوجها وأهلها  
من الجاهلة المحجبة وهؤلاء لا يكتفى فى تعليم المرأة ، بذلك القدر اليسير  
الذى يدفع عنها وصمة الأمية فقط ، بل يدعوها لأن تبعد فى الثقافة  
والمعرفة حتى تستوى فيها بالرجل " (١)

وقد كان من المذاهب التى انتشرت فى العالم الاسلامى وكان لها أثر  
على التربية والتعليم واعتنقها بعض المتخصصين فى التربية والتعليم المذهب  
البراجماتى أو البراجماتى " والمذهب الوضعى المنطقى ، وكان المذهب  
الاول أكثر انتشارا من المذهب الثانى .

يتحدث د . سعد مرسى احمد ورفيقه عن غلبة المذهب البراجماتى  
وفى العالم العربى فيقول :

" . . . فى الوقت الذى افتتح فيه معهد التربية للمعلمين سنة ١٩٢٨  
كانت الأبصار تتجه الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت الفلسفة  
البراجماتية قد بدأت تشد ساعدها بما اتخذته من سبل تربوية تحاول عن  
طريقها تطبيق أفكارها ومبادئها الفلسفية وبرز اسم " جون ديوى " وتلاميذه  
" كلياتريك " و " كونتس " و " بود " و " راج " وغيرهم ، واستأثرت أعمالهم  
بالاهتمام فى مختلف الأوساط التربوية فى مختلف أنحاء العالم . ومن هنا  
كان طبيعيا أن يتجه مفكرو التربية فى مصر ابتداء من ذلك الوقت الى  
الاستفادة بهذه الجهود وتلك الفلسفة ، وبدأت المؤثرات الأوروبية فى فكرنا

التربوى تضعف لتحل محلها مؤثرات أخرى أمريكية تعكس فلسفة برجماتية  
 بثبته ، فأخذت البعثات تتجه فى أغلب الأحوال الى الولايات المتحدة وحمل  
 العائدون الى مصر أفكار البرجماتية الى معاهد التعليم فى مصر وطفقوا  
 يجربون ما رأوه فى الولايات المتحدة من طرق وأساليب ويترجموا كثيرا من الكتب  
 التى كتبها ديوى وتلاميذه ، حتى أصبح الفكر التربوى فى بلادنا منطقة نفوذ  
 ضخمة للفكر البرجماتى تشكل فيها العديد من المربين المصريين والمغرب ،  
 وأصبحت كثيرا من تجاربنا وأساليبنا تعكس وجهة النظر هذه أكثر مما تعكس  
 نظر النقطة والمترجمين " (١)

ويقول الأستاذ أنور الجندى عن أثر الفكر البرجماتى خاصة فـكـر  
 جون ديوى :

" . . . وهكذا عاش التعليم الوطنى على الصراع بين الثقافتين الفرنسية  
 والانجليزية ، ثم جاء بعد الحرب العالمية الثانية صراع بينهما وبين الثقافة  
 الأمريكية وعاشت مصر على استمارة الاذواق والعقليات الغربية المختلفة .

والاطار كله وافد وتوضع فيه المعلومات على نحو سى\* ، وهو اطار قديم  
 لم يتغير بعد الاستقلال ولا بعد انتهاء الاحتلال الا فى جزئيات بسيطة ،  
 وهو فى مجموعة لا يلتزم برسالة أو بهدف .

× وكان من أخطر ما فرض عليه المنهج الأمريكى الذى يطلق عليه نظرية  
 ديوى ، وأبرز مظاهر مذهب ديوى فى التربية هو إبعاد الدين فى مجال التربية ،  
 وكان فى الغرب يستهدف إبعاد المسيحية ، وقد قصد الاستعمار الى فرض هذا  
 المذهب فى دراسات مدارس المعلمين العليا التى كانت مجالا لتخريج رجال  
 التربية فى مصر ورأى فى هذا عوضا عن الاشراف البريطانى على التعليم الذى  
 كان يقوم به دنلوب ( ١٩٠٦ - ١٩١٩ ) فأصبحت نظرية ديوى هى عماد المنهج

( ١ ) تاريخ التربية والتعليم : ٤٣٠ ، ٤٣١ .

التربوى بعد ذلك ، وكان اسماعيل القباني حامل لواء هذه الدعوة وقد اتبعت له الفرصة لإنشاء معهد التربية الذى كان المكان الأول لجعل هذه النظرية فلسفة عامة للتعليم المصرى والمصرى فيما بعد .

وقد ظل لاتباع ديوى سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم الى وقت بعيد وذلك استطاعت نظريتهم ان تبعد الاسلام عن مجال التعليم والتربية مع حملات مستمرة على أساليب التعليم الاسلامية وابعاد خريجى الأزهر عن مجالات التربية بحجة ما أطلق عليه النقض فى مستوى الكفاية الفنية للتعليم وذلك جزئياً مع الهدف التقريبى الواضح ، كما حصرت هذه المناهج على حجب الدراسات الوطنية والتاريخية التى تعد الى بث امجاد الأمة وعظمته الشخصية المصرية فى نفوس الطلاب وهذا الاثر أخطر آثار التبعية للثقافات الغربية وخاصة الثقافة الأمريكية \* (١)

لكن ما هى معالم المذهب البراجماتى الذى غزانا ضمن الأفكار والمذاهب التربوية وغيرها ؟  
يمكن تلخيص الأفكار العامة للبرجماتية فى النقاط الآتية :

١ - تنكر البراجماتية أى نظرية تدعو الى ثبات القيم ، وخلودها ،  
فهى متغيرة على الديمومة ، وهى تسمية . ويرى فلاسفة البرجماتية " بأن  
الانسان هو الخالق لمثله فى ميادين نشاطه ، وأن الحقيقة لم ينته بعد من  
صوغها ، وتنتظر بعض ما يجىء به المستقبل "

٢ - ان الحكم الصحيح عند البرجماتيين هو الذى ينتج نتائج تصمد  
للتجربة ، ولا سبيل لاختيار صحة الحكم لا بتعميره للاختبار ، فالعمل والمنفعة  
هما مقياس الحكم الوحيد .

٣ - ان الحق ليس له وجود ذاتى بل هو صفة تلحق بالحكم فالحكم قد  
يتصف بعد التجربة بأنه حق ، ولكنه قيل ذلك لم يكن حقاً . ان تقول : أن

( ١ ) التربية معناها الأجيال : ١٠٦ ، ١٠٧

العقيدة صحيحة ما دامت لها فائدة " (١)

ولننظر فيما يقوله زعيمين من زعماء البراجماتية هما " وليم جيمس " و  
" جون ديوى " لنصرف عن كثير من حجة نسبة هذه الأفكار إليهما .

يقول " وليم جيمس " :

" .. نفرض أن فكرة ما صحيحة فأى أثر سترتب عليها فى الحياة ؟  
كيف يمكن التحقق من صحة هذه الفكرة ؟ ما هى النتائج التى ستحدث وتجعلها  
مخالفة لها لو لم تكن صحيحة ما هى قيمة الحقيقة الفورية ؟ " ، " الآراء الصحيحة  
هى تلك التى نستطيع أن نحققها ونمثلها ونثبتها أما الآراء الفاسدة فلا نستطيع  
تحقيقها أو تمثيلها أو اثباتها "

ويقول أيضا :

" فالحق بالنسبة لنا اسم عام لعطيات اثبات مثل الصحة والثروة والقوة . .  
الخ اسما عامة لعطيات عديدة ، تتصل بالحياة وتتابع الواحدة تلو الأخرى  
عن طريق الخبرة .

فالحق ليس الا صفة لتفكيرنا ، كما أن الصحة صفة لسلوكنا ، فالصفة  
دائما تتغير بتغير الخبرة وما تقتضيه من ظروف وملابسات " (٢)

ويتضح من هذا النص ما يلى :

- ١- انه لا وجود لفكرة أو عقيدة أو قيمة ما سبقا ،
- ٢- ان الآراء والأفكار والمقائد الصحيحة هى ما يستطيع تحقيقها  
وان لم يستطع تحقيقه تحت أى ظرف - من الأفكار والمقائد - يعد فاسدا  
فى نظر جيمس .

( ١ ) الأسس العامة لنظريات التربية : ٥٩ ، ٦٠ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٦٠ ، ٦١ وانظر كذلك كتاب فى فلسفة التربية :

٣ - ان الحق والأفكار والمقائد قد تتغير بالخبرة والتجربة ، لأنها صفات لتفكيرنا وتفكيرنا يتغير بحسب الخبرة .

وأما جون ديوى فان له أفكاراً قريبة من أفكار وليم جيمس فى القيم الأخلاقية يمكن تلخيصها فى الآتى \* :

١- ايمان أن القيم الأخلاقية هى أمور انسانية تنبع من صميم الحياة التى يعيشها الانسان على ظهر هذه الأرض ، وليست مفروضة عليه فرضاً من جهة عليا .

٢- أن المصدر الأساسى للقيم الأخلاقية هى الخبرة والتجربة ، فالفرد عنده يكتسب قيمة الأخلاقية عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به مثل بقية المعارف والمهارات والاتجاهات والعادات .

٣- أن القيم الأخلاقية أو الأخلاقيات هى أخلاق اجتماعية ، لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل ، ولكنها تكتسب نتيجة لتفاعل الفرد وأعماله .

ويتربط على الايمان بأن الأخلاق اجتماعية : " اننا اذا شئنا تحسين الأخلاق فعلينا أن نعدل النظم الاجتماعية وأن نحسن تربية الفرد . "

وفى ذلك يقول " ديوى " :

انتا كانت موازين الأخلاق منحة فذلك ناشئ من نقص التربية التى يتلقاها الفرد فى تفاعله مع بيئته الاجتماعية " (١)

٤- يؤكّد " ديوى " على عنصر التكامل بين الفايات والوسائل ، ويصر على أن الفايات ينهى تحديد ها على ضوء الوسائل التى تستخدم لتحقيقها

\* من العوامل التى أثرت فى تفكير " ديوى " تأثره بالفلسفة المثالية الهيجيلية عن طريق استاذة " جورج موريس " ثم تحول الى تأييد فرضية التطور كما شرحها " دارون " و " توماس هنرى هاكسلى " انظر كتاب " تطور النظريات والأفكار التربوية " : ٣٣٧ ،

٣٣٨ .

( ١ ) تطور النظريات والأفكار التربوية : ٣٤٥ ، ٣٤٦ يتصرف .



حتى يمكن أن يكون للغايات معنى مقبولا أو لتصبح ذات معنى على الإطلاق ،  
ويغير هذا التحديد تصبح الغايات معان جونا ، ولذا استحدث مفهوم  
النمو " Growth " كجزء لا يتجزأ من الغايات والوسائل في التربية  
وكمحور أساسي للمعلمية التربوية بكاملها .

هـ- أن الغايات في نظر " ديوى " باعتبارها قصداً تعليمياً ، ينبغي  
أن تبنى على حاجات التلاميذ وميولهم وأغراضهم ، كما تبنى على الظروف  
البيئية وحاجات الجماعة ، لذا يرفض ديوى فكرة تحديد الأهداف التربوية  
المطلقة بناءً على تشريعات مسبقة ، لأنه يرى أن هذه الأهداف تبنى على  
تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان . أما بالنسبة للغايات المحددة  
بموقف معين وأجل غير محدد فيمكن أن تبنى داخل الإطار الذي رسمت من  
أجله ، وإن كان المقياس الحقيقي عنده هو إخضاع الغايات والوسائل للتجربة  
حتى يمكن الحكم عليها . (١)

ويتضح من أفكار " جون ديوى " أنه يرى :

١- أن الوحي الإلهي لا دخل له بالقيم ، فالقيم والمقائد والأفكار  
أرضية وهذا معنى أنها " ليست مفروضة من جهة عليا " وأنها " لا تتبع  
من الضمير " وهو ما يقابل معنى الدين .

٢- أنه لا يؤمن بتحديد أهداف تربوية مطلقة بناءً على تشريعات مسبقة  
لأن هذه الأهداف تبنى على تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان .

٣- أن المصدر الأساسي للقيم هو الخبرة والتجربة ، وما أن الخبرة  
والتجربة تختلف وتتغير لذا فإن القيم والمقائد والأفكار عرضة للتغير كذلك .

هذه هي معالم أفكار زعماء البراجماتية ، ومن المؤسف أننا نجد لهذه الأفكار صدى واسعا لدى بعض التربويين في العالم الاسلامي واكتفى هنا بنقل بعض النصوص عن كتابين من كتب رجال التربية في العالم العربي أحدهما للدكتور / محمد لبيب النجحي ، والاخر للدكتور محمد الهادي عفيفي وهما فيما أظن من أشد المتخصصين في التربية تأثرا بالفكر البراجماتي إذ أنهما في كتابيهما يركزان تركيزا شديدا على الخبرة ، ويؤكد أن على الأهداف التربوية ينبغي أن لا تكون ثابتة .

يقول الدكتور محمد لبيب النجحي :

" . . . ولا شك أن فكرتنا عن الخبرة التربوية تجعلنا ننظر الى الأهداف على أنها نابعة من هذه الفكرة ، فلا توجد أهداف في نظرنا - من خارجها - فهذه الخبرة هي بوتقة تجاربنا ، وهي عالمنا وحياتنا ، ولا نعرف قوقها - أو تحتها - عالما آخر يمكن أن نلجأ اليه ، فالأهداف من صميم الخبرة التربوية منها تنبع واليها ترتد قائدة وموجهة ومصلحة وعند ما ترتد اليها تتشكل من جديد ، وأن يعاد تشكيلها حتى يناسب الخبرة في تغييرها وفي تطورها - فأهم ما يميز الأهداف على هذا الأساس هو التشكيل وإعادة التشكيل ليقابل حاجات بيئة اجتماعية ديناميكية متطورة . ويستطيع المدرس بذلك أن يرتبط ببيئته لا أن ينفصل عنها ، وأن يعالج مشكلات جماعته التي يحس بها وينفصل بها ويعيش فيها " (١)

ويقول عن معايير الأهداف التربوية ما يلي :

" . . أول هذه المعايير من وجهة النظر الفلسفية التي ألف هذا الكتاب في إطارها \* أن الأهداف ليست نهائية ، فإذا كان النوليس له هدف من ورائه إلا النمو ذاته ، فإن التربية تصبح بذلك عطية مستمرة لا تستقر عند غاية

( ١ ) مقدمة في فلسفة التربية : ٧١ ، ٧٢ .

\* وجهة النظر التي ألف الكتاب في إطارها هي وجهة النظر البراجماتية وانظر ما قبله ص ٧٠ ، ٧١ .

معينة تحققها وانما تجعل من الهدف عند تحقيقه وسيلة لما بعده من أهداف وهذا تستخدم هذه الأهداف استخداما تجريبيا . وتصبح التربية عملية خلاقة لا بمعنى أن المدرس أو التلميذ يخلق واقعا خارجيا ، ولكن بمعنى أننا عندما نقبل الواقع الموضوعي فاننا نستخدمه للوصول الى نتائج مطردة التحسن والتقدم \* (١)

ويقول عن القيم ناقد الاعتقاد القائل بوجود قيم ثابتة في عالم علوي ما يلي :

\* ... ولقد ادعى الاعتقاد بوجود قيم اخلاقية ثابتة في عالم علوي مثالي الى أن تنقسم الغايات الى ذاتية ووسيلية . والغايات الذاتية هي التي ترجى لذاتها ، وقيمتها في نفسها . أما الغايات الوسييلية فهي الوسائل التي تتخذ لتحقيق الغايات الذاتية ، ونتج عن هذا أن انقسم الخير الى ذاتي ووسيلي ، وانفصل الخير الذاتي بذلك عن مواقف الاهتمام في حياة الانسان المادية واصبح ما يهم الانسان في هذه الحياة هو الخير الوسيلي \* (٢)

ويتحدث الدكتور محمد الهادي عفيفي عن القيم الخلقية فيقرر أنها تستمد سلطتها من قدرتها على تحمل الاختيار . يقول :

\* ... فالقيم الخلقية والروحية في جوهرها تستمد سلطتها وقوتها في المجتمع من قدرتها على تحمل الاختبار في الخبرات الانسانية المتتالية وعلى مر العصور ، وبين جماعات مختلفة ، ولهذا يتجاوز تأثيرها حدود الزمان والمكان وتفيد في توجيه الخبرات الانسانية في استمرارها وفي تطورها وفي تحديدها في آن واحد \* (٣)

(١) مقدمة في فلسفة التربية : ١٤٦ ، ١٤٧ وانظر كتاب " الديمقراطية والتربية : ١١٣ نجد نفس الفكرة .

(٢) نفس المصدر : ٣٦٠ .

(٣) في أصول التربية \* الأصول الفلسفية للتربية \* : ٣١٢ ، ٣١٣ .

فاذا قارنا ما كتبه هذا ان المؤلفان وكل ما كتبه في كتابيهما ينطلق من منطلق الايمان بالفلسفة البراجماتية في التربية هو يكفي تصفح هذين الكتابين لمعرفة مدى تأثرهما بهذه الفلسفة - أدركنا مدى الاثر العلماني على الفكر التربوي في العالم الاسلامي . ولا ريب لدينا نحن المسلمين في فساد أفكار هذا المذهب وضررها على من يعتنقها من أبناء المسلمين ولكني أكتفي هنا بذكر بعض النصوص تمثل نقدا للبراجماتية أو البراجماتية .

يقول " نيللر " :

" . . . اما الموضوعات الرئيسية في هذه الفلسفة فهي حقيقة التغير على الديمومة ، نسبية القيم ، الطبيعية الاجتماعية البيولوجية ، أهمية الديمقراطية كطريقة في الحياة ، قيمة الذكاء الناقد في جميع السلوك الانساني " (١)

ويقول أيضا :

" ونعم القيم للبراجماتية نسبية فليست هناك مبادئ مطلقة نستطيع أن نتعلم على أساسها بغض النظر عن نتائجها بالنسبة للآخرين فجميع الشرائع الخلقية والجمالية عرضة للتغير غير التطور الثقافي ولكن هذا لا يعني أن الاتجاه الخلقى يجب أن يتذبذب من يوم لآخر أنه يومك أنه لا توجد قاعدة سلوك يمكن أن تعتبر ملزمة بشكل شامل بغض النظر عن الظروف التي تمارس في نظامها " (٢)

ويقول " جيمس . س . دوس " في نقد البراجماتية :

" . . . والان علينا أن نناقش البراجماتية ، ونرى أثرها في التربية فالفكرة الأولى للبراجماتية تقرر أن الحق هو التجربة النافعة لا كبر عدد ممكن من الناس بشرط أن يكون هذا النفع مستمرا أطول مدة ممكنة . فان كان النفع مقصورا على فرد واحد أو عدد قليل من الأفراد لم تكن التجربة حقا ، وان كان

(١) في فلسفة التربية : ٦٩ . وهذه الموضوعات هي ذات الموضوعات التي

لحقها وتعرض لها كل من د . محمد لبيب النجیح ود . محمد

الهادي عفيفي .

(٢) نفس المصدر : ٧٥ ،

لا يتجاوز مدة قصيرة لم تكن كاملة في صحتها ، هذا هو مقياس الحقيقة في نظر " جيمس " وربما قال شخص سيات عند جيمس أن تقول " أن الشئ " نافع لأنه حق وأنه حق لأنه نافع " هذا صحيح فهناك فكرة تحققت وأمكن اثباتها " (١)

ويقول في موضع آخر :

" ويرى النفعيون أن العقائد التي تجلب النفع يجب اعتناقها ، وهذا في مفتحي الخطورة من الناحية الأخلاقية ، فان اعتناق العقائد لمجرد نفعها العاجل قد يؤدي الى نتائج خطيرة من أهونها الانحلال الخلقي ، ونحن لا نرضى بذلك .

" وما دام النفعيون لا ينكرون أن للقيم وجودا ذاتيا سابقا ، فانهم لا يستطيعون أن يتقدموا بهدف تربوي واضح ولكن عند ما يتحدثون عن التربية باعتبارها القوة الخالقة لحضارة ومدنية أفضل من حضارتنا ومدنيتنا الحالية ، وعند ما يفعلون ذلك يحق لنا أن نتساءل عن المقياس الذي يقيسون به مقدار نجاح جهودهم لأنه لا بد من مثل هذا المقياس ، ولا بد من وجود مستويات معينة للمقياس ، هنا يتردد أصحاب هذا المذهب ويقولون أننا لا نستطيع أن نتكهن بالمستقبل ولا نستطيع أن نتحكم ونستفيد في الأجيال المقبلة بوضع أهداف خاصة للحياة ، ولكن ليس معنى هذا أن القيم والأهداف مهما كانت غامضة ، ليست ضرورية لتوجيه الجهود .

ولا شك أن مثل هذه القيم والأهداف يجب أن تكون موضوعة من قبل حتى تنير الطريق . وهذا ما لم يستطع رجال التربية الأخذون بالفلسفة النفعية انكافره ، فهناك على رأى " كاندل " " قيم وأهداف يتحرك نحوها العالم " (٢) فاذا كانت هذه هي آراء مفكرى البراجماتية فكيف يصح لمسلم أن يعتنق هذا المذهب .

(١) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٤٦٣

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٤ ، ٦٥ .

أما بالنسبة للمذهب الوضعي المنطقي\* فقد تأثر به بعض التربويين في العالم العربي ومنهم من قدم أطروحة علمية لتوضيح هذا المذهب والدفاع عن مكوناته الفكرية ومحاولة تطبيقها تربوياً . ولعل من المفيد أن أذكر محتوى هذه الفلسفة حتى يمكن أن نحكم على مدى صحة هذا الاتجاه من عدمه ومن ثم لنحكم على مدى صحة أو خطأ وانحراف الاتجاه الى مثل هذه الفلسفة من أحد من المسلمين .

ان من محتويات هذه الفلسفة أن الميتافيزيقيا في كل صورها لقولا معنى له ، وأن الأخلاق المستندة اليها ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية " (١)

يقول لطفي أحمد بركات في بيان موقف الفلسفة المنطقية الوضعية من الأخلاق :

"... وأخيرا نعود فنجد ما فصلناه من موقف الوضعية المنطقية من الأخلاق وذلك على النحو الآتي :

١- رفضت الوضعية المنطقية الأخلاق المطلقة باعتبارها لفوا باطلا غير قابل للتحليل أو التحقيق .

٢- أثبتت أن النظرية الميتافيزيقية في الأخلاق أن هي الا تعبير عن انفعال صاحبها ومن ثم خرجت عن حدود الصدق أو حتى الكذب .

٣- .....

٤- ردت الأخلاق للمجتمع وحاجاته ولذائده ، وليس لقوة أخرى خارجة عن حدود المجتمع الذي يعيش فيه الناس . " (٢)

( ١ ) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٤١ ، ٤٢ .

( ٢ ) المصدر السابق : ١١١ ، ١١٣ .  
 (\*) أسس هذه الحركة الفلسفية « موريس شيليك » سنة ١٩٢٩م وضمت فيها  
 شخصيات مهمة كـ « روبرت كازينب » و « لوج بولتزمان » و « بيير دوهم »  
 و « برنست مان » و « فيجلى » و « جوبل » و « فتيختييه » انظر ص ٦٢  
 من كتاب « فلسفة الوضعية المنطقية »

والآن أستعرض أراء ثلاثة من رجال التربية في العالم العربي من مؤيدي هذه الفلسفة ومعتنقيها !

يقول د . ابو الفتوح رضوان في تقديمه لبحث كتبه " لطفى احمد بركات " من هذه الفلسفة ونال به الماجستير

" . . . وهذا الكتاب الذى أقدمه الآن ، بحث في فلسفة الوضعية المنطقية وتطبيقاتها التربوية ، قام به احد طلاب الكلية هو الأستاذ لطفى بركات " حمد ونال به درجة الماجستير في فلسفة التربية ، عملا بما تقدم من اتجاه .

ولا أحب أن أخوض في هذه الفلسفة ، فقد وفاها المؤلف حقها من الحديث ، أى بالمعنى العلمى البعيد كل البعد عن الفئيات والميتافيزيقيات ونحن نعيش بفضل ثورة ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢ في عصر علمي ، والمعلم يتسم بالمعرفة والنقد ، وفى هذا الحد عالج المؤلف هذه الفلسفة مستفيدا بها بكل ما هو جدير منها بالافادة . " (١)

وهكذا ينتصر د . ابو الفتوح لهذه الفلسفة التى لا تؤمن بالفئيات ويحمد للطالب أنه وفاها حقها من البحث العلمى البعيد عن الفئيات ونسى الدكتور أو تجاهل أن الفئيات احدى حقائق الوجود الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ، وأن من علامات الايمان ، الايمان بالغيب الذى حجه الله عن نطاق تفكيرنا أو احساسنا " (٢)

ويقول الدكتور نبيه يمين : مينا انتمائه لهذه الفلسفة ما يلى :  
 " هناك اعتبارات تفرض علينا ضرورة القيام بتحليل مصطلح أمر جديد مستحدثا ، فالفيلسوف اليونانى سقراط قام بمجهودات لتحديد دلالات العديد من المفاهيم مثل العذالة والشجاعة وسواها .

( ١ ) نفس المصدرى من المقدمة .

( ٢ ) انظر الآية الثالثة من سورة البقرة وغيرها من آيات القرآن التى تؤكد على الايمان بالغيب .

لكن الواقع أن اتباع مثل هذا الأسلوب في الربع الأخير من القرن العشرين سيلقى لنا أضواء على الموقف المحيطه بنواحي الجدل الرئيسية الدائـرة في نطاق الثورة الحديثة في مجال الفكر الفلسفي الذي ينتهي اليه هذا الكتاب من ثنايا بعض مكوناته .

أوضح فتجنستين وهو أحد قادة هذه الثورة بكيفية ما ان الفلاسفة من عهد سقراط حتى مورقد أخطئوا في اعتقادهم بإمكانية تحديد هـشئة أو عبارة معينة يمكن أن تفسر بصورة مطلقة مفاهيم مثل " العدالة " و " المعرفة " . . . تلك المفاهيم التي شغلت هيزا كبيرا في اهتماماتهم الفكرية " (١)

وأما لطفى بركات فانه يتحصل على درجة علمية هي درجة الماجستير في فلسفة التربية هذه الفلسفة وتطبيقاتها التربوية واكتفى هنا بإيراد اثنين من الدوافع التي دفعتة الى اختيار هذه الحركة الفلسفة للدراسة وهما :

" ٣ - ايمان الوضعية المنطقية بالطريقة التحليلية المنطقية في حل مواقف ومشكلات الحياة المختلفة - تلك الطريقة التي تقوم على اساس التحليل والتحقيق "

ثم يعقب على ذلك بقوله :

" والمفـزى التربوى لهذا المبدأ بيدوا واضحا جلياً - فما أـحوج مجتمعا اليوم الى تحليل أحكامه المختلفة والتحقق من معايير وموجهات سلوكه تحقيقا تجريبيا واقميا بدلا من الامعان في اصدار فرمانات اخلاقية واجتماعية تطير الى أجواء السماء على جناحى خيال طامح ولكنه جامع " (٢)

٧ - محاولة الباحث - ازالة بعض الغموض عن التشكك في موقف الوضعية المنطقية من القيم الاخلاقية .

( ١ ) ابعاد متطورة لفكر التربوى : ١٦ .

( ٢ ) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٦ ، ٧ .



ثم يعقب على ذلك بقوله :

" لهذا أراد الباحث عرض موقف الوضعية المنطقية من المشكلة الأخلاقية ومدى صلاحيتها للتطبيق في التربية المصرية - وليس الهدف من هذه المحاولة الوصول الى حلول حاسمة للمشكلة الأخلاقية - وإنما هي محاولة أريد بها القا\* الضو\* على موقف أخلاقي متطور تعتنقه حركة فلسفية لها صداها في العالم .

وأن الباحث - يقرر في بداية بحثه - أنه أحد تلامذة هذا الاتجاه - ولكن ليس معنى هذا أنه سيبحث ببحت نحو الهوى والذاتية وإنما سيعرض الموقف بروح الوضعية المنطقية - روح التحليل والتحقيق النزيه " (١)

وانظر في هذا الكتاب الفصل الأول : " حول المنهج وعلاقته بالنظرية الأخلاقية ، خاصة فقرة ( المنهج التحليلي المنطقي والمنهج التحليلي الميتافيزيقي " حيث قارن بين " المنهج التحليلي عند الوضعية المنطقية بالمنهج التأمل الميتافيزيقي " فذكر سبع فروق .

ثم قال : " ومن هذه المقارنة بين المنهج التحليلي عند الوضعية المنطقية والمنهج الميتافيزيقي يتضح لنا أن هذه الحركة الفلسفية قدمت لنا منهجا متحررا من المطلقيات والخائبات العلوية - منهجا للأشياء بنظرة علمية تحليلية " فارتبط ارتباطا وثيقا بالعلم والواقعية وقد انعكس هذا كله على النظرية الأخلاقية عندهم فيما سيتضح بعد ."

وانظر في بيان مصادر الفلسفة الوضعية المنطقية الفصل الثاني من الباب الأول ان ذكر من مصادر هذه الفلسفة " المدرسة الكانتية "

---

( ١ ) نفس المصدر : ٨

( ٣ ) نفس المصدر : ٢١ !

والمدرسة الوضعية " التي أسسها " أوجست كونت " والمدرسة النفعية " جون ستيوارت مل ، والمدرسة البراهماتيه التي أسسها " شارل سندر بيرسى ووليم جيمس ، وجون ديوى .

وانظر أيضا الفصل الثالث " نظرية المعرفة وصلاتها بالأخلاق " وفيه أوضح الباحث أن هذه الفلسفة تعتبر أن الحس هو مصدر المعرفة ، وأنها تنقد الاتجاه الحدسى فى المعرفة .

وانظر الباب الرابع " التطبيق التربوى للنظرية فى مجتمعنا الاشتراكى " خاصة فقره " كيف تستخدم المدرسة منهج التحليل المنطقى فى العملية التربوية " وفقره " تفهم العملية التربوية فى مجتمعنا الاشتراكى فى ضوء هذه النظرية "

والكتاب الثلاثة يعلنون انتمائهم لهذه الحركة الفلسفية رغم معرفتهم بأنها فلسفة متحررة من الايمان بالغيبيات وانها جمعت أفكار عدة فلسفات لادينية كما أوضح ذلك لطفى بركات فى مصادر هذه الحركة الفلسفية ، وأنها تعتبر الحس هو مصدر المعرفة ، وأنها ترد الأخلاق الى المجتمع ورغباته ولذا نذره وليس لها ضوابط من الدين .

لا ريب عندى أن السبب الذى جعل هؤلاء - وغيرهم من التربويين فى العالم الاسلامى - يمتنعون مثل هذه المذاهب الفلسفية اللادينية هو الجهل بالاسلام ، أو تصور ان الدين الاسلامى ما هو الا طقوس تؤدى كيفما اتفق ثم لا حرج على الانسان ان يعتقد ما شاء من المذاهب فى الفكر والفلسفة والاقتصاد والتربية وغيرها ، وهذا هو الهدف الذى سعى اليه الاستعمار الثقافى واستطاع الوصول اليه وأصبحت مهمة تدوير خصائص هذه الأمة العقائدية والفكرية بأيدى أشخاص من أبناء المسلمين .

## الفصل الاول

### أثر العلمانية فى التربية عامسة

المبحث الثانى : نماذج من أفكار التربويين من خلال كتبهم

---

نماذج من افكار التربويين من خلال كتبهم .  
من الامور التي سوف اعرض لها في الفكر التربوي عند التربويين ،

### الموضوعات الآتية :

- بناء الشخصية وم يكون .
- الثقافة وجوانبها .
- نظرية فرويد في الفرائز وتنميتها .
- اتجاهات الثقافة " الاتجاه الديني " في مصر .
- تصور معنى الدين .
- الدعوة الى محو الطبقات .
- الدعوة الى الاشتراكية .
- الدعوة الى الديمقراطية .
- الدعوة الى التاميم <sup>و بيان</sup> ~~بشر~~ الثقافة والتربية فيما سبق ( نحو الطبقات ، التاميم ، الديمقراطية ، الاشتراكية ) .
- رفض الفسيقيات .
- الادعاء بان القيم الروحية لا تثبت الا بالاختيار .
- الادعاء بان الحطة الفرنسية كانت من مشيرات النهضة .
- الفهم السوي المنحرف لعقيدة القضاء والقدر .
- اطلاق كلمة رجال الدين على علماء المسلمين .
- تعدد الزوجات ، واثار التحريم في ذلك .
- المعرفة وحدودها .
- الادعاء بأن التربية الجنسية تخفف من نسبة جرائم الشباب .
- وصف الالتزام بالدين بالنقص الديني .
- التحذير من ربط الدين بالسياسة .
- وصف رسالات الله بانها ثورات انسانية .

- وصف المجتمع الاسلامى بانه مجتمع زراعى متواكل .
- اهداف العمل بالخبرة وتحبيذ عدم ثبات الاهداف .
- مصادر الاهداف .
- جوانب اهداف تدريس العلوم الاجتماعية .
- الدعوة الى القومية العربية .
- الدعوة الى الوطنية وتربية المواطن المتكيف مع المجتمع .
- الدعوة الانسانية وغير ذلك من الافكار .

والان أبدأ استمعينا بالله فى عرض هذه الافكار اما بنصوصها او معانيها

مع نقدها . يقول "الدكتور أبو الفتوح رضوان " :

" .. وفوق هذا يجب أن تعمل التربية العربية على خلق خصائص جديدة فى الشخصية العربية الناشئة بحيث تتأصل منها راسب العصر التركى ، والاستغلال الاستعمارى وتضع بدلا منها خصائص مضادة ، تتحقق بهيئة القومية العربية الشاملة فى المستقبل القريب .

فالمواطن العربى يجب ان يكون شخصا تقدما يؤمن بفلسفة التخيير والتطور يجب ان يعتبر نفسه مسئولا عن المستقبل لا عن الماضى ومسئولا امام الاجيال القادمة لا امام رفات الموتى . . . . . " (١) .

ثم يقول :

" .. لهذا كانت الوسيلة الاولى لتحقيق الوحدة العربية هى وضع اولادنا فى ايدى معلمين عرب مخلصين ولذا فالامر يبدأ من معاهد اعسداد المعلمين وحلقات تدريب المعلمين حتى لا يدخل مدارسنا الا كل معلم عربى

---

(١) أسس التربية فى الوطن العربى ص ٧٣ ، .

تتقد جذوة العرومة في عروقه فتنتقل الى تلاميذه العدوى الى جانب طسرق الصنعة .

فاذا ضمنا عاطفة المعلم واخلاصه وجب أن نصف الطريقة المجديت التسي عليه ان يتبعها في خلق مواطنين يؤمنون بالوحدة العربية . . . (١)

أما بناء الشخصية عند النجيمى فانه يكون ببناء شخصية الطالب الاشتراكي الديمقراطي فهو يقول بعد أن يوضح أن بناء الشخصية يختلف من مجتمع الى مجتمع ، يقول :

” . . . . . واذا كان لنا في مجتمعنا العربي في الوقت الحاضر أن نعمل على بناء شخصية في اطار المبدأ الاشتراكي والديمقراطي فيجب على التربية أن تعمل مافى وسعها لكي يعيش التلاميذ هذه الاشتراكية الديمقراطية أن يعيشوها في المدرسة قيما وسلوكا وعادات واتجاهات ، حتى يصبح جزءا لا يتجزأ من شخصياتهم بل وان تعمل بصفة عامة بان يعيش افراد المجتمع في مجموعهم هذه الاشتراكية الديمقراطية في جميع نواحي حياتهم في الاسرة والمصنع والعمل والمزرعة .

وهكذا نستطيع ان نضمن لهذه الاشتراكية الديمقراطية بقاء واستمرارا في شخصيات افراد المجتمع عميقا وقويا بحيث يستطيع ان يظهر في سلوكهم وان يؤثر في اتجاهاتهم وان يطبعهم جميعا بهذا الطابع الاشتراكي الديمقراطي تفكيراً وسلوكاً” (٢) .

وأما مؤلفوا كتاب التربية ومشكلات المجتمع فانهم يرون ان بناء الشخصية يكون ببناء الانسان العصري المؤمن بالله موطنه” (٣)

(١) اسس التربية في الوطن العربي : . ٧٧ .

(٢) فلسفة التربية : ١٩٩ .

(٣) التربية ومشكلات المجتمع : ١٥٥ .

أما الدعوة الى بناء شخصية الطلاب على العروة والقومية فان ذلك مسن  
 آثار الفكر العلماني على أبناء المسلمين ، ذلك أن العلمانية هي "هزل الدين  
 عن شئون الحياة خاصة التربية والتعليم" (\*) والدعوة الى بناء شخصية  
 التلاميذ على العروة او الاشتراكية او الديمقراطية بحيث يكون هؤلاء الطلاب  
 قوميون ، واشتراكيون او ديمقراطيون اثر من آثار الفكر العلماني على من يدعوا  
 الى ذلك والعلمانية كما سيمر علينا مذهب ومنهج في الحياة مخالف للإسلام سواء  
 كانت من النوع الذي يعزل الدين عن شئون الحياة الا في المعبد ، او من  
 النوع الذي يرفض الدين ويحاربه ولا يدع له مجالا اطلاقا حتى في المعابد ، والنوع  
 الاول هو ما تعيشه اوربا الغربية والنوع الثاني هو ما تعيشه اوربا الشرقية .

والدعوة الى القومية دعوة انتقلت اليها مع ما انتقل اليها من مظاهر الفكر  
 العلماني الغربي ، والاضافة الى ذلك فان اول من دعا اليها هم الاقليّة  
 المسيحية في العالم الاسلامي .

يقول ساطع الحصري وهو واحد أساطين القومية العربية :  
 " ان فكرة القومية العربية نشأت عند المفكرين المسيحيين قبل ان تنشأ  
 عند المسلمين " (١)

ويقول فيليب حتى ، وهو مسيحي لبناني تأمرك :  
 " . . . ولقد كان ظهور مبادئ القومية العربية في العقد السابع من لقسن  
 الفائت على يد رجال الفكر السوريين ، وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين  
 تتقوا في المدارس الأمريكية في بلادهم . (٢)

---

(١) الفكر العربي في مائة سنة / ١٠٠٧ .  
 (٢) الشعوب الجديدة : ٤١ .  
 (\*) انظر تعريف العلمانية في المدخل للدراسة .

ثم يقول : " ومما لا ريب فيه أن القومية انما هى بضاعة غربية استورد هـا  
العالم بما فيه الشرق العربى من أوربا " (١)

ويقول آرنولد تونبى : " هنالك طبعها افكار ومؤسسات غربية نشك فى  
أنها نعمة ، وأهم هذه الافكار القومية . . . فلقد اصيب الاتراك وغيرهم  
من الشعوب الاسلامية بعد واهما الشديد كما اصبوا بغيرها من المفاهيم الغربية  
سواء النافعة منها او الضررة الويلة " (٢) .  
ويقول " هاملتون جب " :

" والا سلوب الذى استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتة  
على السلطة فى الدولة كان القومية ، فالقومية هى فكرة غربية أيضا " (٣) .  
هذا من الناحية التاريخية اما من الناحية الواقعية فان نسبة الاقليات  
الدينية فى العالم العربى اقل من نسبة الاقليات العرقية .  
يقول د . محمد منير مرسى فى ذلك :

" وكذلك نجد ان العالم العربى فى تطوره قد ضم اقلية عنصرية غير عربية  
كالاكراد فى العراق وسكان جنوب السودان الا انه يمكن القول بوجه عام " ان نسبة  
الاسلام فى العالم العربى اعلى من نسبة العروبة فبينما لا تزيد الاقلية الدينية  
عن ( ٣٥ - ٤٠ % ) ملايين تقريبا تصل الاقلية اللغوية الى نحو ( ٨٥ - ٩٠ % )  
ملايين ( . وهذه الارقام لا تشمل جنوب السودان ) . كذلك فاذا كانت  
الاقليات الدينية ابرز وجودا ووزنا فى الشرق العربى من الاقلية اللغوية فان  
العكس صحيح فى المغرب العربى حيث الاسلام عالمى تقريبا بينما تتجدد  
الاقليات فى الناحية اللغوية " (٤)

- 
- ( ١ ) الشعوب الجديدة ٤١ ، ٤٣ وقد كان دعاة القومية الطورانية ايضا من  
النصارى . انظر الغرب والشرق الاوسط ( ١٢٧ ) .  
( ٢ ) فصل الدين عن الدولة : ١١  
( ٣ ) نفس المصدر : ٩  
( ٤ ) التعظيم العام فى البلاد العربية : ١٣ .



فإذا كانت الدعوة الى القومية دعوة غربية مبدأ بالدعوة اليها نصارى العرب وإذا كانت الاقليات الدينية - مع انها بتطبيق الاسلام كاملاً - تضمن لها حقوقها وتطالب بما يجب عليها - اقل من الاقليات اللغوية العربية ، فإن الدعوة الى القومية العربية او غير عربية دعوة باطلة ولا يدعو اليها الا كل متأثر بالفكر العلماني أو منطبع فكره عليه .

وأما الوطنية والدعوة الى بناء شخصية الطالب عليها فهي الاخرى دعوة انتقلت اليها من الغرب ، فلم يكن المسلمون يعرفون تقسيم الناس حسب اوطانهم او عناصرهم العرقية .  
يقول عبد العزيز جاديش :

" ان الشعور بالوطنية اصطلاح افرنكي انتقلت بذوره الى الشرق من مطاوي العلوم العصرية واصل المدنية الحديثة التي اهتدى اليها اهل الغرب " (١)  
ويقول برنارد لويس :

" واول تحرك في الشرق نحو الولاة الجديد كان تحرك الوطنية وليست القومية فلقد استلهموها من اوربا الغربية ، خصوصا فرنسا وانكلترا حيث كانت كلمة قوم وكلمة دولة مترادفين وحيث كانت الوطنية هي الولاة المواطن لبلاده ، وهذا الولاة يقدم للدولة عند ما ترى نفسها بحاجة اليه . . . " (٢) .

فإذا كان الامر كذلك ، فإن الواجب ان لا يربط وراء شعارات الغرب وافكاره في واقع حياتنا وتدعوا اليها في تعليمنا ان كنا نحادي الاستعمار حقا اما ان كنا نحادي بالالفاظ دون الواقع فان ذلك دليل على تاثرنا بالفكر العلماني .

---

( ١ ) الاتجاهات الوطنية : ٦٩ / ١ .  
( ٢ ) الغرب والشرق الاوسط / ١١٣ . وانظر بداية الفصل فقد وصف وعد الوطنية والقومية اصنافاً جديدة بدلا عن اللات والعزى . وفي هذا الفصل توضيح لمسار الحركات القومية والوطنية ص ١٠٥ - ١٤٦ .

أما فيما يتعلق بالدعوة الى تربية الشباب على الاشتراكية والديمقراطية فان هذه الدعوة تدل على مدى تاثر من يدعو اليها بالفكر العلماني . ان أن الاشتراكية والديمقراطية مذهبان مخالفان ومناقضان للاسلام .

أما عن جوانب الثقافة فيحدد ها الدكتور محمد الهادي عفيفي بما يلي :

" ( ١ ) العوامل الاقتصادية التي يعيش فيها الانسان .

( ٢ ) الظروف التاريخية ونتائجها الاجتماعي .

( ٣ ) القيم الروحية .

ثم يذكر ان هذه الجوانب قد التحمت واثرت على مفهوم الثقافة في مصر فيقول :

" ويبدو هذا الالتحام بين جوانب الثقافة من تحليل واقعنا كما ورد في الميثاق الوطني .

(١) فالاساس الاقتصادي يحدد مسار التطور الاجتماعي والسياسي وما يرتبط به من قيم واتجاهات في مجتمعنا ، فمن الحقائق البديهية التي لا تقبل الجدل ان النظام السياسي في بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية ..

واما عن جانب القيم الروحية فيقول :

" ان التراث الثقافي القوي - في جوهره الصافي - من اهم عناصر الثقافة القومية فيؤكد اننا نثق انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التي تستمد ها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية او من تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات " . (١)

والادعاء بأن النظام السياسى - وهو الذى يسن قوانين التربية والتعليم وغيرها - ليس الا انعكاسات للاوضاع الاقتصادية ، ادعاء باطل وهو اثر من آثار الفكر العلمانى على المؤلف ، وهذا التفكير العلمانى من النوع الثانى الذى لا يرى للدين اى مجال فى هذه الحياة بل يحاربها ، ان هذه الفكرة فكسرة " الماركسيين " ولم يعرف عن المسلمين فى العصور السابقة هذا القول .

وأما فيما يتعلق بحديثه عن القيم الروحية فاكفى بما فند به الدكتور بشير التوم هذا الادعاء ان يقول :

" ان الرجل الغربى المسيحى يفهم الدين على انه امر باطنى فردى وعلى انه قيم روحية يحتاج اليها الفرد . ولكنه يستمد هذه القيم من مسيحيته كما يفهمها محمد الهادى عفيف متأثر بهذا المفهوم الضيق للدين ولكنه يبيح للشعوب العربية ان تستلزم هذه القيم الروحية من ادیانها السماوية او من تراثها الحضارى ، كأن التراث الحضارى عنده بمثابة الدين " (١) .

ويقرر د . التيجانى الماحى نظرية فرويد الجنسية فيقول :

" ويقرر فرويد ان عقدة اوديبوس هي نواة السلوك الانسانى وعليها يقوم مستقبل النضوج العاطفى الذى يتقرر على ضوءه طابع السلوك الاجتماعى وطابع الصحة العقلية وان اضطراب عقدة اوديبوس لا يؤدى الى انحراف فى السلوك فحسب بل الى اضطراب فى صحة العقل . ومضمون هذه النظرية ان الذكور من الاطفال يميلون بفطرتهم ميلا ايجابيا الى امهاتهم وان هذه العاطفة قد تتحمل على الكراهية . كما ان الاناث من الاطفال تدفعهن طبيعة فطرتهم لتقدس الاب ( كل فتاة بابيها معجبة ) وبالتالى الى موقف يتسم بالخبرة تجاهه الأم . وهذه ما يسمونها بعقدة ايريس خلاصة القول يرى فرويد ان هذه

المحاطفة في صورتها المحدودة قد تكون ظاهراً إنسانية أساسية لا تقبل الجدل في موضوعها ونفاذها . بل انه يضمنها في شمولها موضعاً اشبه بموضع الفرائض من الانسان رغم انه لا يقول بذلك صراحة .

على اننا نرى ان عقدة اوديبوس دون تشكك في اعتباريتها من ناحية الوجود لا تخلو ان تكون حدثاً من الاحداث الازلية في تجارب الخليقة ، نشأت وما زالت تنشأ نتيجة لاختلاف طبيعة الصلات البيولوجية والعاطفية بين الطفل وامه من جهة وبينه وبين ابيه من جهة اخرى دون ان يكون لها هذا الاثر المزعوم فليس مستقبل حياة الطفل من الصحة والسلوك . . . (١)

فادعاء الكاتب ان عقدة اوديبوس لا شك في اعتباريتها من حيث الوجود وانها حدث من الاحداث الازلية نشأت وما تزال ادعاء غير صحيح لا مور منها :

١ - أن فرويد متأثر بدارون في نظريته فقد اخذ عنه القول بحيوانية الانسان وقد استمد هذا التصور من ملاحظات دارون الذي لاحظ انه في عالم البقر تتجه الشيران الفتية للحصول على البقرة الام فتجد اباها عائقاً في الطريق ، فتتجه كلها نحوه لتقتله . فاذا فرغت من ذلك عادت فاصطرعت فيما بينها حتى يتغلب احدها - وهو اقواها - فيفوز وحده بالام ويصبح هو السيد الجديد . (٢)

٢ - ان نظرية فرويد لها جذور تاريخية في التراث اليهودي فلم يسلم من تدنيهم واتهامهم انبياء الله ، بل الله سبحانه وتعالى ، فقد امتسلاً تراشهم باتهام انبياء الله بالولوغ في الجنس . (٣)

- 
- (١) اسس التربية في الوطن العربي : ١٨٠ ، ١٨١ .  
 (٢) التطور والشباب في حياة البشر : ٤٥ ، ٤٩ ، وانظر دراسات في النفس الانسانية : ٣٦٠ ، ٣٦١ .  
 (٣) جذور البلا : ٣٨ - ٤٤ .

٣ - ان هناك اتجاهها مضادا لنظرية فرويد في فهم الشخصية الانسانية وهو اتجاه يزداد قوة ودعما على الايام ويتلخص في ان الانسان اكثر مسن مجرد حيوان سادت الغريزة حياته . . . (١)

ويتحدث د . محمود السيد سلطان عن اتجاهات الثقافة المصرية ويقسمها الى عدة اتجاهات منها ما اسماه "الاتجاه الدينى" فيقول عن هذا الاتجاه ما يلى :

" . . . اما الاتجاه الثانى في الثقافة المصرية الذى يحتدم حوله وسببه الصراع فهو الاتجاه الدينى وهو عدة اتجاهات في داخله : اتجاه تعصبى ، واتجاه رجعى متحجر واتجاه عقلانى واتجاه شكى .

الاتجاه التعصبى : وهو اتجاه يمزق اوصال المجتمع والوحدة الوطنية والتماسك القومى لانه يجعل هناك تكتلات تتفوق على نفسها على حساب التماسك الاجتماعى ووحدة المجتمع الداخلى كلها . كما انه اتجاه يفهم الدين - اى دين فيما خاطئا لانه لم ينزل دين سماوى يدعو لمثل هذا التعصب ، وانما دعيت هذه الاديان السماوية الى السلام والتسامح والمحبة وهو يعمل هذا الدين بشكل ما لانه يجلب عداوة الفئات الاخرى كرد فعل لمثل هذا الاتجاه .

الاتجاه الرجعى المنفلق والمتحجر : وظهر هذا عند بعض رجال الدين حينما فهموا فيما خاطئا واغلقوا باب الاجتهاد العقلى واعتمدوا على النص بفهم خاطئ " دون العقل .

الاتجاه العقلانى : وهو اتجاه يدعو باستمرار الى تنقية الدين مسن كل الشوائب العالقة به والتي دخلت عليه بسبب الطمس العقلى وهو في هذه التنقية يدعو الى استخدام الذكاء الانسانى في الفهم والشرح والاجتهاد .

( ١ ) التراخاليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى : ٢٥١ .

الاتجاه الشكلي : وهو اتجاه اخذ من الدين شكله وترك مضمونه وجوهره  
وحرص على بعض الطقوس الدينية دون فهم كاف واستيعاب كامل لمغزاه ومضامينه<sup>(١)</sup>

ان تقسيم المؤلف هذا يعطى الدليل الواضح على تاثيره بالفكر العلماني  
الوافد اليها من اوربا ففي تاريخ المسلمين لا يوجد الفصل بين الدين والحياة  
ولا يوجد هذا التقسيم ان هناك " متخصصون في الشريعة ومتخصصون في  
التاريخ . الخ " وهؤلاء المتخصصون في فروع العلم يخدمون شيئاً واحداً  
( الاسلام والمسلمين ) وكل يسير في تخصصه وفق مبادئ الاسلام ولا يحيد عنها  
فليس لمتخصص في التربية او في اللغة او في الطب او غيرها ان يحيد عن ماسمعه  
الله ورسوله في كافة امور حياته ومنها تعلمه وطرق المعرفة التي يسلكها هذا  
من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذه الاوصاف " الرجعي المطلق المتحجر " لم  
يعرفها المسلمون الا بعد ان نعق بها اليساريون في البلاد الاسلامية تقليداً  
لليساريين الاسياد ، والشيوعيون اشد العلمانيين على الدين واهله خاصة  
الاسلام والمترزمين به ، كما ان وصف رجال الدين من الاوصاف التي انتقلت اليها  
من انتقلت اليها من الغرب تقليداً لهم في اطلاقهم هذا الوصف  
على علماء الدين ، وهو وصف يوحي للناس ان هؤلاء الناس اعداء للدنيا ويحرمون  
الناس من زينة هذه الحياة ويستبدون بامر الناس ويطفون عليهم ، وهو امر قد  
وقع في الغرب ، لكنه لم يقع في العالم الاسلامي وصفحات التاريخ الاسلامي شاهدة  
بهذا ، اما تناوله على الاتجاه العقلاني فدليل اخر على هذا التاثير بالفكر الغربي  
فان اصحاب الاتجاه العقلاني وعلى راسهم " محمد عبده " قد تاثروا بقلسفة  
اوغست رت - الفيلسوف الفرنسي - ، واثني عليهم المستشرقون ، ومنهم

"ها ملتون حبيب" . ومن المعلوم ان المستشرقين لا يثنون الا على احد شخصين  
اما على زعيم سياسى ساعد على نقل التفريب والعلمانية للعالم الاسلامى ، وعلى  
مفكرى كان منساقا مع التفكير الغربى من حيث يشعر او لا يشعر .

نعم . . . لقد حنى الله سبحانه وتعالى على اعمال الفكر وحض رسوله الكريم  
على ذلك ، وما الاجتهاد سوى فهم النصوص الا من هذا القبيل ، ولكن اذا ورد نص  
غير صريح واضح لا يحتمل الا قول واحد فلا مجال للتفكير ثم ان المجتهد قد  
يصيب وقد يخطئ .

أما قوله - من ما اسماه بالاتجاه التعصبى - بانه يمزق اوصال المجتمع والوحدة  
الوطنية فهذا مدعى مع الناس سماعها من بعض الزعماء السياسيين الذين  
يجاملون الاقلية على حساب الاكثرية ، وواقع التاريخ وشواهد تكذب هـــــــــــــ  
الدعوى فلم يكن المسلمون فى يوم من الايام هم البادون بالاعتداء على غيرهم  
من النصارى واليهود ، بل كان موقفهم - خاصة فى هذا العصر - هو الدفاع  
عن انفسهم من اعتداء هذه الاقلية ، مع ان هذه الاقلية لا تقومها يفرضه  
عليها الاسلام من الجزية وغيرها وانما ياخذون ولا يعطون ويمتدون ولا يمتسدون  
عليهم وما احداش الزاوية الحمراء هنا بعيد .

وما تصور المؤلف نفسه لمعنى الدين <sup>يقول</sup> بانه فى المجتمع فتوضحه النصوص  
الاتية ١٠ فى النص الاول :

" . . . واذا كان الدين موجودا فى كل المجتمعات القديمة والمعاصرة وله بنية  
مثل جميع النظم الاجتماعية الاخرى فان له ، وفيه جميع خصائص النظم الاجتماعية  
الاخرى فهو يتشابهك ويتداخل مع جميع النظم الاجتماعية الاخرى ويؤثر فيها  
ويتأثر بها ويأخذ منها ويعطيها وهو يتخصص فى وظيفة ويحقق هدفا بالنسبة

للمجتمع ككل .

والنظام الدينى جزء من نظام كلى هو المجتمع وهو يتكون بدوره من عدة نظم منها الفكر الدينى والكتاب ، والكتب التى تحوى هذا الفكر واهدافه ومناهجه ونظامه وتنظيمه . (١)

ثم يقول :

" نحن التربويين نحاول ان نستكشف ايضا - بعض العلاقات بين الدين والتربية - على اعتبار الدين كثيرا ما يشكل ويصنع عناصر ثقافة المجتمع " . (٢)

ويقول فى موضع آخر :

" . . . ان المحلل للمجتمعات يلاحظ ان الدين - اى دين - يلعب دورا ما فى المجتمع فغالبا ما يستطيع المجتمع ان يجد اجابات للكثير من قضاياها فى واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاسرية والترفيهية والحربية والقانونية والتربوية فى ضوء الدين على اعتبار ان الدين مجموعة من الافكار والقيم والعادات والسلوك والمهارات والطقوس التى توجه الحياة " . (٣)

وهذه النصوص ايضا تعطى دليلا ساطعا على تاثير الدكتور بالفكر العلمانى ويمكن تفصيل ذلك فى النقاط الاتية :

- ١ - ان الدين عنده نظام من ضمن انظمة المجتمع السياسية والاقتصادية والقانونية والتربوية . . الخ .
- ٢ - ان الدين عنده فيه خصائص النظام الاخرى - والنظم الاخرى كما يسميها - نظم بشرية - ومعنى هذا ان الدين يدخله ما يدخل انظمة البشر من القصور والنقص لنقص البشر فى علومهم وفكرهم .

( ١ ) بحوث فى التربية لاسلامية : ٦٧ .

( ٢ ) المصدر السابق : ٦٩ .

( ٣ ) نفس المصدر السابق .



- ٣ - ان الدين يؤثر في النظم ويتأثر بها ، اى انه يمكن ان تتغير احكامه  
حسب تاثير انظمة المجتمع الاخرى فيه .
- ٤ - ان الدين يأخذ من انظمة المجتمع - وهو كما قلت من صنع البشر - ويعطيها  
وهذا يحتمل انه تتغير احكامه حسب ما ياخذون من أنظمة البشر .
- ٥ - ان الدين عنده متخصص في وظيفة - هي الطقوس - .
- ٦ - ان الدين عنده يشارك في صياغة ثقافة المجتمع وليس هو المهيمن عليها  
والموجه لها الوجهة الصحيحة .
- ٧ - ان الدين عنده - اى دين والاسلام منه - يلعب دورا ما في المجتمع ، ومن  
المعلوم ان التعبير " بدورما " فيه معنى التقليل من هذا الدور اى انه  
" يؤدي " اى دور سواء كان مناسباً او غير مناسب صحيحاً او غير صحيح  
مفيد او غير مفيد .
- ومن المعلوم ان القول بان الدين نظام من انظمة المجتمع او انه ظاهرة  
اجتماعية هو من آراء رجال الاجتماع الغربيين .
- يقول د . بشير حاج التوم في نقد النصوص السابقة :
- " . . . يتضح من الفصوص السابقة ان المؤلف متأثر بآراء علماء الاجتماع  
الغربيين من امثال : " بيركهايم " الذين يجعلون الدين ظاهرة اجتماعية ونظاما  
من نظم المجتمع يؤثر فيها ويتأثر بها . وهو يتخصص في وظيفة واحدة ويحقق  
هدفاً واحداً فقط . كان الاجدر بالمؤلف الا ينبهر بما يجد في الكتب الغربية  
والكتب المتأثرة بها ، فيأخذ ما فيها دون تمحيص ويقع في الخطأ الذي وقع فيه حين  
جعل الاسلام ، كأي دين اخر ، يلعب دورا ما في حياة المجتمع . . وله بنية مثل  
جميع النظم الاجتماعية الاخرى . . وهو جزء من نظام كلى . . . " (١)

ويتحدث الدكتور / محمد لبيب النجيجي عن دور التربية في ازالة الفروق

بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية فيقول :

... " ومجتمعنا العربي في جمهورية مصر العربية يعمق الوعي وقوة الثورة  
يعرف فترة حاسمة من تاريخه ، استطاع فيها ان يغير في كثير من اوضاعه من الناحية  
الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففي الناحية الاقتصادية استطاع العامـل  
ان ينال حقوقه وان يرتفع الى مستوى معيشى يليق بمجهوده وكرامته ودوره ففى  
خدمة الاقتصاد القومى واتجهت الدولة الى التأميم لحماية راس المال وحقوق العمال  
والحد من سيطرة راس المال الفردى والنزعات التسلطية الفردية ... اما من  
الناحية الاجتماعية فان الفروق بين الطبقات اخذت تدوب واخذت الفكرة الاشتراكية  
والسواة بين الافراد تسود المجتمع . . وفي الناحية السياسية اخذت الاشتراكية  
الديمقراطية ترسـاسها وتنظم نفسها حتى يستطيع جميع الافراد ان يعبروا عن  
آرائهم وان يختاروا اختياراً سليماً يمثلهم .

على ان هذا الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تحدث خبرتنا  
الانسانية وتقيم المقومات الاساسية لها ، لابد لى تكتمل عناصرها ولكى تعمق  
جذورها ولكى تقـدم المقومات على اساس سليم لابد لها من ثورة ثقافية تعمق  
هذه المحددات وترسى هذه الخبرة الانسانية ارساء عميقاً قوياً . فاذا كان  
اهتمامنا بالخبرة الانسانية وبقامة فلسفة سليمة لهذه الخبرة ، فإن إيطارنا  
الثقافى العام الذى ستعمل فى خـدودها هو هذه المحددات مع نظرة الى المستقبل  
حتى تستطيع هذه المحددات ان تنتقل من السطح الى الاعماق ومن السلوك  
الظاهرى الى الدافع الداخلى الحقيقية " . (١)

فهذه المحددات التي يدعوا اليها وتعميق جذورها وهي "التأميم" و"محو الطبقة" واذابة الفروق بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية، شعارات غريبة علينا في المجتمع الاسلامي، فان التاميم من قواعد "الاشتراكية"، والاشتراكية مذهب عقائدي واقتصادي واجتماعي اوروبي المنشأ نشأ لظروف وملابسات ليس هذا موضع بيانها. اما محو الطبقة فهو كذلك مبدأ اشتراكي واما الديمقراطية فاسلوب غربي في الحكم. ومن العجب ان كثيرا من الكتاب سواء من التربويين او من غيرهم يخلطون بين دعواتهم بين مبادئ غربية ومبادئ شرقية فان المجتمعات التي سبق فيها الاشتراكية الماركسية وهي ام جميع الاشتراكيات لا مجال فيها للديمقراطية بل ان مكونات ودعائم حكمهم الديكتاتورية (ديكتاتورية البروليتاريا) المزعومة فكيف يجمع كتابنا بين الدعوة الى الاشتراكية والديمقراطية. الاشتراكية تركز على : (١) التاميم (٢) الفاء الملكية الخاصة (٣) محو الطبقة.

وكل هذه لا يمكن تحقيقها الا بسلب الناس حريتهم. والديمقراطية تقوم على الحرية الفردية المطلقة. "الفرد حر مالم يضر الغير" ليس لهذا مسن تفسير الا انه التاثر بالفكر العلماني الذي يرى ان لا دخل للدين في حياة الناس فلمهم ان يختاروا ما يريدون لانفسهم وفقد الهوية المعنوية، والافاننا لم نسمع بان اوروبا الغربية قد طبقت الاشتراكية الماركسية ولم نسمع بان روسيا واوروبا الشرقية قد طبقت الديمقراطية الغربية بل الديكتاتورية هي الحاكمة. وهكذا اصبحنا بلاد المسلمين بسبب تاثير بعض ابنائها بالفكر العلماني ميدانا فسيحا للدعوة للافكار المتناقضة.

وبعد عود عبد اللطيف فؤاد ابراهيم المعلم الناشي الى دعم روح الاشتراكية في نفوس تلاميذه (١) ثم يواصل المؤلف نصائحه للمدرس فيقول :

" ان يحرص على ان يمارس التلاميذ ألوانا من القيادة الجماعية ؛ في اوجه النشاط التي يتطلبها تدريسك بحيث يؤمن هؤلاء التلاميذ عن الطريق العلمي بـ"جماعية القيادة" تعصمهم من جموح الفرد وتؤكد الديمقراطية السليمة على أعلى مستوياتها" (١)

وهكذا يتناقض هذا الكاتب ايضا حين يدعو الى تنمية مبادئ متناقضتين في نفوس التلاميذ " الاشتراكية " ، " الديمقراطية " .

ويصل الامر بأحد التربويين الى الادعاء بان المجتمع العربي كان له فسي الماضي فلسفة واضحة هي الفلسفة الديمقراطية في الحكم والاشتراكية في الاقتصاد وانه بعد ذلك تأثر بالام الفاتحة " لمصر " كالرومان ، والأتراك ، والاستعمار الغربي فشا هت فلسفته واختفت نظمه المستوحاة من هذه الفلسفة . (٢)

وواضح من حديث الكاتب انه يقصد بالمجتمع العربي مصر ، في عهد الفراعنة لان فتح الرومان لمصر كان بعد الفراعنة ، ومن المعلوم ان الفراعنة لم يكونوا يعرفون الديمقراطية بل كان حكمهم قائما على الديكتاتورية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الديمقراطية كاسلوب من اساليب الحكم لم يعرف الا منذ فترة وجيزة .

وأما الاشتراكية في الاقتصاد فلم تعرف الا منذ مدة وجيزة فلم تكن معروفة في العصور الفرعونية التي يقصد ها .

ومن المحيب ان يفتخر المؤلف بعصور الفراعنة والله سبحانه وتعالى قد وصمها بالجاهلية .

( ١ ) المرجع السابق ص ١٤٠

( ٢ ) ابو الفتوح رضوان : بحث في اساس التربية في الوطن العربي : ٤٨ .

ويجعل د . محمد الهادي عفيفي من الاهداف التربوية العامة تدعيم  
 مبادئ\* واساليب المجتمع الديمقراطي الاشتراكي لانها في زعمه هي الاطرار  
 الذي تعمل فيه التربية والذي يحدد اتجاهات الافراد . " فالحياة الديمقراطية  
 والنظام الاشتراكي يعتبران طريق حياة متكاملة . فالحرية السياسية هي تعبير  
 عن الحرية الاجتماعية وكلاهما لا يتحققان الا بتحقيق الغرض المتكافئة امام كسل  
 مواطن في نصيب عادل من الثروة الوطنية اي بالاشتراكية " . (١)

ويرى الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه ان هناك عوامل تؤثر في المجتمع  
 المصري وقد عددها المؤلفون واذكرها بايجاز وهي :

( ١ ) الايمان بالثورة كسبيل للتقدم .

( ٢ ) الايمان بالاشتراكية كهدف وكاسلوب حياة .

( ٣ ) الايمان بالديمقراطية السليمة .

( ٤ ) الايمان بالقومية العربية . (٢)

ويرى د . وهيب سمعان ورفاقه ان الاهداف التي يجب السعي لتحقيقها  
 في المجال الداخلي اقامة المجتمع الديمقراطي الاشتراكي . وفي المجال الخارجي  
 الايمان بالقومية العربية وقرس مبدأ التعايش السلمي والحياد الايجابي ثم  
 يقولون :

" ومن ثم فالمدرسة ينبغي ان تسعى الى اعداد مواطنين ديمقراطيين

اشتراكيين ذوي قدرة على الانتاج وعلى العمل الجماعي والتعاون مع الغير

ذوي رغبة اكيدة في خدمة المجتمع والنهوض به ، ومؤمنين بقوميتهم العربية واعين

بسهل تحقيق الوحدة العربية داعين لمبادئ\* التعايش السلمي والحياد الايجابي (٣)

( ١ ) في اصول التربية ( الاصول الفلسفية ) ١٢٢ وانظر كذلك ص ١٠١ .

( ٢ ) التربية ومشكلات المجتمع : ١٠ - ١٢ واقرا ماكتب عن هذه العوامل  
 المذكورة تجده من سخر القول .

( ٣ ) دراسات في المناهج .

ويرى د . عبد الله عبد الدايم أن أهداف التربية القومية تتلخص فـسـى  
التحرر من الكـامل والثـقـدم العلمى وتنشئة المواطن الصالح وخدمة القومية العربية  
وتأمين العدالة الاجتماعية واهـياـ التراث العربى . (١)

وأما عناصرها فهى انسانية ، روحية ، ديمقراطية ، اشتراكية ثورية (٢)  
ومن الجدير بالذكر أن د . عبد الله عبد الدايم يمثل وجهة نظر حزب البعث  
العربى . يقول الاستاذ نعيم عطيه عن ذلك ما يلى :

" ولعل عبد الله عبد الدايم يمثل أفضل ما يمثل الاتجاه الثورى فى التربية  
التراثية القومية . وهى وجهة نظر حزب البعث العربى الاشتراكى او وجهة احد  
اجنحته علـو الاقل . " (٣)

ومن العجيب أن يدعوا مندوب البحرين فى مؤتمر " الحلقة الدراسية  
الاول للتربية وعلم النفس " الى الاخذ بالديمقراطية والاشتراكية . ان يقول فسـى  
بحـثـه " المدرسة والمجتمع " :

" ونحن مدعوون الى الاخذ بالديمقراطية الصحيحة فى مجتمعنا واعتماد  
الافراد لها فى كل مناسبة . فى المدرسة . فى العمل . فى العلاقات بين مستويات  
المجتمع . . . . .

وان خير ما يأخذ بيدنا فوسيل الحياة بجهد اقل وطاقة ادنى هو التعاون  
المثمر البناء . فالحاجة الى تشجيع العمل التعاونى لا تقل عن حاجتنا الى  
الديمقراطية والاشتراكية " (٤)

( ١ ) الفكر العربى فى مائة سنة : ٥٣٤ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٥٣٥ . وانظر تفصيلها حتى ص ٥٣٦ .

( ٣ ) نفس المصدر : ٥٣٤ .

( ٤ ) اسرالتربية فى الوطن العربى : ٢٢٦ .

ويمكن العجب ان دول الخليج لا تطبق الاشتراكية ، ولا تطبق اساليب الحكم الديمقراطي الغربي ، حتى يمكن القول بأن هذا المندوب يمثل وجهة نظر حكومة البحرين . . او يصانعها . ويحاولها كما يفعل بعض الكتاب ان يلبس لكل وقت لبوسه . فاذا عاش في عهد يسير على المبادئ الاشتراكية ويولي وجهه شطر موسكو نعق بهذه المبادئ ودعا اليها . فاذا تغير هذا العهد وجاء عهد يسير على المبادئ الرأسمالية ويولي وجهه شطر واشنطن نعق بهذه المبادئ ودعا اليها .

فعلى هذا اما ان يكون هذا المندوب يردد كلمات لا يعلم لها معنى او انه يمتثل بهذه المبادئ التي تتضمنها هذه الشعارات .

أما د . القوصي فانه يقسم غاية التربية الى الاهداف التالية :

- ١- . . . . .
- ٢- . . . . .
- ٣- تحقيق الديمقراطية لغرس الحرية والاستقلال في الرأي والتفكير .
- ٤- بث الايمان بالله والوطن والذات وينطوي تحت هذا المبدأ الايمان بالحرية . (١)

ويقول د . عبد اللطيف فؤاد ابراهيم مخاطبا المعلم الناشئ :

" . . . أن تنتهز كل فرصة في مادة تدريسك وما يتصل بها من ارشادات ، وتوجيهات لتؤكد السمات العربية الصالحة وتدعمها وان تدرب التلاميذ على ممارستها وادخال التحسين المناسب عليها ان لزم التحسين ، ولتجعل التلاميذ يفهمون مقومات الحرية والقومية العربية ودعائهما وقيمتها الدينية " (٢)

( ١ ) الفكر العربي في مائة سنة : ٥٠٩ ، ٥١٠ .

( ٢ ) مرشد تعريب المدرس : ١٠ .

وقد سبق أن نقلت عنه نصين : " نحن يدعوا فيهما الى الديمقراطية  
والاشتراكية . وهنا يدعوا الى القومية . ويدعوا ان لها قيما دينية ، وليس  
لها ذلك فانها دعوة جاهلية ، والدعوى الجاهلية ليس لها قيم دينية .

وفى كتاب " فلسفة الوضعية المنطقية والتربية - تطبيقات تربوية فى المجتمع  
الاشتراكي العربى " فصل بعنوان " معالم المجتمع " العربى فى ضوء الميثاق  
الوطنى " يسرد فيه المؤلف عدة معالم ويتحدث عنها وهى :

( ١ ) المجتمع العربى مجتمع على .

( ٢ ) المجتمع العربى متجه الى التصنيع .

( ٣ ) المجتمع العربى يقوم على القوة المادية .

( ٤ ) المجتمع العربى يعتمد على القيم الروحية .

( ٥ ) المجتمع العربى تقدمى متحرر .

( ٦ ) المجتمع العربى هو القيم على نفسه .

( ٧ ) المجتمع العربى له أعداء . (١)

يقول فى بيان المعلم السابع ما يلى :

" ... ولذلك فان اهداف المجتمع العربى التى لا بد وان توجه شخصيته

الواقعية هى :

١- تأكيد الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية .

٢- الايمان بحتمية القومية العربية والوحدة العربية . (٢)

ولا بد لمعرفة خطورة ما يدعوا اليه الكاتب من ان نعرف ماهى الفلسفة

الوضعية المنطقية التى يريد ان يصوغ منها تطبيقات تربوية للمجتمع العربى

---

( ١ ) و ( ٢ ) فلسفة الوضعية المنطقية : ١١٤ - ١٢١ ، ١٢٢ .



والقصد هنا المصرى - لان الميثاق الوطنى الذى حدد على ضوءه معالم المجتمع المصرى هو ميثاق جمال عبد الناصر ، وتأخذ من المؤلف ذاته مصادر منهج الوضعية المنطقية فهو يقول فى نفس الكتاب عند الحديث عن مصادر هذه

الفلسفة :<sup>١</sup> والفرق بينها وبين المذهب البراجماتى : مايلي  
١- .....  
٢- .....  
٢- الميتافيزيقيا عند الوضعيه في كل صورها  
ومجالاتها لقولا معنى له .....  
..... وتفوهات لا طائل وراءها فى حين ان من البرجماتية من يرى أن

الميتافيزيقيا لها قيمتها وفاعليتها وفى ذلك يقول وليم جيمس :  
" ان الميتافيزيقيا تهب بالحياة والنور للكون والطبيعة ، وانها يجب ان تثبى ويحسبها كل فرد طالما تحقق نفعا وفائدة " .

٣- والقيم الاخلاقية عند الوضعية - بمعناها الميتافيزيقى - ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية - بينما القيسم الاخلاقية عند البرجماتية لها صورها المنطقية لانها تعبر عن رأى او موقف لـم يستقر بعد " . (١)

والميتافيزيقيا كما هو معروف اصطلاح يعنى الايمان بما وراء الطبيعة وهو الايمان بالمخفيات فإذا كانت الفلسفة الوصفية المنطقية تعد الايمان بالمخفيات لغولا معنى له ، فهل يتفق المؤلف معها فى ذلك . . ان مقتضى استرشاده بالفلسفة الوضعية المنطقية لعمل تطبيقات تربوية يعنى قناعته بافكاره هذه الفلسفة .

ويدعو أحد الترويين الى رفض الاعتقاد بالمخفيات فيقول تحت عنوان :

" تربية الراى العام على اساس الموضوعية مايلي :

( ١ ) الفلسفة الوضعية المنطقية : ( ٤١ ، ٤٢ ) .

"... غير أن الطريقة العلمية قد تكون السبيل إلى تقليل التعصب في مناقشة الأمور الانسانية بإزالة الجمود والنزعات القسرية ، إذ تهدف إلى تنمية السلوك العقل الموجهة بالحقيقة والقائم على الإيمان بالتجريب والاختيار ، فهذه طريقة تحقق التعاون بين الناس للوصول إلى الحقائق ومناقشة التناقضات بين القيم الثقافية وبين المصالح المختلفة . ومعنى آخر فإنها تهدف إلى تحقيق الموضوعية وإتاحة الفرصة لجميع الفئات على البحث للتعرف على الحقيقة والوصول إلى مصادرها . . . ومن ثم فإنها تختلف عن الطرق الذاتية والاعتقاد في الفسيات والبداهيات . إذ تؤكد الملاحظة والتجريب والحكم على الأشياء والآراء بنتائجها ومن هنا فإن تدريب الناشئين والشباب على التفكير العلمي معنى تحقيق الأساس العلمي السليم الذي يقوم عليه الرأي العام المستنير وهو يخلص التعليم من ناحية أخرى من الأساليب الذاتية . . . (١)

ومن المعلوم أن من الفسيات الإيمان بوجود الملائكة ، ووجود الجن ومنها الإيمان بالبحث بعد الموت والحساب والجزاء في يوم القيامة . . . ومن المعلوم أيضاً أن الرافضين للإيمان بالفسيات هم الذين لا يؤمنون إلا بما يقع تحت حواسهم أو في محيط تجاربهم . وهذا الاعتقاد هو رد فعل ضد رجال الكنيسة الذين حاربوا العلوم التجريبية ورجالها وآدوهم ، هذا في الغرب . فما بالناس نحن المسلمين ننقل أفكارهم ونحن لم يحدث ولن يحدث عندنا ما حدث عندهم إذا استعسكنا بشعر الله . أفلا يكون هذا النوع من التفكير أثراً من آثار العلمانية على الترهيبين المسلمين في هذا العصر . . . ؟

ويذكر نفس المؤلف د . محمد الهادي عفيفي أن القيم الروحية تستمد سلطتها في المجتمع من قدرتها على تحمل الاختيار في الخبرات الإنسانية المتتالية ويسن

## جماعات مختلفة . (١)

ويدعى د . محمود السيد سلطان وزميله بأن الحملة الفرنسية على مصر كانت من مشيرات النهضة في العالم الاسلامي فيقول :

" . . . اذا كان العصر المملوكي التركي قد سلب الوطن العربي الاسلامي في قلبه مصر كل مقومات العلم الطبيعي وتطبيقاته في مجالات الحياة المختلفة كما سلبه ارائق التفكير الحر والابداع والابتكار في مجالات هذه الحياة كما سلبه وسائل الاسهام في حكم نفسه او ممارسة اي نوع من الديمقراطية . . فان الحملة الفرنسية بما حملته من مشيرات حديثة من علم ومن تكنولوجيا وما لاحت به لاسهام المصريين في حكم بلادهم وما بثته في ثقة في انفسهم قد كانت بمثابة المؤثر القوي والثير النشط لبدايات اليقظة العربية الاسلامية في مصر والشام . ولقد كان هذا الغزو الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر غزوا ثقافيا وحضاريا للبلسدان العربية فثقافة العصر الحديث تغزو ثقافة تغلقت وحضارة الغزو الحديث تفسزو حضارة متحفنة ، وربما كان هذا الغزو لم يكن يدرك ان العناصر القوية في ثقافته الحديثة الخازية من علوم ومن ديمقراطية كانتا من اهم العناصر المطموسة لهـنـده الثقافة المقهورة ، وانهما يمحشان في الوجدان ، والعقل اللاشعوري ان صحيح هذا التعبير لابناء هذه المنطقة ويفسر هذا تلك الاستجابة المبهرة السريعة للتغير الثقافي . ولقد كان من اهم المؤثرات التي استتارت تلك الاستجابـة الطقائمية السريعة ما اتسمت به تلك الثقافة الخازية من انماط حديثة اهمها كما قلنا العلم الحديث بمناهجه العلمية وتطبيقاته في مجالات الحياة المختلفة واهمها ايضا تلك المبادئ التي رفعتها الثورة الفرنسية من حرية واخاء وسواوة ومن عقلانية ومن اسهام الشعب في ادارة حكم البلاد ومن مساواة المواطنين امام القانون " . (١)

---

١ : مسار الفكر التربوي : ١٩٧٠

(١) المصدر السابق : ٣١٢

(٢) مسار الفكر التربوي : ١٤٧

لا ريب أنه قد كان للحكام في الخلافة العثمانية أخطاء ، ولكنها كإخطاء الخلفاء من بني أمية وبني العباس ، والزاجب في النقد ان يكون موضوعها خاصة لمن يدعون الى الموضوعية في البحث فان الموضوعية والتجرد من الهوى في مثل هذا الحديث عن العثمانيين لا سيما اذا تورن بما تضمنه النص من ثنا عاطر على الثورة الفرنسية وحملتها على مصر والادعاء بان هذه الحطة كانت بحاطبة المؤثر القوى والمثير النشيط لبداية اليقظة في العالم الاسلامي ، والثنا على شعارات الثورة الفرنسية ووصف حضارة المسلمين بالحضارة المتعفنة . .

ان المنطق السليم يقتضى من الكاتب ان يتصف في حكمه ، فلا مانع من القول بأن المسلمين كانوا قد انحطوا من الناحية العلمية والفكرية ، والعقائدية بدخول البدع في الدين ، ولا مانع من بيان حقيقة مخالفة بعض الحكام لما شرعه الله ، أما ان يكون النقد بهذه الصورة مع تمجيد الثورة الفرنسية - التي يعلم القاصي والداني - انها من صنع اليهود وأنهم رانعوا سنطار " الحريية والاحاء والمساواة " لمصلحة اليهود . ان الحطة الفرنسية التي يمجدها الدكتور ابن كانت حطة استعمارية تفريبية باعتراف مؤرخي الغرب انفسهم :

يقول " برنارد لويس " عن هذه الحطة واثرها ما يلي :

" . . . . . وعند ما احتلت حطة فرنسية عسكرية بقيادة " بوناپرت " مصر سنة ١٧٩٨ ، بدأ عهد جديد في تاريخ تأثير الغرب في الشرق الاوسط ، ولقد نظر المؤرخون الشرقيون والغربيون الى هذه الحادثة لتاريخية على انها " شلال جارف " فهدى اول قوة مسلحة عبت ا طريق للغرب الحديث في الشرق الاوسط ، وكانت اول صدمة للسماحة لاسلامية واول شرارة كهربائية في طريق " التفريب " والاصلاح !! ففسى الشرق الاوسط " (١) .

ثم يقول :

" . . . ورفعت حملة بونابرت ازمة التأثير الغربي الى أوجها الحاد في العالم العربي ، ثم افتتحت عهداً دام قرناً ونصف من التدخل المباشر الأنكلو فرنسي في أمور الشرق " (١) .

وبفهم الكاتبان السابقان عقيدة القضاء والقدر فهما خاطئان فهما يقولان في بيان اسباب رفض المسلمين لتقبل ما جاء في الحملة الفرنسية من افكار واتجاهات ما يلي :

" ويحلل ذلك الرفض الثقافي بوجه عام وتلك المقاومة بأن المصريين كانوا يخضعون الى حد كبير لعقيدة القضاء والقدر مما دعى البعض الى ان ينظروا الى التغيير في سبيل اصلاح على انه معارضة ومهاجمة لتلك العقائد الدينية التي تحتل مكانة مرموقة في عقول الناس في ذلك الزمان ومع ذلك فلم يكن المصريون كلهم على هذا النحو من الجمود ومن مقاومة التغيير والا لما حدثت تلك الاستجابة الرائعة للتعليم الحديث . . " (٢)

ان الايمان بالقضاء والقدر أحد اركان الايمان الستة فلا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بالقدر خيره وشره وليس الايمان بالقدر كما زعم المؤلفان يؤدي الى الجمود بل هو صمام الامان بالنسبة للمسلم . وقد اوضحت معنى الايمان بالقدر وانه لا ينافي ، بل يستلزم السمو في الارض لكسب الرزق ولعمارتها بطاعة الله ووفق شرع الله .

واقراً معنى هذا العرض السي والنقد غير السليم لمعنى القضاء والقدر ، بقلم الدكتور احمد يوسف التل تحت عنوان الظروف الاجتماعية ما يلي :

( ١ ) الغرب والشرق الاوسط : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

( ٢ ) مسار الفكر التربوي : ١٥٣ .

" ٦٠٠ - الجهل بالقضاء والقدر : عندما يكون البؤس هو الصفة الماسمة لحياة معظم المواطنين فمن السهل على أولئك المواطنين الايمان بالقضاء والقدر . والامانة ان ينسحب القوي وجوده في هذا الكون ويسر تحمله وتقبله لهذه الحياة التقيسة ؟ فعندما ياخذ الموت عدداً كبيراً من مواليد القرية وأطفالها فان الوسيلة الوحيدة لتخفيف حزن المصابين بها اعتقادهم بأنهم ارادة الله وشيئته . . . مع أن الطب الحديث كان يمكن أن ينقذ حياة الاطفال من الموت ولو كان ذلك الفلاج الطبي متوفراً في القرية . تجاهلهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " تداووا عباد الله فان الله ما جعل داءاً الا وله دواء " . . . . . ان ايماننا قويا وأعني يسيطر على سكان القرى والبادية وهذا الايمان والجهل بأمر دينهم هو الذي يساعد السكان على مواجهة ظروف الحياة القاسية والمعيش فيها . وقد كانت هذه الظاهرة تميز سلوك المواطنين في المجتمع الاردني قبل عام ١٩٥٠م وكان المسئوليون في المراكز الحكومية الاقتصادية والسياسية والدينية يشجعون مثل هذا السلوك ويشجعون استمرار الوضع الراهن للتعليم . وكانوا يمتثلون أية تغييرات في تصرفات الناس الاجتماعية لن تكون في صالح أولئك المسئولين " . (١)

وننتقل الى نص آخر للدكتور محمود السيد سلطان ورفيقه يصفان فيه علماء الاسلام وصفا سيئاً ان يقولان :

" ولقد لعب رجال الدين من المفلسين فكراً والمفلقين عقلياً دوراً رجماً تعصبياً قاتلاً للفكر وللخلق والابداع وللإنجازات ومعوقاً للتحرر الاجتماعي والفكري بوجه عام حين أساءوا فهم هذا الدين " (٢) .

(١) تطور نظام التعليم في الاردن (١٩٢١ - ١٩٧٧) : ٦٠

(٢) مسار الفكر التربوي : ١٦٣ .

أليس هذا النوع من التفكير أثر من آثار الفكر العلماني ؟ . . . وللأسف  
على هذا الكاتب أقول : ليس عند المسلمين رجال دين وانما عند المسلمين  
علماء الشريعة ، وعلم الشريعة أشرف العلوم ولكن ذلك لا يعطى عالم الشريعة  
امتيازات ترفعه فوق مستوى البشر بحيث يشرع ويطلق كما فعل رجال الدين  
النصراني . . . وانما له حق الاحترام لحمله العلم الشرعي اذا كان يلتزم بما حمل  
من علم الشريعة والا كان كاهن اليهود ورجال النصارى .

ويقول د . التيجاني الما حى عن تعدد الزوجات وأثر التعليم فى تقليصه  
ما يلى :

” . . . وربما كان من الضروري بحث تعدد الزوجات فى هذا الصدد ،  
فقد قام تعدد الزوجات قديماً فى الشريعة الاسلامية على أساس ضرورات  
بيولوجية نافعة لها قيمة فى بقاء المجتمعات وحياتها ، وليس كما يقول الجهلاء  
بأنه قام اصلاً على اسباب تمت الى المتعة واللذة . وكان الحافز اليه قديماً كثرة  
الوفيات بين الأطفال وقصر أعمار البالغين عموماً نتيجة لانعدام الرعاية الصحية  
وانتشار الفوضى والفقر والحروب ما هدد المجتمع بالانقراض . وماؤنا نجد  
هذا واضحاً بين جماعات البدو العرب الرحل . . . وقد كان إيمان المرأة فى هذه  
المجتمعات بحكمة هذا التشريع له أثر فى تقليل الأخطار الناجمة عنه ما يتولد  
بالضرورة من عوامل الفيرة والشقاق والكراهية والتنافر بين افراد الأسرة الواحدة  
كذلك كان لتعدد الزوجات صفة اقتصادية لان المرأة فى النظام القبلى وكذلك  
الأطفال كانوا يمثلون الايدى العاملة التى تدعم اقتصاد المنزل . وكلما كبر حجم  
الأسرة اتسعت مرافقها وامكانياتها المعيشية . وفى عالم اليوم نجد ان تبسّد  
النظم الاجتماعية والاقتصادية وما يتبعها من عوامل الاستقرار والاستيطان ومن  
نشوء المرافق الصحية وارتفاع مستوى المعيشة كل هذه قد أسهمت فى تحسين

صحة الطفل وفي رفع مستوى العمر الطبيعي للسكان مما جعل تعدد الزوجات يفقد وظيفته البيولوجية الأولى . ومن الملاحظ انه بين قبائل الرجل التي تسم استيطانها واستقرارها وفق تخطيط اقتصادي وطيد قد أصبح تعدد الزوجات من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام ، وبالتالي للطفل بل للأسرة جميعها لانه كنظام اجتماعي قد فقد وظيفته الطبيعية ، واصبح مصدراً للخطر وتشبه اليوم بالزائدة الدودية التي فقدت وظيفتها في الانسان الأول فأصبحت مصدر قلق تتحين الفرص لاستئصاله ، ورغم ان محاربة تعدد الزوجات قد لا تتحقق دون قيام تشريعات فعالة فقد وجد في بعض المجتمعات التي تفشى فيها هذه الظاهرة أن قيام المنشآت الوقائية والعلاجية التي تسهم في وقاية الطفل وتحسين صحته والتي تهدف الى معالجة العقم بين النساء ، الى رفع مستوى المعيشة وتوفير الخدمات العلاجية والوقائية للمجتمع قد تكون هذه نفس ذاتها من أهم العوامل لمكافحة تعدد الزوجات . ويجب ألا ننسى ان تعليم المرأة هو اهم عامل في هذا الصدد على الاطلاق لانه يبنى شخصية المرأة ويخلق فيها الوعي والاحساس بدورها كمرأة وأم . (١)

إن من يدقق النظر في هذا النص يجد ان المؤلف يرى ما يلي :

١ - ان تعدد الزوجات شرع على أساس ضرورات بيولوجية نافعة لها قيمتها في بقا الجماعات وحياتها . وانه قد فقد الان وظيفته البيولوجية ، أي أن الله شرع تعدد الزوجات لفترة معينة من تاريخ المسلمين هي فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذا بلا ريب رأى لا دليل عليه فإن ما شرعه الله في القرآن فهو شرع الله للناس كافة الى قيام الساعة الا مانسخ بآية قرآنية او حديث نبوي وليس تعدد الزوجات منها .



٢- ان تعدد الزوجات كان له صفة اقتصادية لان المرأة والاطفال فـسـى النظام القبلى يمثلون الايدى العاملة الداعمة لاقتصاد المنزل . واما الآن فان النظام القبلى معدوم أو نادر فاذا لا معنى لتعدد الزوجات فى هذا العصر ، وهذا ايضا لا دليل عليه ذلك ان لا يوجد فى القرآن ولا فى السنة ... ما يدعم هذا الرأى وكل ما يوجد فى القرآن والسنة هو امران اثنان :

(١) المدالة فى البيتوتة والطعام والكساء والمسكن والعشرة دون الميل القبلى وما يتبعه .

(٢) ان يكون ذا استطاعة مادية وجسدية ونفسية . وهذا مشروط فـسـى الزواج بواحدة أيضا ..

ثم ان تقسيم المجتمعات حسب مراحل زمنية معينة الى :

(١) مجتمعات قبلية او رعية (٢) زراعية

(٣) صناعية ... الخ

هو من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين ، اما عند المسلمين فانه يوجد فيه : الرعاة ، والمزارعون ، والصناع فى مجتمع واحد وليست هناك فروق بينهم الا فيما يتعلق باعمالهم .

٣- ان تعدد الزوجات أصبح من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام والتالى للطفل والأسرة لانه فقد وظيفته الطبيعية وأصبح مصدر خطر وهوشبيهه بالزائدة الدودية . وهذا أمر ايضا لا دليل عليه وان وجد من يحدد الزوجات وهو غير قادر على اعالتهم فالخطأ ينسب اليه اما ان يؤخذ نموذج من يحدد الزوجات وينقل الحكم الى نفس التشريع فهذا أمر غير منطقي ، ثم انظر هذا التعبير " وهو يشبه الزائدة الدودية " اى انه اصبح لافائدة منه فيجب التخلص منه ومكافحته كما يدعوا وقوله . " من العوامل الضارة

بالصحة العقلية للأسرة " دعوى لا دليل عليها ، وإن أوجدنا أفراد من عدد واهم غير قادرين على ذلك فحصل لهم ذلك فلا يتعدى الحكم هؤلاء إلا ممن يحمل كعطلهم ، أما إن نزعنا أنفس تعدد الزوجات ضار بالأسرة عقليا فهذا بهتان واضح ، لأن رب العالمين العالم بما يصلحهم لا يمكن أن يشرع لعباده ما فيه ضررتهم .

٤ - إن تعليم المرأة أهم عامل في مكافحة تعدد الزوجات لأنه ينسج شخصية المرأة ويخلق فيها الوعي والاحساس بدورها كمرأة وأم ، وهذا غير صحيح ، فإن تعليم المرأة الذي يسير على هدى الإسلام لا ينتج هذه النتيجة وإنما الذي ينتج هذه النتيجة هو التعليم العلماني .

ويقول الدكتور محمد لبيب النجدي عن المعرفة ما يلي :

" ولقد تغيرت هذه النظرية - أي النظرية التي تفصل بين العالم المادي يعيش فيه الإنسان بجسمه وهب راته وعالم الحق وعالم الحق والخير الثابت الذي لا يصيبه التحويل أو التفسير وتتحقق فيه المثل - الآن وأصبح المعرفة متصلة بالخبرة العملية لا تتبع منها ترتد إليها أهدافا وموجهات ومرشدات وأصبحت المعرفة بذلك لقوة حقيقية . بعد أن كانت زائفة كلها ادعاء لا يعتمد على أساس واقعي ولا يتصل بأي ناحية عملية . ولقد كان هذا نتيجة للقوى التاريخية والاجتماعية التي أثرت في دفع عجلات التطور حتى وصلت به إلى العصر الحاضر وهو عصر العلم والتحرر الفكري والانطلاقات الخلاقة " . (١)

فالقول بأن المعرفة لا تتبع إلا من الخبرة العملية هو للمعرفة في نطاق واحد وهو الخبرات الناتجة عن التجربة والحس وهذا هو مفهوم الغرب للمعرفة

- بعد عزل الكنيسة عن الحياة - فالغربيون لا يعرفون الا ان هناك المعرفة الحسية ، والمعرفة التجريبية ، اما ماعداها من المصادر التي تكتسب فيها المعرفة ومنها وأهمها الوحي فلا قيمة له ولا يعد مصدراً من مصادر المعرفة عندهم .

فاذا جاء أحد أبناء المسلمين ليقرر ذلك فمعنى ذلك انه متأثر بنظرتهم الضيقة حصر مصادر المعرفة في الحس والتجربة ، وهذا يخالف النظرة الاسلامية في مصادر المعرفة فمصادر المعرفة بالاضافة الى المصدرين السابقين " الوحي " و " الالهام " .

ويذكر الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه أن التهمة الجنسية كقيلة باصلاح الشباب الذين اعوج سلوكهم فهم يقولون ما يلي :

" . . . لو رجعنا الى مجموعة الجرائم الأخيرة التي قام بها أو شارك فيها مجموعة من الشباب المتعلم - وأغلبهم في الثانوية العامة - لوجدنا أن المال أو الحصول على المال كان هو دافع هؤلاء الشباب للقيام بهذه الجرائم بهدف تحقيق بعض الرغبات الطائشة ومن بينها رغبتهم في التعرف على الجنس الآخر وغشوض هذا العالم الشبابي الطوي بالاحلام . . . وفي يقيننا أنه لو توفرت لهؤلاء الشبان الدراسات الجنسية العلمية القوية لكانوا أكثر صلاحاً ولعرفوا بطريقة سليمة أن لكل سن مجالاً . ولا يقتصر الامر على ذلك بل إن غياب المعاني العلمية الصحيحة والمفاهيم الدقيقة عن الامور الجنسية كثيراً ما يؤدي السوء إلى انحرافات متعددة تهدد كيان بعض الأسر ، وليس بخاف ايضاً أن بعض صور الانهيار الاسرى والشقاق العائلي تكمن العوامل الجنسية وراءها .

ومن هنا فاننا نرى وجوب العناية بالترهية الجنسية في مدارسنا . ان الجنس مظهر من مظاهر النمو في الفرد شأنه في ذلك شأن النمو الانفعالي والعقلي

والبدن وغير ذلك فإذا جاز لنا أن نرى أبناءنا تربية عقلية وأنفعالية وجسمية صحيحة حتى يستطيعوا مسيرة الحياة المصرية بنجاح ، كان علينا أيضاً أن نعلم بتربيتهم جنسياً ، وكان من الضروري أن تقوم المدرسة بدورها كما يقوم المنزل والمجتمع بدورها في تلك التربية .

ومن المؤسف أن التربية الجنسية قد أُحيطت بصيغة إنفعالية غير مرضية خاصة في المجتمعات الشرقية ، وارتبط الجنس بالخطيئة ، وأصبح أي موضوع يتصل بالجنس محرماً سمياً ومناقشته مع الآباء ، ولقد كان من نتائج ذلك أن حرم الآباء من إشباع استطلاعهم الطبيعي لهذه الناحية بطريقة سوية موجبة تمنحهم من الانحراف وتحول بينهم وبين الإحساس بالذنب المرتبط بالجنس والذي كثيراً ما يسبب إلى الصحة النفسية للشباب فضلاً عن أن موقف الآباء من هذا الموضوع كثيراً ما يدفع الشباب إلى التحدى والإقبال على الجنس ، فكل ممنوع مرغوب فيه . وهكذا كان خوف الآباء والمجتمع من أخطاء الجنس والإلحاحات الجنسية هو الذي غذل الهدف الذي نسعى إليه . (١)

إن المؤلفين يجهلون من أسباب الجرائم التي قام بها الشباب في مصر رغبتهم في التعرف على الجنس الآخر .

وفي رد على لهذا الفكر المتهاافت أقول :

إن المجتمع الذي يتحدثون عنه هو كما نعرف مجتمع مختلط في العمل والتعليم والشارع وفيه المثيرات للجنسين ومن العلاقات العاطفية ما الله به عليم وهذا أقوى أثراً من التثقيف الجنسي المطلوب ومع ذلك فلم يساعد ذلك على صلاح الشباب وحدهم عن الجرائم .

---

( ١ ) التربية ومشكلات المجتمع : ٩٠ ، ٩١ .

وأود أن أسأل حضرات الدكاترة ماذا يقال للطلاب والطالبات فسي الثقافة الجنسية المراد والمطلوب تدريسها ، هل يشرح لهم كيف تكون العلاقة بين المرأة وزوجها كيف يفارزها وتفارزله ؟ ما هي أعضاؤه التناسلية ؟ وما هي أعضاؤه التناسلية ؟ وما هي وظيفة الأعضاء التناسلية في وعند كلا الزوجين ؟ أم ماذا يريدون ان يقال للطلاب والطالبات في هذه الثقافة الجنسية ؟

ان دعوة هؤلاء التي تدريس الثقافة الجنسية قد جربت في أوروبا وأمريكا وحانت منها المعاناة الشديدة واصبح العقلاء والمعاقلات في دول الغرب كلها يدعون لا يقف هذا النوع من التثقيف ويذكرون مخاطرة على المجتمع .

لقد نشرت صحيفة الاخبار المصرية عام ١٣٧٥ هـ اعترافا لطبيبة امريكية تعمل في بعض الدول العربية بمخاطر التثقيف الجنسي للشباب والشابات اقتطف منه هذا المقطع :

" . . . . . ان عواطفكم في هذا الامر خير من عواطفنا وحبكم لأولادنا اكثر من حبنا لأولادنا . . . . . ولكن كانتسوا لكم في الشرق لا يعرفون عن اسرار الحياة الجنسية بحض ما تعرفه فتيات امريكا ، فاني أقول بضمير مرتاح إنه خير لكم أن تثنوا تحت وطأة الجهل من ان تتصموا بهذه المعرفة .

اننا نلقى على فتياتنا الامريكيات الدروس لتعرفهن دقائق الحياة الجنسية فلا تلبث الواحدة منهن ان تخرج من قاعة المحاضرات ، باحثة عن اول صديق واقرب زميل لتمارس معه النظريات الجنسية التي تعلمتها في غير مهالة كأنها تشترك معه في رواية تمثيلية او تتفرج على لعبة (فوليبول) وتكون النتيجة الطبيعية لذلك مزيدا من العبث ومزيدا من الانحلال " (١) .

(١) احمد محمد جمال : مكانك تجمدي : ١٠٥ . وانظر د . محمد طوسي البار : عمل المرأة في الميزان : ١٢٧ ، ١٢٨ عن قصة المدرسة التي كانت تدرس الطلاب العراة حقن الجنس وتخلع امامهم ملابسها حتى تقف امامهم طرية في عام : ١٩٢٠ م .

فهل يريد هؤلاء الكتاب ان يكون المجتمع متحلا او ان يزيد في انحلاله  
الا يكفيهم ان يكون المجتمع الذى يعيشون فيه ويدعون للتربية الجنسية فيه  
به من الانحلال الخلقى انواع عدة .

ان هؤلاء الكتاب لا يربونهم يودون تقليد الغرب فى كل ما يمس  
- خاصة فيما فيه مضره وهدأ الغرب يضجر منه - ولذا فهم يدعون الى تـ  
الثقافة الجنسية فى المدارس كما هو الحال فى اوربا وامريكا .

وبعد / التيجانى الما حى الالتزام بالدين تعصبا فيقول :

" . . . ويجب لفت النظر الى ان المرسى يحتل فى وظيفته التربوية مركزا  
لا يقل اهمية عن الاسرة لانه يعمل لتأهيل الطفل لصلاحية اجتماعية اوسع مدى .  
كذلك يجب ان ننوه بأهمية المدرس الاول فى اثره الاجتماعى على الطفل لان عمله  
يبدأ فى مرحلة حاسمة بالنسبة للطفل . وهناك ما يبرر الاهمية القصوى لهذا  
التطور من التربية الاجتماعية ما بهى \* مركزا خاصا لمعلم المرحلة الاولى الذى  
يجب الاهتمام بشانه وتحسين مركزه الاجتماعى بين طبقات المربين . والحقيقة  
التى لا تقبل الشك ان الوضع المهنى لهذه الطبقة الهامة فى كثير من بلاد الاقليم  
- أى السودان - قد لا يحسدون عليه ، فقد كان لا حساسهم بعدم الرضى  
بحالهم انعكاس قد اتخذ مظهرا يتسم بالتبرم والشدة والتعصب فى بعضهم  
ما قد يهدد مستقبل السلوك فى النشء وفى تجاربنا الخاصة ان اخطر ما تتعرض  
له سيكولوجية الاطفال فى هذا الصدد هو التعصب الدينى " . (١)

( ١ )

وهو متأثر بنظرية فصل الدين عن الدولة او السياسة فيقول :

" . . . والدين أداة للفكر يسند المجتمع عن طريق القدوة والتعليم والارشاد والترغيب والترهيب ، والطاقة القوية التي تنطلق منه لها اكبر الاثر في الشعور بالمشاركة الاجتماعية . والتربية الدينية الخاطئة قد تعمل في تزييف الاهداف وفي جعلها أداة لشر الفريزى ، وكثيراً ما يستفسل الدين لاغراض السياسة الحزبية وربما نتج عن هذا الارتباط بين الدين والسياسة اخطر ما يهدد العلاقات والروابط القومية " . (١)

فوصف الالتزام بالدين بالتعصب ، والاعتقاد بأن الارتباط بين الدين والسياسة اخطر ما يهدد العلاقات اثر من آثار الفكر العلماني بلا ريب ، لان الاوربيين كان رجال الكنيسة عندهم هم المسيطرون بطفيان على امور الناس ، كما مر بيان ذلك فتخلصوا منهم فاعتقدوا ان كل التزام بدين كد ينهم المحرف يساوى التعصب ثم انتقل هذا المعنى الى أبناء المسلمين نتيجة للاحتكاك بالغربيين .

وهكذا الامر بالنسبة للفصل بين الدين والسياسة والدين والحياة عموماً فقد كان رجال الكنيسة هم المسيطرون وكانوا ظاغين في سيطرتهم فلما تخلص الاوربيون من سيطرتهم اصبح في حسمهم ان كل دين يجب ان لا يكون له دخل في شؤون الحياة وانما مكانه الكنيسة ثم انتقل هذا المفهوم المنحرف الى أبناء المسلمين بطريق العدوى .

ويرى د . احمد حسن اللقاني ورفيقه ان على مدرسي المواد الاجتماعية ان يؤمن بفلسفة المجتمع واثراً مفاهيم هذه الفلسفة ثم يقول :

( ١ ) اسس التربية في الوطن العربي : ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٣ .

... وعلى ذلك فإن إيمانه الحق بالافاهيم والقيم الديمقراطية والاشتراكية باعتبارها هى فلسفة المجتمع فى الحياة - لابد أن يتضح داخل حجرة الدراسة وخارجها حيث تجرى عمليات التبسيط والتكييف والتحليل واعمال الفكر مما يساعد على استنتاج وجهات نظر جديدة وافكار جديدة وأساليب حياة جديدة وطرق تفكير جديدة " . (1)

ثم يوجه النقد الى مدرسى المواد الاجتماعية لانهم لا يتناولون فلسفة  
المحتمم الا على مستوى الالفاظ فيقول :

”... ولعلنا نلاحظ أن نسبة كبيرة من المدرسين لا يتناولون المفاهيم التي تتضمنها الفلسفة الديمقراطية الاشتراكية إلا على مستوى الالفاظ والشعارات الالامعة، كما أن التدريس إذا ما تعرض لها فإنه يقتصر على الجانب المعرفي منها بمعنى أن يعرف التلاميذ مثلاً ماهية الاشتراكية أو الديمقراطية وأن يعرفوا أهداف الاتحاد الاشتراكي وتنظيماته ومستوياته وهكذا.” (٢)

ان المجتمع الذى يتحدث عنه المؤلف هو المجتمع المصرى ، ونحن  
لا نعرف عنه الا أنه بلد من بلاد المسلمين فلا يجوز أن يكون فيه لغير الاسلام  
من العقائد والافكار مكان . ونحن نسأل المؤلف بعد ان <sup>نصف</sup>الاتحاد  
الاشتراكى العربى ويتم الحكم القائم وجهه <sup>الاشتن</sup>ن بعد أن كان الحكم  
السابق ميمماً وجهه شطر موسكو هل سيفير رأيه فى الموضوع ويدعو فى كتاب  
جديد يصدره الى ما يسمى بالانفتاح الاقتصادى أم أنه سيظل على رايه السابق  
اكبر الظن أنه سيفير رأيه حتى يكون له يد فودعم الحاكم القائم .



وهكذا يفعل فقدان الهوية الفكرية بالانسان فيقول اليوم عكس ما كان  
يقوله بالامس ، إن الدعوة الى الديمقراطية والاشتراكية أثر من آثار سيطرة  
الفكر العلماني على الداعين الى هذين المبدأين ، لان الداعي الى هذين  
المبدأين لا يرب انه يعزل الدين عن الحياة ويرى ان الدين للكنيسة والمسجد  
ثم بعد ذلك لك ان تدعوا الى ماترينيد خارج هذين المكانين .

ويرى د . فتحى الديب ورفيقه ان رسالات السماء كلها فى جوهرها  
كانت ثورات انسانية . (١)

وهذا هو رأى المستشرقين الذين يزعمون أن الرسول صلى الله عليه  
وسلم تأثر بالبيئة التى كان يعيش فيها ، ولا شك أن هذا القول من آثار الفكر  
العلماني ، فالعلمانيون هم الذين يرون هذا الرأى .

ويقول د . فتحى الدين ورفيقه :

" . . . ومن هنا فإننا نرى أن تقدم مجتمعا العرب مرتبط بطدى تمسكنا  
بالقيم الاساسية للعلم واتجاهاته . فليس خافيا على أحد أن مجتمعا الى وقت  
غير بعيد كان يوصف بأنه مجتمع زراعى متواكل . . " (٢)

وقد سبق أن اوضحت أن تقسيم مراحل تاريخ المجتمعات على النسق  
الاتى : (١) مجتمع رعى (٢) مجتمع زراعى (٣) مجتمع صناعى  
أنه من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين " العلمانيون " الذين تأثروا بالشورى  
على الكنيسة فأنتجوا هذا التقسيم ثم نقله ابناء المسلمين الى العالم الاسلامى .

ويرى الدكتور محمد لبيب النجيجى ان الاهداف الثابتة خطر على المجتمع

ان يقول :

(١) تدريس العلوم والتربية العملية : ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) نفس المصدر : ١٦١

" . . . . فالاهداف الثابتة الدائمة المستمرة لا تكون على هذا الاساس غير مناسبة ولكنها تشكل في رأينا خطراً عظيماً بالنسبة للمجتمع والافراد " ، (١)

فالدعوة الى عدم ثبات اهداف التربية والتعليم هو الخطر على المجتمع فإنه لا بد أن يكون لكل مجتمع اهداف ثابتة للتربية والتعليم لان التربية والتعايم المقصود منها هو انشاء " مجتمع يؤمن بمبادئ " معينة ويحققها ففى واقع الحياة وفى المجتمعات الاسلامية لا بد ان تكون اهداف التربية والتعليم ثابتة وسامية لانشاء " مجتمع يطبق مبادئ " الاسلام وشرائعه فى كل شئون حياته .

كما يرى النجيبى أن العلم هو ما يقع فى حدود الحواس فيقول :  
 " . . . على أن اهتمامنا بالخيرة الانسانية وبالعلم الذى يقع فى حدود حواسنا لا يعنى أننا ننغمس فى الحاضر فننسئ المستقبل . . " (٢)

والقول بأن العلم هو ما يقع تحت حواسنا هو لهد اتجاهات الفكر الغربي وهم يسمون " بالحسيين " .

ويرى د . احمد حسن اللقاني وزميله أن أهداف تدريس المواد الاجتماعية تتحدد حسب فلسفة الدولة وهى فى مصر الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولذا فهى "تتأطر بالفلسفة التربوية تحدد مواصفات المواطن المرغوب فيه ، وتحدد على اساسها أهداف كل مرحلة تعليمية ، ثم أهداف كل منهج ، ومن ثم يصبح على المدرس تتساول هذه الاهداف على مستوى المنهج لجعلها اكثر تحديدا .

---

(١) فلسفة التربية : ٦٩ / ٦٠  
 (٢) نفس المصدر السابق .

ويعتقد د . اللقاني وزميله ما يعتقد علماء الاجتماع الغربيون من أن الإنسان الأول عاش على الصيد ، ثم انتقل إلى مرحلة الرعى ثم انتقل إلى مرحلة الزراعة وفي هذه المرحلة بدأ بتمعيم الارعى والاستقرار وتكوين الاسرة والتعلق البسيط ثم تكون المجتمع واستخدم الدين لتدعيم اركانه\* . (١)

ويرى ساطع الحصرى ، وهو احد فلاسفة القومية العربية ، ان القومية العربية تنبنى على الاشتراك في اللغة والتاريخ المشترك أما الدين فلا يدخل في ذلك الا من حيث هو جزء من التاريخ المشترك ، وأن اتخاذ اللغة أساساً في القومية يسهل عملية تذويب النزعات الاقليمية والدينية ، وتنمية الطموح لمؤلفة قومية كبرى عمادها وحدة اللسان العربي الحاضر . ولذا فان التربة لا بد ان تضع نفسها في خدمة هذا المجتمع القومى الكبير . (٢)

قلت : إن العرب في العصر الحاضر تجمعوا على وحدة اللسان العربي ولكن ذلك لم ينفعهم فتيلاً فهم في مطاحنات وخلافات كما كانوا في الجاهلية الاولى وما حرب لبنان الاهلية الا أقوى شاهد على ذلك .

ويقول الدكتور / عبد اللطيف فؤاد ابراهيم عن العروبة والقومية العربية

مايلي :

" لا يتسع مجال هذا الكتاب لمناقشة جوانب العروبة ، والقومية العربية ودعائهما ويكفى هنا ( من اجل اهداف الكتاب ) ان نقول ان من ابرز مظاهر اجتماعنا في الوقت الحاضر ازدياد المواطنين <sup>ايما</sup> بعروبتهم واعتزازهم بها .

وقد ساعد هذا الايمان بالعروبة على ازدياد المواطنين ادراكاً بما يربط اجزاء الوطن العربي من لغة عربية وجوار وسهولة اتصال ووجود تشابه فسي

( ١ ) تدريس المواد الاجتماعية : ٢٦ ، ٢٧ .

( ٢ ) المناهج اساسها وتنظيماتها وتقويم أثرها : ٦٩ .

كثير جداً من العادات والتقاليد والآمال العامة نتيجة التشابه في كثير من الظروف والأحداث التاريخية الهامة .

ويساعد الايمان القوى بالعمومية ايضاً على زيادة اقبال المواطنين على كل ما يرفع من شأن وطنهم العربي وما يساعدهم على استعادة امجادهم والمحافظة عليها . (١)

ويرى الدكتور الهادي عفيفي ان من اهداف التربية العامة " غرس القومية العربية في نفوس الناشئة " ان يقول تحت عنوان اهدافنا التربوية العامة ما يلي :

" (٥) - تدعيم مقومات الوجود العربي واهدافه : ذلك ان مجتمعنا بحكم وجوده في قلب الوطن العربي ، وحكم ماضيه وتطوره ينبغي ان يتحمل مسؤولية صنع التقدم وحياته ليمتد حتى يشمل الامة العربية كلها ، فهو جزء لا يتجزأ منها ، والتربية العربية ينبغي ان تستمد اصولها واهدافها من حقيقة هذا الوجود ومن اهداف الامة العربية في الوقت الحاضر والماضي . ولهمذا فانها ينبغي ان تهدف الى تدعيم الاتجاهات القومية التي تنشأ التماسك الاجتماعي والقوة الاقتصادية والتحرر ، فهدف التربية ينبغي ان يكون بنسبة جيل عربي واع مستنير يؤمن بالوطن العربي ويثق بنفسه وامته اي الايمان بالوطن والذات ولا يتأثر ذلك الا بالمعرفة الصحيحة عن الوطن العربي من حيث مواطن القوة في موقعه السياسي والجغرافي ومن حيث امكانياته الاقتصادية وطاقتها البشرية وقيمه الروحية ومقوماته الثقافية والتاريخية والمتناقضات المختلفة التي تعوق تقدمه وكيفية مواجهتها بالبحث والدراسة والحل والاهداف المشتركة

التي تجمع جماهير العرب في سبيل تحقيق الهدف النبوي والصالح العام حسن ذلك أن وحدة الهدف عند الجماهير هي التي تستكمل بسد الفجوات الناجمة عن اختلاف مراحل التطور . ومواجهة أنواع التحديات والضغوط التي تعترض

تقدم هذا المجتمع العربي ، ووسائل التغلب عليها . (١)

ولعل من أكثر المغالطات التاريخية والشرعية الادعاء بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون وبعض قادة المسلمين كانوا دعاة للقومية العربية ، والادعاء بأن العلماء من المسيحيين واليهود قد اجلسهم علماء المسلمين معهم في المساجد . هذا ما يقوله الدكتور ابو الفتوح رضوان في بحث قدمه " للحلقة الاولى للتربية وعلم النفس " واليك نص قوله :

" . . . ثم كيف ينسب القادة والزعماء الذين اكتشفوا القومية العربية ، ونادوا بالقومية العربية واقاموا سياسة العرب على اساس وحدة العرب وحاربوا فوس سبيل هذه الوحدة . كل هذا دون ان يتعلموا ذلك في المدرسة لانهم كانوا اسبق من اساتذتهم الى هذا الكشف وهذه الفتوح . كيف ننسب ابا بكر وعمر بن الخطاب ونور الدين وصلاح الدين ، وجمال عبد الناصر بل كيف ننسب النبي صلى الله عليه وسلم وقد ارسل الكتب وحث بالرسول ولم يمت الا بعد ان كان قد بدأ في تسيير الجيش لتحقيق وحدة العرب . "

وقد كان النبي أميا لم يدخل مدرسة وكان مع هذا الأستاذ اساتذة

العروبة .

ثم يقول :

" ونحن عندما نريد ان نقرر اتجاهها قوميا عاما ، او اصطلاحا اجتماعيا لانستطيع ان نكتفى بالعياقة الذين ذكرت امثلتهم هؤلاء لا تجود بهم الطبيعة الا واحداً في كل عصر ، أو على رأس كل قرن من الزمان . وحتى هؤلاء عند ما

(١) فواصول التربية الاسلامية (الاصول الفلسفية) : ١٢٦، ١٢٧ .

عند ما يوجد ون لا يمكن ان يقرر بهم اتجاه او يتحقق بهم اصلاح الا اذا استطاعوا ان يعلموا امثهم ويقنموها بفلسفتهم فيستمر فيها اصلاح حتى يعذروا السى هؤلاء المعلمين الافذان وهكذا يرتد الامر الى المواطن والى التربية " (١) .

واما النص الثانى فيقول فيه :

" . . . والعربى الصحيح يضع الثقافة وراء حدود الجنس واللغة والدين إنه يطلب العلم ولو فى الصين وينقل المعرفة ولو من الزنادقة ، ويأخذ الحكمة ولو من أفواه المجانين ، وقد يما اجلس العرب المسلمون العلماء ممن المسيحيين واليهود والمابئة فى المسا جد وجلسوا امامهم يتلقون عنهم الحكمة والطب والعلوم " (٢) .

ويرى الدكتور النجى ان التربية هى اعداد المواطن المتكيف مع المجتمع فيقول :

" التربية هى عطية اعداد المواطن الذى يستطيع التكيف مع المجتمع الذى ينشأ فيه ولذلك فهى تعمل على تشكّل الشخصية الانسانية فى أدوار المطاوعة الاولى تشكّلاً يقوم على اساس مايسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية وهنا كان لابد للاطار الثقافى الذى يقوم عليه المجتمع من أن يحدد أبعاد العملية التربوية واتجاهاتها بحيث لاتخرج التربية عن هذا الاطار الا تطويراً له وتقديماً به فى عملية زيادة آخذة بيد المجتمع نحو مستوى أفضل وعلى هذا الاساس تحتل القيم مركزاً اساسياً فى توجيه العملية التربوية ونقله من جيل الى جيل بما فى ذلك القيم الاخلاقية . فحسب وانما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافى مقترية بذلك بقدر ما تستطيع ما وضعت امامها من تصور لما يجب ان يكون " (٣) .

( ١ ) اساس التربية فى الوطن العربى : ٦٤ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٦٩ .

( ٣ ) فلسفة التربية : ٢٩٧ .

ان الكاتب يرى ان التربية هي العملية التي تعد المواطن الذي يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه ، ان التربية في الاسلام هي عملية اعداد الانسان الصالح الذي يطبق شرع الله في خاصة نفسه وفي أسرته وفي مجتمعه . ومن المؤسف حقا ان ياتى ابناء المسلمين ليدعوا الى تربية تخضع الانسان لاي وضع فـ اذا طبقت المبادئ\* الرأسمالية والعلمانية الغربية في بلد ما من البلاد الاسلامية فترة من الزمن فعلى هذا الانسان المسلم ان يرضخ لذلك فان تغيرت الأحوال وحكم هذا البلد نفسه بالمبادئ\* الاشتراكية فان على هذا الانسان أن يرضخ لهذه المبادئ\* وهكذا يكون الانسان مشتتا لوجهه كما يريد الكاتب .

لقد كان حقا على الكاتب ان يدعو الى تربية الانسان الصالح الذى يسير وفق هدى الله الذى شرعه لنا في كتابه وسنة رسوله لا الى تربية علمانية تجعل الانسان يسير مع اى اتجاه .

ويدعو الدكتور ابو الفتوح رضوان الى الانسانية ويرى انها لا تتعارض مع الوطنية او القومية فيقول :

" . . . . . وهناك مشكلة معنى العروبة نفسها فليست العروبة هي الاتجاه الوحيد الذى تريد ان نطبع عليه المواطن العربى . بل هناك وطنه الاصلى الصغير الذى هو مسقط رأسه من الوطن العربى الكبير فلهذا الصغير حقوق . وهناك الانسانية عامة ولها في نفس كل انسان حق . وليس الجمع بين هذه كلها فـ مرد واحد بالامر السهل . ومع ان العروبة لا تتعارض مع ولا\* الانسان لا قليمه ، ولا مع ولائه للانسانية عامة ، ولكن ليس من السهل ان تضمن الا تتقلب الاقليمية السي تعصب او الانسانية الى الوطنية " (١)

---

( ١ ) اسس التربية في الوطن العربى : ٦٦ .

ان الدعوة الى الانسانية شعار يرفع بين المسلمين لمآرب أهمها التسوية بين المسلم والكافر والله سبحانه وتعالى فرق بينهم في محكم آياته ، وحسبهم على المسلمين ان يتولوا الكافرين ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فسيان الدعوة الى القومية ، والوطنية ، والانسانية دعوة الى امور يستحيل التوفيق بينها وواقع المسلمين اليوم ليشهد بذلك فان المسلمين حين أراد الاستعمار تفريق كلمتهم وعدم اجتماعهم بذر فيهم بذور الوطنية والقومية ، ووللأجيال على الوطنية والقومية ثم ريت هذه الاجيال أجيالا اخرى على ذلك فاصبحت تجد كل مسلم يقدر الوطن الذي ولد فيه حتى ولو كانوا ممن يتكلمون بلسان واحد وهذا ما هو حاصل في البلاد العربية .

ان الدعوة الى تربية الانسان في العالم الاسلامي على الاسلام هو الواجب وحين ذاك لا يكون هناك مجال لتقدير الوطن والقوم وانما الرابطة الوحيدة التي تجمع المسلمين هي " الاسلام " كما كان الوضع في العصور الزاهية للاسلام .

وهي الدكتور احمد منير صالح ان تعليم القرآن وحفظه لا جدوى منه فيقول تحت عنوان " لمحة تاريخية عن تطور التعليم في المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٠هـ ما يلي :

" .. وكان من الطبيعي ان تصاب الحركة التعليمية في هذا البلد الامين بالركود والخمول والجمود فان ثرت فيها مراكز العلم والتعليم التي كانت قبلة الانظار في جميع العالم الاسلامي . ولم يبق من ذلك كله سوى عدد قليل من الكتاتيب التي كانت تقدم تعليما لا جدوى منه في القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم " . (١)



فانما كان تحفيظ القرآن الكريم لا جدوى منه فما هو التعليم الذي له جدوى في نظر الكاتب ؟ !! ان هذا بلا شك اثر من اثار الفكر العلماني على ابناء المسلمين . ومن المحزن ان يصدر مثل هذا القول عن استاذ فني جامعة من جامعات المسلمين . ان هذا القول لو صدر من احد : <sup>نية</sup> قادة النصر من العشرين والمستشرقين لما كان في ذلك ما يثير الدهشة والاستغراب لان ذلك هو المتوقع منهم ، اما ان يصدر هذا القول من احد ابناء المسلمين فان ذلك هو الرزية العظمى . .

ومن الأمور التي يكثر الكتاب من ذكرها وصف الحكم العثماني بالاستعمار فهذه الدكتوراه نازلي احمد صالح تصف حكم العثمانيين بالاستعمار العثماني التركي وهذا الدكتور ابا الفتوح رضوان يصف حكمهم بالاستعمار المسلم . (١) وهذا التفكير هو ايضا اثر من آثار العلمانية على العالم الاسلامي ذلك ان القومية والوطنية لما صدرت للعالم الاسلامي وبدأت تتخرف في كيان الاممة الاسلامية خرجت مثل هذه الاوصاف وبدأت دعاة القومية يطلقونها على الحكم العثماني خاصة حكم عبد الحميد الذي ظلم شر الظلم بسبب تخطيط اليه ~~اليهود~~ الدعائي ضد الناتج عن حنقهم عليه لطرده لهند ويهم الذين طلبوا : السماح لهم بإقامة وطن قومي . في فلسطين ، وقد اقاموه بعد ان فرقوا المسلمين بالقوميات واحتلوا فلسطين من بين ايادي القوميين .

وفي بحث للدكتور فاروق سيد عبد السلام بعنوان القيم وعلاقتها بالامم النفسى اجراه على طلبة كلية التربية بجامعة غالا زهر وكانت المينة تضم ٩٤ طالبا من خريجي التعليم العام و ٦٨ طالبا من خريجي المعاهد الزهرية ، وكان المقصود " معرفة هل هناك علاقة بين ما يلتزم به الافراد من القيم وبين انهم

(١) حولة : التعليم الابتدائي : ١٢٦ واسس التربية في الوطن العربي : ٦٠

النفسي : قال :

" ان القيم والامن النفسى نتاج لعملية اساسية واحدة هي عملية التشخيصية الاجتماعية فالقيم اكتساب لمحتويات معرفية حددتها البيئة الاجتماعية وقامت بنقلها الى أبنائها " (١)

ثم يقول فى بيان أسباب قيامه بهذا البحث ما يلى :

" . . . وهذا مادعانا الى دراسة طبيعة العلاقة بين المحتوى القيمى

وبين حفظ الفرد من الامن النفسى .

نحن اذن امام قضية نظرية بحثه من ناحية وهي علاقة الجانب المعرفى للشخصية " مثلا فى البنيان القيمى " بالجانب الانفعالى فى الشخصية " مثلا فى الامن النفسى " .

ومن ناحية اخرى فنحن امام مسألة تطبيقية تربوية هامة وهي " اذا كنا نريد ان نحقق لمجتمعاتنا افرادا يتمتعون باكبر قدر ممكن من الصحة النفسية . فعلى أى شىء نركز اهتمامنا ؟ أعلى المحتوى المعرفى فقط أى على صنف معينة من القيم والاتجاهات والمعتقدات تتناسب مع العصر الذى نعيش فيه وتستند قواها من تاريخنا وديننا وثقاليدنا الاجتماعية العربية ؟ ام نركز اهتمامنا على اسلوب تقديم هذه المحتويات المعرفية دون اهتمام بالتكوين المعرفى نفسه ؟ أم بالاثنتين معا . . ؟ (٢)

ثم فى تساؤلات البحث يتساءل الباحث عن :

" هل هناك فروق بين الذين يتمتعون بقدر اكبر من القيم النظرية والاقتصادية والجمالية ، والسياسية والاجتماعية والدينية وبين من يتوقفون بقدر قليل منها فى درجة الطمأنينة النفسية " . (٣)

(١) و (٢) و (٣) مجلة كلية التربية : مكة المكرمة . العدد الرابع . السنة الرابعة رجب ١٣٩٩ هـ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣

ثم يقول فى التعليق على نتائج الجدول رقم ( ٨ ) قيمة كا<sup>٢</sup> ودالاتها الاحصائية للقيم المختلفة يقول :

" ويتبين من الجدول رقم ( ٨ ) ان جميع قيم كا<sup>٢</sup> غير دالة احصائيا وهذا يعنى انه لا توجد علاقة بين درجة امتلاك الفرد لقيم معينة وبين حظيه من الطمأنينة الانفعالية اى ان اصحاب الدرجة الواحدة فى القيم المعينة ( اصحاب الدرجات العليا مثلا ) قد ينتمون الى العديد من مستويات الطمأنينة الانفعالية . وتستطيع القول ان محتوى القيمة ( نظرية - دينية - جمالية . الخ ) لا يحدد درجة الامن النفسى الذى يعتنقه الفرد . اى ان العلاقة بين المحتوى المعرفى الذى يعتنقه الفرد وبين الجانب الانفعالى له علاقة صفرية " . (١)

وفى مناقشة النتائج يعترف ان هناك ثلاث مسائل على جانب كبير من الاهمية فى هذه القضية ولها تأثير فى تفسير النتائج هى :

- ( ١ ) المحتوى المعرفى للقيم التى يقدّمها المجتمع .
- ( ٢ ) طريقة تقديم هذا المحتوى القيمى للأفراد .
- ( ٣ ) رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفى ولطريقة تقديمه . (٢)

ثم يقول مكررا نفس النتيجة السابقة :

" . . ان نتائج الدراسة الحالية قد اثبتت عدم وجود علاقة بين امتلاك الفرد لقيمة معينة او عدم امتلاكه لها وبين سطة من الامن النفسى " (٣) .

ثم يكرر هذه النتيجة فى الفقرة الاخيرة وجهة نظر فيقول :

" لقد بينت نتيجة هذه الدراسة عدم وجود علاقة بين اكتساب الفرد

لقيمة ما من القيم وبين امنه النفسى " . (٤)

ويختتم مناقشة النتائج بالتقرير ان المعتقدات لا تبهر بقدر ما تبهر

كيفية تقديمها ان يقول :

" . . . لقد قال " اروكيش " ان المعتقدات لا تبهرنا من اجل التعرف على شخصية

الفرد بقدر ما تبهرنا طريقة تعلقه بهذه المعتقدات .

ونحن نرى ان هذه المقولة ليست كافية تماماً من وجهة نظر الصحة

النفسية ونرى ان المعتقدات لا تبهرنا من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر

ما تبهرنا كيفية تقديم هذه المعتقدات من قبل الهيئات الاجتماعية المختلفة وكيفية

رؤية الفرد لتلك الاساليب " (١)

ولا بد من ابداء ملاحظات على هذا البحث " نتائجه واسسه وخطواته " وهذه

الملاحظات تتلخص في الاتي :

١ - ان هذا البحث اجري على طلاب مسلمين في بلد مسلم - في جامعة اسلامية -

ومن المعلوم ان المحتوى المعرفي للقيم انصح تقسيمها الى هذه الاقسام

التي قسمها الباحث - وهي من الله تعالى - وهو منزعه عن الخطأ ، واذن

فالباحث قد اخطأ خطأ جذرياً في اجراءه هذا البحث على هذه الصورة

اذ المفروض ان يجري البحث على طريقة تقديم هذا المحتوى المعرفي

وهل يؤدي الى تمثل الطلاب بالمحتوى المعرفي لهذه القيم الاسلامية

ام انه لا يؤدي الى ذلك .

٢ - ان الباحث - وقد حصر بحثه لمعرفة العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم

والامن النفسي - قد وقع في خطأ في خطواته البحث واسسه التي اتبعها

وهو تتلخص في الاتي :

---

( ١ ) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٣٣ ، ذات .

(أ) ان الباحث حين عدد القيم ذكر القيمة النظرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية . وهذا الصنيع ينم عن مفهوم خاطئ .  
للدین ان فی هذا التقسيم يفصل الباحث بين الدين والحياة ويجعل  
القيمة الدينية تسير في خط مخالف للخط الذي تسير فيه القيم الاخرى  
لا علاقة له بالدين .

ومن المعلوم ان الدين في مفهوم الرسالات السماوية كلها هو المهيمن على  
كل القيم ويجب ان تنطلق منه .

"قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" .

(ب) ان الباحث جعل القيم وليدة للبيئة الاجتماعية - ومكانه يطبق  
هذا البحث في بلد اسلامي وعلى طلاب يمثلون جامعة اسلامية - فان من  
المفترض ان تكون جميع القيم التي ذكرها - ان صح تقسيمها - اسلامية ،  
ان القيم الاسلامية ليست وليدة البيئة الاجتماعية بل هي - وهي من الله  
بلفظه ومعناه "القرآن" او بمعناه "السنة" .

ان القيم التي تحددها البيئة الاجتماعية ، قيم المجتمع لا يعرف الله  
سبحانه وتعالى وهو قيم تحددها ظروف الناس ورغباتهم وشهواتهم  
وشبهاتهم ، وهي تختلف من مجتمع لمجتمع ، وتناقض بعضها البعض  
لان المعرفة التي توجهها معرفة بشرية والمعرفة البشرية ناقصة وقاصرة  
عن الاحاطة بكل شئ .

هذا ومن ناحية اخرى فان هذا التصور للقيم ، ومنها القيمة الدينية  
آوالدين من انها نتاج لعملية التنشئة الاجتماعية وانها اكتساب لمحتويات  
معرفية محدودة من قبل البيئة الاجتماعية - ان هذا التصور وهذا الفهم  
هو تصور علماء الاجتماع والفلاسفة الغربيين ، ومنهم فلاسفة الفلسفة  
الوضعية المنطقية ، فهو تصور غريب على المجتمع الاسلامي تاثر به الدكتور  
وهيمن على بحثه .

(ج) ان الباحث انطلق في بحثه من تساؤلات معينة هي هــسـل  
يركز على المحتوى المعرفي للقيم والاتجاهات والمعتقدات التي تتناسب  
العصر؟ ام على طريقة تقديم المحتوى؟ ام عليهما معا؟ وحين يكون  
أحد منطلقات الباحث ان يركز على المعتقدات التي تتناسب مع العصر  
دون ان ينطلق من محاولة معرفة اثر الدين الاسلامي على الافراد الذين  
اجري البحث عليهم، فان النتيجة ستكون ان العلاقة بين المحتوى  
المعرفي والامن النفسي صفرية، وهذا امر شاهد في الغرب الذي  
يزخر بأغصصات المعتقدات - ان الافراد غير مطمئنين انفعاليين  
وغير آمنين نفسيا.

(د) ان الباحث مع اعترافه باثر اسلوب نقل المحتوى المعرفي، وأثر  
رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفي ولطريقة تقديمه الا انه ركز بحثه  
على "العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم ومنها الدينية" وخرج بهذه  
النتيجة وهي ان العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم، ومنها الدينية  
والامن النفسي علاقة صفرية.

(هـ) ان الباحث انطلق من منطلق انه لاتهم المعتقدات من اجل  
التعرف على شخصية الفرد بقدر ما يهيمه كيفية تقديم هذه المعتقدات  
وهذا منطلق خطر، ان هو يجري هذا البحث في بلد مسلم وفي جامعة  
اسلامية فعدم الاهتمام بالمعتقد يعني انه لا يبال ان كان الذي يجري  
عليهم البحث مسلمين ملتزمين او يحطون اتجاهات يسارية او يحطون  
اتجاهات علمانية غربية، وانما هو يركز همه على طريقة تقديم هــسـه  
المعتقدات، فاذا كانت سليمة ففان النتيجة هي الامن النفسي للفرد،  
وان لم تكن الطريقة التي تقدم بها المعتقدات سليمة ففان النتيجة هي  
عدم الامن النفسي . . .

ولا ينكر احد فالطريقة عرب القيم والمعتقدات من اثر على الاشخاص ولكن  
لهم لها من الأهمية او الاثر ما يساوى أهمية صحة المعتقدات والقيم او عدمه .

ان الامن النفس لا يتوافر الا مع وجود المعتقدات والقيم الصحيحة  
فاذا كانت كذلك كان الامن النفس متوافرا في الافراد .

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب " (١)  
ومن المعلوم ان ذكر الله يكون باللسان والقلب " استشعار عظمة الله " .  
او ذكر نعمه وآلائه العظيمة .

ولقد وصف الله النفس المؤمنة بالله بانها نفس مطمئنة . فقال تعالى :  
" يا ايها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فادخلي فسي  
عبادي وادخلي جنتي " . الخبر : ٢٧ - ٢٨

ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن في اطمئنائه النفس وامنه  
بقوله " صعبا لا مر المؤمن ان امره كله خير وليس ذاك لاحد الا للمؤمن " .  
ان اصابته سراة شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراة صبر فكان خيرا له " (٢)  
ان المؤمن امره كله خير له فهو ان اصابته سراة وشكر الله زاده الله  
فاطمئن وان اصابته ضراة وصبر انزل الله عليه السكينة فاطمئن .

انما غير المؤمنين في اصابته سراة ولم يشكر الله وانما يقول : انما اوتيت  
على علمي . . . . . فان الله ضالا . وان اصابته الضراة  
لم يصبر فتمت في خيرة واضطراب وقلق نفس .

...

(١) سورة الرعد الآية ٢٨ .

(٢) أخرجه احمد وسلم عن صهيب وهذا لفظ سلم . انظر ج ٤ ص ٢٢٩٥ .  
وانظر صهيبه الامام احمد : ٣٣٢ / ٤ ١٥ / ٦٥ الاولى من رواية احمد  
وحجاج عن سلم بن ابي بن المغيرة والثانية من رواية عبد الرحمن بن المهدي  
عن سليمان مع اختلاف يسير في الالفاظ بين الروايتين ومنها ومن رواية  
سلم .

ويؤلف الدكتور نبيه ياسين كتاباً بعنوان " أبعاد متطورة نو للفكر التربوي " فيأتى فى اهدائه هذه العبارة :

" الى كل من يؤمن بوحدة انية العلم كمعبر نحو مستقبل افضل " (١) .

ان المسلم لا يعلم ان هناك وحدانية الا لله سبحانه وتعالى . أما العلم فان له ثنائياً مقابلاً هو الجهل ، واقبحه الجهل بالله سبحانه وتعالى وما يجب له من العبادة والجهل بما يجب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم من الاتباع والصبر ثنائيه عدم الصبر والصدق ثنائيه الكذب .

ولذا غان استخدام هذا الاسلوب ينهى عن ان الكاتب يقصد العلم بما يحمل من صواب وخطأ .

ان الايمان بالعلم وحده دون ان يكون ملازماً له الايمان بالله ضلال وانحراف عن الطريق المستقيم لان الله سبحانه وتعالى قرن العلم باسمه الكريم فقال تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق . . . " ( العلق : ١ ) فلا بد ان يكون سائراً على المنهج الاسلامى حتى يعطى الشار السليمة التى لاتدمر البشر .

ومن يؤمن بالعلم وحده ولا يهتدى بنور الله فى هذا المجال يضل ويضل غيره لان فكره لا يقوم حينئذ على خلق يمهده بالاخلاص والتجرد والامانة ونكران الذات وهى خلال تدعوهم يلتزم بها الى توجيه علمه لمصلحة البشر جميعاً مبتغياً بذلك مرضاة الله وغفرانه .

---

( ١ ) ابعاد متطورة للفكر التربوي : ه . ه . وانظر ما سبق من البحث عند الحديث عن الافكار والنظريات التى اعتنقها التربويون المسلمون .



## الفصل التاسع

### أثر الملائمة في التعليم الرسمي

المبحث الأول : الجهود الفكرية والعطية التي بذلت لملئمة التعليم  
منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال .

...

## المبحث الاول :-

الجهود الفكرية والعملية التي بذلت لعلمنة التعليم منذ أوائل  
عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال .

كان المسلمون في القرون الأخيرة وخاصة القرن الميلادي الماضي يعيشون في حالة ركود علمي وفكري ، ولم يبق لهم غير القوة العسكرية التي حافظ بها العثمانيون على العالم الاسلامي مما جعل المسلمين في معزل عن التأثير بالغربيين وهم في هذه الحالة من الركود . غير أن الأمر تغير بعد أن هزمت الدولة العثمانية أمام النمسا عام ١٦٩٩ م ووقعت مع النمسا اتفاقية "كرلويتز" كدولة مهزومة ففكر الحكام في حل لهذه المعضلة فكان أن طبقوا أسلوب التسليح والتدريب الأوروبي وذلك يحتاج الى استقدام المدربين الأوروبيين لتدريب الجيش العثماني على السلاح الأوروبي . واستمرت الحكومة العثمانية طيلة القرن الثامن عشر في استقدام المدربين والخبراء ، وكان هذا أول اتصال بين الأوروبيين واطائفة من المسلمين هم العسكريون ، ثم جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ومع الحملة مائة وعشرون عالماً في مختلف التخصصات فكان هذا الاتصال الثاني بين المسلمين والأوروبيين ولكنه أوسع من الأول وكان له تأثير واسع في الأفكار والأخلاق - وإن كان قد لقي مقاومة من عامة المجتمع المصري المسلم - ثم جاء دور محمد علي باشا الذي بعث البعثات الدراسية الى ايطاليا ثم فرنسا وانجلترا والنمسا وأنشأ المدارس الحديثة في مصر وحارب الأزهر وضيق عليه وفعل مثله محمود الثاني الذي بعث طلاباً من تركيا الى فرنسا أيضاً ، ثم احتلت الدول الغربية أجزاء كثيرة من الوطن الاسلامي وكان أثر الاحتلال البريطاني على مصر والهند واضحاً في المخططات التي نفذت في البلدين ، والتي تضمنت محاربة التعليم الاسلامي بالمعنى الواسع لهذا التعليم . وكان للأزهر النصيب الأكبر في المحاربة والتضييق باسم التطوير ، وساعد الانجليز في ذلك قبل رحيلهم محمد عبده ، وبعد رحيلهم طه حسين .

سوف أوضح في الصفحات التالية ذلك :

ففي مصر حين تولى محمد علي باشا حكمها مستقلا عن الدولة العثمانية عام ١٨٠٥ م بعث أول بعثة دراسية عام ١٨٠٩ م ، وأنشأ المدارس الحديثة على النمط الأوروبي وجعل من مهامها تخريج الأطباء والمهندسين ورجال القضاء !!! وحارب الأتراك بتجديده لا اعتقاده أنه سوف يصطدم برجاله ان هو حاول تجديده .

يقول المستشرق هاملتون جب عن المدارس التي أنشأها محمد علي باشا ما يلي :

"... ولا بد لنا من البحث عن هذا دور هذه الحركات ، بشي من التفصيل ففي القرن التاسع عشر الذي أتى على العالم العربي وهو ما يزال يتلمس خطاه للنهوض من كبوته التي عقت فترة تألقه في القرون الوسطى مع تمسكه الشديد بتراثه القديم وفي هذا القرن كانت الأفكار الغربية آخذة في التغلغل الى العالم العربي يوما بعد يوم ، وبينما كانت الآثار الأدبية التي ظهرت في أوائل ذاك القرن مجرد استمرار للعصور التي سبقت كان تيار من الفكر الغربي والفرنسي منه بوجه خاص يتسرب الى عقول فئتين من تلك الجماعة في مركزين متباعدين هما مصر وسوريا ومن مصدرين مختلفين أشد الاختلاف في غاياتهما وطرائقهما .

أما في مصر فقد كانت المصادر الأولى التي أخذ الفكر الأوروبي يشع منها هي المدارس المهنية التي أنشأها محمد علي والبعثات العلمية التي أرسلها الى أوروبا .

كانت الغاية الأولى لتلك المدارس التي أنشأت على غرار النمذج الأوروبية وكانت في أكثر الأحيان تحت إشراف الأوروبيين هي تخريج الأطباء والموظفين ورجال القضاء والخبراء المهنيين من كل نوع وذلك كي ينهضوا بالمشروعات العظيمة التي كان يرسمها الباشا وكان من المحتوم أن يتطلع الخريجون الى نواحي من الثقافة الغربية غير تلك التي كانوا يدرسونها

وخاصة الأدب الفرنسي كانت هذه هي الحال بوجه خاص في مدرسة الألسن التي كان يشرف عليها العالم الفذ رفاعه الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣) (١)

والأمر العجيب هو أن تكون هذه المدارس تخرج رجال القضاة وتحت إشراف الأوربيين ! فإما أن يكون المشرفون على تخريج القضاة من المستشرقين ومعلوم مدى محاربة المستشرقين للإسلام عن طريق الدراسات الإسلامية المحرفة وفي هذا ضرر كبير على هؤلاء الخريجين ، ولما أن يكون المشرفون من رجال القانون العلمانيين فهو لا سيدرسون الطلاب حسب ما يعرفونه من القوانين العلمانية في الأحوال الشخصية أو القانون المدني ، أو القانون الدولى وفي هذا من الشر على المجتمع الإسلامى ما بقى أثره حتى يومنا هذا فى البلاد الإسلامية التي تطبق القوانين الوضعية .

وبسبب هذه المدارس والمدرسين الأوربيين على افساد أفكار الخريجين ما يطلع عليه الخريجون من ثقافة الغرب التي أشار إليها "جب" بلغتها الأصلية أو عن طريق الترجمة ، ومن المعلوم أن المقصود بثقافة الغرب إذا ألمقت هي أفكار الغربيين وأدبهم الذى يحمل خصائص أفكارهم .

وسوف أتبع هذا الجزء من البحث والجهود الرئيسية التي بذلت من قبل الاستعمار ومن عاون المستعمرين لعلنة التعليم فى العالم الإسلامى منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال خاصة الجهود التي بذلت لما سعى بتطوير الأزهر . فأقول ومن الله أستمد العون :

كانت المدارس فى العالم الإسلامى ومنها الأزهر تتضمن دراسة علوم شتى من العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية والعلوم الطبيعية "التطبيقية" يقول د . سعد مرسى أحمد ورفيقه عن المدرسة الفاضلية ما يلى :

"المدرسة الفاضلية : نسبة الى القاضى الفاضل ، بناها سنة ٥٨٠ هـ . ولهذه المدرسة شهرة فى التاريخ ، ومرجع ذلك الى المكتبة العظيمة التي

الحقها القاضي الفاضل بهذه المدرسة وجمع فيها من كتب العصر الفاطمي  
وحده مائة ألف مجلد !

وإذا كان المفروض في المدرسة في ذلك الوقت أن تكون مركزا للعلوم  
الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها ، إلا أن الأمر تغير بعد ذلك حيث  
دخلتها علوم أخرى ، كالنحو والفلسفة والعلوم الطبيعية \* (١)

وأما الأزهر فقد كانت تدرس فيه العلوم الطبيعية - التي كانت سببا  
للتقدم المادي للفربيين - منذ تأسيسه في عهد الدولة الفاطمية \* العبيدية ،  
ثم في عهد الأيوبيين ، ثم في عهد المماليك قل المشتغلون بها .

يقول د . أحمد شلبي ورفيقه عن الأزهر في عهد العبيديين :  
" . . . وتستطيع أن نتبين من تاريخ علماء الأزهر ومن مؤلفاتهم علوم -  
أخرى كانت ترس به مثل المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك والميكانيكا  
لأن الفاطميين كانوا مشغوفين بالعلوم ، وهم الذين أنشأوا في القاهرة  
مرصدا ودارا للحكمة ، ومكتبة حافظة يقال أنها تضم مائة ألف كتاب في صنوف  
المعرفة ، منها ستة آلاف كتاب في الطب ، وكسرتان سماويتان أحدهما -  
من الفضة يقال أنها من صنع بطليموس ، ومنها خريطة جغرافية على الحرير  
فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وحارها ومدنها وأنهارها . . . " (٢)

ويذكر د . سعد مرسى أحمد ورفيقه أن الأزهر في عهد الأيوبيين ! قد  
بدأ بدراسة الفقه على المذاهب الأربعة ومعظم العلوم الحديثة كالحساب ،  
والهندسة والفلك مما أكسب الأزهر أهمية كبرى وشهرة في العالم الإسلامي  
أجمع . (٣)

ويحدثنا د . أحمد شلبي ورفيقه عن الأزهر في عهد المماليك فيقول :

( ١ ) تاريخ التربية والتعليم : ١٦١ .

( ٢ ) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .

( ٣ ) تاريخ التربية والتعليم : ١٨٢ .

" وكان أول ما درس في عهد المالكي من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعي ثم أدخلت المذاهب الأخرى .

يضاف إلى ذلك تدريس العلوم الدينية كلها ، وتدرّس العلوم بالوسائل التي تساعد على تفهمها واتقانها مثل النحو والصرف والبلاغة ، وتفوق فيها كثير من العلماء مثل عز الدين بن عبد السلام ، والسبكي ، والقراق ، وابن هشام والسيوطي والزيلعي وابن حجر .

على أن العلوم الرياضية وغيرها من العلوم كانت تدرس مع العلوم الدينية والعلوم الوسائل ، وإن كان المشتغلون بها قلة " (١)

ومن الدلائل التي تدل على أن الأزهر كان يشتمل على تدريس كافة العلوم غير ما ذكرته اللائحة التي رفعتها الشيخ مصطفى محمد العروسى إلى الخديوى اسماعيل عام ٢٨٢ - ١٨٦٤ م . وكان مما تضمنته قوله :

"... إذا كان الأزهر قد كسب شهرة عالمية بأنه مشحون بالعلماء المختصين والفضلاء الراسخين في كل علم من العلوم الشرعية والعقلية والرياضية " والحال الآن بخلاف ذلك فعلاً... فقد وجب العمل على إعادة ما كان للأزهر من فضل في مثل هذه المجالات العلمية... " (٢)

ومن الدلائل أيضاً على اهتمام الأزهر بتدريس العلوم الطبيعية "التطبيقية" ضمن ما يدرسه لتلاميذه أن الجبرتي أورد في كتابه عجائب الآثار أسماء أشخاص كثيرين نبغوا في هذه العلوم بالنسبة لعصرهم .

" فمنهم العلامة " رضوان أفندى الفلكى " المتوفى عام ١٢٢٢ هـ (١٧١٠ م) ومنهم العلامة " رمضان ابن صالح بن عمر السفطى الخوانكى الفلكى المتوفى عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م) .

ومنهم العلامة " جمال الدين بن يوسف الذى قال عنه الجبرتي بأنه توجهت همه للعلوم الرياضية كالبهئة والهندسة والحساب والرسم . " (٣)

(١) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .

(٢) تاريخ التربية والتعليم : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) عجائب الآثار : ١/١٣١ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

لترجمة كل من رضوان ، ورمضان وجمال الدين على التوالى .

ومنهم العلامة عبد السلام أفندي المتوفى عام ١١٩٢ هـ (١٧٧٨) الذي قال عنه الجبرتي بأنه كان له تعلق بالرياضيات وقرأ على والد الجبرتي أشياء في ذلك واقتنى آلات فلكية نفيسة بيعت في تركته . (١)

ومنهم العلامة عبد الله بن خزام الفيومي الذي توفي عام ١١٩٤ (١٧٨٠ م) وذكر الجبرتي أن له معرفة تامة بالفنون الغربية كالفلك ، والهيئة ، والميقات وعنده آلات في ذلك . (٢)

ومنهم والد الجبرتي الذي قال عنه " درس أشكال التأسيس في الهندسة وتحرير أقليدس ، والمتوسطات والبادئ ، والفايات والاكر وعلم الارتماطيقسى والجغرافيا وعلم المساحة " (٣)

فلما تولى أمر مصر محمد علي باشا أراد أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر لكنه خشي معارضة الأزهريين فصرف النظر عن ذلك وأنشأ نظامه التعليمي الحديث ، وهكذا انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث (٤)

ولذا أهمل الأزهر والكتاتيب لأنهما لا يستطيعان مده بالقوى البشرية المطلوبة كما تصور بل أنه لم يقف عند هذا الحد إذا كان يتحين الفرص للنيل من الأزهر ورجاله فصادر الأرض الموقوفة على الأزهر .  
يقول " فولزر " :

" لم يتردد محمد علي في أن يصادر الأرض الموقوفة على الأزهر وهي واسعة الرقعة بالرغم من أنها موقوفة عليه . وذلك أوقع أضرارا بليغة بالأساتذة والطلاب . (٥)

( ١ ) عجائب الآثار : ٥٢٨ / ١ ، ٥٢٩ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٥٦٣ / ١ ، ٥٦٤ .

( ٣ ) نفس المصدر : ٤٥٣ / ١ .

( ٤ ) تاريخ ونظام التعليم في مصر : ٧٩ .

( ٥ ) تاريخ التربية والتعليم : ٢٤٨ .

وقد كان لمصادرة الأراضى الموقوفة هذه أثر سى على الأزهر فقد قل عدد الطلاب الذين كانوا يؤمنون الأزهر خاصة الذين ينتمون الى الأروقة وهذا بالتالى ينعكس أثره على المجتمع كله فى التخصصين فى العلوم الإسلامية .

يوضح ذلك ما قاله "لين" الذى وفد الى القاهرة بعد مصادرة الأراضى ان يقول :  
 "... انه بعد أن نزع ملكية الأراضى التى كانت مطوكة للأزهر ، قل عدد الطلبة الذين ينتمون الى الأروقة قلة ظاهرة . " (١)

وجاء عهد اسماعيل باشا الذى كان مستغنيا فرأى أن يحارب الأزهر عن طريق عزله عن المجتمع بقصر الدراسات فيه على الدراسات الشرعية واللفوية ان أصدر قانونا بتنظيم الأزهر عام ١٨٧٢ م ونصت الفقرة "ب" منه على ما يلى :

" تحديد الدراسات التى تعطى بالأزهر باحدى عشرة مادة هى :  
 الفقه والأصول والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والمنطق " (٢)

واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ م فى عهد الخديوى اسماعيل باشا ، آنف الذكر وحاربوا الأزهر بطريقة مكرة غير مباشرة وذلك بإنشاء المدارس الحكومية التى يتخرج منها الطلاب فتعينهم الدولة فى وظائفها العامة دون طلاب الأزهر هذا يقل عدد الطلاب الذين يتجهون الى الأزهر

---

( ١ ) تاريخ التربية والتعليم : ٢٤٩٠ .  
 ( ٢ ) تاريخ نظام التعليم فى مصر : ١٠٥ والأزهر تاريخه وتطوره : ٢٤٦  
 وفيه أن الشيخ المهدى هو الذى استصدر القانون من الخديوى .



يقول الاستاذ محمد قطب :

" وكان هدم الأزهر بطريقة مباشرة أمر ألا يفكر فيه الاستعمار البريطاني بطريقة المطوية البطيئة الماكرة ، فقد رأى كيف كانت حماقة الفرنسيين من قبل أيام الحملة الفرنسية ، حين استباحوا الأزهر لخيولهم ، سببا مباشرا من أسباب ثورة الشعب ، ورأوا كذلك كيف كانت حملات التبشير التي تهاجم العقيدة الإسلامية مهاجمة مباشرة تؤدي الى عكس المطلوب منها ان تنبه المسلمين للخطر ، وتزيد هم استئساكا بالاسلام . " (١)

ثم يقول :

" لم يكن الأمر في حاجة الى مزيد من الاغراء . فمن ذا الذي ييمت بابه بعد اليوم الى الأزهر - الا الفقراء العاجزون عن دفع الصروفات - وهو يرى له المستقبل المضمون في وظيفة الحكومة ، حيث يرطن بلفة السادة المستعمرين ؟

وانصرف الناس - القادرون - من ذوات أنفسهم عن الأزهر واتجهوا الى مدارس الحكومة بعد الثورة الأولى التي ثارها الحس الباطني المسلم على هذه المدارس " الكافرة " التي لا تعلم القرآن ولا تعلم الدين . . وأصبح هؤلاء المتعلمون طبقة جديدة ، تستمد طبقيتها من أنها من أبناء الأسر أولا ، ومن مركزها الاجتماعي في وظيفة الحكومة ثانيا . . ومن التشجيع الظاهر والخفي الذي تلقاه من سلطات الاستعمار بعد هذا وذاك . " (٢)

ولعل أعظم من تجراً في القرن الماضي على الأزهر وتعاون مع الانجليز على ما سعى بتطويره وتجديده هو <sup>خريجا الشيخ</sup> محمد عبده ، شعورا منه بالنقص ، وقد حقق أهداف المستعمرين من فتح المجال أمام كل داع لا صلاح الأزهر على الطريقة التي يراها ولذا نجد أن المستشرقين يثنون عليه في عمله هذا .

( ١ ) هل نحن مسلمون : ١٣٥ ، ١٣٦ .

( ٢ ) نفس المصدر : ١٣٦ ، ١٣٧ .

ويكفي أن تعرف مقدار اعزاز محمد عبده للأزهر إذا علمنا أنه كان يطلق عليه "الاسطبل" ، المارستان ، المخروب " ، وأنه اعترف أنه مكث عشر سنين في منزل من دماغه ما طق به من وساخة الأزهر . كذا !!!

يقول الشيخ رشيد رضا :

" ولقد كان على شدة عنايته بالأزهر وأهله والدفاع عنهم وبالمغتسله في تكريمهم ، شديد الاحتقار لهم في نفسه ، الأفراد منهم - وكان للأزهر عنده ثلاثة القاب يطلقها عليه المرة بعد المرة أمام بعض الخواهي ، عند شدة تألمه من فساد حالهم ، وهي : الاسطبل ، والمارستان ، والمخروب (بهذا اللفظ المعاصر) " (١)

" وقد أجاب محمد عبده للشيخ محمد الحمري على جملة ما أتت قد تعلمت في الأزهر بقوله الدكان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكر فإني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكس من دماغي ما طق به من وساخة الأزهر وهو الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة " (٢)

وليت الشيخ محمد عبده سلك الطريق السليم للإصلاح المنشود للأزهر لكان لدعوته أثر جيد لإصلاح الأزهر والإصلاح السليم ، ولكن أن ينتهج الشيخ محمد عبده هذا الأسلوب فلا ريب أن الشيخ محمد عبده كان يتطك شعور بالنقص لتخرجه من هذا المعهد الاسلامي المتيد .

وقد سر المستعمرون من رجال الادارة الانجليز في مصر والمستشرقون لهذا الطريق الذي انتهجه الشيخ محمد عبده وشجعوه حتى أصبح له تلاميذ سلكوا نفس الطريق .

(١) تاريخ الاستاذ الامام : ١ / ٤٩٥ .

(٢) الفكر الاسلامي المعاصر : ٣٤ ، ٣٥ .

وأكتفى هنا بذكر ما قاله " جب " عن محمد عبده وتلاميذه وطريقهم في الإصلاح :

" ان تلامذته الحقيقين يمتزجون بالصفوف التي أنشئت انشأاً أوروبياً وينضمون للحلقات العلمانية . . . ومن ناحية أخرى نجد الشيخ محمد عبده قد صنع جسراً فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي عن التعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الذي عزا الشرق من الغرب " (١)

وانتهى الاستعمار وجلّى عن مصر بجيوشه العسكرية ولكن بقي من يخلفه وللاسف في الدعوة الى طمعة التعليم وما سعى بتطهير الأزهر واصلاحه ، فقد دعا طه حسين في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " الذي ألفه عام ١٩٣٦ الى ما يلي :

- ١- تطوير تدريس الأزهر للغة العربية لأن تدريسه لها غير مجدى .
- ٢- اشراف وزارة المعارف على التعليم الاوّل والثانوى الأزهرى .
- ٣- ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم الوطنية والقومية الاوربية .
- ٤- صياغة طلاب الأزهر صياغة أوروبية .

ومن الأفضل أن أنقل آرائه والتي سطرها بنصوصها لأنها ذات دلالة واضحة لا تحتاج الى جهد في فهم مغازيها . ومن الأمور الطغية للنظر فى أفكار هذا الرجل أن الصراع ومشتقات الصراع بين القديم والحديث هي نقطة الارتكاز لأفكاره فهو يناصر الحديث باطلاق ضد القديم بالطلاق .

يقول :

" . . . وقد استبقينا الأزهر الشريف نفسه . ولكن أزمة الأزهر الشريف متصلة منذ عهد اسماعيل أو قبله ، ولم تنته بعد ، حتى تنتهى الى مستقر لها في يوم من الأيام " (٢)

( ١ ) الاتجاهات الحديثة في الاسلام : ٨٤ .

( ٢ ) مستقبل الثقافة في مصر : ٣٣ .

يقول في دعوته الى اصلاح تعليم اللغة في الأزهر ما يلي :

"... وأغرب من ذلك وأشد منه خطراً أن المشرفين على الأمور في مصر والمشرفين على التعليم خاصة يؤمنون فيما بينهم وبين خاصتهم إذا خلوا اليهم بأن احتكار الأزهر للإشراف على اللغة والقيام دونها يضر أكثر مما ينفع ويفسد أكثر مما يصلح ، لأن الأزهر لم يتهماً بعد للنهوض بهذه المهمة الخطيرة حسب ما تقتضيه الحياة الحديثة . فلا هو إلا زهر - كسب من حرية الرأي ، ولا هو - حصل من العلم الحديث ، ولا هو عرف من اللغات السامية ، ولا هو أتقن من <sup>فلسفاته ولا دأبها ولا يؤهلها لهذا الإشراف ، فصر عنه أن يجعل خزانة</sup> علوم اللغة إشرافه - على اللغة العربية - نافعاً مفيداً" (١)

يقول :

"يجب إذاً أن : عرض عن هذه الأسطورة التي بعد طيها العهد وأخنى عليها الذي حتى على اليد ، وأن ننظر الى اللغة العربية نظرة مدنية صريحة \* وأن تعالج أمورها كلها على هذا النحو ، في غير تردد ولا اضطراب وفي غير خوف ولا اشفاق !!

اننا انتهينا الى عصر يجب أن تكسده فيه سوق التجارة باتهام الناس بالخروج على الدين !!" (٢)

يقول أيضا :

"... فقد أحس المشرفون على شئون التعليم منذ أكثر من نصف قرن أن تعلم اللغة العربية يحتاج الى كثير من العناية ، ليصبح ملائماً للتقدم الذي ظفرنا به في التعليم المدني ! وأحسوا أن الأزهر لا يستطيع أن ينهض بهذه المهمة لمكانة حينئذ من المحافظة ، والامتناع على التجديد ، والمعجز عن أن يساغ العلم الحديث ، عن أن يقبل التفكير فيه" (٣)

\* أي نظرة علمانية لا ترتبط بالدين ، أي لا ترتبط بالقول أن اللغة العربية أداة للفكر الاسلامي وجزء رئيس من أجزاء الاسلام .

(٢٤١) مستقبل الثقافة في مصر : ٢٣٢ ، ٣٤٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢٧٨ .

ويقول في الدعوة الى اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى والثانوى الأزهرى ما يلى :

" ولا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر الى الملازمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث . والنتيجة الطبيعية لهذا أننا اذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهرى الخالص ، ولم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة ، عرضناهم لأن يصابوا صيغة قديمة ، ويكونوا تكويناً قديماً ، واعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التى لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التى تقوم فى سبيلهم حين يرشدون وحين ينهضون بأعمال الحياة العظيمة . فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقضيان اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى والثانوى فى الأزهر " (١)

وهو بهذه الدعوة يقصد الى أن لا يكون للأزهر اشراف على شئ من التعليم العام ولكن لماذا ؟ لأن العقلية الأزهرية قديمة - أى محافظة - وسوف يصاغ التلاميذ صياغة فكرية قديمة أنبقى الأزهر بمعزل عن اشراف وزارة المعارف .

أما دعوته الى ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم التوجيه والوطنية فيمثلها قوله :

" ... شئ آخر لا بد من التفكير فيه والطلب له ، وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من المسير على الجيل الأزهرى الحاضر اساغته الوطنية والقومية بمعناها الأوروى الحديث .

وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث الى المسلمين من طريق الراديو فى موسم من المواسم الدينية فيعلن اليهم أن محور القضية يجب أن يكون القبلية الطاهرة . وهذا صحيح حين يتحدث شيخ من شيوخ الأزهر المسلمين الى المسلمين ، ولكن الشباب الأزهريين يجب أن

يتعلموا في طفولتهم وشبابهم أن هناك محور الوطنية التي تحصرها الحدود الجغرافية الضيقة لأرض الوطن\* ولست أرى بأساً على الشيخ الأكبر ولا على زملائه من أن يتصوروا القومية الإسلامية كما تصورهما المسلمون منذ أقدم العصور إلى هذه الأيام . ولكن هناك صورة جديدة للقومية الوطنية قد نشأت في هذا العصر الحديث ، وقامت عليها حياة الأمم وعلاقاتها ، وقد نقلت إلى مصر ما نقل إليها من نتائج الحضارة الحديثة . فلا بد أن ندخل هذه الصورة الحديثة في الأزهر وهي إنما تدخل فيه من طريق التعليم الأولي والثانوي على النحو الذي رسمناه والطريقة التي رسمناها وإشراف السلطان العام\* (١)

وأما دعوتى إلى صياغة طلاب الأزهر صياغة أوروبية فيمضه قوله - معرضاً بمن ساهم رجال الدين الأزهريين المتأثرين بعقلية القرون الوسطى - ما يلي :

"... والشركل الشرأ أن يتحدث رجل الدين إلى الناس فلا يفهمون عنه لأنه "قديم" وهم "محدثون" . وان يتحدث الذسالى "رجل الدين" فلا يفهم عنهم لأنهم "محدثون" وهو "قديم" . ولا ينبغي أن يفتر الأزهر لأن الناس يسمعون له الآن ويفهمون عنه بعض الشئ فكترة المصريين لا تزال متأثرة بعقلية القرون الوسطى . ولكن طبيعة الحياة ستخرجها غداً أو بعد غد عن هذا الطور وستصوغ الأجيال الناشئة والأجيال المقبلة صيغة أوروبية فلا بد أن يجارى الأزهر هذا التطور ليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجدى وأقوى من اتصاله بالأجيال الماضية والأجيال الحاضرة" (٢)

وهو بهذه الدعوات يحقق ما تمناه المستعمرون الانجليز - رغم أنه ليس من خريجه الأزهر - الذين كان يتمنى كرومر أن يتم على أيديهم تحقيق ما أسماه بتطوير الأزهر\* (٣)

---

\* انظر كيف انحسر مفهوم الوطن عند المستغربين بعد أن كانت كل أرض المسلمين وطناً للمسلم .

(١) المصدر السابق : ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) مستقبل الثقافة في مصر : ٣٥٢ .

(٣) اساليب الغزو الفكرى : ٦٢ ، ٦٣ لمعرفة ما قاله كرومر .

وفى عام ١٩٦١ صدر قانون تنظيم وإصلاح الأزهر الذى بموجبه أدخلت  
فى كلية الشريعة دراسات مقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة وبين  
الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ، وزادت العناية بالدراسات القانونية<sup>(١)</sup> .

والمقارنة بين الشريعة الإسلامية التى نزلت بالوحي الى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من رب الناس العالم بما يصلحهم ، وبين القوانين الوضعية  
التى وضعها البشر الناقصون تنبى " عن تساوى الشريعة والقوانين الوضعية  
عند من يقربها المقارنة ، ولا ريب أن الناقص لا يساوى الكامل ، وما يصدر  
عن الناقص من قوانين وتشريعات ، لا يساوى ولا يوازي فى كماله وشموله ما  
أنزله الله سبحانه وتعالى من تشريع على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم .  
وهكذا استطاع المفسدون الوصول الى أهم معقل من معاقل الاسلام وهو كلية  
الشريعة ليدخلوا فيها ما يراحمها من قوانين البشر الناقصة لتدرس للطلاب  
كما يدرس لهم تشريع الله سبحانه وتعالى .

هذا ما كان بالنسبة للأزهر وهو أحد المعاقل الإسلامية المتبقية  
وأشهرها ، فمأذنا كان بالنسبة للمدارس الأخرى فى البلاد الإسلامية ؛  
فى مصر كان للاستعمار البريطانى مخطط رهيب وضعه " دنلوب " وتابع  
تنفيذه حتى أدى أغراضه فخرج البريطانيون وقد اطمأنوا الى أنهم ربوا جماعة  
تقوم بتنفيذ التفريب كاملاً بعد رحيلهم .

وهذه أهم معالم مخطط دنلوب التى وضعها ونفذها فى المدارس الحكومية :

١- تخريج أعداد من العبيد الذين يؤمرون فيطيعون دون مناقشة أو على  
الأقل كترجيح مضمين .

٢- قتل روح الابتكار فى نفوس التلاميذ ليستمر المجتمع الإسلامى فى مصو  
وغيره عالية على الغرب فيما يحتاج الى ابتكار .

( ١ ) الأزهر تاريخه وتطوره : ٤٧٠ .

٣- قتل روح الانتماء الى الامة الاسلامية وربط التلاميذ بأوروبا عامة وبريطانيا خاصة .

٤- اهمال تعليم القرآن وطوم الدين عموماً عن طريق وضع حصص القرآن والدين في نهاية اليوم الدراسي ، وايكال تدريسها الى أسسدرس .

٥- تدريس التاريخ الاسلامي بصورة مشوهة تؤدي الى قناعة التلاميذ بأنه قد انتهى دور الاسلام .

٦- محاربة اللغة العربية عن طريق خفض مراتب مدرستها .

٧- ابطال الكتب القديمة التي كانت تربي في الشباب المصري الذاتية .

٨- محاربة التعليم العالي .

هذه هي أهم المعالم في سياسة د تلوب التعليمية .

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب في توضيح الفقرة الأولى من هذه

المعالم :

"... كان الغرض الدلوي تخريج طبقة من الشبان تصلح لأن تكون في دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رؤوس انجل يزية وهسير بها في خطط لم يكن معروفًا الى أين تؤدي ، والواقع أنها تؤدي الى جعل مصر بلاداً دولياً (انترناشيونال) " (١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن هذه الفقرة :

"... وما كان الانجليز في ذلك الحين يجهلون أصول التربية الصحيحة

ولا وسائل التعليم الحقة . ولا كانت مدارسهم في انجلترا تدار بأساليب

العبدودية التي كانوا يديرون بها مدارس الحكومة في مصر . ولكن السياسة

التي رسمها د تلوب لم تكن تهدف الى تخريج متعلمين ، وإنما تهدف الى

تخريج عدد من العبيد يؤمرون فيطيعون ، ويشار اليهم فينفذون " (٢)

( ١ ) التربية ونا الأجيال : ٨٢ .

( ٢ ) هل نحن مسلمون : ١٣٧



" وفي تلك المدارس كان الناظر الانجليزى يحيط نفسه بجو من القداسة والرهبة كأنه اله يعبد ، ويسرى في النقوس منه الرب ، وتتوجه اليه القلوب بالتوقير والتقديس ، وكانت تلك خير وسيلة - لا للتربية - وانما لزرع العبودية في النفوس " . (١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن قتل روح الابتكار في نفوس التلاميذ :  
 "... وفي تلك المدارس كان يدرس المقرر في صورة واحدة ، من كتاب واحد مقرر وما كان الانجليز يجهلون ان الصورة الواحدة المحددة تحدد تفكير الطالب في صور متعددة ومن زوايا مختلفة ، فيقود الذهن على التحويل والتبديل ، وينشأ من ذلك الابتكار والتطوير . وقد كانت مدارسهم في إنجلترا - في ذلك الوقت ذاته - تربي تلاميذها على أن يطلعوا على الموضوع الواحد في مزار مختلفة فيترى فيهم حب الاطلاع ، من ناحية ، والقدرة على الابتكار والاختراع من ناحية - ثم يمتحنون فيما استفادوه عن دراستهم لا فيما حفظوه عن ظهر قلب ولكنهم - في مصر - كانوا يحدون الأفهام والعقول خوفا من أن تنشأ فيها القدرة على التفكير ! ... " (٢)

ويتحدث الأستاذ أنور الجندى عن قتل روح الانتماء الى مصر والامة الاسلامية التي تعد مصر جزءا منها فيقول :  
 "... كما أنشأ جيشا ضخما من الانجليز حملة الشهادات الأهلية للعمل بالمدارس المصرية . وفق خطة مكره لخلق شعور عام بكمراهية تاريخ المسلمين ولغتهم وشارة الشكوك حولهما ولعن روح الوطنية في الشباب المصري والقضاء على حماسهم ، وقد داسوا على كل عاطفة وطنية واضلهدوا كل شاب أظهر ميلا أو عاطفة نحو دين أو وطن ، وأنشأوا نظاما للتجسس في المدارس يطاردون به الشباب الولي ، وهرموا على كل مدرس مصرى أن يتحدث عن تاريخ مصر أو تاريخ العرب أو تاريخ الاسلام بما يبرز عظمة أمتنا .

هل  
 (١) نحن مسلمون : ١٣٨  
 (٢) هل نحن مسلمون : ١٣٧ ، ١٣٨

وكان أهم ما يقال أن مصر بلد زراعى ، وأنها ظلت محتلة طوال تاريخها بالفرس والرومان والأتراك وأنها لن تحكم نفسها أبدا . . . (١)

ومعنى هذا أن تاريخ الاسلام فى مصر كان تاريخ احتلال والمسلمون الذين استوطنوا مصر كانوا محتلين بالفرس والرومان .

ويقول الأستاذ محمد قطب عن ذلك :

” . . . وفى تلك المدارس كان يلحق التلاميذ أن مصر بلد متأخر لأنه زراعى لا يمكن أن تنشأ فيه الصناعة - عنوان التقدم - لأنه ليس فيه فحم ولا حديد . وأن أوربا على وجه العموم وانجلترا بصفة خاصة بلاد متقدمة لأنها بلاد صناعية لأن فيها الفحم والحديد . . . (٢)

وعن تدريس القرآن وطوم الدين عموما ، ونصيهما من الجدول الدراسى والوسائل التى اتبعت فى محاربة تدريسها يقول الأستاذ محمد قطب :

” . . . وفى تلك المدارس لم يكن يدرس القرآن ولا الدين - الا نتفا متنافرة تضر أكثر مما تنفع . فبينما كانت المدارس التبشيرية التى يحميها الاستعمار ويمكن لها فى الأرض تبدأ نشاطها اليومى بالصلاة فى كنيسة المدرسة والتوجه الى الله بالدعاء المسيحى - بما فى ذلك التلاميذ المسلمون قسرا عنهم - فيرتبط الدين فى وجدان التلاميذ بالنشاط والتطلع ، والحياة الباكورة القوية المستشرقة ، كانت حصص القرآن والدين فى مدارس الحكومة توضع فى نهاية اليوم الدراسى ، وقد كل التلاميذ وطوا وحتوا الى الانفلات من سجن المدرسة البغيض الى فسحة الشارع أو رحب البيت ، وكانت هذه الحصص توكل الى أسن مدرسين فى المدرسة يعمل ويتغفل ، ويمثل أمام التلاميذ ضعف الحياة الفانية المنهارة . . . فيرتبط الدين فى وجدانهم بالعجز والفناء والشيخوخة كما يرتبط بالطل والضجر والنفور . . . (٣)

(١) التربية وبناء الجيل : ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٨ .

(٣) نفس المصدر : ١٣٨ ، ١٣٩ .

هذا يحقق دلوب هدفه ان ينال في أذهان التلاميذ المسلمين الذين يدرسون في مدارس الحكومة أن الدين الاسلامي دين العجزة والخابثين في حين يرتبط في أذهان التلاميذ الذين يدرسون في المدارس الأجنبية ان الدين النصراني دين النشاط والحيوية .

أما عن أسلوب هذه المدارس " الدلوية " المسماة " وأخية " - ففي تدريس التاريخ الاسلامي فيوضحه الأستاذ محمد قطب أيضا ان يقول +  
 " . . . وتوسعت سياسة دلوب ، فأنشأ بضع مدارس ثانوية تخمس  
 المواجهة للصليبية خطوة الى الامام .

مدارس تسير على النهج ذاته في كل شيء . . . ولا تدرس شيئا عن حقيقة الاسلام ! .

فما التاريخ الاسلامي الذي يدرسه التلاميذ ؟

نزل الاسلام : = ١ - في قوم وثنيين يعبدون الأصنام فدعاهم الى عبادة الله الواحد . ٢ - وكانوا يئذون البنات فنهاهم عن ذلك . ٣ - ثم دعاهم لنشر الدعوة فكانت الغزوات والفتوح التي انتهت بانتشار الاسلام في البقاع التي يوجد فيها اليوم ! .

ومن ثم يكون الاسلام منتهيا قد فرغت مهمته ولم يعد له مهمة يؤدى بها في واقع الحياة ! .

فأولا : لم يعد هناك أولئك الوثنيون عباد الأصنام الذين يدعاهم الاسلام الى عبادة الله الواحد (وقد حجب الاستعمار افريقيا وقاعا شاسعة من آسيا ) .

وثانيا لم يعد أحد يئذ البنات حتى يحتاج الى دعوة الاسلام للقضاء على هذه الفعلة الشنيعة .

وثالثا : نشر الدعوة - أو الجهاد - قد توقف بحكم الظروف الدولية الحديثة ولم يعد له محل في العالم الحديث \* (١)

أما بالنسبة لخطة د تلوب في محاربة اللغة العربية فقد تمثلت في الحط من قيمة مدرسي اللغة العربية عن طريق جعل مرتباتهم أقل من غيرهم وليودى هذا الى قلة الاقبال على التخصص في اللغة العربية فيقل عدد مدرسيها ومن ثم يوكل تدريسها الى من ليس متخصصا فيها فتكون النتيجة ضعف المستوى اللغوي للطلاب ومن ثم الشك في عامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتكون نذرة المجتمع لمدرسي اللغة العربية نظرة فيها شئ \* من عدم الاحتمال انهم ليسوا مساهمين لغيرهم في المرتب ومنهم مدرسو اللغة الانجليزية - وهذا يرمز الى عدم أهميتهم ومن ثم أهمية المدرسون يقول الأستاذ محمد قطب في توضيح ذلك :

" - ولم يكن ذلك كل شئ \* في سياسة د تلوب القسيس . لقد كانت اللغة العربية - وما تزال - مرتبطة بالاسلام في نفوس المسلمين العرب منهم وغير العرب سوا \* .

فلا بد اذن من تحقيرها والزرية بها ، حتى تنتقل الزرية والتحقير - بالطبيعة - الى ما يرتبط بها من معاني الدين .

وليكن شخص معلم اللغة العربية هو موضع الزرية والتحقير . . . فحينما يقبض مدرس اللغة الانجليزية أو الجغرافيا والتاريخ أو الرياضة اثني عشر جنيها كاطمة في الشهر تساوى في ذلك الزمان الحياة الرغيدة والرمز الذي تتكون منه ثروات وأراضى وموت . . . يقبض زميله مدرس اللغة العربية الذي يقوم بالعمل معه في نفس المدرسة ، ويأخذ جولا مماثلا من الحصر أو أكثر . . . أربعة جنيها ! \* (٢)

( ١ ) هل نحن مسلمون : ١٣٩ ، ١٤٠ .

( ٢ ) هل نحن مسلمون : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ويقول الأستاذ أنور الجندى عن ذلك :

"... وفى مصر صور هذا الموقف الأستاذ محمود أبو العيون تصويراً دقيقاً ، فأشار إلى الدور الذى قام به القس د وجلاس د نلوب المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف وكيف اضطلع مدرسى اللغة العربية ورجالها وهاجم لابسى العمائم وحرص على الفاء كل المقررات والكتب التى كانت تدرس قبل الاحتلال واستبدلها بأخرى تختلف من حيث القضاء على روح الوطنية والرابطة العربية والاسلامية واستهدف من ذلك اضعاف اللغة العربية ثوطة للقضاء على القرآن ."

وأشار لورد د وفلين فى تقريره عام ١٨٨٢ الى هذا الاتجاه فقال ان أمل التقدم ضعيف فى مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية - لغة القرآن - كما فى الوقت الحاضر .<sup>(١)</sup> وتعاون مع المستعمرين أناس من أبناء جلدتنا ويتكلمون لغتنا من أبناء المسلمين ، فقد عارض سعد زغول حين كان ناظراً للمعارف تدريس العلوم باللغة العربية حين نوقشت هذه القضية فى الجمعية التشريعية وكانت حجة فى هذا أنه لا يوجد معلمون يقومون بهذه المهمة ولا كتب تشتمل على هذه العلوم وليس بالامكان ايجاد ذاك سريعاً<sup>(٢)</sup> وكان من مكملات المخطط الدلوى ومقتضيات نجاحه الفاء كافة الكتب التى كانت تدرس فى المدارس وترهى فى الشباب روح الذاتية والاستقلالية الاسلامية .

"وقد كشفت جريدة المؤيد (٢٥ يوليو ١٨٩٩) عن نماذج من هذا العمل وقالت ان هذه الكتب كانت معارضة لهدفه من الوجهتين الدينية والسياسية وذلك بايرادها قواعد الاسلام واركانه مصححة بالحكم والايات والقرآن والاخبار التى تحت على حب الوطن والتعاون واصلاح ذات البين وفى سبيل اعدام هذه الكتب أعلن د نلوب أن مثل هذه الكتب غير وافية بحاجات التلميذ

(١) الفصحى لغة القرآن : ١١١ .

\* لا يوجد فى القرآن ولا فى السنة الحث على حب الوطن وانما الوارد فى القرآن والسنة ان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٢) المصدر السابق : ١٦٢ ، ١١٢ .

وأوعز الى بعض المدرسين الموالين له بأن يضعوا كتباً بدلالة لها تضم خرافات لا فونتين وقصص مترجمة لا تمثل الروح العربى وتتعارض مع الذوق الاسلامى . وقد قدمت هذه الكتب فى أسلها نازل وعارة سقيمة . وأشارت المؤيد الى أن الشيخ حمزه فتح الله ناضل فى سبيل احباط رأى د نلوب فأعلن الاخير أن كل كتب المطالعة يجب أن تخلو تماماً من كل ما له صلة بالدين \* (١)

وقد حرص كرومر ود نلوب على عدم نشر التعليم العالى وقاوما ذلك وقد سجل ذلك كرومر فى تقريره حين قال عام ١٩٠٢ :

" . . ان الجلترا لا تريد نشر التعليم العالى فى مصر وأنها لا تريد الا اعداد جمهور من طبقة الاثغندية ليشغلوا الوظائف الثانوية فى الحكومة وأن المصريين لا يصلحون للمعلوم العالمية ، وأن زيادة التعليم تصرف عن فلاحه الأرض وتمود على مصر بالافلاس " (٢)

لقد كان وما زال "مخطط د نلوب فى التعليم فى مصر آثار سيئة تمثلت فى الأجيال المنحرفة التى تخرجت من المدارس التى أشرف د نلوب عليها ووضع خططها . وكان أسوأ الآثار أنها جعلت الشباب الذى تخرج فى هذه المدارس يشعرون بأن الاسلام شى \* أجنبى عنهم .

يقول الشيخ محب الدين الخطيب :

" هذه الطريقة الدنلمية كانت لا تغنى بتخريج أبنا \* مصر العربية المسلمة تخريجاً عربياً مسلماً ، ان الطريقة الدنلمية علمت شباب مصر أن العروبة والاسلام شى \* أجنبى طراً على مصر واحتلها كاحتلال الفرس والبطالسمة والرومان والانجليز ، مع أن العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر بل هما مصر منذ نحو أربعة عشر قرناً الى الآن .

ان التعليم الدنلمى فى المدارس الثانوية أهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام واهجاء الاسلام ، فخرج لنا أبنا \* مجردين من سلاح الفضائل الاسلاميه (٣)

(١) التربية وبناء الأجيال : ٦٩ .

(٢) نفس المصدر : ٦٧ .

(٣) نفس المصدر : ٨٢ ، ٨٣ .

ويقول أحد الباحثين عن آثار سياسة د نلوب :  
 " أن المستر د نلوب سلك طريقاً أطول فأراد أن يكتسب أولاً قلوب الأقطال  
 وانتظر ثلاثين عاماً يضع في رؤوس التلاميذ ما يريد ، ويضع عنها ما يريد ، إلى أن  
 تخرج من وزارة المعارف الجيل الأول والجيل الثاني ، فلما صارت مقاسمات  
 الوزارات وكراسى النيابة والحكم ممثلة بالذين رباهم مستر د نلوب انقلب السحر  
 وطنه واطمأن قلبه على أنه صار لا ورها كل بيت مصرى من يكمل برنامج د نلوب<sup>(١)</sup>

وهكذا أصبحت مقاليد التعليم بيد من تخرجوا من مدارس د نلوب  
 التخريبية ، ومن هنا فقد عورضت هذه السياسة من قبل المفكرين المسلمين  
 ونهم ما قاله هو " لا " فقد يتهمون بالتحيز أو سوء الظن بالانجليز لنقرأ  
 ما قاله " فالتنين شيرول " في كتابه " المشكلة المصرية " الذي كتبه سنة  
 ١٩٢٠ م إثر قيام ثورة ١٩١٩ .

اذ يقول :

" انه مهما اختلف المعيار الذي يمكن أن يستخدم في الحكم على  
 النظام التعليمي الذي أقامه الاحتلال الانجليزي للشباب المصري فإننا  
 نجد أنه لم يهدف إلى خلاص بلادهم ، انه أسوأ نواحي فشلنا " (٢)

بل قال كرومر المعتمد البريطاني في مصر في تقرير له عام ١٩٠٣ م :  
 " . . . في مصر اليوم جيل جديد يختلف عن أجداده في أمور كثيرة ،  
 فيمكن أن تحدثه نفسه يوماً أن يمد إلى تلك الأركان القديمة يد لا تعرف حرمة  
 القديم فتكون أشد عليها من يد حكومة تمدّها اليوم طبعاً لا رشاد قوم لا شأن  
 لهم في الأمر (يعني الانجليز) لأنهم لا يدينون بالدين الاسلامي فإذا كان  
 لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجد ربماً بنا اليوم ان يشرعوا في  
 الإصلاح ويتلافوا الأمر قبل حله " (٣)

وقد حدث ذلك بالفعل فتحقق ما هدف إليه د نلوب وكرومر مثلاً  
 الاستعمار الغربي ، من ازاحة هيمنة الاسلام على مناهج التعليم ، وكان

( ١ ) التربية وهنا الأجيال : ٨٣ .

( ٢ ) تاريخ ونظام التعليم في جمهورية مصر العربية : ١١٨ .

( ٣ ) التربية وهنا الأجيال : ٨١ .

بعض هؤلاء المنقذين من أبناء المسلمين ممن تخرج في المدارس الأجنبية  
ومعظمهم ممن تخرج في مدارس التعليم الوطني الذي وضع مناهجه دتلوب .

وكان لطفه حسين رأى في التعليم العام والتعليم الجامعي بعد أن  
خرج الاستعمار البريطاني من مصر بجيوشه ولكنه خلف أمثال طه حسين ممن  
ينحون عطية التقريب والعلمنة ، أما ما كان يراه في التعليم العام فاكفوا  
هنا بذكر رأيه في تعليم الدين في مدارس الحكومة .  
يقول :

... الواقع أن آراء الناس ومذاهبهم تختلف بالقياس إلى هذه المسألة  
فمن الناس من يريد التعليم مدنيا خالصا ، وأن لا يكون الدين جزءا من  
أجزاء المنهج المفومة له ، على أن يترك للأسر النهوض بالتعليم الديني ، وأن  
لا تقيم من يرى أن التعليم الديني واجب كتعليم اللغة وكتعليم التاريخ القوي ،  
لأنه جزء مؤسس للشخصية الوطنية ، فلا ينبغي إهماله ولا التقصير في ذاته .  
وواضح جدا أن هذا الرأي الأخير هو رأي المصريين وأن من غير المعقول  
أن نطلب إلى المصريين الآن أن يقيموا التعليم العام في بلادهم على أساس  
مدني خالص ، وأن يترك تعليم الدين للأسر (١)

وواضح من الجمللة الأخيرة ، وإن من غير المعقول . الخ . أن الدكتور  
طه حسين كان يعتقد أن الوقت لم يحن بعد للطلب من المصريين إقامة تعليمهم  
على أساس مدني خالص .

ويتابع في بيان رأيه حول تعليم الدين في المرحلة الابتدائية هل يجب  
أم لا ؟

فيقول :

وواضح جدا أن أمر الدين هنا كأمره في الفصل الماضي ، يختلف  
باختلاف النظرة التي تنظرها إليه الدولة ، فإن رأت إقامة التعليم على الفكرة



المدنية الخالصة تركت أمر الدين الى الأسرة ، ولم تقم في سبيله المصاهيب والعقبات ، وان رأت اقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الدينى مكانه فى البرنامج " (١)

وهكذا فى هذه الفقرة تطور الأمر الى أن يقول ان أمر تعليم الدين أو عدم تعليمه موكل الى الدولة ، وعلى هذا فالدولة ان رأت اقامة التعليم على أسس مدنى " علمانى " فلها ذلك وان رأت الدولة اقامة التعليم على أساس أن يكون للدين نصيب جعلت له نصيباً وما على الدولة الا اصدار القوانين بذلك بما أنها دولة وطنية، ثم يقول بعد ذلك :

" وما ينبغى ان نكلف المعلم الاولى تعليم العصبية تاريخ وطنهم وهو يجهل هذا التاريخ " ولا يعرفه الا مشوها منقوصا . وما ينبغى أن نكلفه تعليم العصبية جغرافيا وطنهم ، وهو يجهل هذه الجغرافيا ، ولا يعرف حدود الوطن ولا أقطاره .

وقل مثل ذلك فى اللغة ، وقيل مثل ذلك فى النظام ، وقل مثل ذلك فى الدين إن أردت أن يكون الدين جزءاً آمن التعليم الاولى " (٢)

بهكذا " ان أردت أن يكون الدين جزءاً من التعليم الاولى " وكأن تعليم الدين لا بُدَّ المسلمين فيه مجال للخيار فضلاً عن أن تكون المناهج والمقررات تسير حسب المنهج الاسلامى الصحيح .

وطه حسين فى عرضه لآرائه يعرضها عرضاً محايداً ولا يشعر القارىء بأن له رأياً صريحاً فى الموضوع ولكن القارىء الواعى الذى يعرف مغازى الحديث ومراميه والذى يعرف أسلوب طه حسين فى عرض أفكاره لا يشك لحظة واحدة فى أنه من الداعين الى طمئة التعليم .

---

(١) نفس المصدر : ٨٣ . (٢) نفس المصدر : ٨٧ .

أما بالنسبة للتعليم الجامعى فى مصر فقد أنشئت أول جامعة عام ١٩٠٨ كجامعة أهلية ثم أصبحت حكومية عام ١٩٢٥ م فماذا عن رسالتها فى المجتمع المصرى ، لندع أحمد لطفى السيد أول مدير لها يحدثنا عن ذلك . يقول :

" . . . ومن رسالة الجامعة مساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد فى اللغة ، التجديد فى الفكر والشعر ، التجديد فى نظرة الى الفنون الجميلة والبحث فى وجوه ترقيتها وشيوعها ، ولا يفوتنى أن أنه الى أن هذه الرسالة تتناول أيضا الموسيقى والفن ، كما لها من الأثر الطيب فى الأخلاق بل لأنهما كذلك لهما وجه جميل لا بد منه على كل أمة ترقى أسباب لهما المرح كما عليها أن ترقى أسباب حدها العاين . . . " (١)

ولا أحتاج الى توضيح المقصود بالتطور الاجتماعى ، والتجديد فى اللغة والأدب وإنما أتساءل فاين التجديد فى العلوم التطبيقية بفروعها المختلفة ؟

ومع تخرج الفوج الأول من الجامعة عام ١٩٢٩ م قبل أول فوج من الفتيات فى الجامعة وأحيط هذا بالتكتم الشديد فلم تنشر عنه الصحف ولم يتحدث عنه أحد حتى لا يثير ذلك يزعم أحمد لطفى السيد ثائرة الجامدين من دعاة الحجاب مما يدل على فساد النية لدى القائمين على الجامعة الذين عزموا على تطبيق الاختلاط فى التعليم منذ البداية وهذا لا شك يثير غيرة المتزمين بالاسلام الذين أطلق عليهم الجامدين .

يقول د . حسين فوزى النجار فى بيان ذلك :

" . . . وتخرج أول فوج فى الجامعة الجديدة عام ١٩٢٩ م ، وفى ذلك العام تقدمت بعض الفتيات للالتحاق بالجامعة ورأى لطفى السيد قبولهن كغيرهم من الطلبة ما د من حائزات على " البكالوريا " على أن يتم ذلك فى هدوء فلا ينشر عنه فى الصحف أو يذكره متحدث فى خطاب عام حتى لا يثير التحاقن

بالجامعة نائرة الجامدين من دعاة الحجاب والفصل بين الجنسين ، مما قد يورى الى حرمانهن من التعليم الجامعى لفترة تطول أو تقصر تبعاً للتطور الفكرى عند هؤلاء الجامدين وقبولهم الفكرة الاختلاط ومن عادة الحكومات أن تثقف الى جانب المحافظة دون التجديد حتى لا تصدم رأى الأغلبية المحافظة \* (١)

ثم يقول :

” يقول لطفى السيد أنهم ان يضعوا \* الرأى العام والحكومة معا أمام الامر الواقع ، ونجحنا فى ذلك \* وخرج أول فوج من الفتيات عام ١٩٣٣ م ، ثلاث فى كلية الآداب وواحدة فى كلية الحقوق \* وبعد أن سرنا فى هذا النهج عشر سنوات حدث ما كنا نتوقعه فقد قامت ضجة تنكرطينا هذا الاختلاط فلم نأبه لها ، لأننا على يقين من أن التطور الاجتماعى معنا ، وأن التطور لا غالب له ، ومعنا العدل الذى يسوى بين الأخ واخته فى أن يحصل كلاهما على أسباب كماله الخاص على السواء ، ومعنا فوق ذلك منفعة الأمة من تمهيد الأسباب لتكوين العائلة المصرية على وجه يأتلف مع اطماننا فى الارتقاء القومى ، كل أولئك جعلنا لا نحفل بهذه الضجة التى ما لبثت أن ذهب بها لزمان \* (٢)

مران من يقدم على عمل ما فهو إما أن يكون محققاً أو مبطلاً فالمحقق يقدم على ما يريد عمله بوضوح ودون خوف ولا وجل ، أما المبطل فإنه يحاول أن يعمل عمله على حين غفلة من الأعين أن تراه أو الأذان أن تسمعه ، ودعاة التقريب والعلمنة فى أول عهد المسلمين بهم كانوا يسلكون الطريق الثانى ، وهذا ما سلكه المسئولون فى الجامعة المصرية حين قبلوا دفعة من الفتيات وكانوا يبيتون النية السيئة فى جعل التعليم مختلطاً فى هذه الجامعة فحاولوا التكم على هذا الأمر بعدم الاعلان عنه فى الصحف ، فكانوا كالسراق الذين يتحينون الغفلة فينفذون ما خططوا لسرقته ، فهم قد سرقوا من الفتاة حياتها

حين أجدسوها جنباً لجنب مع الفتى ، وبالتالي سرقوا عفافها وصونها وسترها .  
ولذا فقد ثار ضد هم من أسماهم أحمد لطفى السيد الجامدين أو المتزمين  
فى الواقع \* (١)

وهكذا بدأ التعليم الجامعى فى مصر مختلطاً واستمر ، وتبعه التعليم  
فى العالم الاسلامى كله ما عدا المملكة العربية السعودية أسأل الله أن  
يحفظها ويحفظ أبنائها وناتها ومجتمعها من شرور الاختلاط والدعوات  
المريبة الأخرى .

وقد تابع مسيرة الدعوة الى طمنة التعليم بالكتابة عن التعليم الجامعى  
بعض المسفرين اكفى هنا بذكر آراء طه حسين فقد قدم أفكاراً حول ما يجب  
أن يكون عليه التعليم الجامعى فهو يقول :

”... . فى أى مصر نرانا أنشأت تلك الجامعة لترتفع بالشباب  
المصرى عن ذلك التعليم الالى الذى فرضته عليهم الظروف ، ولترقى بهم  
الى تعليم حر مستقل يهيئهم أويهم \* بعضهم على الأقل ليكنوا علماء أحراراً  
مستقلين ! والظاهر أن مصر لا تريد أن تعبت ولا أن تهزل حين تقرر أنها  
تريد أن تكون من شبابها علماء أحراراً مستقلين ، يشبهون أمثالهم فى الأمم  
الأخرى ، ويثبتون لهم ويشاركونهم فى الانتاج العلمى الحر المستقل الذى  
لا تقوم الحضارة بدونه ، ولا تستطيع أن تثبت ولا تنمو الا اذا اتخذته لها  
أساساً \* (٢)

ومعلوم ما هو المقصود بحرية الفكر هنا فى دعوته فى الحرية الفكرية  
التي تسود فى الغرب والتي أدت الى عزل الدين النصرانى المحرف عن الحياة .

ويقول أيضاً :

”٣- والوسيلة الى انشاء هذا الجيل ببية ، فيجب أن تنهض الجامعة  
بتهيئة معلم اللغة العربية كما تنهض بتهيئة معلم الجغرافيا والتاريخ والطبيعة

(١) كان أول هؤلاء المتزمين بالاسلام الجامدين- فى نظر احمد لطفى السيد  
جامعة من طلاب الجامعة ثم أيدهم كتاب من خارج الجامعة كان على رأسهم  
الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وسوف تجد مقتطفات من مقالين للرافعى  
بهذا الشأن فى نهاية هذا البحث .  
(٢) الفكر الاسلامى الحديث : ١٧٧ ، ١٧٨ .

والكيمياء . وعلى النحو الذى تهى به هذين المعلمين ، أى على النحو الحديث الذى يهيا الشباب لدرس العلوم الحية المعاصرة .

والجامعة وحدها فيما أعتقد قادرة على النهوض بهذه المهمة الخطيرة لأنها :

أولا : تمثل العقل العلمى ، ومناهج البحث الحديثة وتتصل اتصالا مستمرا بالحياة العلمية الأوروبية ، وتسعى الى اقرار مناهج التفكير الحديث شيئا فشيئا فى هذا البلد \* (١)

وحيث أن طه حسين كان يتوقع أن لا تؤخذ آرائه فى اصلاح الأزهر ويعمل بها ، ذلك لأنه سيجد من يعارض هذا الاصلاح التفريقى ، فإنه سلك طريقا آخر للدعوة الى العلمنة ، حتى إذا فشل وعوضه فى اصلاح الأزهر على النقط الذى يريد ، أجدى السبيل الآخر الذى سلكه . ذلك هو دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية على النمط الاوروبى أيضا . قال :

” . . . وليس من شك أن طبيعة الحياة العصرية تقتضى أن تعنى كلية الآداب عناية خاصة بالدراسات الاسلامية على نحو على صحيح لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية ، وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الاسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبتها من هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التى ترى لنفسها زعامة البلاد الاسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية الأخرى ” (٢)

وهذا يتضح أن ما قصده طه حسين من دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية بالجامعة المصرية - التى يجب أن تكون مشتتة على كلية متكاملة للشريعة - إنما قصد به أن يكون منبرا لعرض آراء المستشرقين فى الاسلام ، لأن هذه الكلية تعرف جهود المستشرقين ولذا فواجب عليها أن تعرض جهودهم على طلابها .

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٢٩١ .

(٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٣٤٥ .

هذا ما كان عليه التعليم العام والجامعى فى عهد الاستعمار وأتمم  
عهد الاستقلال فى مصر . \*

أما فى البلاد الإسلامية الأخرى فلم يكن الحال بأفضل مما هو عليه  
فى مصر فالوضع السائد كان واحداً اذ الهدف الاستعمارى فى التعليم كان  
تخريج ناشئة لا تعرف من الدين الا اسمه .

يقول الدكتور محمد منير مرسى عن ذلك ما يلى :

"... ومن الاشارات ذات المغزى عن دور الاستعمار فى مناهج  
التربية فى العالم الاسلامى اشارة تقول " ان السياسة الاستعمارية لما قبضت  
على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية حذفت منها القرآن ثم تاريخ  
الاسلام . وذلك أخرجت ناشئة لا هى مسلمة ولا هى مسيحية ولا هى يهودية .  
ناشئة مضطربة مادياً اغراض لا تؤمن بعقيدة ، ولا تعرف حقاً ، فلا للدين  
كرامة ولا للوطن حرمة . " (١)

ويقول المستشرق جب فى ايضاح الصورة التى كان عليها التعليم وما  
عمله المستعمرون ما يلى :

"... وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة  
لأبعد من ذلك بإنشاء التعليم العلمانى تحت اشراف الانجليز فى مصر والهند " (٢)

ففى السودان مثلاً كانت نظرة كرومر - المعتمد البريطانى فى مصر والسودان -  
لنصيب التعليم الدينى فى المدارس أن تقتصر على المعلومات الأولية ، وأنه  
لا لزوم لأى زيادة على ذلك ، لأن الزيادة على ذلك تشكل خطورة لا مبرر  
لها . (٣)

---

\* وانظر فى مجال مدارس التعليم الحقوقى - أى التى تخرج القضاة - ما كتبه  
د . عبد الستار فتح الله سعيد عن أول مدرسة حقوقية انشئت بمصر فى  
عهد اسماعيل فى كتابه: الغزو الفكرى و التيارات المعادية للاسلام :  
١٣٠ ، ١٣١ . وانظر تقرير اللورد كرومر عن نفس القضية فى كتاب الاتجاهات  
الوطنية : ٣٤٦ / ١ ، ٣٤٧ .  
(١) تاريخ التربية فى الشرق والغرب : ٤١٠ (٢) وجهة الاسلام : ٣٨ .  
(٣) تطور التعليم فى السودان : ٦٦ .

وفي شبه القارة الهندية يحدثنا د / أ . ك . م أيوب علي عن التعليم في البنغال قبل الاستعمار فيقول " تحت عنوان : خصائص النظام التربوي الاسلامي :

" جـ - المنهج المتناسق ما يلي :

" . . . كانت مناهج الدراسة شاملة ومتناسقة بحيث أن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان ترابطاً بهيماً يعني بحاجات المجتمع في كل نواحي الحياة الدينية والثقافية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية . . . الخ ، فكل فروع المعرفة المألوفة في ذلك العصر كانت مدرجة على قائمة عريضة موحدة من خطة تعليمية كان الدين الاسلامي يمثل فيها مركز الصدارة . ومع أن الاسلام كان محور كل الخطة التربوية وأساسها فإن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان موجوداً الى درجة معقولة ، أي بين المنقولات والمعقولات .

وسبب هذا الترابط فقد كانت المدرسة دائماً على صلة وثيقة بالمجتمع وكانت الدراسة التي تجري فيها تخدم المجتمع وتقدمه من كل الوجوه . وان التاريخ الاجتماعي والثقافي للبنغال في العصور الوسطى يحل الدليل الأكبر على ذلك ، فالعلماء المثقفون الذين تخرجوا من هذه المدارس كانوا يخدمون القطر كقادة دينيين ومرشدين روحيين وكذلك مصلحين اجتماعيين وأطباء وقضاة ومحامين وأدباء ومهندسين ومعماريين وفنيين . وكانوا حماة للعقيدة وحماة للوطن .

وكان هذا النظام التربوي التقليدي يعتبر هو النظام التربوي القومي في البنغال وفي غيرها من الأقطار الاسلامية حتى أخضعت القوى الأجنبية المعادية للاسلام هذه الأقطار لسلطانها " . (١)

ومعد أن احتلت بريطانيا شبه القارة الهندية - ومنها البنغال - عام ١٧٥٧م عن طريق شركة الهند الغربية ، بدأت في محاولة تقريب التعليم

(١) تقارير وحوث المؤتمر العالمي الاسلامي الأول : ٢٣/٨ .

وعظمته وبدأ ذلك منذ عام ١٨٣٨ حين أدخل نظام التعليم البريطاني فسي  
البنغال . جاء في تقرير لجنة التربية المدرسية لعام ١٩٣٨ ص ٧ ما يلي :

"وبقي الجدول قائما بين الانجليز والمواطنين حول لغة التعليم  
وطبيعته سنوات عديدة ، فالانجليز كانوا يصرون على أن تكون لغة التعليم  
العالي هي اللغة الانجليزية وأن يتألف محتواه من الأفكار الحديثة ، بينما  
كان المواطنون يرغبون بالمحافظة على دراسة المواضيع الكلاسيكية الشرقية وفقا  
للطرق المحلية للقطر .

"وبعد سنوات من الكفاح بين الفريقين المذكورين أعطت محكمة  
المديرين في منشورها المؤرخ في سبتمبر (أيلول) ١٨٣٠ عن آرائها المحبذة  
للتعليم الانجليزي تحت رعاية اللورد ويليام بينتينك الذي بعد أن اطلع  
على المحضر الذي كتبه ما كولي صادق على القرار التربوي لحكومة الهند  
بتاريخ ١٨٣٥/٣/٧ لصالح التعليم الانجليزي . وكان رأي الحاكم الممام  
المستشار هو " أن الهدف الأعظم للحكومة البريطانية هو اشاعة الآداب  
والعلوم الأوروبية بين مواطني الهند وأن الموارد المخصصة للتعليم يجب أن  
تستخدم للتعليم الانجليزي فقط " (١)

وفي الباكستان يصف الكولونيل عثمانى الوضع التعليمي في عهد الاستعمار  
البريطاني فيقول :

" وعند ما احتل الانجليز شبه القارة الهندية . الغيت اللغة الفارسية  
كلمة للبلاط وأدخلت اللغة الانجليزية لغة رسمية للإدارة البريطانية وأصبحت  
اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في المراحل العليا من النظام التعليمي  
الذي أسسه البريطانيون في شبه القارة وصار التعليم في كل مراحل معاهد  
التعليم الحكومية الحاديا في طبيعته . وعم استيراد الكتب والمراجع لكل  
المواضيع الهامة من إنجلترا ، كما أنشئت جامعات في كل أنحاء القطر مع  
السيطرة القضائية الإقليمية التامة على البرامج وعلى مستويات الامتحانات لهذه  
المعاهد الفرعية المرتبطة بالمعاهد الانجليزية .

(١) تقارير صحف المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي : ٣٦/٨ من بحث  
تاريخ التربية الاسلامية التقليدية في بنجلاديش .



وكان مسلموا شبه القارة الهندية لا يستطيعون أن يتصوروا تعليماً لا دين فيه . ولذلك نفرت جماهير المسلمين من نظام التعليم البريطاني وقاطعته ولما كان هذا التعليم البريطاني هو الوسيلة الوحيدة للحصول على عمل أو وظيفة مثمرة في الحكم البريطاني فقد بقى معظم المسلمين غير مؤهلين للتقدم الاجتماعي مما أدى إلى حرمانهم مالياً واقتصادياً \* (١)

وفي ماليزيا في عهد الاستقلال نرى أن التعليم الاسلامي مهمل ولذا فان بروفيسور عبد الجليل حسن \* رئيس قسم الفلسفة والعقيدة بالكلية الاسلامية يقول في اجابة على سؤال وجه اليه عن أهمية التعليم الاسلامي ما نصه :

٢٠ - نوافق على ذلك ، لأننا نرى المشكلة الكبيرة في التعليم الاسلامي هو عدم اعتراف الحكومة بأهمية التعليم الاسلامي في البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامي ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحققة ولأن الروح الاسلامي أمر خاص بالأفراد وهذا هو سر ما وصلنا اليه في الوقت الحاضر فأننا لا بد لنا من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الغرض الهام \* (٢)

وفي تركيا التي لم تحتل احتلالاً مباشراً بلح التأثير الغربي العلماني مداه في الردة العقيدية والفكرية العنيفة التي تسلكها مصطفى كمال لان تزع الاسلام من قلوب الناس عن طريق التعليم .

يقول لويس توماس في بحثه - ضمن مؤتمر الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته الذي عقد في جامعة برنستون عام ١٩٤٧ - " العلاقات الداخلية والخارجية في تركيا - ما يلي :-

" ان مصطفى كمال فشل في ريف الأناضول . ولكنه نجح في (تحويل القطاع المثقف من الشعب الى حياة جديدة . . . وقد مكن التعليم لهذا التحول الجديد ص ٢٧٢ \* (٣)

(١) نفس المصدر : ٢/ من بحث التعليم الحديث في الباكستان .

(٢) نفس المصدر ٣/٨ .

(٣) حصوننا مهددة من داخلها في أوكار الهدامين : ٣٦٦ .

ويتضح مما كتبه الكاتب نفسه - في مؤتمر " الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة " الذي عقد بأمريكا صيف عام ١٩٥٣ - تحت عنوان الاسلام عند الأتراك - أن المقصود بالحياة الجديدة التحرر من الاسلام فهو يقول :

"... ومع أن السلاطين المياليين الى تقليد الغرب قد علوا الكثير منذ سنة ١٨٠٠ ليضعفوا الأنظمة الشكلية الإسلامية العثمانية ، وأن المؤتمرات الغربية الخفية قد وجدت طريقها في هذا الى أفراد الطبقة العليا بشكل أكبر ، فقد استمرت تلك الأنظمة وقيمت لها أهميتها في التربية والقانون وغيرهما من نواحي الحياة ، غير أنه تحت زعامة " أتاتورك " القوية أخذت تلك الأنظمة الشكلية العثمانية الإسلامية تفقد سيطرتها العامة بسرعة ، وأصبح هذا المظهر من الاسلام في الفلسفة الرسمية للدولة - سلاسل من الماضي الميت كان الترك قد قيدوا أنفسهم بها طويلاً ، فجرد العلماء من مظاهر القوة والفساد والمال ، ولم تتخذ وسائل التربية العلماء في المستقبل ونتيجة لهذا لم يعد لدى تركيا أي جماعة يعتمد بها من الطبقة الأولى من العلماء الدينيين المثقفين " (١)

وفي مجال التعليم العالي فتح " مصطفى كمال " الباب على مصراعيه لعلماء اليهود لتنظيم الجامعة التركية .. يقول " ليفي أبو عسل " :

" ولقد قام - أي مصطفى كمال - بفتح باب تركيا على مصراعيه ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما أوتى من حسن الكياسة ونبل الفرائز ... وأستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية المصرية ، واستدعى ما يزيد على أربعين استاذاً منهم لتوصيع أقسام تلك الجامعة " (٢)

وقد سلك الذين خلفوه مسلكاً آخر ففتحوا ما أسموه بكلية اللاهوت فماذا كان

( ١ ) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة : ٤٢٣ .

( ٢ ) فصل الدين عن الدولة : ١٩٦ .

الهدف من انشائها يجيبنا على هذا التساؤل " لويس . ف توماس " الأستاذ بجامعة برنستون ان يقول :

" . . . لقد انشئت في جامعة أنقرة كلية جديدة لللاهوت ، قصد بها أن تخرج رجال دين مسلمين ، أتراكاً من الطبقة العليا ، مثقفين ، مطبوعين بالطابع الغربي ، لهم معرفة بالعلم والدين المقارن وباللغات الأوروبية وفيهم ولا " لفكرة الدولة الديمقراطية العلمانية ويدون من غير المحتمل إطلاقاً أن تنجح هذه الكلية في تخريج علما " يقبلهم الأتراك الذين لا يزالون تحت سلطان التقاليد الدينية . وسيكشف المستقبل عما اذا كان خريجوه هذه الكلية ستكون لهم رسالة يقبلها التركي الحيال للحضارة الغربية ، ولذى يحاول أن يحتفظ بالاسلام ديناً شخصياً في دولة دنيوية . . . " (١)

هذا هو الوضع الغالب في العالم الاسلامي في عهد الاستعمار ، وبدأيات عهد الاستقلال غير أن العالم الاسلامي لم يخل من المدارس الاسلامية التي كانت تسبب مضايقة لدول الاستعمار ومفكريها من المستشرقين وغيره . كما لم يخل من مفكرين مسلمين وقفوا في وجه حركة التغريب والعلمنة ، ونقدوا نظام التعليم العلماني الغربي وحذروا المسلمين منه ، واكتفى هنا بذكر ما قاله المستشرق " جيب " الذي يتضح به مدى ضيقه بالمدارس الاسلامية والتعليم الاسلامي .

يقول " جيب " :

" . . . هذا ولم تفقد كل الأنظمة القديمة التي غذت الوحدة قوتها في العصر الحديث ورغم فقدان الشريعة ما كان من استئثار بالتشريع ، ورغم أن الثقافات المحلية بدأت تزحزح الثقافة المشتركة ، ورغم أن الفوارق في العادات الاجتماعية أصبحت أكثر ظهوراً . وأن التعليم الديني القديم أصبح قاصراً على طائفة متضائلة من العشب فلا تزال المظاهر الدينية والعبادات باقية . أما الذي يزعم أن القرآن قد قل حظه من الدراسة الآن أو أن نظمه

الذى يظل صدهاء يتردد في النفوس قد فقد ظبته على عقول الرجال فلن يجد ما يوئيد زعمه الكاذب ، ولا تزال العبادات الاسلامية منبعا للرضا والاطمئنان حتى عند من يهبطون في أدائها . . . . .  
 . . ومن أكبر مميزات الاسلام الحديث شعور الولاة لذات محمد " عليه الصلاة والسلام " والحماسة التي يبعثها بين كل الطبقات . . . . (١)

وواضح أن المقصود بالثقافات المحلية التي بدأت تزحف الثقافة المشتركة - هي الثقافات الوطنية الخاصة بكل قطر من أقطار المسلمين ، وأن المقصود بالثقافة المشتركة هي الثقافة الاسلامية التي لا تفصلها الحدود الجغرافية .

وأما المفكرون الذين تصدوا لنقد التعليم العلماني الغربي - بفضله أساليبه - وهم روا منه فأكتفى هنا بنقل بعض النصوص لبعضهم ،

يقول السيد اكبر حسين بن تفضل حسين في بيان أسلوب الغرب في نشر العلمنة :

" . . . يا لبلاد فرعون الذي لم يصل تفكيره الى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك اسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه الفاروس والاحدوث في التاريخ " ( ٢ )

وهو يقصد بذلك أن الغربيين في هذا العصر سلكوا في نشر العلمنة أسلوب التعليم الذي يسهل به قتل الأولاد عقديا وفكريا . بينما كان فرعون في مقابل هؤلاء يستعمل أسلوب التصفية الجسدية لمعارضيه من المؤمنين وأولادهم حتى لا ينشأ جيل مؤمن . فالأوروبيون أذكى من فرعون ، فهم قتلوا الأولاد معنويا ولم يلحقهم سوء الاحدوث من تعلموا على أيديهم وربوا على أعينهم .

( ١ ) وجهة الاسلام : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

( ٢ ) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٠ .

يوضح ذلك ما قاله في نص آخر :

"... ان اهل الشرق يقضون على العدو وبشرخ رأسه ، ولكن الغربي  
يغير طبيعته وقلبه " (١)

ويقول الدكتور الشا عر محمد اقبال وهو من درس في الغرب وحصل  
على الدكتوراه من جامعة ميونخ بالمانيا ، ودرس في كمبرج ، في لقد التعليم  
العلماني ما يلي :

"... اياك أن تكون آثما من العلم الذي تدرسه ، فانه يستطيع أن  
يقتل روح أمة بأسرها " (٢)

ويقول أيضا :

" ان نظام التعليم الغربي ، انما هو مؤامرة على الدين والخلق  
والمرءة " (٣)

ويقول أيضا :

" أشكو اليك يا رب ! من ولاية التعليم الحديث ، انهم يربون فراخ الصقور  
تربية بقات الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخروف " (٤)

أي أنهم يربون في الانسالة الخنوع والذلة بحيث يكون هؤلاء الشباب  
المتعلمون على منهاج الغرب كالخراف التي تساق الى حتفها دون مقاومة .

ويقول في وصف الشباب المثقف بالثقافة الغربية " المتفرنج " :  
" لا أستغرب أيها الشباب المتعلم ! أنك <sup>حبيبي</sup> "جبان" ، فان قلبك بارد  
لا لوعة فيه ولا حراره ونظرك غير عفيف ان الشباب المثقف الذي استنارت عينه  
بنور الافرنج قد يكون لبقا في الحديث متشدقا في الكلام ولكن عينيه لا تعرف  
الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع " (٥)

(١) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٠ .

(٢) نفس المصدر : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) نفس المصدر : ٣٦ . (٤) نفس المصدر : ٤٦ .

(٥) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٤٥ ، ٤٦ .

هذا في شبه القارة الهندية، أما في العالم العربي فقد تحدث الشيخ محمد سعيد العرفي عن المدارس الأجنبية ونقدها وأوضح أضرارها على الطلاب المسلمين الذين يدرسون بها وعلى المجتمع الاسلامي، وتحدث الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عن الاختلاط - وهو مظهر للتعليم المملاني - وبين مفسده على الطلاب والمجتمع، وناصر طلاب جامعة القاهرة الذين طالبوا بافصل بين الجتسين، كما تحدث عن تعليم الدين في الجامعة - التي أهبطه - وناصر الطلاب المطالبين به .

يقول الشيخ العرفي - رحمه الله - عن المدارس الأجنبية :  
 " يظن الناس أن المدرسة المسيحية و المدرسة العلمانية متناقضتان نظرا لاختلاف الصورة والاسماء وفي الحقيقة أنهما فرعان لأصل واحد رأوا أن الأولى لا تروج أمورها بسهولة فلم يسعهم الا احداث الثانية يتخذونها رابطة يقرّبون فيها وجهة ما تبغيه النصارى من دعوة المسلمين وسائر الديانات الشرقية الى الديانة المسيحية على يد مبشريها الظاهرين في المدارس المسيحية والمتخفين في المدارس العلمانية التي ظاهرها هدم الديانات وهذا ما قاله برنارد في كتابه المؤرخ في ٢ آب سنة ١٩١١ خطابا الى الموسيو شاتيله :<sup>(١)</sup>

ثم يقول :

" . . . وفي الحقيقة أن المدارس الأجنبية قضت على كل آمال المسلمين لأنها موضوعة لنشر التربية الاورومية النصرانية التي يقصد منها اضمحلال الاسلام باعتراف القس ويلس في تقريره بمؤتمر لكتو الذي ترجمته جريدة المؤيد المصرية بعدد ٦٢٠٦ وفيه -

لا يشك في أن التربية الغربية هي من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية ١ هـ .

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ١٦١ .

وأنة الحق والواقع ولكن المسلمين غافلون عن ذلك فيسرعون الى تقليد

أعدائهم ويسمعون جهدهم للاندماج فيهم ليقال عنهم مفكرون متنورون .

تبين لنا أن وظائف المدرسة الأجنبية : هى وضع النير الأوروى  
فى أعناق المسلمين أولا وانحلال الرابطة الإسلامية ثانيا ، والتبشير  
بالنصرانية ثالثا ، وهو الذى يظهر ويختفى على حسب الفرصة \* (١)

وقال عن تعليم المرأة على النمط الأوروى ما يلى :

” . . . لا جدال بين ذوى النهى أن تعلم الرجل وتعلم المرأة صنوان  
لا ينفكان عن بعضهما غير أن المرأة هى أول ملقن للطفل دروس الحياة وهى  
المعلم الأول فيجب أن يعنى بتعليمها وتربيتها على حب الأمة والاعتقاد الحسن  
فى الدين والعمل بأحكامه والا كانت عاملا قويا من عوامل الانحلال .

مسكينه الأمة العربية الإسلامية خدعها أعداؤها أولا بأن العلم يضر  
بالمرأة ويفسد ها فأصبحت عقيدة راسخة ينفر البسطاء منها ثم جاؤوا اليها بدم  
والثناء عليه بشرط أن تتعلم المرأة فى مدارسهم وأسرعوا الى تأسيس مدارس  
الاناث العديدة زاعمين أنهم يريدون الخير وهم يقصدون الفساد والافساد  
دأبهم فى كل عمل يتعلق بالشرق أو الاسلام فيجعلون الوسائل الشريفة  
ذريعة للوصول الى المطامع الدنيئة كى تعمى الاعين عن مشاهدتهم  
القبيح ولا تتوجه الأذهان الى التفكير فى الخطأ الاستغياضية فى حين أن  
مؤسساتهم التى يسمونها علمية يقصرون التحصيل فيها على معرفة تاريخهم  
ونشر لغتهم وإشراك بقية اللغات الأوروية والثناء على أعمالهم ومدح أزيائهم  
وحت التعليم المسيحي بالطرق التدريجية وتعميم الألعاب والموسيقى ولزوم  
اتباع الطرز الغربى المتلون والذى لا يتغير الا لجمع ما بيد الشرق من المال  
ليصبح الشعب فقيرا من الثروة كما أصبح فقيرا من الأخلاق \* (٢)

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

أما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - فقد كتب مقالا بعنوان "قنبلة باليارود لا بالما" المقطر\* كتبه تأييدا لما رفعه طلبة الكليات فـسـمى الجامعة المصرية آنذاك\* الى مديرها وعمدائها وأساقفتها - من المطالبسة بادخال التعليم الديني في الجامعة والفصل بين الشبان والشابات والذي قالوا فيه "لا إصلاح الا بعد إصلاح روح الشباب الناهض ، حتى يكون له من قوة روحه وسمو اخلاقه سلاح يحارب به الرذيلة وينصر به الفضيلة" وقالوا : "ولا شك أن الأمة بأسرها قد أحست بنقص الناحية الدينية في المجتمع المصري ونقص أخلاق الفرد ووطنيته تباعا "

قال الأستاذ الرافعي في مقاله هذا ما يلي :

"حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية ، لقد كتبت الكلمات التي يصرخ

منها الشياطين ..

كلمات لم انتسب لانتسبت كل واحدة منهن الى آية ما نزل به الوحي في كتاب الله . فطلب من تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمى الى هذه الآية : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس "

وطلب الفصل بين الشبان والفتيات يرجع الى هذه الآية " ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن .

وطلب إيجاد المثل الأخلاقي لهذه الأمة من شبابها المتعلم هو معنى الآية : " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة ... "

قوة الأخلاق ، يا شباب ، قوة الأخلاق ، ان الخطوة الأولى المتقدمة تبدأ من هنا .... " (١)

ثم قال :

" يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، فإن العلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة .

(\*) كان ذلك في شهر مارس عام ١٩٣٧م .

(١) وحي القلم : ١٨٤ ، ١٨٥ .



يريدون قوة النفس مع قوة العقل ، فإن القانون الأدبي في الشعب لا يضعه العقل وحده ولا ينفذه وحده ،  
يريدون قوة العقيدة ، حتى إذا لم يتفهم في بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفهم ما اعتقدوه " (١) .  
ثم قال :

" وأحسن الشباب معنى كثرة الفتيان في الجامعة ، وأدركوا معنى هذه الرقة التي خلفتها الحكمة الخالقة ،  
والمرأة أداة إستمالة بالطبيعة ، تعمل بغير إرادة ما تعطه بالإرادة ،  
لأن رؤيتها أول عطشها ،  
نعم إن المغناطيس لا يتحرك حين يجذب ، ولكن الحديد يتحرك له حين يجذب .

ومثي فهم أحد الجنسين الآخر ، فهمه بادراكين لا بادراك واحد ،  
وجمال المرأة إذا انتهى إلى قلب الرجل ، وجمال الرجل إذا استقر في قلب المرأة ..

.. هما حينئذ معنيان . ولكنهما على رغم أنف العلم معنيان . متزوجان " (٢)

ثم قال :

" لا ، لا ، يا رجال الجامعة إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أورها وتقليد أورها ! ونحن نريد الشباب الذين يعطون  
لاستقلالنا لا لخضوعنا لأورها .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلا لفوضى الأخلاق .

=====

(١) نفس المصدر : ١٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٦ ، ١٨٧ .

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية فلا حاجة اليه في الجامعة !

أفتررون الاسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ، أم تريدونه شجرة تفسر من هناك لتفلق عندكم ...

لا ، يا رجال الجامعة ، ان قنبلة الشباب المجاهد تملأ بالبارود لا بالماء المقطر \* (١)

ثم كتب مقالا آخر بعنوان " شيطان وشيطانه " بعد تتبع لما تنشره الصحف من تأييد للاختلاط ومعارضة لادخال تعليم الدين في الجامعة ، أو معارضة للاختلاط وتأييد دعوة لادخال التعليم الديني في الجامعة وخاصة سلسلة مقالات " فلان وفلانه " التي تتضمن مناهضة دعوة الطلاب لمنع الاختلاط وادخال التعليم الديني ، وكان يعرض بهذا المقال بالدكتور طه حسين ، وأحد تلميذاته في الجامعة ، وقد جعل هذه المقالة على شكل رؤيا رآها \*

قال في مقدمة المقال :

" شغلني ما شغل الناس من حديث الجامعة المصرية ، وما أراد طلبة من ورع يحجزهم عن محارم الله ، ودين يخلص به الايمان الى قلوبهم ، فلا يكون لفظ المسلم على المسلم كأنه مكتوب على ورقة ، ثم ما ابتغوه من الفصل بين الشبان والفتيات ، تطهيراً للطباع ونوازع النفس ، واتقاء لسوء المخالطة ، ومعداً عن مطية الائم ، وتوفيراً لأسباب الرجولة على الرجل والصفات الانثوية على الانثى .

وقرأت كل ما نشرته الصحف ، واتقصيت مآلفت ، ونظرت في الألفاظ ومعانيها ومعاني معانيها ، وكنت قبل ذلك أتتبع باب " فلان وفلانه " ففى المجلات الاسبوعية التي تكتب عن حوادث الاختلاط في الجامعة وتسمى الاسماء وتصف الأوصاف وتذكر النوادر ، فملاك ذلك صدري واجتمع الكلام يترجم نفسه الى رأيي رأيتها وها أنذا أقصها " (٢)

(١) وحى القلم : ١٨٧ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٩ .

## الفصل الثاني : أثر المعلمانية في التعليم الرسمي

المبحث الثاني : الوضع التعليمي بعد الاستقلال .

المطلب الأول : المؤتمرات والقرارات الرسمية حول أهداف التعليم .

المطلب الثاني : الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين منها .

المطلب الثالث : الاختلاط في التعليم .

المطلب الرابع : نماذج من مقررات دراسية .

المطلب الخامس : آثار المعلمانية في التربية والتعليم .

## المؤتمرات والقرارات حول أهداف التعليم ووسائله :

يلاحظ الباحث المدقق أن مؤتمرات التربية والتعليم العربية - سواء كانت على مستوى العالم العربي ، أم على مستوى كل دولة - وأن قرارات وقوانين كل دولة تركز على معاني القومية العربية ، والوطنية ، والديمقراطية ، والاشتراكية - في الدول التي تتخذ الاشتراكية منهاجاً لها - ولذا فإن الباحث يقع نظره دائماً على عبارات من مثل :

- \* اعداد المواطنين الصالح ،
  - \* التربية الوطنية الصحيحة ،
  - \* الايمان بالقومية العربية ،
  - \* الايمان بالوطن العربي .
  - \* خلق اجيال عربية قومية .
  - \* خلق جيل قومي عربي متحرر تقدمي .
  - \* ايجاد الفرد المناضل من اجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية
  - \* اعداد المواطن الاشتراكي ، وغيرها .
- وسوف أستعرض قرارات بعض المؤتمرات على مستوى العالم الاسلامي ، وعلى مستوى الدول ، وسياسات بعض الاحزاب ، ثم استعرض قرارات وقوانين بعض الدول خاصة فيما يتعلق باهداف التعليم .

وأول ما أرى أنه جدير بالذكر هي التوصيات المتعلقة بالمعلم سواء من ناحية اعداده ، أو من ناحية تحديد خصائصه ، ذلك لأهمية المعلم ودوره الخطير في تربية الناشئة ، لنعرف أي جيل يراد اخراجه من المعلمين ، ثم لنعرف نتائج هؤلاء المعلمين .

جاء في دينااجة توصيات مؤتمر اعداد المعلم العربي طلي :

" لما كان تدعيم القومية العربية وتنمية الايمان بها ، والنهوض بالمجتمع العربي هدفاً أساسياً لكل بلد عربي ، ولما كان تحقيق هذا الهدف يتطلب أن يكون المعلم في كل بلد عربي مؤمناً بقوميته العربية ، معترفاً بتاريخه العربي حتى يستطيع أن ينقل هذه الروح الى التلاميذ .  
رأت الحلقة أن توصي بوجوب العناية - في اعداد المعلمين لمختلف مراحل التعليم - بما يلي :

- ١ - ..... .
- ٢ - ..... .
- ٣ - دراسة الدعائم والأسس التي تقوم عليها القومية العربية ، وابـــــــراز، الاتصال التاريخي والجغرافي والثقافي بين اجزاء الوطن العربي ، وبيان أنه وحدة متكاملة يتأثر كل جزء منها بما يقع في الاجزاء الاخرى ويؤثر فيها ، مع دراسة الحركات القومية التي ادت الى توحيد بعض الامم في التاريخ الحديث " ١
- ٤ - ..... .
- ٥ - ..... .
- ٦ - ..... .
- ٧ - تهيئة الجو العام في معاهد اعداد المعلمين بجميع الوسائل لتشجيع الطلاب بالقومية العربية ، وايقاظ الشعور العربي في نفوسهم واكسابهم روح الاعتزاز بالقومية العربية ، بحيث ينعكس ذلك على جميع مظاهر سلوكهم الفردي والاجتماعي والمهني " ٢

(١) حلقة اعداد المعلم العربي : ٣٨١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٨٢ .

وجاء في التوصية السادسة لنفس المؤتمر مايلي :

" ترى الحلقة أن التربية الوطنية والسياسية والقومية ، تهدف فـمـان الى غاية واحدة ، وأن المعلم لا يستطيع أن يعد المواطن الصالح الا اذا كان هو نفسه مواطناً صالحاً قادراً على تفهم المشكلات السياسية والاجتماعية . لذلك توصي الحلقة بأن يعطى المعلم حق رأي آرائه السياسية ضمن الحدود التي تسمح بها قوانين البلاد ، على أن يحافظ في ذلك على صفات العربي فلا يتعصب لآرائه ولا تستغل وظيفته لشرها والدعوة اليها ، بل يعرضها كما يعرض احدى القضايا العلمية ويفسح المجال لنقدها ومناقشتها " (١)

ففي هاتين التوصيتين تركيز على إبراز أهمية القومية العربية ودعوة الى دراسة الاسس التي تقوم عليها ، وتركيز آخر على اعداد المواطن الصالح . وبين المفهومين تناقض واضح فمفهوم القومية - المخالف للاسلام - أوسع من مفهوم اعداد المواطن الصالح - المخالف فلاسلام - ففي الاسلام تركيز على اعداد الانسان الصالح . الذي يكون عادلاً ، وراحاً في تعامله مع قومه ، او مع بني وطنه الذي يعيش فيه ، او مع اى جنس آخر ، فهو في تعامله ينظر للامر من نظرة اسلامية واسعة لا تفرق بين قوم وقوم أو وطن ووطن وإنما تفرق بين كل منهم بحسب علمهم الصالح الذي وضعت له في الاسلام معايير .

وجاء في توصيات المؤتمر الثقافي العربي الرابع الذي عقد في دمشق

عام ١٩٥٩ م مايلي :

" خصائص معلم الغربة الوطنية وموهلاته : " (٢) أن يؤمن بالوطن العربي والقومية العربية ، وأن يكون سلوكه الوطني بحيث لا يتعارض مع التربية الوطنية التي يوجه اليها تلاميذه .

(١) نفس المصدر : ٣٨٣ .

(٢) مستقبل التربية في المعلم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

- ٢ - أن يكون على بصيرة بأهداف قومه ومكانة أمته بين الشعوب والعلاقات الدولية التي تربط بينها وبين بلاد العالم .
- ٣ - أن يكون إعتزازه بقوميته ووطنه قائماً على أساس من الفهم والادراك والمنطق لا على أساس الانفعال العاطفي .
- ٤ - أن يكون متجرداً من الهوى الحزبي أو التأثير الأجنبي والتيمه لمذهب من المذاهب الوافدة أو الدخيلة .
- ٥ - أن يكون متصلاً بالحياة العامة في البلاد ارتباطاً يساعده على الربط بين نهج التربية الوطنية وواقع الحياة الاجتماعية والسياسية فيما حوله .<sup>١</sup>

وجاء في ميثاق المعلم العربي الذي وافق عليه المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الذي عقد بالكويت ( ١٧ - ٢٢ فبراير ١٩٦٨ م ) وأقرته الجامعة العربية في مارس من نفس العام مايلي :

- ١ - التمسك بالعبادى الديمقراطية الصحيحة والايمان بها .
  - ٢ - تحريك الاجيال العربية علمياً وخلقياً وثقافياً وقومياً .<sup>٢</sup>
- والديمقراطية مبدأ غربي في الحكم لا حاجة للمسلمين به ففي نصوص القرآن والسنة فيما يتعلق بالحكم سواء كان على مستوى الدولة ، أو على مستوى الإدارة المحلية والشورى والمدل ركيزتان أساسيتان للحكم في الاسلام ، وفيهما غناء عن الديمقراطية .

وبعد الحديث عن المعلم ننتقل الى الحديث عن أهداف التربية وغاياتها والوسائل الموصلة اليها كما يراها ميثاق الوحدة الثقافية العربية ( ١٩٦٤ م ) وكما يراها المؤتمر في المؤتمر الثقافي الثالث .

جاء في ميثاق الوحدة الثقافية العربية مايلي في مادته الاولى :

- 
- ( ١ ) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .
  - ( ٢ ) التعليم العام في البلاد العربية : ٨٩ ، ٩٠ .

" يكون هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله مخلص للوطن العربي ، يشق بنفسه ونأجه ويدرك رسالته القومية والانسانية وتمسك بجادى الحق والخير والجمال ، ويستهدف المثل العليا الانسانية في السلوك الفردى والجماعى ، جيل يهيم لافراده أن ينموا شخصياتهم بجوانبها كافة ويطلقوا ارادة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الايجابى متسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربى والسير به قدماً في معارج التطور والرفق في تثبيت مكانة الامة العربية الجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة " ١

أما وسائل تحقيق ذلك فلعمل توصيات المؤتمر الثقافى العربى الثالث - وان كان سابقاً على الميثاق فى الانعقاد - . فاعطىها صورة لما يراه - المؤتمر - من وسائل تحقق الوطنية والقومية ، وقد كان من أبرز توصياته مايلي :

" أن توضح الكتب الدراسية فى التاريخ والجغرافيا .. بحيث تومى الى التربية الوطنية الصحيحة ، وغرس فكرة القومية العربية ، وتحقيق الايمان بمهمة الامة العربية وبيان دورها فى الحضارة الانسانية فى الماضى والحاضر . " ٢

- أن تكون أهدافنا القومية والتربوية الاطار العام الذى تولى فيه الكتب المدرسية ، وهذا بالإضافة الى أهداف كل مادة والغرض من تدريسها .

- أن تعالج موضوعات الكتاب المدرسى معالجة تنمى في التلاميذ والطلاب اتجاهات روحية وعقلية واجتماعية مرغوبة فيها كالاسلوب العلمى فى التفكير والرغبة فى الاستزادة من القراءة والايمان بالمثل العليا وقسم الامة العربية " ٣

(١) التعليم العام فى البلاد العربية : ٦٧

(٢-٣) المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح : ١٠٤ ، ١٠٦ .



ولعل مؤلفي مقررات المطالعة والانشيد وبعض مقررات التاريخ في مدارس المملكة العربية السعودية تقيدوا بهذه التوصيات إذ هم قد هتسوا هذه المقررات بالتركيز على معاني الوطنية والعروبة ، رغم أن السياسة التعليمية التي وضعتها اللجنة الفرعية للتعليم ووافقت عليها اللجنة العليا لسياسة التعليم تركز على ان السياسة العليا للتعليم تعني باعداد الشباب المسلم ، والانسان الصالح وهي في نظر تعد أفضل ما رأيت من خلال قراءاتي في سياسات التعليم .

أما المؤتمرات على مستوى كل دولة فسوف أعرض لقرارات مؤتمرات عقدت في الباكستان ، والسودان .

أما الباكستان فقد عقد مؤتمر في شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ م كان من ضمن قراراته القرار الآتي :

" يجب أن تكون العقيدة الإسلامية هي أساس التربية في باكستان ، ويجب أن تعد العدة للتعليم الابتدائي العدم ، ويجب ألا يغيب عمن بالناتد رهب على المواطنة وضرورة الاستغناء عن اللغة الإنجليزية كلفة للتعليم ، ويجب إعادة تنظيم التربية الفنية " ١

وفي عام ١٩٥٩ م شكلت لجنة للتعليم في باكستان وقد أصدرت عدة توصيات منها :

" يجب أن تكون الدراسات الإسلامية إجبارية على كل الطلاب المسلمين للسنوات الشان الأولى ، أي في الصفوف الابتدائية والمتوسطة ، ويجب أن تكون اختيارية وفي المرحلة الجامعية تبقى هذه المواد اختيارية " ٢

ويظهر أن المراد بأن تكون الدراسات الإسلامية إجبارية ، اختيارية أي أن الطالب مجبر على دراسة شيء من الدراسات الإسلامية والاختيار يكون بين نوع هذه الدراسات .

وقد أكدت الخطة الخمسية الرابعة للسنوات ( ١٩٧٠ - ١٩٧٥ ) على

مايلي :

" يجب أن يبقى التعليم الديني اجباريا الى حدود المرحلة الثانوية

وبالاضافة الى ذلك فقد أكدت الخطة على الهدف العميد المدى الآتي :

يجب أن يكون من الممكن التأكد من أن مواد الدراسة العامة في

الكليات والجامعات تعكس روح الاسلام . " ١

وزاد برنامج التعليم المكثف التأكيد على ذلك فقد أعلن مايلي :

" تكون الدراسات الاسلامية اجبارية حتى الصف العاشر لكل الطلبة

المسلمين ، مع التأكيد من غلو الكتب المدرسية ما يتنافى مع القيم الاسلامية

الاخلاقية والثقافية ، او يتنافى معها ، ويجب أن تضمن عدم بقاء هذه

الدراسات الاسلامية كفقرات منعزلة في منهج المدرسة بل يجب ان تكون روح

الاسلام سائدة في سدى ولحمة كل نسيجنا التربوي " ٢

ونحن اذا عقدنا مقارنة بين ما تضمنته قرارات المؤتمرات  
وبين قرارات المؤتمر المحلي للباكستان  
العربية فاننا نجد ان قرارات المؤتمرات المحلية الباكستانية كانت أفضل من

مقررات المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، فإن التركيز في مقررات المؤتمرات

الباكستانية - على أن تكون الدراسات الاسلامية اجبارية ، لا بل " أن تكون

روح الاسلام سائدة في سدى ولحمة التشجيع التربوي " ولم يكن هناك تركيز

على المواطنة والقومية بل لم يرد لهما ذكر<sup>الذي</sup> اشارة عابرة في مؤتمر عام ١٩٤٧ م

وذلك لتخلصهم القريب من الاستعمار البريطاني ، أما مؤتمرات التربية

العربية سواء على المستوى العالم العربي أم على المستوى المحلي فإن التركيز

واضح على القومية والوطنية ولا ذكر للدراسات الاسلامية ولا اهتمام بها ، ذلك

لان الدراسات الاسلامية تمثل في نظر كثير من " التربويين " في العالم

العربي الفكر الرجعي ، وهم يريدون التقدم والتطور والتخلص من الرجعية والتأخر .

ومع كل ماسبق بالنسبة لباكستان فإن " الكولونيل عشاني " ينقد  
الوضع القائم لأن الاهداف التي سبق أن ذكرناها لم تتحقق يقول في  
ذلك :

" اذا هكنا من التصريحات المتعلقة بالسياسة والخطط في التسبع  
والعشرين سنة الماضية فإننا قد نفترض أن باكستان يجب أن يكون قد تحول  
الى مجتمع مسلم مثالي ، غير أن باكستان اليوم بعيدة عن ذلك . ولذلك  
فالسؤال الواضح الآن لماذا اهتف الباكستانيون عن هدفهم المعلن  
واتخذوا طريقاً آخر مختلفاً جداً ، وعلى الاقل هناك شيء واحد أكيد هو  
أنه لم يتحقق أبداً أن تتخذ التربية وسيلة لتثبيت العقيدة الاسلامية بشكل  
يتوافق مع العصر الحديث وفي التطبيق العملي فإن الاهداف الغنوه عنها  
لم تتحقق .

ولقد استمر التأثير الغربي سائداً في حقل التربية وكذلك في كل  
مجال آخر في المجتمع وبقي الانقسام بين العلم الحديث والدين متزايداً  
وإن أحد أسباب هذا الوضع هو قلة الاهتمام بالتربية في السنوات السابقة ،  
فالاولوية الكبرى كانت تعطى للنمو الاقتصادي بالقفزات التصنيعية والزراعية  
السريعة باستخدام التكنولوجيا الغربية التي كانت تستلزم تعلم المعرفة  
العلمية الغربية وتمثلها " ١ "

وبعد هذا المنظر فيما جاء في المؤتمر المحلي الذي عقد في السودان  
في نهاية ١٩٦٩ م فسوف نجد أن المؤتمر حدد أهداف التربية والتعليم  
في السودان بالعمل على تحقيق أمور منها :

- ١ - المواطن الايجابية في نطاق قومي شامل يرتبط في نفس الوقت بالتراث  
العربي والاسلامي والافريقي والانسانية جميعا " ٢ "

( ١ ) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ١٥/٩ .

( ٢ ) التعليم العام في البلاد العربية : ٢٥٧

فإذا انتقلنا الى مارسمة بعض الاحزاب من أهداف للتربية والتعليم فإننا نجد أنها لا تخرج عن نطاق تأكيد القومية والوطنية ، ومحاربة الرجعية وفيها من الشعارات .

فقد جاء في دستور حزب البعث في فصل " سياسة الحزب في التربية والتعليم مايلي " :

" تربي سياسة الحزب التربوية الى خلق جيل عربي يؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها ، آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية مشبع بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الانسانية . ولذا فالحزب يقرر :

\* طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرانية والفنية بطابع قومي عربي يعيد للأمة صلتها بتاريخها الميمى ويحفزها الى ان تتطلع الى مستقبل أجد وأمثل " ١ "

وجاء في الميثاق الوطني للجبهة القومية في اليمن الجنوبي الذى وافق عليه المؤتمر الاول للجبهة الذى انعقد في الفترة بين ( ٢٢ - ٢٥ يونية ١٩٦٥ م ) مايلي :

" . . ان وضع خطة تعليمية شاملة يجب أن يكون متشياً مع أهداف الثورة لخلق اجيال عربية قومية وإعداد الكفاءات الفنية والعلمية التي تتطلبها خطط التنمية الاقتصادية وتحتاجها كافة المجالات ومختلف مرافق الحياة " ٢ "

- 
- (١) حولية الثقافة العربية : ١٩٩/٢ .
- (٢) التعليم المعلم في البلاد العربية : ٣٦١ .

وهكذا يتضح من المقارنة <sup>١</sup> ماقررت المؤتمرات المحلية الباكستانية  
افضل - وان لم يطبق - ما قررت المؤتمرات العربية على مستوى العالم  
العربي أو على مستوى كل دولة .

فاذا انتقلنا الى رصد ماقررت كل دولة من دول العالم العربي من أهداف  
ووسائل للتعليم عموماً ، او لكل مرحلة من المراحل الثلاث على حدة فاننا نجد  
أن نفس الامور التي تركز عليها المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، وهي  
المواطنة ، والعروة ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، ووحدة الرجعية ، هي  
التي تركز عليها قرارات وقوانين الدول كل على حدة .

فقد جاء في الفصل الثاني من قانون التربية والتعليم في الاردن الصادر  
عام ١٩٦٤ م بيان الاهداف العامة للتعليم وكان من ضمنها :

" .. اعداد المواطن الصالح المؤمن بالله والمثل العليا للأمة  
العربية المتمسك بجميع حقوق المواطنة والمتحمل للمسؤوليات المترتبة  
عليها " <sup>١</sup>

وقد حدد الدستور العراقي في المادة ٢٨ منه أهداف التربية  
والتعليم في الآتي :

" يستهدف التعليم رفع وتطوير المستوى الثقافي العام وتنمية التفكير  
العلمي وادكا<sup>١</sup> روح البحث العلمي ، وتلبية متطلبات مناهج التطوير والانماء  
الاقتصادية والاجتماعية وخلق جيل قومي متحرر تقدمي قوى في بنيته واخلاقه  
يعتز بشعبه ووطنه وتراثه ، ويتحسس بحقوق قومياته كأمة ويناضل ضده .  
الفلسفة الرأسمالية والاستغلال والرجعية والصهيونية والاستعمار من أجل  
تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية " <sup>٢</sup>

وجاء في التوجيهات التي كانت تصدر بها المناهج في الخمسينات  
في القرن الميلادي الحالي مايلي في بيان أهداف التعليم الابتدائي :

" ١ - ان هدف التعليم الابتدائي بث الثقافة العامة في الجيل الناهض وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامة ، وتفكير صحيح وجسم قوى ، وأخلاق متينة ، وروحيات سامية ، وذوق سليم ، وبد عاملة ، واخلاص وتضحية في سبيل الامة والوطن " " ١ "

أما أهداف التعليم في مصر فقد حددتها السياسة التعليمية فسي مصر التي صدرت بقرار من مجلس الوزراء عام ١٩٧٢ م ان جاء فيه مايلي :

" ١ - تكوين الطالب في مختلف مراحل التعليم وأنواع تكوينه سليماً من النواحي العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والقومية والدينية بحيث يصبح مواطناً اشتراكياً ودرکاً لواجباته نحو ربه واسرته ووطنه " " ٢ "

وهذه الاهداف نفسها هي التي ركز عليها القانون رقم ٦٨ لعام ١٩٦٨ م باختلاف يسير في الالفاظ .

أما عن أهداف التعليم الابتدائي في مصر فقد نص القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ م على مايلي :

" أ - مساعدة الطفل على النمو المتكامل في النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والروحية - الى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته "

ب - . . . . .

ج - تنشئته على الاعتزاز بالوطن وبقوميته العربية .

د - تربيته للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي " " ٣ "

-----

- ( ١ ) حولية الثقافة العربية : ٢١٩/١ ، ونفس الهدف لم يتغير وان اختلفت الصياغة عام ١٩٦٨ م حيث صدر قانون التعليم الابتدائي برقم ٦٣ ( انظر التعليم العام في البلاد العربية ١٩٦ ) .
- ( ٢ ) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ٨٠ .
- ( ٣ ) نفس المصدر : ٤٦ ، وانظر التاريخ الثقافي للتعليم في مصر :

أما قانون التعليم العام الصادر في عام ١٩٦٨ م فيحدد أهداف التعليم الابتدائي في الآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الابتدائي الى تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا وتزويدهم بالقدر الاساسي من المعارف البشرية والمهارات الفنية والعملية التي لاغنى عنها للمواطن الصالح المستنير لشق طريقه في الحياة بنجاح بعد تأهيله مهنيًا أو لمواصلة الدراسة في المرحلة التعليمية التالية " ١

أما أهداف المدرسة الاعدادية حسب قانون " ٥٥ " لسنة ١٩٥٧ م فقد حددت في مصر بامور منها :

- " ٤ - اعداد التلاميذ للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي .
- ٥ - تعريف التلاميذ بمفاهيم القومية العربية وتقوية اعتزازهم بالوطن العربي " ٢

أما أهداف التعليم الثانوي بمصر فقد حددها القانون الحالي\* بالآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الثانوي فضلا عن الارتقاء بالاعداد المصم للطلاب جسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا الى تزويدهم بما يحتاجون اليه من العلوم والآداب والفنون والمهارات العلمية بما يمكنهم من مواصلة الدراسة بمرحلة التعليم العالي والجامعي " ٣

وهي أخف وطأة من الاهداف التي كانت موضوعة للتعليم الثانوي قبل القانون الحالي ، فقد كان من ضمن أهداف التعليم الثانوي سابقا مايلي :

- (١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٥ .
- (٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣٩ .
- (٣) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٢٠ - ٣٢١
- \* القانون الحالي هو القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨ م

٣ - اعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي .

٥ - تدعيم الثقافة القومية للطالب واهانه بالقومية العربية "١"

أما التعليم الفني فقد كان من اهدافه مايلي :

٢ - اعداد المواطن الاشتراكي الديمقراطي الذي يفكر ويتصرف في عمله

ومجتمعه وفق المبادئ الاشتراكية الديمقراطية "٢"

فإذا انتقلنا الى سوريا فإننا نرى أن المادة الاولى من قانون المعارف

الصادر في ١٩٤٤/١٢/٢١ برقم ٤٠ ينص على مايلي :

" مهمة وزارة المعارف الاساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة

من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية - لينشأ كل فرد من أفراد قوى البدن ،

حسن الخلق وصحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته ،

ومزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ... "٣"

أما الهدف من التعليم كما حدد بعد ثورة ٨ / مارس / ١٩٦٣ م فانه

مايلي :

" الهدف من نظام التعليم والثقافة انشاء جيل عربي قومي اشتراكي

علي التفكير مرتبط بتاريخه معتز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق

أهداف أمته في الوحدة والحرية والاشتراكية وفي خدمة الانسانية وتقدمها .

" تشجيع الدولة الثقافة القومية الاشتراكية التي تهدف الى تحقيق

المثل العليا للامة العربية وقضايا الانسانية وتعتبرها اساساً لبناء المجتمع"

(١) التاريخ الاجتماعي للتعليم في مصر : ٢٤٣

(٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٥٢

(٣) حولية الثقافة العربية : ٨٩/١ ، ونفس الاهداف تضمنها القرار

الصادر عام ١٩٥٩ م برقم ١٥٣٢ باختلاف يسير في الالفاظ .



" تعتبر العلم والابحاث وكل ما يثم التوصل اليه من منجزات علمية أساسية لتقدم المجتمع العربي الاشتراكي ، وعلى الدولة أن تقدم الدعم الشامل " ١ "

أما أهداف التعليم الابتدائي في سوريا فقد حددتها في النظام الداخلي للمدارس الابتدائية وهو المعمول به حاليا - وقد تضمن الأهداف الآتية :

" ١ - العمل على اكساب التلاميذ العادات السالحة والصفات المثلى وتكوين الاتجاهات القوية فيهم ، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم واستعداداتهم الجسمية والفكرية والفنية " .

٤ - ترشيح روح الاعتزاز بالامة العربية والنضال من أجل اقامة دولة عربية واحدة في وطن عربي حر " ٢ "

وتتضمن اهداف المرحلة الابتدائية في ليبيا الهدفين التاليين :

" ١ - تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقا واجتماعيا وقوميا .

٢ - تزويد الاطفال بالقدر المناسب والاساسي لمعرفة البشرية ،

والمهارات الفنية والعملية التي لا غنى عنها للمواطن الصالح المستنير لكي يشق طريقه في الحياة بعد تدريب مناسب " ٣ "

أما في اليمن الشمالي فقد حددت الخطة الخمسية الاولى ( ١٩٧٠ -

١٩٧٥ ) أهداف التعليم الابتدائي بأنها تعمل على :

- تربية جيل صالح متسامح يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ويتمسك بالدين ويقدس المثل العليا ويتحلى بالفضيلة ويحترم التقاليد

ويؤمن بوطنه ووحدته اراضيه .

( ١ ) التعليم العام في البلاد العربية : ١٨٠ ، ١٨١ .

( ٢ ) نظم التعليم : ٦٥

( ٣ ) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ١٠٧ ، ١٠٨ .

- تبصير التلاميذ بمشكلات امثهم العربية وتعميق الايمان في نفوسهم  
باهمية وحدة العرب وازالة الحواجز بينهم "١"

أما الا "سس القومية والاجتماعية للمناهج بعد توحيد المناهج والخطط\*  
بين ليبيا ومصر فقد كان منها :

- ٣ - ان تجلو المناهج جوانب التراث العربي الاسلامي ، باعتباره  
مقوماً من ابرز مقومات القومية العربية وله دوره الواضح في بناء الحضارة الانسانية .
- ٦ - ان تغني المناهج بدراسة التاريخ العربي والاسلامي بما  
يشتمل عليه من سير ونظم واتجاهات تبرز البطولة والفضائل العربية وأن تكشف  
الدراسة عن آمجاد العرب والمسلمين وحضارتهم ووقوفهم ضد الطغيان وموافرات  
الاستعمار عبر العصور ، كما تكشف عن ابطال العرب والمسلمين الناشئين  
وعلمائهم في شتى ميادين السلم والحرب "٢"

#### أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية

لم يكن يوجد قبل إصدار السياسة العامة للتعليم بالمملكة العربية  
السعودية - التي أعدتها اللجنة الفرعية لسياسة التعليم - أهداف عامة -  
مكتوبة للتعليم عامة فيما أعلم ، وإنما كان يذكر - في التعاميم التي يرد فيها  
بيان المنهج لكل مرحلة - أهداف هذه المرحلة ، ويذكر مع بيان منهج كل  
مادة أهداف هذه المادة ، وبعد أن أعدت اللجنة الفرعية لسياسة التعليم  
" السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " فصل في هذه  
السياسة ، الغاية من التعليم عامة ، وأهداف التعليم عامة ، وقد تضمنت  
ثلاثة وثلاثين هدفاً ، كما تضمنت أهداف دور الحضنة ورياض الأطفال ، وأهداف  
كل من المراحل " الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ، والعالية " .

- (١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٥١/٣٥٠
- (\*) قد اختلف النظامان كما يبدو ، وهذا فإن توحيد المناهج قد انفي .
- (٢) حول تعليم الابتدائي ونظمه : ١١٠ ، ١١١

وسوف أقتصر هنا على ذكر الغاية من التعليم عامة ، ثم أذكر أهداف كل من المراحل " الابتدائية " والمتوسطة والثانوية " وأهداف تعليم البنات خاصة ، وإعداد المعلم وإعداد المناهج والمفردات الدراسية وما يجب أن يسير عليه تعليم البنات ، وإعداد المعلمين ، والمناهج والمقررات ، أما أهداف التعليم عامة فلعل ذكر الغاية من التعليم عامة وأهداف كل مرحلة من مراحل التعليم العام يفني عن ذكر هذه الأهداف سيما وهي طويلة نسبياً ، أما أهداف التعليم العالي فإني لا أذكرها لاني رأيت أن اقتصر على ذكر أهداف التعليم العام فقط والآن ، ماهي الغاية من التعليم كما حددته السياسة العامة للتعليم ؟ وماهي أهداف كل مرحلة من مراحل التعليم ؟ هذا عموماً سأذكره في الفقرات الآتية :

#### الغاية من التعليم :

حددت السياسة العامة للتعليم ، الغاية من التعليم في الآتي :

" ٢٨ - غاية التعليم فهم الاسلام فهماً صحيحاً متكاملًا ، وغرس العقيدة الاسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الاسلامية والمثل العليا ، واكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه " ١

#### أهداف التعليم الابتدائي :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف التعليم الابتدائي فهي

الآتي :

" ٧٣ - تعهد العقيدة الاسلامية الصحيحة في نفس الطفل ورعايته بتربية اسلامية متكاملة في خلقه وجسمه وعقله ولغته وانتمائه الى امة الاسلام "

- ٧٤ - تدريبه على إقامة الصلاة وأخذه بآداب السلوك والفضائل .
- ٧٥ - تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية والمهارة العددية والمهارات الحركية .
- ٧٦ - تزويده بالقدر المناسب من المعلومات في مختلف الموضوعات
- ٧٧ - تعريفه بنعم الله عليه في نفسه وفي بيئته الاجتماعية والجغرافية ليحسن استخدام النعم وينفع نفسه وبيئته .
- ٧٨ - تربية ذوقه البديهي وتعهده بنشاطه الابتكاري ، وتنميته تقدير العمل اليدوي لديه .
- ٧٩ - تنمية وعيه ليدرك ما عليه من الواجبات وماله من الحقوق ، فسي حدود سنه وخصائص المرحلة التي يمر بها وغرس حب وطنه والاخلاص لولاة امره .
- ٨٠ - توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح وتدريبه على الاستفادة من أوقات فراغه .
- ٨١ - اعداد الطالب لما يلي هذه المرحلة من مراحل حياته "١"

#### أهداف التعليم المتوسط :

- حددت السياسة العامة للتعليم أهداف التعليم المتوسط في الآتي :
- ٨٣ - تكوين العقيدة الإسلامية في نفس الطالب وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته ، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه .
- ٨٤ - تزويده بالخبرات والمعارف الملائمة لسنه ، حتى يلم بالاصول العامة والمبادئ الأساسية للثقافة والعلوم .
- ٨٥ - تشويقه الى البحث عن المعرفة وتعميده التأمل والتبصع العلمي .

(١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية نقلا عن المصدر السابق :

- ٨٦ - تنمية القدرات العقلية والمهارات المختلفة لدى الطالب  
وتعهد ها بالتوجيه والتهديب .
- ٨٧ - تربيته على الحياة الاجتماعية الاسلامية التي يسودها الاخاء  
والتعاون وتقدير الشبهة وتحمل المسئولية .
- ٨٨ - تدريبه على خدمة مجتمعه ووطنه وتنمية روح النصح والاخلاص  
لولاية امره .
- ٨٩ - حفزه لامتداد استعادة آماجد أمة المسلمة التي يفتي اليها  
واستئناف السير في طريق العزة والمجد .
- ٩٠ - تعويده الانقماص بوقته في القراة المفيدة واستثمار فراغه  
في الأعمال للنافعة وتصريف نشاطه بما يجعل شخصيته  
الاسلامية مزدهرة قوية .
- ٩١ - تقوية وعي الطالب ليعرف - بقدر سئله - كيف يواجه الاشاعات  
الضلالة . والمذاهب الهدامة والبهادي\* الدخيلة ،
- ٩٢ - إعداد له لما يلي هذه المرحلة من مراحل الحياة \* ١ \*

#### أهداف التعليم الثانوى :

- حددت السياسة العامة للتعليم أهداف المرحلة الثانوية بالآتي :
- ٩٤ - متابعة تحقيق الولا\* لله وحده وجعل الاعمال خالصة لوجهه  
ومستقيمة - في كافة جوانبها - على شرعه .
- ٩٥ - دعم العقيدة الاسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب الى  
الكون والانسان والحياة الدنيا والاخرة ، وتزويده بالمفاهيم  
الاساسية والثقافة الاسلامية التي تجعله معتزاً بالاسلام قادراً  
على الدعوة اليه والدفاع عنه .

- ٩٦ - تكوين الانتقاء الحي لامة الاسلام والحاملة لراية التوحيد .
- ٩٧ - تحقيق الوفاء للوطن الاسلامي العام وللوطن الخاص -  
( المملكة العربية السعودية ) - بما يوافق هذه السن من  
تسام في الافق وتطلع الى العليا وقوة في الجسم .
- ٩٨ - تعهد قدرات الطالب ، واستعداداته المختلفة التي تظهر  
في هذه الفترة وتوجيهها وفق مايناسبه وما يحقق أهداف  
التربية الاسلامية في مفهومها العام .
- ٩٩ - تنمية التفكير العلمي لدى الطالب وتمسيق روح البحث والتجريب  
والتشبع المنهجي واستخدام المراجع والتعود على طرق  
الدراسة السليمة .
- ١٠٠ - اتاحة الفرصة أمام الطلاب القادرين واعدادهم لمواصلة  
الدراسة - بمستوياتها المختلفة - في المعاهد العليا  
والكليات الجامعية في مختلف التخصصات .
- ١٠١ - تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق .
- ١٠٢ - تخريج عدد من المؤهلين مسلكيا وفنيا لسد حاجة البلاد في  
المرحلة الاولى من التعليم والقيام بالمهام الدينية والاعمال  
الفنية ( من زراعية وتجارية وصناعية ) وغيرها .
- ١٠٣ - تحقيق الوعي الاسرى لبناء اسرة اسلامية سليمة .
- ١٠٤ - اعداد الطلاب للجهاد في سبيل الله روحيا وبدنيا .
- ١٠٥ - رعاية الشباب على أساس الاسلام ، وعلاج مشكلاتهم الفكرية  
والانفعالية ومساعدتهم على اجتياز هذه الفترة الحرجة من  
حياتهم بنجاح وسلام .
- ١٠٦ - اكسابهم فضيلة المطالعة النافعة والرغبة في الازدياد من العلم  
النافع والعمل الصالح واستغلال أوقات الفراغ على وجه مفيد  
تزدهر به شخصية الفرد وأحوال المجتمع .

١٠٧ - تكوين الوعي الايجابي الذي يواجه به الطالب الافكار الهدامة  
والاتجاهات المضللة . "١"

تعليم البنات أهدافه وما يجب ان يسير عليه :

حددت السياسة العامة للتعليم ذلك في الآتي :

١٥٣ - يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية صحيحة إسلامية لتقوم  
بمهمتها في الحياة فتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأماً  
صالحة ، ولاعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس  
والتعريض والتطبيب .

١٥٤ - تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الامكانيات اللازمة ما لم يكن  
لاستيعاب جميع من يصل منهن الى سن التعليم ، واتاحة  
الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة الوافية  
بحاجة البلاد .

١٥٥ - يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم  
الا في دور الحضانة ورياض الاطفال .

١٥٦ - يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة  
ويكون في كفيته وأنواعه متفقاً مع احكام الاسلام . "٢"

اعداد المعلم :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المعلم بعشرة أهداف  
أذكر منها هنا هدفين ، لان بقية الاهداف اهداف اجرائية :

(١) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

- ١٦٣ - تكون مناهج إعداد المعلمين في مختلف الجهات التعليمية وفي جميع المراحل وافية بالاهداف الأساسية التي تنشدها الأمة في تربية جيل مسلم يفهم الاسلام فهماً صحيحاً عقيدة وشريعة ويبذل جهده في النهوض بأمت .
- ١٦٤ - يعني بالتربية الاسلامية واللغة العربية في معاهد وكليات إعداد المعلمين حتى يتمكنوا من التدريس بروح اسلامية عالية ولغة عربية صحيحة " ١ "
- ومن هذا القبيل نصت السياسة للتعليم في أحد موادها على قضية اختيار القائمين على التربية والتعليم " فقد جاء في المادة ١٩٥ مايلي :
- ١٩٥ - يتم اختيار القائمين على التربية والتعليم من ذوي الكفاية العلمية والتربوية والفنية والخلق الاسلامي النبيل " ٢ "

#### المناهج والكتب الدراسية :

---

- حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المناهج بهدفين أذكر أحدهما لان الهدف الآخر هدف اجرائي :
- ٢٠٧ - ينبغي أن تكون هذه المناهج :
- أ - منبثقة من الاسلام ومن مقومات الامة وأسس نظامها .
  - ب - موافقة لحاجات الامة ترمي الى تحقيق أهدافها .
  - ج - مناسبة لمستوى الطلبة .
  - د - محققة للمستوى المطلوب في الدارسين ولأهداف التعليم .
  - هـ - متوازنة ، ومرنة ، توافق مختلف البيئات والاحوال " ٣ "



أما أهداف إعداد الكتاب المدرسي فقد حددت بثلاثة أهداف ،  
 هدفان منها إجرائيان ، ولذا فلن أذكرهما بل أكتفي بالهدف الثالث :  
 " ٢٠٩ - يكون الكتاب المدرسي منسجماً مع مقتضيات الاسلام ، سليم  
 اللغة وافياً بأهداف المنهج ومقاصد العلمية والعلمية  
 والخلقية " ١

ولدى المقارنة بين أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية عامة  
 وأهداف كل مرحلة على حدة - بالأهداف التي وضعت في الدول التي ذكرت  
 أهداف التعليم لديها - فإننا نجد أن أهداف التعليم في المملكة العربية  
 السعودية أفضل من أهداف التعليم في الدول الأخرى كلها ، ففي أهداف  
 التعليم في المملكة لا توجد أهداف من مثل " إنشاء جيل عربي قومي اشتراكي "  
 ولا هدفاً مثل " إعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي "  
 وإنما هي تركز على تكوين العقيدة في نفوس الناشئة ، وتحقيق الولاء لله  
 وحده سبحانه ، وتمكين الانتماء الحي إلى الأمة الإسلامية في نفوس الناشئة ،  
 بشتى الوسائل .

أما مافي هذه الأهداف من ما يشعر بالوطن وحبه والوفاء له ، فإن  
 المقصود بذلك الوفاء للوطن الكبير " العالم الاسلامي " والوطن الصغير -  
 " المملكة " بدرجة متساوية لا من أجل الأرض والتراب ، وإنما لأنها ديار  
 الاسلام والمسلمين الذين يؤمنون بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه  
 وسلم نبياً ورسولاً ، ولأن المملكة بخاصة تضم الحرمين الشريفين ، وحققها على كل  
 مسلم ومنهم الطلاب في هذه البلاد حق زائد على حقوق البلاد الأخرى ،  
 هذا هو المقصود فيما اعتقد من ذكر الوطن وحبه والوفاء له ، لأن هذا هو  
 الذي ينسجم مع بقية الأهداف التي تتضمنها السياسة العامة للتعليم .

وهنا لابد من التأكيد على ان السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " تعد في نظري أنموذجاً يجب أن نقتدى به ، وأن يعم بلاد المسلمين كلها لما تتضمنه من أهداف اذا نفذت في الواقع العملي ضمناً لإعداد وتربية جيل مؤمن صالح يعمل لصلاح حال البشر ، وانما كان الأمر كذلك فلا بد من الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة في المملكة العربية السعودية لاسيما وأن ماتضمنته من أهداف يؤيدها الشرع والواقع ، وكمثال على ذلك الهدف الذي ينص على منع الاختلاط في التعليم في كافة مراحله هدف ورد به الشرع وأيده الواقع المعاشي في العالم كله كما سأوضح ذلك عند الحديث عن الاختلاط في التعليم .

المطلب الثاني

الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين فيها :

---

فيما ذكرت في الفقرة السابقة من قرارات المؤتمرات وقوانين الحكومات ، وفيما ذكرت من آراء التربويين في الفصل السابق يتضح أن الدين لم يكن له ذكر ، حتى ولا للتبرك ، ماعدا ماورد في قرارات مؤتمرات باكستان المحلية ، ورغم ذلك فهي لم تنفذ كما قال الكونوتيل عشاني - وإذا كانت المؤتمرات على مستوى العالم العربي ، وكتابات التربويين وهم الذين يشتركون في المؤتمرات التربوية التي يُوصي فيها بأمور غالبا ما تطبق. لا تهتم بالعلوم الشرعية ، بل إن بعض التربويين يصدر منهم كتابات تهاجم الدين وتصفه بالفوجعية وتصف المتسكين فيه بالرجعيين - فإن قرارات الحكومات وقوانينها نزع لهذه الاصول لان هذه الاصول - اعني التربويين - هي التي تقرر ، ولذا فان الانسان لا يتوقع من اكثر الحكومات أن تهتم بتدريس الدين - كليا أو كيفيا - وهذا هو الواقع بالفعل ، فإن نصيب مواد الشرعية في المراحل الثلاث من خطط الدراسة عواقل الانصبة ، وأحيانا في بعض الخطط قد تزيد حصص الموسيقى ، او التربية الرياضية ، او التربية الفنية ، عن حصص الدين ، وأحيانا تساويها ، اما اللغة الاجنبية فإنها في أغلب الخطط تزيد على حصص المواد الشرعية هذا من الناحية الكمية . وليست الناحية الكمية هي التي تعطي هذه المسألة حجمها ووزنها الصحيح غير أنها تشكل مع الناحية الكيفية المتمثلة في تدريس هذه المواد ، وموضوعات هذه المواد ، من جهة ، ومدى هيمنة التصور الاسلامي الصحيح على كافة المقررات الدراسية ، من مواد الدين ، الى مواد العلوم والاجتماعيات ، والانجليزى واللغة العربية من جهة أخرى إطارا واحدا يمكن من خلاله الحكم على مدى قرب المنهج من التصور الاسلامي أو بعده عنه .

والواقع المؤسف أن نصيب المواد الشرعية من الخطط في أغلب البلاد الاسلامية نصيب ضئيل من الناحيتين الكمية والكيفية ، فعدد حصص

الدين قليل ، والموضوعات التي تدرس ، قليلة ، وتقتصر على ما يسمى بالجانب العبادي من الدين ، دون الجوانب الأخرى ، كالمعاملات والحدود والاحوال الشخصية ، ويدرس هذا الجانب بكيفية سيئة لا تفيد الدارسين ، ولا تنشوهم تنشئة اسلامية صحيحة .

واليك نماذج من خطط بعض الدول العربية ، وسوف أستعرض لكل دولة ما أذكر مجموعة من الخطط لسنوات متعددة حتى نقيس مدى التحسن أو عكسه فيما خصص للمواد الشرعية من حصص في الخطط . وابدأ بالاردن :

يلاحظ أن نصيب القرآن والديانة في المرحلة الثانوية في الاردن حسب خطة عام ١٩٥١/٥٠ م كانت على التوالي  $\frac{2}{35}$  في السنوات الاربع أى أى ما يعادل ( ٥٢٢ ٪ ) من عدد ساعات الدراسة ال ٣٥ .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو  $\frac{8}{35}$  في السنتين الاولى والثانية أى ما يعادل ( ٢٢٨٦ ٪ ) من عدد ساعات الدراسة ال ٣٥ وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة ( أدبي ) هو  $\frac{9}{35}$  أى ما يعادل ( ٢٥٧٢ ٪ ) وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة ( علمي ) هو  $\frac{7}{35}$  أى ما يعادل ( ١٧١٦ ٪ )<sup>\*</sup>

وهذا يكون نصيب اللغة الانجليزية في السنوات الاربع يعادل -

( ٢١٩١ ٪ ) من مجموع الساعات . بينما القرآن والديانة نصيبها يعادل ( ٥٧٢ ٪ )

أما آخر خطة كما يذكرها صاحب كتاب ( التعليم العام في البلاد العربية )\*

فإنها تنص على الآتي :

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ٦٨/٢ .

( \* ) صدر في عام ١٩٦٨/٦٧ م .

\* أن نصيب التربية الدينية هو  $\frac{3}{39}$  من الصف الاول ( بنين ) أى  
 أن نسبة حصصها الى مجموع الحصص هو ( ٧٧٠ ٪ ) أما نصيبها  
 في مدارس البنات فهو (  $\frac{3}{38}$  ) أى أن نسبة حصصها الى مجموع  
 الحصص هو ( ٧٩٠ ٪ )

\* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني ( أدبي ) بنين هو  
 (  $\frac{3}{37}$  ) أى متعادل نسبته ( ٨١١ ٪ ) . أما نصيبها في  
 مدارس البنات ( ادبي ) فهو (  $\frac{3}{36}$  ) أى متعادل نسبة ( ٨٣٣ ٪ )

\* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثالث ( أدبي بنين ) هو (  $\frac{3}{37}$  )  
 أى متعادل نسبته ( ٨١١ ٪ ) أما نصيبها في الصف الثالث ( ادبي  
 بنات ) فهو (  $\frac{3}{26}$  ) أى متعادل نسبته ( ١١٥٤ ٪ ) .

\* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني ثانوى علي بنين هو  
 (  $\frac{3}{38}$  ) أى متعادل نسبته ( ٧٩٠ ٪ ) . أما نصيبها في  
 الصف الثاني علي بنات فهو (  $\frac{3}{37}$  ) أى متعادل نسبته ( ٨١١ ٪ )

\* ان نصيب التربية الدينية في الصف الثالث ثانوى علي بنين هو (  $\frac{3}{29}$  )  
 أى متعادل نسبته ( ١٠٣٥ ٪ ) أما نصيبها في الصف الثالث  
 علي بنات فهو (  $\frac{3}{38}$  ) أى متعادل نسبته ( ٧٩٠ ٪ ) .

فإذا أردنا مقارنة نصيب التربية الدينية بنصيب اللغة الانجليزية فإننا  
 نجد أن نصيب اللغة الانجليزية في الصف الاول الثانوى من مجموع الحصص  
 هو (  $\frac{7}{39}$  ) للبنين أى متعادل نسبته ( ١٧٩٥ ٪ ) من مجموع الحصص،  
 أما نصيبها في الصف الاول بنات فكان (  $\frac{7}{38}$  ) أى متعادل نسبته  
 ( ١٨٤٢ ٪ ) .

\* أما نصيب اللغة في الصف الثاني ادبي ( بنين ) فكان (  $\frac{8}{37}$  )  
 أى متعادل نسبته ( ٢١٦٣ ٪ ) أما نصيبها في الصف الثاني أدبي  
 بنات فكان (  $\frac{8}{36}$  ) أى متعادل نسبته ( ٢٢٢٢ ٪ )

\* أما نصيبها في الصف الثالث ادبي بنين فكان  $(\frac{8}{37})$  أي متعادل

نسبته  $(21.05 \%)$  وأما في البنات فكان نصيب اللغة من الخطة

هو  $(\frac{8}{26})$  أي متعادل نسبته  $(30.76 \%)$  .

\* وكان نصيب اللغة في الصف الثاني علي " بنين " هو  $(\frac{7}{38})$  أي

متعادل نسبته  $(18.42 \%)$  وكان نصيبها في الصف الثاني علي

بنات هو  $(\frac{7}{37})$  أي متعادل نسبته  $(18.91 \%)$  .

\* أما نصيبها من الخطة في الصف الثالث علي بنين فهو  $(\frac{7}{29})$  أي

متعادل نسبته  $(24.13 \%)$  وفي الصف الثالث علي بنات  $(\frac{7}{38})$

أي متعادل نسبته  $(18.42 \%)$  " ١ "

\* أما نصيب الدين والقرآن من خطة الدراسة للمرحلة الابتدائية في الاردن

لعام ١٩٤٩/٤٨ م فهو على النحو التالي :

$$\frac{3}{34} , \frac{4}{33} , \frac{4}{33} , \frac{4}{37} , \frac{5}{28} , \frac{5}{26} , \frac{4}{24}$$

هذا في مدارس البنين .

أما نصيب الدين والقرآن في خطة الدراسة لنفس المرحلة للبنات فقد

كان على النحو الآتي على التوالي :

$$\frac{3}{34} , \frac{4}{34} , \frac{4}{34} , \frac{4}{34} , \frac{5}{30} , \frac{5}{28} , \frac{4}{24}$$

هذا في المدن .

أما نصيب الدين في مدارس القرى ذات الصفوف الخمسة من الخطة

العامة فكان كالاتي على التوالي :

$$\frac{4}{24} , \frac{5}{26} , \frac{5}{33} , \frac{4}{34} , \frac{5}{34} , \frac{3}{34}$$

وبمنظرة عابرة نجد أن أعلى نسبة لحصص الدين بالنسبة للخطة هي

$(19.23 \%)$  في الصف الثاني من مدارس المدن والقرى  $(\frac{5}{26})$  وأن أدنى

(١) : التعليم العام في البلاد العربية : ١١٣ . والنسب من عمل الباحث .

(٢) : حولية الثقافة العربية : ٥٦/١ ، ٥٧ ، ٥٩ الجداول الخاصة بذلك .

والنسب من عمل الباحث .

نسبة هي ( ٨٨٢ ٪ ) وهي للصف الخامس للبنين ، والخامس والسادس للبنات .

أما في خطة عام ١٩٥١/٥٠ فقد كان نصيب الدين من حصص الخطة مايلي :

$$\frac{٢}{٢٤} ، \frac{٥}{٢٨} ، \frac{٥}{٣٢} ، \frac{٤}{٣٣} ، \frac{٤}{٣٣} ، \frac{٣}{٣٤} ، \frac{٣}{٣٤}$$

وفي مقابل ذلك كان نصيب اللغة الانجليزية من الصف الرابع مايلي على التوالي :

$$\frac{٦}{٣٣} ، \frac{٦}{٣٣} ، \frac{٧}{٣٤} ، \frac{٧}{٣٤} "٢"$$

وبنظرة عابرة كذلك نجد أن نصيب الدين في خطة عام ١٩٥١/٥٠ أقل من نصيبه في خطة عام ١٩٤٩/٤٨ ما عدا الصف الرابع ففي خطة عام ١٩٥١/٥٠ كان أكثر من نصيبه في عام ١٩٤٩/٤٨ ، وفي الصف الخامس والسابع متساويان .

كما أنه واضح أن اللغة الانجليزية كان لها نصيب أكثر من الدين في الخطة - ، إذ أن نصيبها يمثل النسب الآتية منذ السنة الرابعة :

( ١٨١٨ ٪ ) من عدد الحصص ( ١٨١٨ ٪ ) من عدد الحصص و ( ٢٠٥٨ ٪ ) من عدد الحصص و ( ٢٠٥٨ ٪ ) من عدد الحصص . بينما نصيب الدين منذ السنة الرابعة يمثل النسب الآتية :

( ١٢١٢ ٪ ) من عدد الحصص و ( ١٢١٢ ٪ ) من عدد الحصص و ( ٨٨٢ ٪ ) من عدد الحصص و ( ٨٨٢ ٪ ) من عدد الحصص .

أما نصيب القرآن والدين عموماً من خطة عام ١٩٥١ م فلم يكن بأفضل من نصيبه في الخطتين السابقتين بل هو أقل نصيباً من السابقتين يوضح ذلك نظرة الى الجدول المتضمن للخطة فمنه يتبين أن نصيب الدين كان كالآتي :

$$\frac{3}{30} , \frac{4}{32} , \frac{5}{36} , \frac{5}{42} , \frac{5}{36} , \frac{4}{36} , \frac{3}{36} ,$$

أما اللغة الأجنبية فإن نصيبها من الخطة في كل من الصف الخامس

$$\text{والسادس مايلي : } \frac{7}{36} , \frac{7}{36} .$$

وكان نصيب التربية البدنية والنشاط الحر من الخطة هو الآتي :

$$\frac{4}{30} , \frac{4}{32} , \frac{3}{32} , \frac{5}{36} , \frac{4}{36} , \frac{3}{36} .$$

وكان نصيب الرسم والاشغال من الخطة هو الآتي :

$$\frac{3}{30} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{3}{36} , \frac{2}{36} , \frac{3}{36} "١"$$

فإذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من الدين ، واللغة الأجنبية ، والتربية

البدنية ، والرسم والاشغال ، لوجدنا أن مواد الدين كان نصيبها من

الخطة في جميع السنوات هو  $\frac{24}{202}$  أربع وعشرون حصة من مائتين واثنين من

الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة ( ١٢٪ ) من مجموع الحصص في جميع السنوات  
أما اللغة الأجنبية وهي تدرس في سنتين فقط فإن نصيبها  $\frac{11}{202}$  ثلاث عشرة  
حصة من واثنين واثنين من الحصص ، وهي تشكل من حيث النسبة ( ٥.٥٪ ) من  
مجموع الحصص في جميع السنوات أي نصيب مواد الدين .  
أما التربية البدنية فقد كان نصيبها من الخطة في جميع السنوات هو :

$$\left( \frac{23}{202} \right) \text{ ثلاثة وعشرون حصة من مائتين واثنين من الحصص . وهي تشكل}$$

من حيث النسبة ( ١١.٥٪ ) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

أما الرسم والاشغال فقد كان نصيب هذه المادة من الخطة في جميع

$$\text{السنوات هو } \left( \frac{17}{202} \right) \text{ سبعة عشرة حصة من مائتين واثنين من الحصص .}$$

وهي تشكل من حيث النسبة ( ٨.٥٪ ) .

أما نصيب التربية الدينية من الخطة الأخيرة \* " كما يذكر ذلك مؤلف

كتاب التعليم العام في البلاد العربية فهو كالآتي :

(١) دراسات في نظم التعليم : ٥٠

(\*) هي خطة عام ١٩٦٨/٦٧ م .



$$\cdot \frac{2}{28} , \frac{3}{30} , \frac{4}{32} , \frac{4}{32} , \frac{4}{35} , \frac{4}{35}$$

بينما اللغة الانجليزية كان نصيبها من الخطة هو كالآتي في السنتين

$$\cdot \frac{6}{35} , \frac{6}{35} : \text{الاخيرتين}$$

وأما التربية الرياضية فقد كان نصيبها كالآتي على التوالي :

$$\cdot \frac{4}{28} , \frac{5}{30} , \frac{5}{32} , \frac{5}{32} , \frac{5}{35} , \frac{5}{35}$$

أما التربية الفنية فكان نصيبها من الخطة كالآتي على التوالي :

$$\cdot \frac{3}{28} , \frac{3}{30} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{3}{35} , \frac{3}{35}$$

أما مادة التعرف على البيئة فكان نصيبها من الخطة في السنة الثالثة

كالآتي على التوالي :

$$\cdot \frac{2}{28} , \frac{3}{30} , \frac{4}{32} , \frac{4}{32} , \frac{4}{35} , \frac{4}{35}$$

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد المنمثل بها وهي الدين ،

واللغة الانجليزية والتربية الرياضية والتربية الفنية ، والتعرف على البيئة لوجدنا

أن نصيب الخواص الدينية هو (  $\frac{21}{192}$  ) وهو يشكل من حيث النسبة

( ١١ ٪ ) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الرياضية هو (  $\frac{29}{192}$  ) وهو يشكل من حيث النسبة

( ١٥.٠ ٪ ) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الفنية هو (  $\frac{18}{192}$  ) وهو يشكل من حيث النسبة

( ٩.٥٠ ٪ ) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

فإذا أردنا المقارنة بين نصيب مواد الدين في كل من السنوات ٤٨ /

١٩٤٩ م و ١٩٥١/٥٠ ، ١٩٥٦ م والخطة الأخيرة فإننا نجد أن نصيب

المواد الدينية قد انخفض نسبتها أخيراً . فقد كان نصيب المواد الدينية

من الخطة في عام ١٩٤٩/٤٨ م هو (  $\frac{29}{215}$  ) لمدارس البنين أي

ماتبادل نسبه ( ١٣٧٠٪ ) و (  $\frac{29}{215}$  ) في مدارس البنات أي <sup>٢٠٨</sup> [١٥١] أي مدارس التي ماتبادل نسبه ٢٠٨  
ماتبادل نسبه ( ١٣٧٠٪ ) . أي أن نسبة نصيب المواد الدينية في هذه

المرحلة للأنواع الثلاثة من المدارس هو ( ١٣٨٠ ) إذ أن عدد الحصص

هو (  $\frac{81}{584}$  ) .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥١/٥٠ م فقد كان (  $\frac{26}{218}$  )

أي ماتبادل نسبه ١٢ ٪ .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥٦ م فقد كان (  $\frac{24}{202}$  ) أي

ماتبادل نسبه ١٢ ٪ أيضا .

أما نصيبه في الخطة الأخيرة فقد كان (  $\frac{21}{192}$  ) أي ماتبادل نسبه

١١ ٪ .

وبذا يتضح أن نصيب العلوم الدينية من الخطط قد انخفض — من

١٣٨٠ ٪ عام ١٩٤٩/٤٨ ، إلى ١٢ ٪ عامي ٥٠ ، ٥١ و ١٩٥٦ م

إلى ١١ ٪ في الخطة الأخيرة .

أما نصيب الدين في المرحلة الإعدادية بالأردن حسب آخر خطة \*

فقد كان كالآتي :

$$\frac{3}{35} , \frac{3}{35} , \frac{3}{37}$$

وكان نصيب اللغة الانجليزية هو كالآتي :

$$\frac{6}{35} , \frac{6}{35} , \frac{6}{34}$$

وكان نصيب التربية الرياضية هو كالآتي :

$$\frac{5}{35} , \frac{5}{35} , \frac{6}{37}$$

وكان نصيب التعليم المهني هو كالآتي :

$$١٠٠ \cdot \frac{٣}{٣٧} , \frac{٣}{٣٥} , \frac{٣}{٣٥}$$

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد الممثل بها هنا فإننا

نجد أن نصيب الدين في الخطة في السنوات الثلاث هو  $(\frac{٩}{١٠٧})$  أي ما

تعادل نسبته  $(٨٥٠ \%)$  وأن نصيب اللغة الانجليزية هو  $(\frac{١٨}{١٠٧})$

أي ضعف نصيب المواد الدينية وتعادل نسبته  $(١٧ \%)$  .

وأن نصيب التربية الرياضية من الخطة هو  $(\frac{١٦}{١٠٧})$  أي ما تعادل

نسبته  $(١٥ \%)$  .

وأن نصيب التربية الفنية من الخطة هو  $(\frac{٦}{١٠٧})$  أي ما تعادل نسبته

$(٦ \%)$  .

وأن نصيب التعليم المهني هو  $(\frac{٩}{١٠٧})$  أي ما تعادل نسبته

$(٨٥٠ \%)$  أي أن نصيبه مساو لنصيب المواد الدينية .

وفي البحرين كدن نصيب القرآن والدين عموماً في المرحلة الابتدائية

حسب خطة عام ١٩٥٦ م كالآتي :

$$\frac{٤}{٣٠} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{٢}{٣٤}$$

وكان نصيب الرسم كالآتي :

$$\frac{٢}{٣٠} , \frac{٢}{٣٠} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{١}{٣٤} , \frac{١}{٣٤} , \frac{١}{٣٤}$$

وكان نصيب الاشغال كالآتي :

$$\frac{٢}{٣٠} , \frac{٢}{٣٠} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{١}{٣٤} , \frac{١}{٣٤} , \frac{١}{٣٤}$$

أما التربية البدنية فكان نصيبها هو كالآتي :

$$\frac{٣}{٣٠} , \frac{٣}{٣٠} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{٢}{٣٤} , \frac{١}{٣٤} , \frac{١}{٣٤}$$

وأما نصيب الفناء فكان كالآتي :

$$\cdot \frac{2}{30} , \frac{2}{30} , \frac{2}{34} , \frac{1}{34}$$

أما النشاط الحر فكان له من الخطة مايلي :

$$\cdot \frac{2}{30} , \frac{2}{30} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34}$$

أما اللغة الاضافية فكان لها من الخطة مايلي x :

$$* 1. \frac{7}{34} , \frac{7}{34} , \frac{7}{34}$$

فإذا أردنا المقارنة بين انصبة المواد المثل بها ونسبتها الى الخطة

فإننا نجد أن نصيب القرآن والدين عموما كان  $(\frac{16}{196})$  أي متعادل نسبته

$$\cdot ( 8 \% )$$

وأن نصيب الرسم والاشغال معاً هو  $(\frac{18}{196})$  أي متعادل نسبته

$$\cdot ( 9 \% )$$

وأن نصيب التربية البدنية كان  $(\frac{12}{196})$  أي متعادل نسبته  $( 6 \% )$

وان نصيب الفناء كان  $(\frac{7}{196})$  أي متعادل نسبته  $( 3.5 \% )$

وان نصيب النشاط الحر هو  $(\frac{8}{196})$  اي متعادل نسبة  $( 4 \% )$

أما اللغة الاضافية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هو :

$$\cdot ( \frac{20}{196} ) \text{ أي متعادل نسبته } ( 10 \% )$$

وفي سوريا يلاحظ أن نصيب الدين والقرآن من الخطة الدراسية في

المرحلة الابتدائية عام ١٩٥١/٥٠ م هو كالآتي :

$$\cdot \frac{4}{34} , \frac{4}{34} , \frac{4}{34} , \frac{3}{34} , \frac{3}{34}$$

( ١ ) دراسات في نظم التعليم : ٥٣ .

( \* ) هذه جزء من خطة الدراسة في المدارس الابتدائية الريفية .

أما الرسم والاشغال اليدوية فكان نصيبها كالآتي :

$$\cdot \frac{1}{34} , \frac{1}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34}$$

وأما النشيد والرياضة البدنية فكان نصيبها كالآتي :

$$\cdot \frac{1}{34} , \frac{1}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34}$$

فإذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من المواد الممثل بهن فإننا نجد أن

نصيب مادة القرين والقرآن الكريم في هذه المرحلة هو (  $\frac{18}{170}$  ) أي متعاادل

نسبته ( ١٠,٥٨ ٪ ) .

وأن نصيب الرسم والاشغال من الخطة كان (  $\frac{8}{170}$  ) أي مطتعادل

نسبته ( ٤,٧٠ ٪ ) .

أما نصيب النشيد والرياضة البدنية فكان (  $\frac{8}{170}$  ) أي متعاادل

نسبته ( ٤,٧٠ ٪ ) .

وفي الخطة التي جاءت بعدها لعام ١٩٥٦ م بقي نصيب القرآن والدين

على حاله بينما زاد نصيب كل من مواد الرسم والاشغال ، والترفيه الرياضية . و

وقد صار نصيب مادة الدين والقرآن كالآتي :

$$\cdot \frac{3}{34} , \frac{3}{34} , \frac{4}{34} , \frac{4}{34} , \frac{4}{34}$$

وصار نصيب الرسم والاشغال كالآتي :

$$\cdot \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{3}{34}$$

وصار نصيب التربية البدنية والفناء كالآتي :

$$\cdot \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{3}{34}$$

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ٩٥/٢ .

( ٢ ) دراسات في نظم التعليم : ٥٢ .

فإذا أردنا المقارنة بين هذه الخطة والخطة السابقة فإننا نجد أن نصيب مادة الدين والقرآن في هذه المرحلة هو  $(\frac{18}{170})$  أي متعادل نسبته  $(10.58 \%)$  أي نفس عدد الحصص من الخطة السابقة ونفس النسبة السابقة .

أما نصيب مادة الرسم والاشغال فقد صار  $(\frac{11}{170})$  أي متعادل نسبته  $(6.47 \%)$  فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن عدد الحصص في الخطة السابقة بثلاث ، وزادت النسبة تبعاً لذلك .

وكذلك أصبح نصيب التربية البدنية والفناء مثل نصيب الرسم والاشغال  $(\frac{11}{170})$  أي متعادل نسبته  $(6.47 \%)$  فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن الحصص في الخطة السابقة بثلاث حصص فزادت تبعاً لذلك النسبة .

أما نصيب مادة الدين في المرحلة المتوسطة \* من خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فكان كالآتي :

$$\frac{1}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32}$$

بينما اللغة الأجنبية كان نصيبها الآتي :

$$\frac{7}{32} , \frac{6}{32} , \frac{6}{32} , \frac{6}{32}$$

أما مادة الاخلاق والمعلومات الوطنية فكان نصيبها هو :

$$\frac{2}{32} , \frac{2}{32} \text{ في الصفوف الاخيرة .}$$

أما مادة الرسم فكان نصيبها هو :

$$\frac{2}{32} , \frac{2}{32} , \frac{1}{32} \text{ في الصفوف الثلاثة الاولى .}$$

أما الموسيقى فكان نصيبها هو :  $\frac{1}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32}$  في الصفوف الثلاثة الاولى

\*) كانت المرحلة المتوسطة أربع سنوات ، وهي تعد الحلقة المتوسطة من المدارس الثانوية وتبدأ من الصف السادس لان الابتدائي خمس صفوف .

أما الرياضة البدنية فكان نصيبها هو :

$$\frac{2}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32}$$

فإذا أردنا عقد مقارنة بين نصيب الدين ، ونصيب غيره من المسواك  
الممثل بها فإننا سنجد أن مادة الدين أقلهن نصيباً من الخطة ماعداً مادة  
الموسيقى . فقد كان نصيب الدين من الخطة هو (  $\frac{4}{128}$  ) أي متعادل  
نسبته ( ١٢ ر ٣ % ) أما مادة اللغة الأجنبية فقد كان نصيبها هو (  $\frac{25}{128}$  )  
أي متعادل نسبته ( ١٩ ر ١٤ % ) أما مادة الرسم فقد كان نصيبها من الخطة  
هو (  $\frac{5}{128}$  ) أي متعادل نسبته ( ٤ % ) أما مادة الموسيقى فقد كان  
نصيبها (  $\frac{3}{128}$  ) أي متعادل نسبته ( ٢ % ) . أما مادة التربية  
الرياضية فقد كان نصيبها هو (  $\frac{6}{128}$  ) أي متعادل نسبته ( ٥ % )  
أما نصيب الدين فهي الحلقة الاعدادية من المدارس الثانوية حسب خطة

عام ١٩٥٢/٥١ فهو كالتالي :

$$\frac{1}{30} , \frac{1}{30} , \frac{1}{30} \text{ باقسامها العلمية والادبية .}$$

بينما كان نصيب اللغة الأجنبية هو كالآتي :

$$\frac{6}{30} , \frac{5}{30} , \frac{5}{30} \text{ في كلا القسمين العلميين } \frac{2}{30}$$

- (١) ~~★~~ التعليم الثانوي ينقسم الى مرحلتين : الاولى : المرحلة المتوسطة  
وهي أربع سنوات ، والثانية : الاعدادية ، وهي ثلاث سنوات .
- (٢) ~~★~~ القسمين هما : " العلوم الطبيعية والفيزيائية " والرياضية الفيزيائية  
وهذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاقتصادية باللغة الأجنبية .

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فكان نصيبها كالآتي :

$\frac{2}{30}$  ، في الصف الحادي عشر ، في كلا القسمين و  $\frac{4}{30}$  في

الصف الثاني عشر من كلا القسمين العلميين .

أما في الفرع الأدبي فإن اللغة الأجنبية كان نصيبها من الخطة هو

$\frac{1}{30}$  في الصف العاشر و  $\frac{5}{30}$  في الصف الحادي عشر - تخصص اجتماعيات

و  $\frac{1}{30}$  تخصص آداب و لغات ، و  $\frac{1}{30}$  في الصف الثاني عشر -

آداب و لغات . \*

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فإنها تحتل في الصف الحادي عشر  $\frac{2}{30}$

في كلا الاختصاصين السابقين ، و  $\frac{4}{30}$  في الصف الثاني عشر تخصص

اجتماعيات و  $\frac{1}{30}$  تخصص آداب و لغات . \*

فإذا أردنا عمل مقارنة بين ما خصص للدين وما خصص لغيره من المسواد

الممثل بها فإننا نجد أن نصيب الدين هو أقل الأنصبة إذ أن نصيب الدين

في الخطة في السنوات الثلاث هو ثلاث حصص في كافة الأقسام ، ولا حاجة إلى

عمل النسبة فإن ذلك واضح بمجرد النظرة العابرة .

أما دور المعلمين فإن نصيب الدين في صفوفه الثلاث من الخطة كالآتي \*

$$\frac{1}{34} ، \frac{1}{34} ، \frac{1}{34} .$$

هذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاختصاصية باللغة الأجنبية فهي

الصف العاشر وساعتان في الحادي عشر والثاني عشر .

(٢) حولىة الثقافة العربية : ٣ / ١٢٦ .

(\*) حسب خطة عام " ١٩٥٠ " فقد صدر مرسوم برقم ١٣٥ في

١٨ / ١ / ١٩٥٠ م بنظام جديد لدور المعلمين والمعلمات .



بينما اللغة الاجنبية كان نصيبها في الصفين الاول والثاني :

$$\frac{5}{34} , \frac{3}{34}$$

وكان نصيب مادة الرسم هو كالآتي :

$$\frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34}$$

وكان نصيب مادة الاشغال هو كالآتي :

$$\frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{34}$$

وكان نصيب التربية البدنية هو كالآتي :

$$\frac{3}{34} , \frac{1}{34} , \frac{1}{34}$$

أما الموسيقى فكان نصيبها هو :

$$\frac{1}{34} , \frac{1}{34} , \frac{1}{34}$$

ولدى المقارنة نجد أن نصيب الدين من الخطة هو أقل الانصبة ان أن

نصيبه من الحصص هو  $(\frac{2}{102})$  وهي تعادل  $(19.6 \%)$  .

وأما اللغة الاجنبية فكان نصيبها هو  $(\frac{8}{102})$  وهي تعادل نسبة

$(78.4 \%)$  .

وأما مادتي الرسم والاشغال فكان نصيبها من الخطة هو  $(\frac{12}{102})$

أي مايعادل  $(11.77 \%)$  .

أما التربية البدنية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هو

$(\frac{4}{102})$  وهي تعادل نسبة  $(3.92 \%)$  .

وفي العراق نجد أن نصيب الدين والقرآن للمرحلة الابتدائية حسب

خطة عام ( ١٩٤٩/٤٨ م ) كما يلي :

$$\frac{4}{30} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{2}{32} , \frac{2}{32} , \frac{2}{32}$$

وأن نصيب اللغة الانجليزية في الصفين الخامس والسادس هو مايلي :

$$\frac{6}{32} , \frac{6}{32}$$

وأن نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية هو في السنوات الثلاث الاخيرة

مايلي :

$$\frac{1}{32} , \frac{1}{32} , \frac{1}{32}$$

أما الرسم والاعمال اليدوية فكان نصيبها مايلي :

$$\frac{3}{30} , \frac{3}{32} , \frac{4}{32} , \frac{4}{32} , \frac{4}{32} , \frac{4}{32}$$

وكان نصيب التربية البدنية والنشيد مايلي :

$$\frac{4}{30} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{2}{32} , \frac{2}{32} , \frac{2}{32}$$

واذا أردنا عمل مقارنة بين نصيب مذكر من المواد فإننا نجد أن نصيب

الدين والقرآن من الخطة في السنوات الست هو (  $\frac{18}{188}$  ) أي متعاادل نسبه

( ٩.٥٠ % )

أما اللغة الانجليزية وهي لا تقدم الا في سنتين فإن من الواضح أن نسبة

حصصها أكثر من نسبة حصص الدين الى مجموع الخطة فإن عدد حصص اللغة

الانجليزية هو (  $\frac{12}{188}$  ) أي متعاادل نسبه ( ٦.٥٠ % )

أما نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية فقد كان (  $\frac{3}{188}$  ) أي متعاادل

نسبه ( ١.٥٠ % )

أما نصيب الرسم والاعمال اليدوية فقد كان  $(\frac{22}{188})$  أي متعادل  
نسبته  $(11.75\%)$  .

وكان نصيب التربية البدنية من الخطة للسنوات الست  $(\frac{17}{188})$  أي  
أي متعادل نسبته  $(8.50\%)$  .

وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاعمال اليدوية من نصيب الدين <sup>علي</sup>  
وقد بقيت هذه الخطة لم تتغير فقد كانت خطة عام ١٩٥٦ م هي  
نفس هذه الخطة ، "١"

أما في المرحلة الثانوية في العراق فإن نصيب التربية الدينية من  
الخطة الدراسية حسب خطة عام ١٩٤٩/٤٨ م مايلي :

$\frac{2}{32}$  في الصف الرابع ،  $\frac{2}{32}$  في الصف الخامس ( أدبي ) ،  
 $\frac{2}{33}$  في الصف السادس ( أدبي ) و  $\frac{2}{33}$  في الصف الخامس ( علي )  
و  $\frac{2}{31}$  في الصف السادس ( علي ) .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية من الخطة هو مايلي :

$\frac{5}{32}$  في الصف الرابع و  $\frac{7}{32}$  في الصف الخامس ( أدبي و  $\frac{7}{30}$   
في الصف السادس ( أدبي ) و  $\frac{5}{33}$  في الصف الخامس ( علي ) و  $\frac{5}{31}$   
في الصف السادس ( علي ) .

ولا حاجة بنا للمقارنة بين نصيب كل من المادتين فالفرق واضح للنظرة  
العابرة .

أما عن نصيب الدين والقرآن في دور الملمات الاولى ~~فهي~~ فهو  
مايلي :

$$\frac{1}{38} , \frac{1}{38} , \frac{2}{38} , \frac{2}{38}$$

(١) دراسته عن نظم التعليم :  
الدراسة فيها اربع سنوات بعد الابتدائية .

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين والقرآن فإن

نصيبها من الخطة هو مايلي :

$$^{10} \cdot \frac{4}{38} , \frac{5}{38} , \frac{5}{38} , \frac{5}{38}$$

والفرق واضح لا يحتاج للمقارنة .

أما عن نصيب الدين في دور المعلمين الابتدائية \* فهو مايلي :

$$\cdot \frac{1}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{36}$$

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين فإن نصيبها

هو :

$$^{20} \cdot \frac{3}{38} , \frac{4}{38} , \frac{5}{38}$$

والفرق واضح لا يحتاج الى مقارنة .

-----

(١) حولية الثقافة العربية : ٢٥٦/١

(\*) الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد المتوسطة . انظر حولية الثقافة

العربية : ٢٥٣/١ .

(٢) حولية الثقافة العربية : ٢٥٧ .

وفي الكويت كان نصيب التربية الدينية في معاهد إعداد المعلمين

حسب خطة عام ١٩٦١ م هو مايلي :

$$\frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31} .$$

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$$\frac{5}{31} , \frac{4}{31} , \frac{4}{31} , \frac{4}{31} .$$

وأما مايسمى بالتربية الموسيقية فكان نصيبها كما يلي :

$$\frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{1}{31} , \frac{1}{31} .$$

والفرق واضح لا احتاج معه الى مقارنة بين انصبة هذه المواد الممثل

بها .

أما في المرحلة الابتدائية \* فالتنا نجد أن نصيب القرآن الكريم

والدين في احدى الخطط هو مايلي :

$$\frac{4}{32} , \text{ في الصف الاول الاعدادى و } \frac{4}{34} \text{ و } \frac{4}{34} \text{ في الصفين}$$

الثاني والثالث الاعدادى .

$$\text{و } \frac{3}{34} , \frac{3}{34} , \frac{3}{34} , \frac{3}{34} \text{ في الصفوف الاربعة}$$

الابتدائية .

بينما كان للغة الانجليزية من الخصص مايلي :

$$\frac{7}{34} , \frac{7}{34} \text{ في الصفين الاول والثاني الابتدائي .}$$

(١) حول التعليم الابتدائي : ٤٣٥

\* . تنقسم المرحلة الابتدائية في الكويت الى قسمين :

- ١ - اعدادى ويشمل الصفوف الثلاثة الاولى .
- ٢ - ابتدائي ويشمل الصفوف الاربعة الاخيرة فتكون بذلك مرحلة التعليم الابتدائي سبع سنوات .

في الصفين الثالث والرابع الابتدائي .  $\frac{8}{34}$  و  $\frac{8}{34}$

أما الرسم والاشغال فإن نصيبها من الخطة مايلي :

في الصف الاول إعدادي و  $\frac{3}{32}$  في الصف الثاني والثالث إعدادي و  $\frac{2}{34}$  ،  $\frac{2}{34}$  ،  $\frac{2}{34}$  في الصفوف الاربعة

الابتدائية .

وتحتل التربية البدنية من الخطة مايلي :

في الصف الاول إعدادي  $\frac{3}{34}$  ،  $\frac{3}{34}$  في الصفين الثاني والثالث إعدادي و  $\frac{2}{34}$  في الصف الأول الابتدائي و  $\frac{1}{34}$  ،  $\frac{1}{34}$  في الصفين الثالث والرابع الابتدائي

أما مادة الفناء فإنها تحتل من الخطة مايلي :

في الاول و  $\frac{1}{34}$  ،  $\frac{1}{34}$  في كل من الصفين الثاني والثالث "١"

وواضح أن اللغة الانجليزية تفوق في عدد الحصص المخصصة لها مواد

القرآن الكريم والدين فعدد حصص اللغة في السنوات الاربع (  $\frac{30}{236}$  )

ثلاثون حصة من مائتين وست وثلاثين حصة هي مجموع الحصص للسنوات السبع

وهي تمثل نسبته ( ١٢٧٠ ٪ ) بينما تصيب القرآن الكريم والدين ففي

السنوات السبع هو (  $\frac{24}{236}$  ) وهي تمثل مانسبته ( ١٠ ٪ ) .

وفي ليبيا كان نصيب الدين والقرآن في المرحلة الابتدائية في احدى

الخطط كما يلي :

$$\cdot \frac{3}{36} , \frac{3}{36} , \frac{4}{36} , \frac{4}{36} , \frac{3}{36} , \frac{3}{36}$$

بينما كان نصيب التربية البدنية ضعف نصيب الدين فهو كما يلي :

$$\cdot \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36}$$

وكان نصيب الرسم هو  $\frac{3}{36}$  ، وكان نصيب الأشغال اليدوية هو كما يلي :

$$\cdot \frac{1}{36} , \frac{2}{36} , \frac{2}{36} , \frac{2}{36} , \frac{3}{36} , \frac{3}{36}$$

وكان نصيب الفناء في الصفوف الثالث والرابع والخامس والسادس كما

يلي :

$$\cdot \frac{1}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{36}$$

فإذا أجرينا مقارنة بين نصيب المواد الممثل بها وجدنا أن نصيب

الدين منها هو  $(\frac{20}{216})$  أي متعادل نسبته  $(9.25 \%)$  وان التربية

البدنية كان نصيبها في السنوات الست هو  $(\frac{36}{216})$  أي متعادل

نسبته  $(16.50 \%)$  وهو ضعف نصيب الدين تقريبا وان نصيب الرسم

هو  $(\frac{14}{216})$  أي متعادل نسبته  $(6.48 \%)$  .

وان نصيب الأشغال هو  $(\frac{13}{216})$  وهي تعادل  $(6 \%)$  وان نصيب

الفناء هو  $(\frac{4}{216})$  أي متعادل نسبته  $(2 \%)$  .

أما خطة عام ( ١٩٦٩ ) فقد كان نصيب الدين من الخطة الدراسية

للمرحلة الابتدائية هو مما يلي :

$$\cdot \frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{3}{36} , \frac{2}{35}$$

بينما التربية البدنية كان نصيبها من الخطة هو :

$$\cdot \frac{3}{34} , \frac{3}{34} , \frac{3}{32} , \frac{3}{32} , \frac{2}{36} , \frac{2}{35}$$

فإذا قارنا بين نصيب كل من المادتين وجدنا أن مادة الترمية البدنية تحظى بنصيب أكبر من مادة الدين فان نصيبها من الخطة في السنوات الست هو (  $\frac{16}{203}$  ) أي ما تعادل نسبته ( ٨ ٪ ) وأما نصيب الدين من الخطة في السنوات الست فهو (  $\frac{15}{203}$  ) أي ما تعادل نسبته ( ٧.٥ ٪ ) وإذا أردنا المقارنة بين نصيب الدين من الخطة السابقة وهذه الخطة فإننا نجد أن نصيب الدين في هذه الخطة أضعف من نصيبه في الخطة السابقة فقد كان للدين من الخطة السابقة في السنوات الست (  $\frac{20}{216}$  ) أي ما تعادل نسبته ( ٩.٢٥ ٪ ) . أما في هذه الخطة فان نصيب الدين فيها هو (  $\frac{15}{203}$  ) أي ما تعادل نسبته ( ٧.٥ ٪ ) .

" وفي مصر كان نصيب القرآن من خطة الدراسة بالمرحلة الابتدائية في حسب خطة عام ١٩٤٩ م هو ما يلي :

$$\frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{2}{38} , \frac{2}{38} .$$

بينما كان نصيب اللغة الأجنبية هو في السنتين الثالثة والرابعة كما يلي :

$$\frac{8}{38} , \frac{8}{38} .$$

ومن الواضح أن نصيب اللغة الأجنبية رغم أنه يدرس في سنتين ضعيف نصيب الدين وهو يدرس في أربع سنوات ، فان نسبة نصيب الدين الى مجموع ساعات الخطة هو ( ٥.٥ ٪ ) بينما اللغة الأجنبية كان نسبة نصيبها الى مجموع ساعات الخطة هو : ( ١١ ٪ ) .

" أما في خطة عام ١٩٥٦ م فقد كان نصيب الدين من الخطة في المرحلة الابتدائية كما يلي :

$$\frac{2}{34} , \frac{2}{34} , \frac{3}{34} , \frac{3}{34} , \frac{4}{38} , \frac{4}{38} .$$



بينما كان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

$$\frac{3}{34}, \frac{3}{34}, \frac{3}{34}, \frac{2}{38}, \frac{2}{38}, \frac{2}{38}$$

وكان نصيب الرسم والاشغال في الخطة هو كما يلي :

$$\frac{6}{34}, \frac{6}{34}, \frac{6}{34}, \frac{6}{34}, \frac{6}{34}, \frac{6}{34}$$

ولدى إجراء المقارنة بين انصبة كل من المواد الممثل بهن يتضح أن

لنصيب الدين من الخطة ادنى من نصيب الرسم والاشغال فان نصيب الرسم

والاشغال هو (  $\frac{64}{212}$  ) أى متعادل نسبته ( ٢٠.٧٥ ٪ ) بينما نصيب

الدين من الخطة هو (  $\frac{18}{212}$  ) أى متعادل نسبته ( ٨.٥٠ ٪ )

وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاشغال هو أكثر من ضعف نصيب الدين .

وأما التربية البدنية فان نصيبها أقل من نصيب الدين بشي بسيط . ان

أن نصيب التربية البدنية هو (  $\frac{16}{212}$  ) أى متعادل نسبته ( ٧.٥٠ ٪ )

فالفرق بينهما هو واحد بالمائة . واذا جمعنا نصيب التربية البدنية ، والرسم

والاشغال أصبح نصيبها من الخطة هو (  $\frac{60}{212}$  ) أى متعادل نسبته

( ٢٨.٥٠ ٪ ) أى أن نصيب المادتين أكثر من ثلاثة اضعاف نصيب الدين .

وكان نصيب الدين في الخطة التي صدرت عام ١٩٧١ م بموجب

القرار الوزارى رقم ١٧٩ في ١٩٧١/٧/١ م وطبقت من عام ١٩٧٢/٧١ م

هو مايلي :

$$\frac{3}{28}, \frac{3}{28}, \frac{3}{31}, \frac{3}{31}, \frac{3}{32}, \frac{3}{32}$$

أى ان مجموع الساعات المخصصة للدين هي (  $\frac{18}{182}$  ) أى ما

متعادل نسبته ( ١٠ ٪ ) .

( ١ ) دراسات في نظم التعليم : ٤٩ .

( ٢ ) حول التعليم الابتدائي : ٥٣ .

" أما في التعليم المتوسط فان نصيب الدين حسب خطة عام ١٩٥٧ م

الصادرة بقانون رقم - ٥٥ - فهو كما يلي :

$$\frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31}$$

بيتما تحتل اللغة الأجنبية ضعف ماخصص للدين فان نصيبها هو مايلي :

$$\frac{5}{31} , \frac{5}{31} , \frac{5}{31}$$

وأما الرسم والأعمال اليدوية ، والتربية الرياضية فان نصيب كل منهما

مساو لنصيب الدين فأنصبتهما كالآتي :

$$\text{الرسم : } \frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31}$$

$$\text{المواد العملية : } \frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31}$$

$$\text{التربية الرياضية : } \frac{2}{31} , \frac{2}{31} , \frac{2}{31}$$

وأما الموسيقى والانشيد فكان نصيبها من الخطة هو كما يلي :

$$\frac{1}{31} , \frac{1}{31} , \frac{1}{31} \text{ " ١ "}$$

فاذا أردنا المقارنة بين هذه المواد الممثل بها يتبين لنا ان

اللغة الانجليزية هي أعلى هذه المواد نصيبا من الخطة فان اللغة الانجليزية لها

من الحصة (  $\frac{15}{93}$  ) من مجموع حصص المرحلة وهي ٩٣ وهي تعادل نسبة

$$( ١٦١٣ \% )$$

وأما الدين فان نصيبه من الخطة هو (  $\frac{6}{93}$  ) أى ما تعادل نسبته

$$( ٦٤٥ \% )$$

وكذلك بقية المواد ( الرسم ) لها نفس النسبة ، والمواد العملية لها

نفس النسبة والرياضية لها نفس النسبة .

أما في المرحلة الثانوية " \* " فقد كان نصيب الدين من خطة عام ١٩٤٩ م كما يلي :

$$\frac{2}{38} , \frac{2}{38} \text{ في سنتي القسم الاول ( للبنين والبنات )}$$

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$$\frac{8}{38} , \frac{8}{38} \text{ في سنتي القسم الاول .}$$

وأما نصيب الدين في سنتي القسم الثاني من المرحلة الثانوية فكما يلي :

$$\frac{1}{38} , \frac{1}{38} , \frac{1}{38} .$$

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية كما يلي :

$$\frac{6}{38} , \frac{6}{37} \text{ من السنة الثانية في الشعبتين الادبية والعلمية}$$

$$\text{و } \frac{6}{37} " ٢ " "$$

فاذا قارنا بين نصيب كل من المادتين " الدين " واللغة الانجليزية فاننا نجد أن نصيب اللغة الانجليزية اضاف نصيب الدين فان نصيب اللغة الانجليزية من الحصص هو ( ٣٤ ) حصة من ١٩٠ حصة وهي تمثل مانسبته ( ١٧٫٩٠ ٪ ) بينما الدين كان نصيبه من الخطة في السنوات الخمس هو  $\frac{5}{190}$  أى متعادل نسبته ( ٢٫٦٣ ٪ ) فقط .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فقد كان نصيب الدين في خطة المدارس الثانوية هو كما يلي :

$$\frac{2}{36} , \frac{2}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{36} , \frac{1}{35} .$$

بينما اللغة الاوربية كان لها من الخطة مايلي :

$$\frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{6}{36} , \frac{8}{35} \text{ في السنة الخامسة}$$

( شعبة آداب ) .

- ( ١ )  
 ( \* ) المدارس الثانوية حسب القانون رقم ( ١٠ ) لسنة ١٩٤٩ م في المادة العاشرة تنقسم الى قسمين الاول ومدته سنتان والثاني ومدته ثلاث سنوات .  
 ( ١ ) حولية الثقافة العربية : ١/٤٢٧-٤٢٩ جداول ( ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ )

وكان نصيب اللغة الاوربية الثانية هو كما يلي :

$$\frac{٤}{٣٦} , \frac{٤}{٣٦} , \frac{٤}{٣٦} , \frac{٤}{٣٦} , \frac{٨}{٣٥} \text{ في السنة الخامسة}$$

( شعبة آداب و  $\frac{٣}{٣٥}$  شعبة علوم في السنة نفسها .

وكان نصيب الرسم هو كما يلي :

$$\frac{٢}{٣٦} , \frac{٢}{٣٦} , \frac{١}{٣٦} , \frac{١}{٣٦} , \frac{٠}{٣٥} .$$

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

$$\frac{٢}{٣٦} , \frac{٢}{٣٦} , \frac{٢}{٣٦} , \frac{٢}{٣٦} , \frac{٠}{٣٥} "١"$$

ولدى عمل مقارنة بين المواد المثل بها في هذه الخطة يتضح أن نصيب

الدين في الخطة أقل من نصيب اللغة الاوربية الاولى ، او الثانية ، فان

نصيب اللغة الاوربية الاولى من الخطة هو (  $\frac{٣٢}{١٧٩}$  ) أى متعادل نسبته

( ١٨ ٪ ) في شعبة الآداب ، وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو (  $\frac{٢٩}{١٧٩}$  )

أى متعادل نسبته ( ١٦ ٪ ) .

أما نصيب اللغة الاوربية الثانية في شعبة الآداب فكان (  $\frac{٢٤}{١٧٩}$  )

أى متعادل نسبته ( ١٣ر٥٠ ٪ ) وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو  $\frac{١٩}{١٧٩}$

أى متعادل نسبته ( ١٠ر٥٠ ٪ ) .

فإذا جمعنا ماخصص للغة الاوربية الاولى والثانية فاننا نجد أن ماخصص

لها في شعبة الآداب هو (  $\frac{٥٦}{٣٥٨}$  ) أى متعادل نسبته ( ١٥ر٥٥ ٪ )

وماخصص للغة الاولى والثانية شعبة العلوم هو (  $\frac{٤٨}{٣٥٨}$  ) أى متعادل

نسبته ( ١٣ر٥٠ ٪ ) .

وبذا يتضح ان نصيب اللغة الاوربية الاولى والثانية كان ( ١٠٤ )

حصة وهي تعادل نسبة ( ٢٩ ٪ )



أما نصيب اللغة الأجنبية الاولى في القسم الادبي فهو (  $\frac{20}{107}$  )

أى متعادل نسبته ( ١٨٧٠ ٪ ) .

أما نصيبها في القسم العلمي فهو (  $\frac{17}{109}$  ) أى متعادل نسبته

( ١٥٦٠ ٪ ) .

وأما نصيب اللغة الأجنبية الثانية فكان في القسم الأدبي (  $\frac{13}{107}$  )

أى متعادل نسبته ( ١٢١٥ ٪ ) .

وكان نصيبها من القسم العلمي هو (  $\frac{9}{109}$  ) أى متعادل نسبته

أى متعادل نسبته ( ٨٢٥ ٪ ) .

وإذا أردنا جمع ماخصص لمادة الدين في القسمين ومعرفة نسبته

فاننا نجد أن ماخصص للدين في القسمين هو (  $\frac{12}{216}$  ) أى متعادل نسبته

( ٥٥٥ ٪ ) .

ونجد أن ماخصص للغة الأجنبية الاولى هو (  $\frac{37}{216}$  ) أى متعادل

نسبته ( ١٧١٥ ٪ ) ونجد أن ماخصص للغة الأجنبية الثانية في القسمين

هو (  $\frac{22}{216}$  ) أى متعادل نسبته ( ١٠٢٠ ٪ )

وبذا يتضح أن نصيب مادة الدين أقل بكثير من نصيب مادة اللغة

الأجنبية .

أما مدارس المعلمين فاني سوف أستعرض ثلاث خطط صدرت على

التوالي ، الاولى عام ١٩٤٧ م ، وطبقت عام ١٩٤٨/١٩٤٩ م ، والثانية

عام ١٩٥٢/٥١ م ، والثالثة وهي الاخيرة وقد صدرت عام : ١٩٦١ م

فأما الخطة الاولى فلم يكن للدين أى نصيب في الخطة بينما كان

نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{7}{34}$  في الصف الاول ،  $\frac{4}{32}$  في الصف الثاني .

و  $\frac{1}{30}$  في الصف الثالث ( آداب ) و  $\frac{2}{30}$  في الصف الثالث رياضة وعلوم

وبالمثل في الصف الثالث اشغال ورسم .

وكان نصيب التربية المدنية هو  $\frac{2}{30}$  في الصفين الاول والثاني ،  
و  $\frac{2}{30}$  في الصف الثالث باقسامه كلها " ١ " ٢

ولا تحتاج هذه الخطة الى تعليق فيكفي ان واضعي الخطة لم  
يخصصوا للدين أى نصيب في خططهم .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فقد كان نصيب الدين من مدارس  
المعلمين والمعلمات ( القسم العام ) هو كما يلي :

$$\frac{1}{38} , \frac{1}{38} , \frac{1}{38} , \frac{1}{38} , \frac{1}{38} .$$

وهناك مادة دراسات قرآنية ( وهي اختيارية ) وكان نصيبها هو كما

يلي :

$$\frac{3}{38} , \frac{3}{38} , \frac{2}{38} , \frac{2}{38} , \frac{1}{38} .$$

اعفاء بعض الطلاب والطالبات من هذه الدراسات ويتلقون عنها دراسات اضافية  
في اللغة الاجنبية .

أما نصيب اللغة الاجنبية فهو كما يلي :

$$\frac{7}{38} , \frac{7}{38} , \frac{5}{38} , \frac{5}{38} , \frac{1}{38} .$$

ولكن نصيب التربية البدنية :  $\frac{38}{38} , \frac{38}{38} , \frac{38}{38} , \frac{38}{38} , \frac{38}{38} .$  (٢)  
وباجراء مقارنة بين ماخصص لمادة الدين والمواد اللغة الاجنبية والتربية

البدنية الممثل بها يتضح أن نصيب مادة الدين ضئيل جدا . فقد كان نصيبها

من الخطة في السنوات الخمس هو (  $\frac{22}{190}$  ) أى متعادل نسبته ( ١١.٥٨ % ) " ٣ "

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ١ / ٤٧٣ .

( ٢ ) المصدر نفسه : ٣ / ٣٥١ .

( ٣ ) لم أدخل مادة الدراسات القرآنية في المقارنة لانها مادة اختيارية

لا يلزم الطلاب بدراستها .

وكان نصيب اللغة الأجنبية في كافة الصفوف الخمسة هو كما يلي (بالمائة)

١٩٠

أى متعادل نسبه ( ١١٥٨ ٪ ) .

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي (  $\frac{٤}{١٩٠}$  ) أى متعادل نسبه

( ٢١٠ ٪ ) وهكذا يتضح ضعف نصيب مادة الدين في الخطة .

أما في الخطة الأخيرة فقد كان نصيب التربية الدينية في معاهد

اعداد المعلمين هو كما يلي :

$\frac{٣}{٣٨}$  ،  $\frac{٣}{٣٨}$  ،  $\frac{٣}{٣٨}$  ،  $\frac{٣}{٣٨}$  في الصف الرابع تخصص

التربية الدينية والاجتماعيات و  $\frac{٣}{٣٨}$  في نفس التخصص في الصف الخامس

و  $\frac{٢}{٣٨}$  في الصف الرابع و  $\frac{٢}{٣٨}$  في الصف الخامس للتخصصات الآتية :

( ١ ) الرياضيات والعلوم .

( ٢ ) الرياضة البدنية .

( ٣ ) التربية الفنية والموسيقية .

( ٤ ) التدبير المنزلي للبنات .

أما التربية الموسيقية فكان نصيبها هو :

$\frac{٣}{٣٨}$  ،  $\frac{٣}{٣٨}$  ،  $\frac{٣}{٣٨}$  و  $\frac{٢}{٣٨}$  في الصف الرابع و  $\frac{٢}{٣٨}$  في

جميع التخصصات السابقة . ما عدا تخصص التربية الموسيقية فان نصيبها هو

$\frac{١}{٣٨}$  في الصف الرابع و  $\frac{١}{٣٨}$  في الصف الخامس " ١ "

ولا تحتاج هذه الخطة الى اجراء مقارنة فان نصيب المادتين المشمل

الدينيتين

بها متساوى فالتربية مساوية لما يسمى التربية الموسيقية ٢٢ وهو أمر يدعو للاستغراب .

والاستغراب .



وفي اليمن نرى أن نصيب مادة التربية الدينية في المراحل الثلاث جيد ، وذلك حسب خطط عام ٧١ / ١٩٧٢ م للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة وحسب خطة عام ٦٩ / ١٩٧٠ م للمرحلة الثانوية ، لذا لا حاجة لاستعراضها وعقد مقارنات بين أنصبتها وأنصبة بقية المواد .

### نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في مراحل التعليم بالمملكة العربية السعودية

بعد أن ذكرت نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في بعض البلاد الإسلامية ، وعرفنا من خلال ذلك ضالة ماخص لعلوم الدين في الخطط الدراسية من الحصص ، اذكر في هذه الفقرة نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في المملكة العربية السعودية في مراحل التعليم العام " بنين وبنات " كما وردت في الخطط التي أقرتها اللجنة العليا لسياسة التعليم بعد أن وضعتها اللجنة الفرعية ، ثم أذكر ما طرأ عليها من تعديل بعد القرار الصادر بجعل أيام الدوام الرسمي خمسة أيام فأقول ومنه تعالى استمد العون :

أولا : المرحلة الابتدائية : " بنين " :

كان نصيب العلوم الدينية \* من الخطة في المرحلة الابتدائية حسب خطة عام ١٣٦٨ هـ هو كالآتي على التوالي :

$$\frac{12}{32} , \frac{12}{32} , \frac{12}{35} , \frac{9}{35} , \frac{9}{35} . " ١ "$$

فإذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة للسنوات الست فأننا

$$\text{نجد أنه } \frac{71}{204} \text{ أي ما تعادل نسبته } ( 32.35 \% ) .$$

\* تشمل العلوم الدينية في هذه المرحلة المواد الآتية : القرآن ، التوحيد ، الحديث ، الشفاعة ، التجويد .

( ١ ) انظر تفصيل الخطة في " المجموعة الاولى منهج التعليم الابتدائي لمدارس البنين " ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

وبعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي أعدت خطة جديدة أنقص فيها من نصيب جميع المواد ومنها المواد الدينية فأصبح نصيب العلوم الدينية من الخطة كالآتي :

$$١. \frac{٩}{٣٠}, \frac{٩}{٣٠}, \frac{٩}{٣٠}, \frac{٩}{٢٨}, \frac{٩}{٢٨}, \frac{٩}{٢٨}$$

فإذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة في جميع السنوات فإننا

$$\text{نجد أنه } \left( \frac{٥٤}{١٧٤} \right) \text{ أي ما تعادل نسبته } ( ٣١.٠٣ \% )$$

أي أنه نقص نصيب المواد الدينية بالنسبة للخطة بـ اثنتي عشرة حصة

$$\text{أي ما تعادل نسبته } ( ١.٣٢ \% ) .$$

ثانياً : المرحلة المتوسطة : " بنين " :

كان نصيب العلوم الدينية في خطة عام ١٣٩١ هـ المقررة من اللجنة

العليا لسياسة التعليم كالآتي :

$$٢. \frac{٨}{٣٦}, \frac{٨}{٣٦}, \frac{٨}{٣٦}$$

فإذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في السنوات الثلاث ونسبته

نصيبها الى المجموع الكلي للخطة فإننا نجد أن نصيب هذه المواد هو

$$\frac{٢٤}{١٠٨} \text{ أي ما تعادل نسبته } ( ٢٢.٢٢ \% )$$

المرحلة الثانوية " بنين " :

كان نصيب العلوم الدينية حسب خطة عام ١٣٩٤ هـ والمقررة من قبل

اللجنة العليا لسياسة التعليم برقم ٢٣٣/٩/١ كما يلي :

( ١ ) انظر التعميم الوارد بذلك من وزارة المعارف برقم ١/٥٣٥/١/٤/٣٢ ح

بتاريخ ١٣٩٧/٧/١٢ هـ المبني على قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم

برقم ٢١ / خ / م في ٩٧/٦/٢٦ المبلغ للوزارة بخطاب سمو رئيس اللجنة

العليا برقم ٢٣ / خ / م في ١٣٩٧/٦/٢٦ هـ .

( ٢ ) انظر منهج المرحلة المتوسطة " بنين " : ( ١٣٩١ - ١٩٧١ م )

الأدبي :  $\frac{4}{34}$  ،  $\frac{4}{30}$  ،  $\frac{4}{29}$  .

العلمي :  $\frac{4}{34}$  ،  $\frac{4}{24}$  ،  $\frac{3}{32}$  ، "١"

فإذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فأننا نجد

أنه  $\frac{11}{100}$  أي ١١ % .

وإذا أردنا معرفة نصيب القسم الأدبي من العلوم الدينية فأننا نجد

أنه  $\frac{11}{93}$  أي متعادل نسبه ( ١١٫٨٣ % ) .

أي أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو  $\frac{22}{193}$  أي متعادل نسبه

( ١١٫٤٠ % ) .

تعليم البنات :

أما بالنسبة لتعليم البنات فقد كان الوضع كالآتي :

أولا : المرحلة الابتدائية :

كان نصيب العلوم الدينية \* في خطة عام ١٣٦٨ هـ التي أقرتها

اللجنة العليا لسياسة التعليم كما يلي :

$\frac{14}{28}$  ،  $\frac{14}{32}$  ،  $\frac{13}{34}$  ،  $\frac{11}{35}$  ،  $\frac{10}{35}$  ،  $\frac{9}{35}$  .

فإذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية من الخطة في هذه المرحلة ،

فأننا نجد أن نصيبها كان \*  $\frac{71}{199}$  أي متعادل نسبه ( ٣٥٫٦٨ % )

أما نصيب العلوم الدينية بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي

فقد أصبح كالآتي :

(١) انظر " منهج المرحلة الثانوية " .

(\*) تشمل العلوم الدينية للمواد الآتية : القرآن ، التجويد ، التوحيد ،

الحديث ، الفقه ، التفسير .

$$^{\circ} 1^{\circ} , \frac{9}{30} , \frac{9}{30} , \frac{9}{30} , \frac{9}{26} , \frac{9}{26} , \frac{9}{26}$$

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الى المجموع

العام للحصص لوجدنا مايلي :  $( \frac{54}{168} )$  أى متعاادل نسبته

٠ ( ٣٢ ر ١٤ % )

المرحلة المتوسطة :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة المتوسطة حاليا هو كالآتي :

$$^{\circ} 2^{\circ} . \frac{8}{33} , \frac{8}{33} , \frac{8}{34}$$

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الى

المجموع العام للحصص لوجدنا مايلي :  $\frac{24}{100}$  أى ٢٤ % من مجموع

الحصص .

المرحلة الثانوية :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة الثانوية حاليا هو كالآتي :

$$. \frac{3}{26} , \frac{4}{39} , \frac{4}{33} : \text{أدبي}$$

$$^{\circ} 3^{\circ} . \frac{3}{28} , \frac{4}{32} , \frac{4}{33} : \text{علمي}$$

فاذا أردنا معرفة نصيب القسم الادبي من العلوم الدينية فاننا نجد

انه  $\frac{11}{88}$  أى متعاادل نسبته ( ١٢ ر ٥٠ % )

واذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فاننا نجد

انه  $\frac{11}{93}$  أى متعاادل نسبته ( ١١ ر ٨٢ % )

أى أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو  $\frac{22}{181}$  أى مايعادل نسبته

٠ ( ١٢ ر ١٥ % )

( ١ ) انظر " خطة الدراسة التفصيلية لمدارس البنات لعام ١٣٩٨ / ٩٧ هـ .

٢ ، ٣ ) انظر " نفس المصدر السابق " .

## معاهد المعلومات :

نصيب العلوم الدينية في خطة الدراسة لمعهد المعلومات الثانوى

هو كالاتي :

$$\frac{٤}{٣٧} ، \frac{٧}{٣٧} ، \frac{٣}{٣٧} . "١"$$

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في كل سنوات المرحلة فانتسنا

نجد انه "  $\frac{١١}{١١١}$  " اى ما تعادل نسبته ( ٩/٩١ ٪ )

ولو ألقينا نظرة عابرة على ماضى فانتا نرى أن نصيب العلوم الدينية

من خطط الدراسة في كافة مراحل التعليم - بنين وبنات - في المملكة العربية

السعودية أكثر من نصيبها في الدول الاخرى التي ذكرت بعض خططها .

فاذا أردنا أخذ المرحلة الابتدائية كنموذج للمقارنة بين المملكة وهذه

الدول فانتا نجد الآتي :

- ( ١ ) ان نصيب العلوم الدينية في المرحلة الابتدائية بالاردن حسب آخر  
خطة وهي التي صدرت عام ١٩٦٨/٦٧ \* تمثل " ١١ ٪ من المجموع  
العام للحصص .
- ( ٢ ) كان نصيبها من الخطة في البحرين حسب خطة عام ١٩٥٦ \*  
يمثل " ٨ ٪ " من المجموع العام للحصص .
- ( ٣ ) كان نصيبها في سوريا من الخطة حسب خطة عام ( ١٩٥٦ )  
يمثل " ١٠.٥٨ ٪ " .
- ( ٤ ) كان نصيبها في العراق حسب خطة عام ١٩٥٦ \* يمثل نسبة  
٩.٥٠ ٪ ( ) .
- ( ٥ ) كان نصيبها في الكويت حسب خطة عام ١٩٦١ م \* يمثل  
نسبة ( ١٢.٧٠ ٪ ) من مجموع الحصص .

(٦) كان نصيبها في ليبيا حسب خطة عام ١٩٦٩ م يمثل نسبة (٧٥٠٪)

(٧) كان نصيبها في مصر من الخطة حسب خطة عام " ١٩٧١ م " يمثل نسبة " ١٠ ٪ " .

أما في المملكة العربية السعودية فان نصيبها في نفس المرحلة كمايلي :

بنين : ٣١٠٣ ٪

بنات : ٣٢١٤ ٪

وذلك حسب آخر خطة بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي

عام ١٣٩٨/٩٧ هـ .

واليك هذه المقارنة بين نصيب مادة الدين في بعض الدول العربية

تقول " تازلي احمد صالح " :

" ١ - العلم الدينية : الفروق واضحة جدا في هذه العادة فبينما بعض الدول بها ٤٦ ساعة وهي السعودية ، فاننا نجد أن وكالة الفتوى لتعليم اللاجئين الفلسطينيين لا تعطي الا ثلاث ساعات للمواد الدينية ، وهذا مؤشر خطير خصوصا وأن الذي يشرف عليها هيئة أجنبية دولية ولكنها لا تضع من اعتبارها ان الفلسطينيين الذين يدرسون بهذه المدارس الغالبة المعظمي منهم يعتنقون الاسلام ، وكذلك فان نسبة عدد الساعات في اليمن والسودان تتزايد ايضا عن المتوسط العام ، وهذا يشير الى الاهتمام بالتربية الدينية في التعليم الابتدائي بهما " ١ "

## الاختلاط في التعليم :

كما أن عدم الاهتمام بتدريس الدين - في المدارس بمراحلها الثلاث فضلاً عن الجامعة - كما وكيفا مظهر من مظاهر العلمنة في التعليم التي انتقلت إلينا عدواها من الغرب ، وهو في الوقت ذاته أثر من آثار الفكر العلماني فان الدعوة الى الاختلاط بين الجنسين - الذكور والإناث - في العمل ، والتعليم - بكافة مراحلها - وإصدار القوانين بذلك وتطبيقه في واقع الحياة ، مظهر من مظاهر العلمنة أيضا ، وهو في ذات الوقت أثر من آثار الفكر العلماني الذي يرى أن الدين محله أمكنة العبادة - الكنيسة ، الديار ، المسجد - ومن المعلوم أنه لا يوجد لهذا الفكر مشتد - في العالم الاسلامي - لا من نصوص الشريعة - القرآن والسنة - ولا من فقه علماء الأمة لهذه النصوص ولا من واقع التاريخ الاسلامي في عهوده المجيدة المطبقة لشرع الله .

فهو إذن فكر غريب مستورد - من الغرب - ولا يصح أن يكون له مكان في العظم الاسلامي ، ولكن المؤسف حقاً أنه قد أصبح له مكان بيننا نحن المسلمين ، بدأ بالعلمنة في الحكم والتشريع ، وانتهاءً بأدنى أمر من أمور حياتنا نحن المسلمين ، وما القوانين التي تشرع للمسلمين في بلاد المسلمين من اباحه الزنا ، والتساهل في عقابه ومصادمة نصوص الشريعة في ذلك يقصر العقاب على الاكراه ، فإذا لم يكن ثمة اكراه فلا عقاب ، وعقاب الاكراه حبس لمدة معينة وكفى ، او القوانين التي تبيح الربا وتقر واقعه في انشاء البنوك الربوية \* الا مظهران من جملة مظاهر للعلمنة في الحكم والتشريع ، ففي جانبين من أهم جوانب الحياة الانسانية الجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادي ، وسوف استعرض في هذا الجزء من البحث بدائيات الدعوة الى الاختلاط - المتمثلة في تقارير الخبراء الاجانب والقرارات التي دعت الى

(\*) انتشرت ولله الحمد في الآونة الاخيرة عدة ممارسات لمصارف اسلامية منها - بنك دبي الاسلامي - ٢ - بيت التمويل الكويتي ٣ - بنك فيصل الاسلامي ( مصر ، السودان ) ٤ - الشركة الاسلامية للاستثمار الخليجي واخيراً دار المال الاسلامي .

ذلك - ثم بيان ونقل بعض القوانين التي شرعت الاختلاط في بعض البلاد الإسلامية ، ثم بيان الواقع المطبق في التعليم في بعض البلاد الإسلامية منذ الخمسينيات من هذا القرن الميلادي الحالي ، وقبل ذلك لابد من معرفة ماهو المقصود بالتعليم المختلط أو المشترك كما يعرفه بعض رجال التربية .

### ماهو التعليم المختلط أو المشترك :

يُعرف هذا التعليم أحد رجال التربية في العالم العربي فيقول :  
 " د - التعليم المشترك أو المختلط : تعرف المدارس التي يتعلم فيها البنون جنبا الى جنب مع الفتيات باسم المدارس المختلطة في معظم البلاد العربية ، وتسمى أحيانا بالمدارس المشتركة كما في جمهورية مصر العربية " ١ " .

وإذا قال أحد من الذين يلتزمون بالاسلام عقيدة ، وشرعية ، وسلوكا ، ان للمستعمرين دور كبير في افساد العالم الاسلامي فان ذلك من الحقائق المرة - حتى بعد رحيل الاستعمار - فقد كان المتوقع أن تتخلص البلاد الإسلامية التي استعمرت بعد رحيل الاستعمار من كل آثاره ومنها آثاره الفكرية والعقائدية ولكن الاستعمار لم يرحل الا بعد أن صنع على عينيه أفراداً أصبحوا هم رسل الاستعمار والتقريب في العالم الاسلامي ، اجسامهم في بلادهم وفكرهم واعتقادهم تبع للمستعمر ، وبذا اطمأن المستعمرون على حركة التقريب الفكري والعقائدي ، وتسئم هؤلاء المستغفرون - الذين ذكرت طرفا من افكارهم في أحد فصول البحث التي مرت تحت عنوان ( المنكرون المستغفرون ) - نرى المناصب التوجيهية ، في التعليم وغيره . وكان من الوفاء للسيد المستعمر أن يستدعي بعض خبراءه في التربية والتعليم فاستدعى " مان " و " كلاباريد " \* للاستفادة من خبرتهم

(١) التعليم العام في البلاد العربية : ٧٦ .

(\*) مان هو مفتش المدارس وكليات المعلمين في إنجلترا ، و " كلاباريد "

استاذ علم النفس " السويسري " .



في التعليم في مصر .

تقول " نازلي احمد صالح " :

" ولقد اتفق " مان " و " كلاباريد " على أن تقوم المرأة بالتدريس للأطفال بالسنوات الاولى ، بالمدارس الابتدائية ، ولقد كان هذا الاقتراح متفقاً مع التطورات التربوية ، غير أن تحقيقه كان صعباً في فترة كان سلطان التقاليد فيها مازال مسيطراً وخاصة في الريف . فكان اقبال الفتيات على التعليم قليلاً . . ولا يتعدى المرحلة الابتدائية . " ١ "

وفي عام ١٩٥٥/٥٤ م عقد مؤتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في مكان ضمن توصياته التوجيهيتين الآتيتين :

" ينهني العمل على الاكثار من تخريج معلمات المرحلة الاولى حتى يمكن بالتدريج قصر التعليم في السنوات الاولى من التعليم الابتدائي على النساء " المادة : ١٧١ " ٢ "

" عدم انفراد الرجال في المدارس المشتركة بالتدريس للبنات ، لان ذلك يفقد هن أثر العنصر النسوي اللازم لحسن تكوينهن " ٣ "

فهل هي الصدفة أم التبعية للغرب ؟ هي التي كانت وراء

متابعة مؤتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في توصيته الاولى ( م ١٧١ ) لما قرره " مان " ، و " كلاباريد " وأشار به من قصر التدريس على السنوات الاولى للتعليم الابتدائي على النساء . لا ليس ذلك من قبيل الصدفة ، ولكنه من قبيل ضياع الهوية الفكرية ، فالذي لا يعرف له هوية فكرية معينة يتابع غيره ولا يكون خياره بيده . وهذا هو واقع التعليم ومؤتمراته للأسف ، وقد سبق ان استعرضت بعض قرارات هذه المؤتمرات في بيان أهداف التعليم ووسائله .

( ١ ) حول التعليم الابتدائي ١٦٨ .

( ٢ ) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

.....

وللداعين للاختلاط حيل ومزاعم سوف أفندها ان شاء الله في نهاية هذا الجزء من الناحيتين الشريعة والواقعية .

ومن هذا القبيل وعلى نفس المنوال كان الدعوة الى ذلك فـي  
الباكستان : يقول " الكولونيل عثمانى " :

" وفي عام ١٩٥٩ م اقترحت اللجنة القومية للتربية مايلى : نظرا  
للتوسع المقبل في التعليم الابتدائي فان التسهيلات الممنوحة للبنات يجب أن  
تكون مساوية للتسهيلات الممنوحة للاولاد . ويجب أن نعهد بتدريس الصفوف  
الثلاثة الاولى من المرحلة الابتدائية للبنين والبنات الى معلمات كلما توفرت  
المعلمات المؤهلات " (١)

ان الأمر ليس من قبيل الصدفة فالصدفة لا تكون في أكثر من بلد  
، استعمرت لبلد واحد هو " إنجلترا " فالمستعمر الذى صنع اهابا له فـي  
مصر ، صنع مثلهم في الباكستان .

ونتابع مسيرة التعليم المختلط فنعثر على نص يوضح ان التعليم المختلط  
لم يشرع في مصر الا بعد الثورة ( الناصرية ) فكانت هذه من انجازاته .  
يقول د . محمد منير مرسى :

" ينص القانون على أن يكون التعليم الابتدائي تعليميا مشتركا للبنين  
والبنات متشيا بذلك مع قانون التعليم الابتدائي السابق " ١٩٥٦ م ) الذى  
شرع هذا العبد فى التعليم الابتدائي لأول مرة . . . " (٢)

ولا تعارض بين هذا النص وبين الواقع الذى كان سائدا قبل تشريع  
الاختلاط فقد كان هناك مدارس مختلطة خاصة الكليات منذ عام ( ١٩٤٧ م )  
ولكن لم يكن لها صفة الالتزام فهناك مدارس غير مختلطة ومن لا يريد الاختلاط  
يذهب بابنه أو ابنته الى تلك المدارس اما بعد ١٩٥٦ م فقد أصبح التعليم  
كله مختلطا .

( ١ ) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٢٢/٩ .

( ٢ ) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٩ .

وفي ماليزيا في أقصى العالم الاسلامي يدرس الطلاب والطالبات جنبا الى جنب من مدارس واحدة في المرحلة الابتدائية ، ثم ينفصل الجنسان في المرحلة الثانية ثم يشتركون في الجامعات والمعاهد العليا . " ١ "

ويقول ساطع الحصرى عن التعليم المختلط في أوائل " الخمسينيات " التعليم المختلط محدود في المدارس الابتدائية ، ونادر في المدارس الثانوية ومعتمد في المدارس العالية .

وفي العراق نوع من المدارس الابتدائية الرسمية - وتسعى مدارس الاحداث - تسير على نظام التعليم المختلط .

وفي مختلف الاقطار العربية ، يوجد بعض المدارس الابتدائية الطائفية التي تسير على هذا النظام . . .

.....

وأما المدارس العالية ، فان التعليم المختلط هو الغالب الشائع في جميع الدول العربية ان ابواب الجامعات المصرية ، والجامعة السورية مفتوحة للنساء ، والذكور على حد سواء ، وكذلك أبواب كليات الحقوق والطب والتجارة ودار المعلمين العالية في بغداد .

وبشا هد فعلا في معظم المدارس العالية في بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة والاسكندرية اجتماع الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، وفي معامل التجارب وفي قاعات البحث والمناقشة ، وحتى في الحقول الزراعية . . " ٢ "

هذا في أوائل الخمسينيات حيث كان التعليم المختلط في المرحلة الابتدائية محدودا أما الان فان الوضع يوضحه أحد رجال التربية حيث يقول :  
" . . . ويمكن القول بصفة عامة بالنسبة للتعليم المختلط في المرحلة

الابتدائية بأنه أخذ في الانتشار مع وجود تفاوت كبير بين الدول العربية ،

( ١ ) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٣ / ٨ .

( ٢ ) حولية الثقافة العربية : ٣٧ / ١ ، ٣٨ .

وتأتي جمهورية مصر العربية ولبنان في بداية الدول العربية التي تأخضت بالتعليم المختلط ، تليها سوريا والعراق حيث نجد أن مايزيد قليلا على نصف المدارس الابتدائية من النوع المختلط ايضا ويليهما الاردن والسودان وليبيا حيث يقل فيها التعليم المختلط ولكن مع التطور الاجتماعي الذي تمر به الدول العربية يزداد الاهتمام بتعليم الفتاة ويزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط " ١ "

وفي الاردن يقول " أحمد التل " عن الاختلاط في التعليم :  
 "... الى جانب مشكلة ارتفاع نسبة التسرب بين الذكور ، هناك مشكلة اساسية ايضا تعترض طريقة الكفاح ضد الامية وهي مشكلة تعليم الاناث التي مازالت قائمة حتى الآن ، ورغم الادراك المتزايد من قبل جميع الحكومات الاردنية لاهمية العلاقة بين تعليم الاناث وعملية التمدن . وقد بذلت الحكومات الاردنية في عام ١٩٥٠ - ١٩٧٤ م محاولات هامة لمعالجة هذه المشكلة فقد اعملت وزارة التربية والتعليم الفكرة التقليدية بتخصيص مدارس خاصة بالاناث ومدارس خاصة بالذكور ، وطبقت التعليم المختلط في الصفوف الابتدائية الاربعة الاولى ، وحتى السادس الابتدائي في كثير من المدارس الاخرى والارياض ففي عام ١٩٧٦ م - ١٩٧٧ كانت نسبة المدارس المختلطة الى مجموع مدارس المملكة " ٢٦٧ ٪ ) تضم ( ١١٨ ٪ ) من مجموع الصفوف " ٢ "

وفي السودان توجد مدارس مختلطة في المرحلة الابتدائية ، يقول احد الكتاب عن ذلك :

( ١ ) التعليم العام في البلاد العربية ٧٦ . والحق أن التطور الصحيح لا يزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط فلا تلائم بين التطور الصحيح والتعليم المختلط بل التلائم بين التطور - المستغرب - والتعليم المختلط لانه من اساسياته .

( ٢ ) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

" (أ) المرحلة الابتدائية ؛ كانت مدتها أربع سنوات من ٧ - ١١ أصبحت حالياً من سن السادسة حتى الثانية عشرة والتعليم بها مجاني وبعض مدارس هذه المرحلة منفصل ، للبنين والبنات ، وبعضها مختلط يصل الى حوالي  $\frac{1}{6}$  عدد المدارس تقريباً " ١

### الواقع المطبق في التعليم منذ الخمسينيات \*

سوف أستمعرض واقع التعليم في بعض البلاد الاسلامية التي استطعت أن أجمع عنها بيانات ، موضحاً نسبة المدارس المختلطة الى المجموع العام في كل مرحلة على حدة ثم على مستوى المراحل كلها ، وموضحاً أيضاً نسبة المعلمين الى المعلمات في المدارس الخاصة بالبنات ، ونسبة المعلمات الى المعلمين في المدارس الخاصة بالبنين لان ذلك وجه آخر - لموضحة الاختلاط - فالاختلاط بين المعلمين والمعلمات لا يقل سوءاً عن اختلاط الطلاب والطالبات فالقضية واحدة ، وسوف أذكر المدارس الاهلية ، والاجنبية لبيان مدى تغفل هذه الفكرة أو عدمه في اوساط المجتمعات .

في الاردن بلغت عدد المدارس الاهلية عام ١٩٥٣/٥٢ م كما يلي :

### (١) التعليم العام في البلاد العربية : ١٦١ .

(\*) المقصود بالخمسينات : هي الاعوام ما بين ( ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ) لا كما هو شائع من أن الخمسينيات أو الستينيات أو غيرها تبدأ بهـمـد الخمسين أو الستين ، والجمع الصحيح لخمسين أو ستين " خمسينيات " لا خمسينات كما هو الشائع خطأ .

(٤٧٣)

المدراس الأهلية الإسلامية	الضفة الشرقية	الضفة الغربية	المجموع
المدراس الخاصة بالذكور	٧٩	٣٧	١١٦
المدراس الخاصة بالاناث	٠٥	١٤	١٩
المدراس المختلطة	٣٤	٢٢	٥٦
المجموع	١١٨	٧٣	١٩١
نسبة المدراس المختلطة الى مجموع المدراس	٢٨,٨١ %	٣٠,١٤ %	٢٩,٣٢ %
	١٧,٨٠ %	١١,٥٢ %	— * ١

وفي عام ١٩٥٦/٥٥ بلغ عدد المدارس ١١٢٧ كان منها ٦٦٣ خاصة بالذكور ، و ٢٨٣ خاصة بالاناث و ١٨١ مختلطة والجدول يوضح ذلك :

عدد المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الابتدائية الرسمية	٣٢٥	١٥٧	٠٠٠	٤٨٢	
الأهلية	٠٣٩	٠٢٣	١٢٥	١٨٧	٦٦,٨٤ %
الأجنبية	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٦	٠٠٦	١٠٠,٠٠ %
المدراس التابعة لوكالة الفسوث	٠٤٣	٠٤٧	٠٣٩	١٢٩	٣٠,٢٣ %
المجموع	٤٠٧	٢٢٧	١٧٠	٨٠٤	٢١,١٤ %

(١) حولية الثقافة العربية : ٣٠/٤

(\*) الخط الاول لنسبة المدارس المختلطة في كل عامود الى المجموع الذي تحته ، والخط الثاني لنسبة المدارس المختلطة الى مجموع المدارس وهكذا سيكون في الجداول كلها .

نوع المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الثانوية الرسمية	١٨٦	٠٣٦	٠٠٠	٢٢٢	٠٠٠٠
الاهلية	٠٢١	٠٠٧	٥	٠٣٣	٪١٥ر١٥
الاجنبية	٠١٠	٠٦	٥	٢١	٪٢٣ر٨١
المدارس التابعة لوكالة الفسوث	٣١	٦	١	٣٨	٪٠٢ر٦٣
المجموع	٢٤٨	٥٥	١١	٣١٤	٪٠٣ر٥٠
المدارس المهنية الرسمية	٤	٠٠	٠٠	٤	٠٠٠٠
غير الرسمية	١	٠٠	٠٠	١	
دور المعلمين الرسمية	٣	٠٠	٠٠	٣	٠٠٠٠٠
دور المعلمين الرسمية	٠٠	١	٠٠	١	٠٠٠٠
مجموع المدارس	٦٦٣	٢٨٣	١٨١	١١٢٧	٪١٦ر٠٦ <sup>١</sup>

وقد تطور الامر حتى أصبحت نسبة المدارس للمختلطة عام ١٩٧٦ /  
 ١٩٧٧ م الى مجموع المدارس هي ( ٢٦٧٧ ٪ ) تضم فقط ( ١١٨٨ ٪ ) من  
 مجموع الصفوف . "٢"

وننتقل الى سوريا لنتابع مسيرة الاختلاط منذ الخمسينيات من القرن  
 الميلادى الحالي فماذا نجد ؟ نجد مايلى :

" كان عدد المدارس الرسمية الابتدائية للبنين عام ١٩٤٨/٤٧ م هو  
 ٨٢٣ وللبنات ١٧٩ ، والمختلطة " ٣٨ " .

وكان عدد المدارس الاهلية للبنين في نفس العام ١١٤ ، وللبنات  
 ٢٢ ، والمختلطة ١٦٣ .

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ٥٥/٥ .

( ٢ ) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

أما المدارس الأجنبية فكانت في نفس العام ١٤ للبنين ، و ٨ للبنات  
و ١٥ مختلطة "١"

فنسبة المدارس الرسمية المختلطة الى مجموع المدارس وهو ( ١٠٤٠ )  
هي " ٣٦٥ ٪ ) ونسبة المختلطة الاهلية الى مجموع المدارس هي  
( ٥٤٥٢ ٪ ) ونسبة المختلطة الاجنبية الى مجموع المدارس هي ( ٤٥٤ ٪ )  
ونسبة جميع المدارس المختلطة وهي ( ٢١٦ ) الى مجموع المدارس وهي  
( ١٣٧٦ ) هي ( ١٥٧٠ ٪ ) .

وفي عام ١٩٥٠/٤٩ م كان الوضع كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية (ذكور )	١٠٤٧	١١٥	١٤	١١٧٦
( اناث )	٠٢١٩	٠٣٦	١١	٠٢٦٦
(المختلطة)	٨	١٤٧	١٥	١٧٠
المجموع	١٢٧٤	٢٩٨	٤٠	١٥١٢
النسبة	٪٠٠٠٦٣	٪٤٩٣٣	٪٣٧٥٠	٪١٠٠٥٥
	٪٠٠٠٥٠	٪٠٠٩١٢	٪٠٠٠٩٣	—
الثانوية ( ذكور )	٢٧	٣٧	٨	٧٢
( ن )	١٧	١٥	٨	٤٠
المختلطة	٢	٤	٢	٨
المجموع	٤٦	٥٦	١٨	١٢٠
النسب	٪٤٣٥	٪٧١٤	٪١١١١	٪٦٦٧
	٪١٦٧	٪٣٣٣	٪١٦٧	—
كليات الجامعة	٦	—	—	٦
	٦	—	—	٦

(١) حولية الثقافة العربية : ١٠٢/١ .

(٢) حولية الثقافة العربية ١٦٦/٢ جد ول ٣٥



وفي عام ( ١٩٥١/٥٠ م ) كان الوضع بالنسبة لانتشار المدارس

المختلطة كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	رسمية	اهلية	اجنبية	المجموع
ابتدائية ذكور	١٢٥٥	١٠٦	١٣	١٣٢٤
إناث	٢٥٨	٤٢	١٠	٣٢٠
مختلطة	٩	١٣٦	١٥	١٦٠
المجموع	١٤٧٢	٢٨٤	٣٨	١٧٩٤
النسب	%٠٠٠٦١	%٤٧٨٩	%٣٩٤٧	%٨٩٢
	%٠٠٠٥٠	%٧٥٨	%٠٢١٢	
الثانوية ذكور	٢٧	٤٣	٧	٧٧
إناث	١٧	١٧	٩	٤٣
مختلطة	٣	١٠	٢	١٥
المجموع	٤٧	٧٠	١٨	١٣٥
النسب	%٦٣٨	%١٤٣٩	%١٦١١	%١١١١
	%٩٠٢٢	%٠٧٤١	%٠١٤٨	

الكليات الجامعية ٦

كلها مختلطة

\* أما في عام ١٩٥٢ م فقد زادت المدارس المختلطة ، إذ بلغ

مجموع عدد المدارس هو ٢٣٧٦ ، منها ١٧٥٤ خاصة بالذكور ، ٤٢٢

خاصة بالاناث و ٢٠٠ مختلطة . ويوضح ذلك الجدول الآتي :

كما بلغ مجموع افراد الهيئات التعليمية : ١١٦٩٦ ، عدد المعلمين

بينهم ٨٠٧١ وعدد الملمات ( ٣٦٢٥ )<sup>١</sup>

٢١ هو لية الثقافة : ١٦٦/٢

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ١٢٤/٣ ونسبة الملمات الى المجموع الكلي

للمدرسين هو ( ٣٠ ر ٩٩ % ) .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية ذكور	١٥٢٤	٩٨	١٣	١٦٣٥
اناث	٣١٣	٤٦	١٠	٣٦٩
مختلطة	١٣	١٥٢	١٥	١٨٠
المجموع	١٨٥٠	٢٩٦	٣٨	٢١٨٤
النسب	%٠٧٠	%٥١٣٥	%٣٩٤٧	%٨٢٤
	%٠٦٠	%٦٩٦	%٠٠٦٩	
الثانوية ذكور	٣٥	٦٥	٧	١٠٧
اناث	٢٠	١٩	٩	٤٨
مختلطة	٢	٥	٢	٩
المجموع	٥٧	٨٩	١٨	١٦٤
النسب	%٣٥١	%٥٦٢	%١١١١	%٥٤٩
	%١٢٢	%٣٠٥	%١٢٢	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦
اناث	١	٠	٠	١
المختلطة	٠	١	٠	١
المجموع	٦	٢	٠	٨
النسب	-	%٥٠	..	%١٢٥٠
	-	%١٢٥٠	-	-
كليات الجامعة	١٠			
دور المعلمين	٤			
صفوف خاصة بالمعلمين	٢			

طلاب مختلطة

(٤٧٨)

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الأجنبية	المجموع
دور المعلمات	٢	-	-	٢
صفوف خاصة				
بالمعلمات .	٢	-	-	٢
المجموع	١٠	-	-	١٠
المجموع العام	١٩٣٣	٣٨٧	٥٦	٢٣٧٦

تفصيلها :

خاصة بالذكور	١٥٧٠	١٦٤	٢٠	١٧٥٤
خاصة بالاناث	٢٣٨	٦٥	١٩	٤٢٢
مختلطة	٢٥	١٥٨	١٧	٢٠٠ "١"

وفي معهد المعلمين العالي في سوريا كان عدد طلابه عام ١٩٤٨/٤٧ مائتان وثمانية طبلاب منهم مائة وثلاثة وعشرون من الذكور وخمسة وثمانون من الاناث ، ونسبتهم الى المجموع العام ( ٢٠٨ ) هو ( ٤٠٫٨٧ ٪ ) وكان مائة وعشرون طالبا منهم داخليين وثمانية وثمانون أحرار ، من الداخليين واحد وثلاثون طالبة وهن يشكلن نسبة ( ٢٥٫٨٣ ٪ ) "٢"

وفي عام ١٩٥٣/٥٢ كان الوضع بالنسبة للمدارس المختلطة

يمثله الجدول الآتي :

(١) حولية الثقافة العربية : ١٣٢/٣ .

(٢) المرجع نفسه : ١٧٤/١ .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	ملاحظات
ابتدائية ذكور	١٥٠٣	٩٩	٨	١٦١٠	
اناث	٣٤٣	٤٤	٧	٣٩٤	
مختلطة	٢١٨	١٦٥	١٢	٣٩٥	
المجموع	٢٠٦٤	٣٠٨	٢٧	٢٣٩٩	
النسب	% ١٠٠٥٦	% ٥٣٠٥٧	% ٤٤٤٤٤	% ١٦٠٤٧	
	% ٩٠٩	% ٠٦٨٨	% ٠٥٠		
الثانوية ذكور	٣٤	٥٩	٠٦	٩٩	
اناث	٢٠	٢٧	١٠	٥٧	
مختلطة	٣	٢٠	٢	٢٥	
المجموع	٥٧	١٠٦	١٨	١٨١	
النسب	% ٥٢٦	% ١٨٨٧	% ١١١١	% ١٣٨١	
	% ١٦٦	% ١١٠٥	% ٠١١٠	—	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦	
اناث	١	٠	٠	١	
مختلطة	٠	١	٠	١	
المجموع	٦	٢	—	٨	
النسب	—	% ٥٠ % ١٢٠٥	—	% ١٢٥٠	
كليات الجامعة	٦	—	—	٦	كلها مختلطة
دور المعلمين	٦	—	—	٦	
دور المعلمات	٢	—	—	٢	
المجموع العام	٢١٤١	٤١٦	٤٥	٢٦٠٢	

تفصيلها :

١٧٢١	١٤	١٥٩	١٥٤٨	ذكور
٤٥٤	١٧	٧١	٣٦٦	اناث
٤٢٧	١٤	١٨٦	٢٢٧	مختلطة
%١٦٦٤١	%٠.٦٥	%٤٤٢٧١	%١٠.٦٠	النسب
"١" -	%٠.٥٤	%١٥١١٥	%٠.٧٧٢	

وفي عام ١٩٥٦/٥٥ م كان الوضع كما يوضح الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوى	مهني	المجموع	النسب
ذكور	١٣٧٣	١٤٦	١٩	١٥٣٨	
اناث	٣٧٠	٧٢	-	٤٤٢	
مختلطة	٩٧٤	٤٩	-	١٠٢٣	%٤٩٧٩
المجموع	٢٧١٧	٢٦٧	١٩	٣٠٠٣	
النسب	%٣٥٨٥	%١٨٣٥	-	%٣٤٩٠.٧	"٣"
	%٣٢٢٤٣	%٠.١٦٣	-		

أما عدد المعلمين والمعلمات فكان كما يلي :

- (١) حولىة الثقافة العربية : ٤٠/٤ .
- (٢) النسبة الاولى نسبة المدارس المختلطة الابتدائية لمجموع المدارس المختلطة ، والثانية نسبة المدارس الثانوية لمجموع المدارس المختلطة .
- (٣) نفس المصدر : ١٣٠/٥ .

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسبة	سبب <sup>١</sup>
ابتدائي	٦٥٤١	٢٨٢٣	٩٣٦٤	٪٣٠ر١٥	٪٢١ر٢٢
ثانوي	٣١٤٧	٧٩٤	٣٩٤١	٪٢٠ر١٥	٪٥ر٩٧
المجموع	٩٦٨٨	٣٦١٧	١٣٣٠٥		
النسب	٪٧٢ر٨١	٪٢٧ر١٩	-		سبب <sup>٢</sup>

فإذا انتقلنا إلى العراق فأننا سوف نجد أن الاختلاف في التعليم

تزداد نسبه كغيرها من الدول الاخرى .

يقول " ساطع الحصري<sup>٣</sup> دور المعلمين والمعلمات .

"... يوجد في العراق معهدان لتخريج المعلمين والمعلمات

للمدارس الثانوية ، أحدهما دار المعلمين العالية - مختلط يدرس البنين والبنات معا ، وثانيهما : معهد الملكة عالية خاص بالبنات .

وكان عدد طلاب دار المعلمين العالية ( خلال سنة ١٩٤٨/٤٧ )

٥٣٢ منهم ١٧٨ من البنات ، وعدد طالبات معهد الملكة عالية ٢٣٢ " سبب<sup>٣</sup>

أي ان نسبة البنات الى مجموع الدارسين هو ( ٣٣ر٤٦ ٪ ) .

ويقول عن معهد الملكة عاليه مايلي :

" أسس معهد الملكة عاليه سنة ١٩٤٥ م لاتمام عمل دار المعلمين

العاليه ، ويتعبير أذق ليكون بمثابة " دار المعلمات العاليه " .

من المعلوم أن دار المعلمين العاليه مؤسسة مختلطة يدرس فيها

البنون والبنات معا ويناهز عدد البنات فيها ثلث مجموع الطلاب .

(١) النسبة الاولى هي نسبة الى مجموع المعلمين في المرحلة ، والثانية هي

نسبة المعلمات الى المعلمين في المرحلتين .

(٢) حولية الثقافة العربيه : ١٤٧/٥ .

(٣) المرجع نفسه : ٢٥٥/١ .

ومع هذا رأيت وزارة المعارف - في السنة المذكورة - أن تؤسس  
 " معهد الملكة عاليه " على أن يكون التعليم فيها خاصاً بالبنات ، وذلك  
 بغية افساح مجال الدراسة للبنات ( العائلات المحافظة " التي لا تحب  
 اختلاط الجنسين على مقاعد الدرس .

ان أكثر من أربعة اخماس الهيئة التعليمية في معهد الملكة عاليه  
 محاضرون ، ومعظم هؤلاء أساتذة في دار المعلمين العاليه .  
 وكان عدد المدرسات فيه عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ م هو ٨ وعسود  
 المحاضرين هو ٣٨ " ١ "

فيكون مجموع المدرسات والمحاضرين هو ( ٤٦ ) تشكل المعلمات  
 نسبة ( ١٧٣٩ ٪ ) ويشكل المحاضرون نسبة ( ٨٢٦١ ٪ ) .  
 والعجيب في أمر الكتاب هو انهم لا يعدون الاختلاط الا بين الطلاب  
 والطالبات فالدرسة التي تضم طلابا وطالبات تسمى مختلطة عندهم ، أما  
 المدرسة التي تضم معلمين ومعلمات ولا تضم طلابا وطالبات فانها تسمى منفصلة  
 عندهم ، مع ان الاضرار واحدة والجريمة واحدة ( جريمة معصية الله بمخالفة  
 أوامره ) ولكن مفاهيم العلمانيين معكوسة ومغلوطة .  
 ويمثل الجدول الآتي عدد المدارس ومنها المختلطة في مراحل التعليم

في عام ١٩٥٠ / ٤٩ م x

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب
الابتدائية ذكور	٨٠٥	٤٩	٥	٨٥٩	
اناث	١٥٥	٢٤	٠	١٧٩	
مختلطة	٨٠	٤٦	٠	١٢٦	
المجموع	١٠٤٠	١١٩	٥	١١٦٤	
النسب	% ٧٩٠	% ٣٨٦٦	% ١٠٨٢		
	% ٦٨٧	% ٣٣٩٥	% :		
المهنية ذكور	٨	-	-	٨	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	% ٩٠٩			% ٩٠٩	
المدارس العالية					
ذكور	١	=	=	١	
اناث	١	=	=	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	٩	-	-	٩	
النسب	% ٧٧٧٨			% ٧٧٧٨	
المجموع العام	١٠٦٠	١١٩	٥	١١٨٤	" ١"

وفي عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ م زادت نسبة المدارس المختلطة ويمثله

الجدول الآتي :

- (١) حولية الثقافة العربية : ٢٣٧/٢ جدول رقم (٥٤) .
- \* العمود الأول يمثل نسبة المدارس الرسمية المختلطة الي المجموع العام والثاني نسبة الاهلية .



نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب
الابتدائية ذكور	٨١٩	٤٥	٥	٨٦٩	
اناث	١٩٠	٢٢	-	٢١٢	
مختلطة	٩٢	٥٦	-	١٤٨	٦٢٢١٦ %
المجموع	١١٠١	١٢٣	٥	١٢٢٩	
النسب	٨٣٦ %	٤٥٥٣ %		١٢٢٠٤ %	
	٧٤٩ %	٠٤٥٦ %		١٢٠ %	
المهنية ذكور	٨	-	-	٨	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٩٠٩ %			٩٠٩ %	
المدارس العالية					
ذكور	٣	-	-	٣	
اناث	١	-	-	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٧٠ %	٧٠ %		٧٠ %	١ %

أما في عام ١٩٥٢/٥١ فيوضح الجدول التالي نسبة المدارس المختلطة وكيف زادت هذه المدارس المختلطة الرسمية :

(\*) العمود الاول يمثل نسبة المدارس الرسمية المختلطة الى المجموع العام والثانية نسبة الاهلية .

(١) حولية الثقافة العربية : ٢٠٠/٣ جدول ٣٨

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	الاجممع	النسب
الابتدائية ذكور	٩٠١	٣٢	٥	٩٣٨	
اناث	٢٠٤	١٨	-	٢٢٢	
مختلطة	١٠٣	٤٣	-	١٤٦	٧٠٠٥٥ ٪ ٢٩٩٤٥
المجموع	١٢٠٨	٩٣	٥	١٣٠٦	
النسب	٪ ٨٥٣	٪ ٤٦٢٤	-	٪ ١١١٨	
	٪ ٧٨٩	٪ ٣٢٩	-	-	
المهنية ذكور	٦	-	-	٦	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	٩	-	-	٩	
النسب	٪ ١١١١			٪ ١١١١	
المدارس العالية					
ذكور	٣	-	-	٣	
اناث	١	-	-	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٪ ٦٣٦٤	-	-	٪ ٦٣٦٤	"١"

وفي عام ١٩٥٣/٥٢ م زادت المدارس المختلطة ، فقد بلغ مثلاً عدد

المدارس المختلطة في التعليم الابتدائي ١٥٦ من مجموع المدارس وهي ١٤٢٠

وهي تشكل نسبة ( ١٠.٩٩ ٪ ) .

وفي التعليم المهني كان عدد المدارس المختلطة هو مدرسة واحدة من

مجموع المدارس وهو ١٠ وهي تشكل نسبة ( ١٠ ٪ ) . "٢"

( ١ ) حولية الثقافة العربية : ٢٠٠ / ٣ .

( ٢ ) نفس المصدر : ٨٥ / ٤ ، ٩١ ، ٩٠ .

وفي عام ١٩٥٦/٥٥ م كان الوضع يمثله الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوي	المجموع
ذكور	١٠٩١	١٥٤	١٢٤٥
إناث	٢٦٩	٥١	٣٢٠
مختلطة	٤٦٦	-	٤٦٦
المجموع	١٨٢٦	٢٠٥	٢٠٣١
النسب	% ٣٥ر٥٢	-	% ٢٢ر٩٤
	% ٢٢ر٩٤	-	"١"

أما عدد المعلمين والمعلمات فيوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسب
ابتدائي	٧٦١٠	٣٤٧٢	١١٠٨٢	% ٣١ر٣٣
ثانوي	٢١٦٢	٥٧٦٤	٢٩٢٦	% ٢٦ر١١
المجموع	٩٧٧٢	٤٢٣٦	١٤٠٠٨	% ٣٠ر٢٤ "٢"

ومعنى ذلك أن نسبة المعلمات إلى مجموع المعلمين هو ( % ٣٠ر٢٤ )

في المرحلتين أي ثلث المدرسين تقريباً .

أما في آخر احصائية وهي الاحصائية التي نشرت بصحيفة الرياض فإن المدارس المختلطة قد زادت كثيراً ويمثلها الجدول الآتي :

(١) نفس المصدر : ٢٤٦/٥

(٢) حولية الثقافة العربية : ٢٤٦/٥ .

المرحلة الدراسية :					
بنون	بنات	مختلط	المجموع	النسبة	
١٧٣٤	١٠٧٨	٨٥٠٤	١١٣١٦	٪٧٥ر١٥	الابتدائية
٧٧٧	٥٠٠	٤٩٧	١٧٧٤	٪ ٢٨ر٠٠	ثانوى اكادىي
٩	-	٤١	٥٠	٪ ٨٢ر٠٠	صناعي
١٠	-	١٨	٢٨	٪ ٦٥ر٠٠	زراعي
١٤	٢٧	٧	٤٨	٪ ١٥ر٠٠	تجارى
-	-	٤	٤	٪ ١٠٠ر٠٠	معاهد الفنون الجميلة
١٦	١٩	-	٣٥	-	دور المعلمين
١	٢	١٢	١٥	٪ ٨٣ر٠٠	معاهد المعلمين
-	-	١٩	١٩	٪ ١٠٠ر٠٠	التعليق بها الى معاهد فنية
-	-	٤٦	٤٦	٪ ١٠٠ر٠٠	كليات
٢٥٦١	١٦٢٦	٩١٤٨	١٣٣٣٥	٪ ٦٨ر٦٠	المجموع

أما المعلمون فيمثلهم الجدول الآتي :

المرحلة الدراسية	المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبة	
الابتدائية	٥٠٤٦٤	٤٢١٨٠	٩٢٦٤٤	٪ ٤٥ر٥٣	
ثانوى اكادىي	١٦٨١٨	١١١٨٤	٢٨٠٠٢	٪ ٣٩ر٩٤	
المرحلة الثانوية اعداد مهني	١٩٨٧	٠٠٢٤٤	٢٢٣١	٪ ١٠ر٩٤	صناعي
	٩٠٨	٩٨	١٠٠٦	٪ ٩ر٧٤	زراعي
تجارى	٢٢٢	٤٦٩	٦٩١	٪ ٦٧ر٨٧	

المرحلة الدراسية	المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبة
معاهد الفنون الجميلة	١٣١	١٧	١٤٨	% ١١ر٤٩
دور المعلمين	٢٥٨	٥١٤	٧٧٢	% ٦٦ر٥٨ *
معاهد المعلمين	١٥٢	٦٩	٢٢١	% ٣١ر٢٢
التعليم معاهد فنية	١٢٦٩	٢٧٦	١٥٤٥	% ١٧ر٨٦
العالى كليات	٣٥٢٦	٦٠٩	٤١٣٥	% ١٤ر٧٣
المجموع العام	٧٥٧٣٥	٥٥٦٦٠	١٣١٣٩٥	% ٤٢ر٣٦

أما التلاميذ فيمثلهم الجدول الآتي

المرحلة الدراسية	الطلاب	الطالبات	المجموع	النسبة
الابتدائية	١٤٣٤٠٦٧	١١٧٤٨٦٦	٢٦٠٨٩٣٣	% ٤٥ر٠٣
ثانوى اكادىي	٦٢٦٥٨٨	٢٧١١١٢	٨٩٧٧٠٠	% ٣٠ر٢٠
اعداد مهني صناعي	٢٨١٥٦	٢٨١٢	٣٠٩٦٨	% ٩ر٠٨
المرحلة زراعي	٧٣٦١	١١٢٨	٨٤٨٩	% ١٣ر٢٩
الثانوية تجارى	٣٣٩٨	١١١٧١	١٤٥٦٩	% ٧٦ر٦٨
معاهد الفنون الجميلة	١٠٣٦	٣٨٢	١٤١٨	% ٢٦ر٩٤
دور المعلمين	٥٨٢٣	١٣١٣٧	١٨٩٦٠	
معاهد المعلمين	١٩٤٤	١٨٥٧	٣٨٠١	% ٤٨ر٨٦
فصله هرقىه	١٠٧٤٨	٤٢٣٩	١٤٩٨٧	% ٢٨ر٢٨
التعليم كليات	٥٧٦٦٣	٢٥٧٦٢	٨٣٤٢٥	% ٣٠ر٨٨
العالى المجموع	٢١٧٦٧٨٤	١٥٠٦٤٦٦	٣٦٨٣٢٥٠	% ٤٠ر٩٠ "١"

(\*) دور المعلمين يقبل بها خريجو الدراسة المتوسطة ومدة الدراسة بها ٣ سنوات والنية متجهة لجعلها خمس سنوات . وانظر كيف ان المدارس ليس فيها اختلاط بين التلاميذ ولكن نسبة المعلمات الى المعلمين كافة مرتفعة جدا ( ٦٦ر٥٨ % ) وهو اختلاط والنتيجة واحدة .

(١) انظر صحيفة الرياض العدد ٤٨٨٦ / السنة السابعة عشرة الخميس ١٥ رمضان ١٤٠١ هـ ص ١٥ مقابلة وزير التربية العراقي ، والجدول العرفى وقد وزعته على الجدول الثلاثة .

أما في مصر فقد كان الوضع كما يلي عام ١٩٥٥/١٩٥٦ م .

١ - كان عدد المدارس الابتدائية هو ٥٣٩٩ منها " ٣٣١٥ " مختلطة

وهي تشكل نسبة ( ٦١.٤٠ ٪ ) من عدد المدارس .

(٢) كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو " ١٥٤٧ " من عدد الهيئة

التعليمية البالغة ٢٩٣٩ ، أي ان نسبتهم هي ( ١٩.٤٩ ٪ ) من

المجموع العام ،

(٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين هو ( ٦٦ ) مدرسة من مجموع

الهيئة التعليمية وهي " ١٠٧٢٦ " وهي تشكل نسبة ( ٦٢.٥ ٪ )

(٤) كان عدد المعلمات في المدارس المختلطة هو ( ٣٩٧٥ ) من مجموع

الهيئة التعليمية وهي " ١٨٤٥١ " وهي تشكل نسبة ( ٢١.٥٤ ٪ ) ،

(٥) كان عدد المعلمات في المدارس كلها " البنين " و " البنات " ( المختلطة )

هو " ١٠٤٣٣ " من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ٣٧١١٦ " وهي تشكل

نسبة ( ٢٨.١١ ٪ ) .

(٦) كان عدد المعلمين في المدارس الابتدائية الراقية " نسوى " ( ٣١ " معلما

من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي تشكل نسبة ( ١٨.٧٩ ٪ )<sup>١</sup>

أما في المرحلة الاعدادية فكان الوضع كالآتي :

\* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو ( ٩٤٠ ) من مجموع الهيئة

التعليمية في هذه المدارس وهي ( ٣٠٥١ ) وهي تشكل نسبة

( ٣٠.٨١ ٪ )<sup>٢</sup>

أما في المرحلة الثانوية فكان الوضع كالآتي :

\* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو ( ٤٧٨ ) من مجموع الهيئة

التعليمية في هذه المدارس وهي ( ١٤٥٩ ) وهي تمثل ( ٣٢.٧٦ ٪ )

المصنف

أما في المدارس المهنية فكان الوضع كالتالي :

- (١) كان عدد الملمات هو ( ٤ ) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي ( ١٨ ) وهي تشكل نسبة ( ٢٢.٢٢ % ) .
- (٢) كان عدد المعلمين في الثانوي التجاري ( للبنات ) هو ( ٥٠ ) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وعددها ( ٨٦ ) وهي تشكل نسبة ( ٥٨.١٤ % ) .
- (٣) كان عدد المعلمين في الثانوي الفني المهني ( النسوي ) هو ( ١٣٩ ) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها ( ٦٣٨ ) وهي تشكل نسبة ( ٢٠.٢٢ % ) "١"

هذا هو الوضع في المدارس الاميرية الحكومية .

أما في المدارس الاهلية ( الحرة ) فكان الوضع بالنسبة للاختلاط كالآتي :

- (١) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية " المعانة " هو ( ٧٠٤ ) من مجموع المدارس وعددها ( ١١٢٩ ) وهو يمثل نسبة ( ٦٢.٣٦ % )
- (٢) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية ( غير المعانة ) هو ( ٩١٢ ) من مجموع المدارس وعددها ( ١٨٣٨ ) وهو يشكل نسبة ( ٤٩.٦٢ % ) .

أما عن المعلمين والملمات فان الوضع كان كالآتي :

- (١) كان عدد المعلمين في مدارس البنات " المعانة " هو ( ٣٠٠ ) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وعددهم ( ١٣٢٩ ) وهي تشكل نسبة ( ٢٢.٥٧ % ) .
- (٢) كان عدد الملمات في المدارس المشتركة هو ( ٢٤٧٧ ) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها ( ٤٣٤١ ) وهو يشكل نسبة ( ٥٧.٠٦ % ) وتكون نسبة للمعلمين هي ( ٤٢.٩٤ % ) .

(٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين الابتدائية "غير المعانة" هو (٥٣) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعدد ها (٧٢١) وهوا يشكل نسبة (٧٣٥ ٪) .

(٤) كان عدد المعلمات في المدارس الابتدائية المشتركة "غير المعانة" هو (١١٩٥) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعدد ها (٢٠٩٣) وهو يشكل نسبة (٥٨٥٢ ٪) وتكون نسبة المعلمين هي (٤١٤٨ ٪) .

(٥) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية المعانة "بنون" هو (٥) معلمات من مجموع الهيئة التعليمية وعدد ها (٣٦١٨) وهوا يشكل نسبة (٠.١٤ ٪) .

(٦) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية المعانة "بنات" هو (٥٠٥) من مجموع الهيئة التعليمية وعدد ها (١٠٢١) وهوا يمثل نسبة (٤٩٤٦ ٪) وبذا تكون نسبة المعلمات هي (٥٠٥٤ ٪) .

(٧) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية "بنون" غير معانة هو (١٩) من مجموع الهيئة التعليمية وعدد ها (٤٤٤) وهوا يمثل نسبة (٤٢٨ ٪) .

(٨) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية بنات غير معانة هو (٦٧) من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٦٦) وهوا يشكل نسبة (٤٠٣٦ ٪) .

(٩) كان عدد المعلمين في الثانوى "بنات" هو (٩٠) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٧٦) وهوا يشكل نسبة (٥١١٤ ٪) .

(١٠) كان عدد المعلمين في الثانوى "بنات" غير معان هو (٤) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٣) وهوا يشكل نسبة (٣٠٧٧ ٪) .



بعد ذلك نأتي الى مناقشة مزاعم الداعين الى الاختلاط وحججهم فسي  
الدعوة الى ذلك .

من حججهم التي يطلقونها لتبرير الاختلاط في المرحلة الاولى ( الابتدائية )  
مايلي :

١ - " . . . ان الأطفال برآء ليس لديهم الا مشاعر فطرية بعيدة  
عن الجنس " ١

والرد على هذا الزعم من ثلاثة أوجه :

الاول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتفريق بين الاخوة في المضاجع  
وهم ابناؤه عشر سنين .

" عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
قال : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء  
عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع . . . " رواه احمد ، وابوداود ، والحاكم  
في المستدرک ٢

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتفريق بين الأولاد - وهو  
تعبير يشمل الذكور والإناث - وهم أبناء عشر سنين ، تمويدهم على التمايز  
والانفصال فإن الدعوة الى اختلاطهم على مقاعد الدراسة وهم في التيقظة يولد  
فيهم الشعور بعدم التمايز ، وبالتالي لا يكون للزواج في مستقبل أيامهم أي  
معنى ، وبالزواج تتكون الاسر ، وتنشأ المجتمعات .

الثاني : أن الآيات القرآنية نصت على وجوب احتجاب المرأة عن الرجل ،  
ونصت على بيان ما يجب على الرجل والمرأة في هذا الخصوص من غض  
البصر ، وحفظ الفرج ، وعدم ابداء الزينة ، والضرب بالخرم على الجيوب

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ١٠/٦ ،

بحث الاستاذ منير محمد الفضبان .

٢ " حقه لإمام أحمد : ١٨٧/٢ ، وسنه إبي داود :  
المستدرک على الصحيح : ١/١٩٧ .

قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأجرين أحد يث أن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتوهن مثاعاً فأسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهرو لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ذلكم كان عند الله عظيماً . " ان تدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً لا جناح عليهن في آباءهن ولا ابناهن ولا اخوانهن ولا ابناً اخواتهن ولا ابناً اخواتهن ولا نساءهن ولا ما ملكت ايمنهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً " سورة الاحزاب : ٥٣ - ٥٥ .

وقال تعالى : " يا أيها النبي قل لا زواجك ونسائك ، ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً " سورة الاحزاب : ٥٩ .

وقال تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أفرى لهم إن الله خبير بما يصنعون . " وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن الا ليعولتهن أو آباءهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو بنو اخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت ايمنهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

وقال تعالى في " المعجزة " :

" والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم " النور : ٦٠

فالأية الأولى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان آداب

الاستئذان وآداب الوليمة وآداب دخول البيوت ، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ودعي الصحابة الى وليمة العرس ، فأكل قوم ثم خرجوا ثم أكل قوم آخرون وخرجوا ، لكن بقي بعض الصحابة فلم يخرجوا ، فنزلت هذه الآية ، فكان من ضمن الآداب والاحكام التي شرعت بهذه الآية :

( ١ ) وجوب الاستئذان عند إرادة الدخول الى بيوت الغير - وان كان

الخطاب نص على بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فإن العبرة كما يقول

علماء الشريعة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٢ ) وان يكون السوءال " للمتاع " اولاى أمر آخر من وراء حجاب .

( ٣ ) انه لا جناح على المرأة في عدم التحجب عن ذكرتهم الآية .

والآية الثانية تضمنت أمر جميع النساء من أزواج النبي ، وبناته وكافة نساء

المؤمنين . بأن يدنين عليهن من جلابيهن . وقد قال ابن كثير في تفسيره مايلي :

" يقول الله تعالى آمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم تسليماً - أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناتهن لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيهن ، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الاماء . والجلباب هو الرداء فوق الخمار : قال ابن مسعود وعبيدة ( وقتادة ) والحسن البصري وسعيد بن جبیر ، وابراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد ، وهو بمنزلة الازار اليوم " ثم قال :

" قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدن عينا واحدة " .

ثم قال : " وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب الي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن عيثم ، عن صفية بنسبت

شبية ، عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية : ( يدنين عليهن من جلابيبهن ، خرج نساء الانصار كأن علي رؤوسهن الفريجات من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها " ١ " )

وهكذا يتضح من تفسير ابن عباس وغيره من الصحابة أن المرأة مأمورة أمر وجوب بالحجاب ، ومن المعلوم أن تفسير الصحابي حجة ، بل قرر بعض علماء الاسلام أنه في حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .  
أما الآية الثالثة فإنها قد تضمنت أمر الرجال بأمور ، وأمر النساء بأمور فاما الرجال فقد أوجب الله عليهم في هذه الآية أمران :

( ١ ) غص البصر .

( ٢ ) حفظ الفروج ( ويشمل ستر الفروج عن الرومية ، وحفظها من الزنا ) " ٢ "

( ٣ ) النهي عن ابداء الزينة ، وقد كرر الامر في الآية .

( ٤ ) الامر بأن يضرين بخمرهن على جيوبهن . " ٣ "

قال ابن كثير في بيان معنى : " ضرب الخمر على الجيوب " :

" وقوله : ( وليضرين بخمرهن على جيوبهن ) ، يعني : المقانع لها

صفات ضاربات على صدور النساء لتتوارى ماتحتها من صدرها وترائيها ، ليخالفن

شعار نساء أهل الجاهلية فإنهم لم يكن يفعلن ذلك ، بل كانت المرأة تعريبين

الرجال مفسحة بصدرها ، لا يواريه شي . وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها

وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات ان يستترن في عيئاتهن وأحوالهن ، كما

قال الله تعالى : ( يا ايها النبي ، قل لا زواجك وبناتك ونساء المؤمنين ،

يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى أن يعمرن فلا يؤذين ) . وقال في

( ١ ) تفسير ابن كثير : ٤٧٠ / ٦ ، ٤٧١ .

( ٢ ) الجامع لاحكام القرآن : ٢٢٩ / ١٢ . فقد فسر حفظ الفرج بالامر بمعصية .

( ٣ ) الجيوب : هي الصدور والنحور .

هذه الآية ( وليضربن بخمرهن على جيوسهن ) ، والخمر : جمع خمار ، وهو مايخمر به ، أى يغطى به الرأس ، وهي التي تسميها الناس المقانع .<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عتيين في هذه الآية x

" . . . فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جبينها كانت مأمورة

بستر وجهها إما لأنه من لازم ذلك ، أو بالقياس فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب أولى لأنه موضع الجمال والفتنة فإن الناس الذين يتطلعون جمال الصورة لا يستلون إلا عن الوجه فإذا كان جميلاً لم ينظروا إلى ما سواه نظراً ذا أهمية ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام إلا جمال الوجه فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلباً وخيراً فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه ؟<sup>(٢)</sup>

وقال عن " ابداء الزينة " :

" ٣ - ان الله تعالى نهى عن ابداء الزينة مطلقاً إلا ما ظهر منها وهي

التي لا بد من أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال إلا ما ظهر منها لم يقل إلا ما ظهر منها ثم نهى مرة أخرى عن ابداء الزينة إلا لمن استثناهم فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزينة الاولى فالزينة الاولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل احد ولا يمكن اخفاؤها . والزينة الثانية هي الزينة الباطنة التي لا يجوز ابداءها إلا لانس مخصوصين سواء كانت من صنع الله تعالى كالوجه أم من صنع الآدميين كثياب الجمال الباطنة التي يثزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الاولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة " ٢

وبذا يتضح أن ستره المرأة لوجهها واجب ، وفي هذا حجب لها عن

مخالطة الرجال .

وأما الآية الرابعة فقد تضمنت أن النساء المعجئات اللاتي انقطع عنهن الحيض

ويئسن من الولد كما قاله سعيد بن جبير وجماعة " ٣ " ولم يبق لهن تشوؤ السي

( ١ ، ٢ ) رسالة الحجاب : ٥ ، ٦ .

( ٣ ) تفسير ابن كثير : ٦ / ٩٠ ، ٩١ .

الزواج - ليس عليهن جناح في وضع ثيابهن " أي الجلباب والرداء كما قاله ابن مسعود وجماعة . " ١ " بشرط أن لا يكن بذلك متبرجات بالزينة ، ومعنى ذلك أنه لا ثواب بغيره على الحكم الأساس .

يقول الشيخ ابن عثيمين :

" . . . وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى نفى الجناح وهو الاثم عن القواعد وعن العجائز اللاتي لا يرجون نكاحاً لعدم رغبة الرجال بهن لكبر سنهن نفى الله الجناح عن هؤلاء العجائز في وضع ثيابهن بشرط أن لا يكون الغرض من ذلك التبرج بالزينة ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات وإنما المراد وضع الثياب التي تكون فوق الدرع ونحوه مما لا يستر ما يظهر غالبا كالوجه والكفين فالثياب المذكورة المرخص لهن هو العجائز في وضعها هي الثياب السابقة التي تستر جميع البدن وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل على أن الثواب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم ، ولو كان الحكم شاملا للجميع في جواز وضع الثياب وليس درع ونحوه لم يكن لتخصيص القواعد فائدة . ومن قوله تعالى : " غير متبرجات بزينة " دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التي ترجو النكاح لأن الغالب عليها إذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة وأغهار جمالها وتطلع الرجال لها ومدحهم إياها ونحو ذلك ومن سوى هذه نادرة والنادر لا حكم له " ٢ "

ومن الأدلة على الحجاب من السنة ما يلي :

- ( ١ ) " إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته ، وإن كانت لا تعلم " أخرجه أحمد " ٣ "

( ١ ) تفسير ابن كثير : ١٠ / ٦ ، ٩١٠

( ٢ ) رسالة الحجاب : ٨

( ٣ ) مسند الامام أحمد : ٥ / ٤٢٤

فنفى الجناح عن الرجل الذى يزيد خطبة امرأة من أن ينظر اليها ما يدعوه الى نكاحها - وهو الوجه - دليل على أن الاصل وجوب الحجاب على المرأة .

(٢) " عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع الرسول صلى الله عليه وسلم محرمات فإذا جاؤوا زنا أسدلت احدانا جلبابها على من رأسها على وجهها فإذا جاؤوا كشفناه " رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . "١"

وجه الدلالة منه على وجوب الحجاب : " فإذا جاؤوا زنا أسدلت احدانا جلبابها على وجهها من رأسها " ومن المعلوم ان المشروع للمرأة في الحج كشف الوجه لان احرام المرأة في وجهها ، وهذا اذا لم يهر بها رجال اجانب عنها . ومن النصوص النبوية الاخرى التي تحرم الاختلاط ما يلي :

(١) " عن ام حميد الساعدية رضي الله عنها قالت : " يارسول الله اني أحسب الصلاة معك ، قال : لقد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها واغلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل . " رواه احمد والطبراني . "٢"

(١) الفتح الرباني بترتيب مسند الامام احمد بن حنبل : ٢١٥/١١ ، وسنن أبي داود : ٤٢٥/١ ، وسنن ابن ماجه : ٩٢٩/٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مع اختلاف يسير في اللفاظ عن لفظ المسند والسنن لابي داود .

(٢) الفتح الرباني : ١٩٩/٥ وهذا لفظ احمد .

٢ - عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم "خير مساجد النساء قعربيوتهن" أخرجه أحمد والحاكم. (١)

٣ - عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها " أخرجه ابوداود والحاكم (٢) .

٤ - عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار : أفرأيت الحمى ؟ قال : الحمى : الموت " أخرجه البخاري ومسلم (٣) .

ففي النصوص الثلاثة الاولى يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة المرأة في بيتها او مخدعها أفضل من صلاتها في المسجد حتى ولو كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده ، ذلك لانها ستعرض لرؤية الرجال الا جانب فيمسى وهذا في الصلاة فكيف بغير الصلاة ؟ كالعمل والتعليم . . اذا اقترن به اظهار المرأة لمفاتنها وتزينها بانواع الزينة التي تجعل الدمية جميلة في انظار الرجال بل كيف يكون الحكم اذا اقترن به ظهور النحر والصدر وشئ من النهدين والساقين وشئ من الفخذين . . واصبحت تتجول وتتبختر امام الشباب في المدارس او في العمل .

وفي النص الرابع يحرم الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول على المرأة الاجنبية حتى ولو كان الداخل هو "الحمى" اي ( اخ الزوج وما اشبهه ممن اقارب الزوج . ابن العم ونحوه " (٤) .

ان حرمة الاختلاط تتضح من قراءة وفهم النصوص السابقة فاذا كانت المرأة المسلمة مأمورة بستر وجهها عن الرجال الا جانب واذا كانت صلاتها في بيتها او حجرتها أفضل من صلاتها في مسجد الجماعة "اي الجامع" لانه يكسر

(١) مسند الامام احمد : ٢٩٧/٦ والمستدرک علی الصحيحين : ٢٠٩/١ .

(٢) عون المعبود شرح سنن ابی داود : ٢٧٧/٢ . والمستدرک علی الصحيحين : ٢٠٩/١ .

(٣) صحيح البخاري : ١٥٨/٦ ، ١٥٩ ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم والدخول على المغيبة . صحيح مسلم : ١٧١١/٤ ، كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالاجنبية والدخول عليها ، وسنن البيهقي : ٣ / ١٣١ . وانظر ج ١٣٢/٣ حديث عائشة .

(٤) هذا تفسير الليث بن سعد ، انظر صحيح مسلم : ١٧١١/٤ .



فيه الرجال والصلاة من الواجبات الشرعية التي يعاقب تاركها بأشد العقوبات إذا كان الامر كذلك في الصلاة فان الاختلاط بيمن الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، والاختلاط بين المعلمين والمعلمات في مكاتب المدرسة أكبر الجرائم التي يخالف بها شرع الله مخالفة صريحة \* .

ويقول : " خير محمد نجيب غضبان " بعد ذكره للحجة السابقة :  
 " ... وموقف داعية الاختلاط في هذا الموضوع شبه بموقف المشركين الذين يتحدّثون بمنافع الخمر وينسون أثمه الكبير " .

إن المضار التربوية التي تنشأ عن اختلاط الاطفال بالمرحلة الابتدائية التي تبدأ منذ سن التمييز السادسة - حيث يبدأ التلميذ يمي على ما حوله - تجعل الحياة الطبيعية عند  $\odot$  هي الاختلاط وقيم صداقاته كما يهوى مع صديقة او صديقه ويحبها معها حياة مشتركة ، فهو يحس عند انتهاء الاختلاط أنه فقد صديقاً عزيزاً عليه - ويحن لهذه الصديقة حنيناً منبعثاً من كيانه ويسود لويلبي هذا الحنين ، ويتابع صلاته وصداقته التي بناها من قبل دون قيد .  
 لقد صار الاختلاط جزءاً من كيانه حتى يبلغ سن المراهقة ، وتتفتح مشاعره الجنسية سوف يختلط هذا التهييج الجنسي بذلك الحنين الطفولي لدى الطرفين - يفقد هد فهما ان تنكسر الحواجز وتصبح النظرة الى هدم الاختلاط تتسم بالحق ، ويعبر عنها بالكبت .

لقد ربينا الطفل منذ نعومة اظفاره على الاختلاط ، وزرعناه في كيانه ، ثم اردنا ان نمنعه عنه حين احسن ان كيانه كله يريد الاختلاط .

انه سوف يمتدنا اذ  $\odot$  له لاننا نحول بينه وبين ما زرعناه في كيانه فأي فائدة تربوية ؟ بل أية ثمرة مرة فتجرعها يوم نربي اولادنا على الاختلاط " ١ " .  
 والواقع ان اكثر التربويين الذين يحتجون كما قال الكاتب آنف الذكر

بأن الاطفال ليس لديهم مشاعر جنسية - يعتقدون مذهب فرويد في تفسير حياة الانسان - الطفل والرجل ، والمرأة - بالجنس فكيف يحتاجون بهذه الحججة للدعوة الى الاختلاط . ولو كان دعاة الاختلاط صادقين في دعواهم لدعوا الى الاختلاط بين التلاميذ والتلميذات في المرحلة الابتدائية مع جعل المدرسين لهم اما نساء أو رجالا . ولكنهم لم يكونوا صادقين في دعواهم فقد دعا مؤتمـر التعليم الالزامي الى امرين اثنين ذكرتهما وهما :

( ١ ) الاكثار من تخريج الملمات للمرحلة الاولى حتى يمكن قصر التعليم فسي السنوات الاولى من التعليم الابتدائي على النساء . اما السنوات الاخيرة فيكون التعليم مشتركاً بين الملمات والمعلمين .

( ٢ ) الدعوة الى عدم انفراد الرجال في المدارس المختلطة بالتدريس للمرات لان ذلك يفقد هن اثر العنصر النسوي اللازم لحسن تكوينهم . . . " ١ "

ومن الحجج التي يطلقها دعاة الاختلاط ليجروا دعوتهم الى الاختلاط في التعليم الزعم بأن التعليم المختلط يتيح للدولة توسيع الخدمات التعليمية للأناث والزعم بأن التعليم المختلط يترتب عليه توفير كبير في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد .

يقول أحمد التل في ذلك عن الاردن :

" . . . ورغم ان هذه السياسة - اي سياسة التعليم المختلط - تتعارض مع التقاليد الاسلامية التي تقضي بفصل الاناث عن الذكور ، ولاقت مقاومة من الفئات الدينية المحافظة ، فقد أدت هذه السياسة الى توسيع الخدمات التعليمية للأناث الى درجة كبيرة . . . " ٢ "

ثم يقول :

" . . . ومن النتائج التي ترتبت على سياسة التعليم المختلط توفير كبير

( ١ ) مستقبل التربية في العظم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

( ٢ ) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد بعد أن توقفت ازدياد واجبة  
المدارس وأصبح من الممكن تركيز صرف المخصصات السنوية بشكل أفضل ، كما أنه  
من الأفضل من الناحية الاقتصادية أن تؤسس مدارس منفصلة للذكور وأخرى  
للإناث " ١ "

ولا حاجة بي إلى التعليق على هذا القول وتفنيد ، فإن الكاتب قد  
كفانا مؤنة ذلك في الفقرة الأخيرة من قوله : " كما أنه من الأفضل من الناحية  
الاقتصادية أن تؤسس مدارس منفصلة للذكور وأخرى للإناث " .

بل هو الأفضل دينياً فالناحية الاقتصادية يجب أن تكون في المقام الثاني  
بعد استمساكنا بدِيننا وسيرنا على منهاجه ، فليس لنا خيرة في ذلك ، بل  
الواجب علينا أن نفعل ما أمرنا به ديننا حتى ولو كلفنا ذلك أوقاتها .

ومن العجيب أن تردد هذه المقولة الفارغة أن تكلفة الطالب يحصل فيها  
توفير بالاختلاط . ذلك أن المبني المدرسي الذي يشيد ليتسع لآلف طالب ،  
لا يمكن أن يتسع لآلفين ، لمجرد أننا خلطنا البنين بالبنات ، والفصل الذي  
يقرر له أن يكون فيه ثلاثون طالبا لا يمكن أن يتسع لستين لمجرد الخلط ، وإذا  
قررنا أن يكون نسبة المدرسين مثلا إلى الطلاب كنسبة ١ : ٢٥ فإنه لا يمكن  
أن تكون النسبة كما هي مع زيادة عدد الطلاب فلا بد إذا من زيادة عدد المدرسين .  
والمعامل التي يستخدمها عشرون طالبا لا يمكن أن تحتل استخدام أربعين  
طالبا لمجرد الاختلاط فلا بد إذن من زيادة المعامل ، وإذا اتسعت المدرسة  
وكثر عدد طلابها فإن الجهاز الإداري يجب أن يزيد . فإين التوفير الكبير في  
معدل التكلفة .

وقد تأيدت أحكام الشريعة الفراء في تحريم الاختلاط بآخر ما وصل إليه  
علماء " البيولوجيا " ولندع السيدة / صلاح سهيل تحدثنا عن ذلك فهي تقول :

" . . . في الواقع أن دعاة الحضارة الحديثة الباحثون والشيوعيون

والصهيونيون والعنصريون قد فرضوا الاختلاط بين الجنسين واجبروا المرأة للتخلص عن دورها الحقيقي الفطري ، ذلك <sup>لتقليد</sup> وحدة العائلة ، ثم نادوا بحرية المرأة والتحرر لاي نظام بأسم " الكبت والانفلاق والكتم " القريب فسي الامران الدراسات البيولوجية الحديثة والجوانب الجديدة في العلم النفسية تقول :

" ان النمو البيولوجي النفسي للمرأة يتطلب منها الالتزام بالحشة وعدم الاختلاط والحمية " ، لان التركيب الحيوي والنفسي والبيولوجي للمرأة لا يمكن ان يكتمل من الناحية الاوثوية البحتة اذا لم تتبع المرأة سلوكا معيناً ضد الاختلاط والكشف والتعري . سحر وجمال المرأة يزداد مع حفظ وحماية النمو الطبيعي واي نوع من الفنون والموسيقى والثقافة يسلب المرأة انوثتها لا يعد فقط مأساة حيوية بيولوجية ، بل هذا قضاة وتمزيق لكيان المرأة على مسرح الاستعراض البشري " ١ "

اذن أين هو الكبت والانفلاق والكتم ؟؟ وعلى النقيض من ذلك

يقول الدكتور " ساروكين " العالم الشهير :

" ان الكبت يأتي نتيجة للحرية اللانهائية . . اي اي فعل أو فكر يتعارض مع طبيعة المرأة أو الرجل عضوا كان أو نفسيا يورث الى الكبت . . ان العلم اليوم يرى ان الطبيعة ليست فوضى او انفلاق . . الطبيعة البشرية ليس بمقدورها تحمل التمتع بالحياة دون معرفة ولا الحرية دون منهج ، ولا الانطلاق بدون هدف الا اختلاط بين الجنسين قد أدى الى كارثة الية للنمو الطبيعي للرجل والمرأة اليوم . الامراض المزمنة النفسية ( psychosis ) والعصبية ( neurosis ) لم تبلغ فقط ٨٩ ٪ في مجتمعنا الغربي لكن ايضا الامراض المستعصية العضوية اصبحت شائعة بسبب الاختلاط .

محاولة

وقد باءت بالفشل كل الطب الحديث لايجاد دواء ناجح لهذه الأمراض الجديدة . واني مندهش . . هل يمكن للعلم أن يساهم حقيقة في انقضاء المجتمعات البشرية من هذا الانحطاط النفسي الاجتماعي " ١ "

ويقول الاستاذ " ابو الأعلى المودودي " رحمه الله :  
 " . . . وقد نُكِرَت في مجلة اميركية هذه الاسباب التي لا تزال تؤدى الى رواج الفحشاء وقبولها هناك بالكلمات الاتية :

" . . عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم ؛ وهي جميعها في تسمير صغير لاهل الارض ؛ اولها ؛ الادب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة ، والثاني : الافلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب ، بل تلقنهم دروسا عملية في بابه . والثالث : انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء ، الذي يظهر في ملابسهن ، بل في عريهن ، وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن باقربال بلا قيد ولا التزام . هذه المفاصد الثلاثة فينا الى الزيادة والانتشار بتوالي الايام ، ولا بد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصارين وفناءهما آخر الامر فان نحن لم نجد من طغيانها ، فلا جرم أن يأتي تاريخها مشابها لتاريخ الرومان ومن تبعهم سائر الامم الذي قد اوردهم هذا الاتباع للاعواء والشهوات موارد الهلكة والفناء مع ماكانوا فيه من خمر وفساد . ومشاغل رقص ولهو وفناء . . . " ٢ "

( ١ ) نفس المصدر : ٤٤١

( ٢ ) المحاب : ١٠٥

ولننظر ما نقوله كاشفة امريكية تدعى " ميلسيان ستانسيرى " فقد كتبت مقالا  
فى صحيفة الجمهورية القاهرية تحت عنوان " امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة "  
جاء فيه : " ان المجتمع العربى مجتمع كابل وسليم ومن الخلق بهذا المجتمع  
ان يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول . وهذا المجتمع  
يختلف عن المجتمع الاوروبى والامريكى فعندكم تاليد مورثة تحتم تقييد المرأة وتحتم  
احترام الاب والام <sup>وقد</sup> اكثر من ذلك عدم " الاباحية الغربية " التى تهدد اليوم  
المجتمع والاسرة فى اوربا وامريكا .

ان القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة صالحة ونافعة لهذا  
انصح بان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم . وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ،  
بل ارجعوا الى عصر الحجاب فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون اوربى  
وامريكا .

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه فى امريكا الكثير . لقد اصبح المجتمع  
الامريكى مجتمعا محقدا طيئا بكل صور الاباحية والخلاعة . وان ضحايا الاختلاط  
والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والارصفة والبارات والبيوت السريسة ،  
ان الحرية التى اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات احداث  
وعصابات " جيمس دين " وعصابات المخدرات والرقيق .

ان الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوروبى والامريكى هدد الاسر  
وزلزل القيم والاخلاق فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين - فى المجتمع الحديث تخالط  
الشبان وترقص وتشرب الخمر وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والاباحية والحرية . . .  
وهى تلمهو وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين <sup>ولما خرجت مع عائلتها وبصرها بل</sup> عاينها . . . تتحداهم باسم الحرية  
والاختلاط تتحداهم باسم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات  
ولا يكلفها اكثر من امضاء وعشرين قرشا وعريس ليلة " (١)

( ١ ) روائع البيان فى تفسير ايات الاحكام : ٣٨٩ / ٢ ، ٣٩٠ نقلا عن صحيفة  
الجمهورية القاهرة فى ١٩ يونيو ١٩٦٢ م

هذا ما تقوله كاتبة امريكية " نصرانية " وليست مسلمة متدينة ولكنه لا يسزال معها مسكة من عقل ولم تكن مأجورة لليهودية العالمية ، وصدق الله العظيم ان يقول : " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تلهيرا " ( الاحزاب : ٣٣ ) .

ونتيجة للدعوة الى الاختلاط ظهرت فكرة التعليم المختلط .  
قالت السيدة اصلاح سهيل بعد ان اوضحت ان شعار الاختلاط بين الجنسين رفعة فلاسفة اليهود - باسم اندلاع الثورة الصناعية والتكنولوجية - وذكرت قول ابن جوريون رئيس وزراء اسرائيل سابقا الى المؤتمر اليهودي العالمي عن هذا الموضوع . قالت :

" انطلق من هذا الدمار للمرأة وكيانها الطبيعي والفطري فكرة التعليم المختلط " Co- Education " مع التطبيق والتنفيذ في كل مجالات التعليم في العالم المعاصر .

في الواقع ان هدف هذه المقالة هو ايضاح من اين جاءت فكرة التعليم المختلط ومن اين فرضت علينا هذه الفكرة . ان المناقشة والبحث في ان التعليم المختلط ضارا وليس ضارا هل لصالح المرأة ام لا ..

في الواقع ان مثل هذا البحث ليس اكاديميا مطلقا بل هو نوع من الاسلوب الدعائي السياسي الاعلامي البحث فقط .

نحن الآن عرفنا من أين انطلقت وظهرت هذه الفكرة للتعليم المختلط ، وماهي الصورة الخلفية التاريخية التي ابرزته ثم فرضته على مجتمع عالمنا المعاصر ومن المعروف لدى الباحثين الان مايلي :

- (١) أن بحث فكرة التعليم المختلط انبثقت من مايسمى " حرية المرأة " وقد أسست بلمغة المجابهة السياسية وبأسلوب الحرب على العلاقات الانسانية الشخصية بين المرأة والرجل .
  - (٢) أن هناك فروقاً جوهرية بين التركيب النفسي البيولوجي والكيان العضوي بين المرأة والرجل .
  - (٣) أن الاحصائيات والوقائع لنتائج التعليم المختلط في المدارس والجامعات في عالمنا المعاصر تدل على زيادة الجرائم بشكل رهيب وارتفاع نسبة الانتحار - نتيجة مباشرة لهذا الاختلاط .
  - (٤) أن هناك استقلال صريح باسم التكنولوجيا والثورة الصناعية لتهديم دور المرأة في بناء العائلة واستعمالها كبضاعة في الاسواق والتجارة والسياسة والفن والانحراف .
- اذن لماذا الاصرار على فكرة التعليم المختلط ؟ اعتقد كما اشارت الانسة " أريانا يولس " في كتابها " المرأة وانوثتها " أنهم يريدون تد ميرنفسيتهن وتخریب بيولوجيتهن وأن يغيروهن الى عالم المجهول لاستقلال الكيان الانثوي للمرأة للثورات الماركسية والماسونية والصهيونية والاحادية فقط لا أقل ولا اكثر .

هل يعرف فكرة التعليم المختلط أن المرأة تعرف كيف تقرأ وتكتب وتتناهى وتنسق فقط ؟ ألم هدف التعليم المختلط أن يمر وتحطم رقة أحاسيسها والجمال في معاملاتها وسلامة أنوثتها ، فضلاً لاعدادها لعدم الاستقرار في نفسيتها لتكون غير صالحة لتكوين الاسرة ، وبهذا تنهار وحدة العائلة عن نهاية المشوار " ١ "



وهذا ما حدث بالفعل فقد شهدت وحدة العائلة من الغرب الرأسمالي والشيوعي ، لماذا أيضا عن أضرار التعليم المختلط ؟

يقول القاضي الأمريكي " لندسي " عن نتائج التعليم المختلط :  
 " إن خمسا وأربعين في المائة من فتيات المدارس يدنس أعراضهن ،  
 قبل خروجهن منها ، وترتفع هذه النسبة كثيرا في مراحل التعليم التالية " .  
 ويقول عن المدارس الثانوية بالذات :

" إن الطالبات في المدرسة الثانوية تكون عواطفهن دون عواطف الطالبات  
 شدة والتهابا فالصبية هي التي تقدم أبدا وتأمروا وما يفضل الصبي الا ان يتبع  
 ويأتمر " . ١

ويقول أيضا :

" ٩٥ ٪ بنتا في السن الباكورة من بنات المعاهد الثانوية ، يعترفن بأنهن  
 كن جربن العلاقة الجنسية مع الصبيان . الا أنه لم تحمل منهن الا خمس وعشرون  
 اما الباقيات فلم يسلم بعضهن الحمل بمحض الاتفاق . كانت لاكثرهن خبرة  
 كافية بتدبير منع الحمل . وهذه الخبرة قد عمت فيهن الى حد لا يكاد الناس  
 يصيرون في تقديره " . ٢

وقد تنبه بعض المسئولين عن التعليم في أوروبا وأمريكا لأضرار الاختلاط  
 فبدؤا بإنشاء مدارس وجامعات منفصلة .

يقول : " وعبي سليمان غاوجي اللبناني " :

" ... وكان الآخريين أخذوا يلاحظون تدني سوية التعليم في المدارس  
 المختلطة فقد حدثني الاستاذ الكبير احمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ  
 سنين في رحلة تعليمية الى بلجيكا ، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك وهو يقوم بجولات  
 في مدارسها - جميع طلابها بنات . . فسأل المدير لماذا لا تخلطون البنين  
 مع البنات في هذه المرحلة ؟ قالت : قد لمسنا أضرارا واختلاط الاطفال فسي

سن المرحلة الابتدائية " ١ "

وقد نقلت مجلة المجتمع الكويتية في هذا الشأن قائمة كاملة بأسماء جامعات وكليات<sup>١</sup> غير مختلطة . وقد تضمنت هذه القائمة أسماء ٧٩ جامعة وكلية للبنات منها ٣٧ جامعة وكلية انشئت في هذا القرن منها ثلاث مابين عامي ( ١٩٦١ و ١٩٦٥ ) و ٢٧ جامعة وكلية للشبان منها ٦ انشئت في هذا القرن ، منها واحدة انشئت عام ( ١٩٧٠ ) " ٢ "

فإذا كان هذا في المجتمع الأمريكي الكافر الذي يعترف فيه الاختلاط هو القابل وغيره وعدم الاختلاط هو الشار عن القاعدة - فإن دعوة القاعد من يدعون الى الاختلاط دعوة باطلة لان الامة التي جربت الاختلاط بدأت تتراجع عنه فأولى بالامة التي تعقل وتتعظ ان لا تخوض غمار تجربة خاضتها أمة أخرى وبدأت تتراجع عنها .

بعد كل ذلك هل يصح لعاقل فضلا عن مسلم يلتزم بالاسلام ان يدعو الى الاختلاط في العمل او التعليم بين الطلاب والطالبات او بين المعلمين والمعلمات ( ان العاقل هو من اتعظ بغيره ولم يتبع نفسه هواها وقدما قال العرب : " السعيد من اتعظ بغيره " فليس سعيدا ولا عاقلا من يرى غيره يسقط في الهاوية ، فيقلده ويتابعه ليجرب نفس النتيجة ، ان ما يعانيه الغرب من اضرار ونتائج الاختلاط السيئة بين الذكور والاناث ، لهو نتيجة طبيعية ومتوقعة من الاختلاط ، فان تقرب عود الثقاب واشماله بجانب " النفط " ليس له نتيجة الا الاشتعال . انني لا ادعي بذلك ان حياة الانسان كلها جنس كما يدعي الفرويد يديون ، ولكن غريزة الجنس ركبها الله في <sup>الإنسان</sup> البشر ليعمر الكون عن طريق اشباع هذه الرغبة في الطريق الصحيح ، الذي ينتج عنه الولد والعائلة وتتكون الاسر ، وفي الاختلاط تدمير للاسر والروابط العائلية .

( ١ ) المرأة المسلمة : ٢٤٣ .

( ٢ ) مجلة المجتمع الاسلامية العدد ١٧٠ في ٦ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق

٣ / أكتوبر / ١٩٧٣ م ص ١٨ ١٩٠ .

ومن البوادر السارة ما صرح به وزير التعليم الباكستاني حيث قال :  
" ان الحكومة العسكرية الباكستانية مصممة على انهاء التعليم المختلط  
كجزء من مخططها لاعادة بناء المجتمع الباكستاني وفقا للشريعة الاسلامية .  
وقال : ان اصلاح نظام التعليم مع الالغاء الكامل للتعليم المختلط يأتي في  
المرتبة الاولى لقائمة الاصلاحات .

وقال : ان الحكومة ستفتح جامعات منفصلة للغتيات في أربع مدن هي  
كراتشي ولاهور وميشاور وكيٲا " ١ "

ونسأل الله ان يحقق ذلك وان لا يكون كا الاهداف التي وضعت للتعليم  
في الباكستان وآخرها ماجاء في الخطة الخمسية الرابعة ( ٧٠ - ١٩٧٥ م ) ولم  
تنفذ كما اوضح ذلك الكولونيل عثمانى " .

لقد سار الغرب وراء تعاليم اليهود ومخططاتهم افيريد بعض أبناء  
المسلمين أن يسيروا بلاد المسلمين في ركاب مخططات اليهود ؟  
يقول البروفسور : " عارولد لاسكي " " اليهودى " في بيان ذلك  
مايلي :

" ان هدفنا من منح المرأة تعليمها عاليا اليوم ماهو الا لتغيير دورها  
وكيانها الطبيعي في الحياة والذي فرض عليها منذ قرون من الدين والتاريخ  
 والتراث . .

ان التعليم العالي للمرأة اليوم لابد وان يغير سلوكها الاجتماعي الى  
الحرية وميولها الفكرى الى الانطلاق وتكوينها البيولوجي الى الانحراف . . . .  
يجب استقلال الكيان الانثوى للمرأة اليوم وتحطيمه عن طريق الجامعات والصحافة  
والموسيقى " ٢ "

من كل ماسبق يظهر لنا جلليا الآثار السيئة للعلمنة في التربية والتعليم .

( ١ ) صحيفة الجزيرة السنة الثامنة عشرة ، العدد ٣٣٢٦ في ٦ / ذو الحجة

لعام ١٤٠١ هـ .

( ٢ ) حين ينزف الافق : ٣٦

### المطلب الرابع :

نماذج من مقررات دراسيه : - سوف اقتصر في هذا الجزء من البحث علي استعراض نماذج من مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية - الحالية فقط - وكان في النية استعراض مقررات مجموعة من البلاد الاسلامية الاخرى ، واستعراض المقررات التي كانت تطبق في المملكة قبل عام ١٣٨٨ هـ ، وذلك كيما اعد مقارنة بين المقررات الحالية والمقررات السابقة لمعرفة مدى التحسن في هذه المقررات عن سابقتها ، وحسب علي - فان المقررات الحالية علي ما اخذت عليها من مآخذ تتسم عليها من مآخذ هي افضل من سابقتها .

كان ما ذكرت في نيتي ولكني لم استطع ذلك لأمر منها :

- ١- اني لم تتح لي السفر في رحلة علمية الى خارج المملكة ، للحصول علي مقررات بعض البلاد الاسلاميه ، وذلك لاني ادرس علي نظام التفرغ الجزئي واعمل موظفا فانا مرتبط <sup>بعمل</sup> لا اتمكن بسببه من السفر .
- ٢- اني جهدت وانا ابحث عن مقررات سابقة من مقررات التعليم في المملكة ، فزت بعض المدارس فلم احصل الا علي نثر يسير من المقررات لا توفي بالغرض من المقارنة بينها وبين الحالية .

وقبل أن أبدأ باستعراض المقررات وتقدم ما أرى أنه يستحق النقد لابد من أن أوضح ان المنهج الذي كتبت هذه المقررات علي منواله قد أعد من قبل اللجنة الفرعية لسياسة التعليم التي شكلت بعد تشكيل اللجنة العليا لسياسة التعليم التي امر بتشكيلها الملك فيصل رحمه الله .

وقد اخبرني احد اعضاء اللجنة الفرعية لسياسة التعليم ان الملك فيصل أمر باعادة صياغة المناهج والمقررات علي اسس اسلامية واضحة وسليمة ، ولم يكن هدفه من تشكيل اللجنة تعديل المناهج فقط .

وعلي هذا سوف اناقش المؤلفين مناقشة تعتمد ان شاء الله علي نصوص الكتاب والسنة ، فما خالفها فيجب اعادة النظر فيه . ولا تعنى مناقشتي لبعض الافكار

التي اوردوها اننى اسيء الظن بهم فلمن للمسلم ان يسيء الظن بأحد من المسلمين وهو لا يعلم ههنا شيئا ، فان حسن الظن بالمسلم هو الاصل ، وسوء الظن لا يكون الا بمن عرف عنه اعوجاج في السلوك أو الفكر والمعتقد ، عن اوامر الله ورسوله ( ص ) صلي الله عليه وسلم .

وأبدأ بمناقشة المقررات ستعينا بالله .

يلاحظ الباحث في مقررات التعليم العام في المملكة أن المؤلفين كان منهم اخطاء منهجية في عرض الحقائق ، يمكن ذكر امثلة منها كروء وس عناوين اسير علي نسقه في تتبع ما انقده علي هذه المقررات . وهي كما يلي :

- ١- تفسير حوادث التاريخ تفسيراً عنصرياً .
- ٢- تفسير حوادث التاريخ تفسيراً مادياً .
- ٣- الدعوى بأن الجهاد انما شرع للدفاع .
- ٤- تفسير حياة الانسان تفسيراً مادياً .
- ٥- وصف الجاهليات بالحضارة .
- ٦- استخدام وصف رجال الدين واطلاقه علي علماء الاسلام ، والكهان .
- ٧- نسبة الحضارة الاسلامية الي غير العرب .
- ٨- عدم التأديب مع بعض قادة المسلمين ووصف بعض المفسدين بالصلحين .
- ٩- نسبة الاشياء الي غير سببها .
- ١٠- حسن الظن ببعض المنظمات .
- ١١- تمجيد العروبة والوطنية والدعوة اليها .
- ١٢- التأثير بتقسيم الاربين للسلطات الي تشريعية وتنفيذية .
- ١٣- تقرير حيوانية الانسان .
- ١٤- ما يوجد في مقررات اللغة الانجليزية من قصص تتحدث عن الشمونة واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر كما مر بهن في .  
وابداً باستعراض نصوص تمثل ما سبق ومن ثم بيان اوجه الخطأ فيها :

١- تفسير حوادث التاريخ تفسيراً عنصرياً : في مقرر القراءة العربية للسنة السادسة

الابتدائية موضوع بعنوان " يوم ذى قار " قال فيه المؤلفون مايلي :

" من اشهر المعارك التي دارت رحاها في الجاهلية يوم ذى قار ، وقد

كان يوما مشهودا انتصر فيه العرب علي الفرس ، واصبح الفرس من ذلك اليوم يحسبون للعرب اكبر حساب بعد ان كانوا يعدونهم من سقط المخلوقات . . .

ومذلتك المعركة غرس بنو شيان مهابة العرب في قلوب الفرس مما جعل ابا بكر رضى الله عنه يولى احدثهم قيادة جيش المسلمين لقتال الفرس فيما بعد ، وهو المثنى بن حارثة الشيباني رضى الله عنه \* . ( ١ )

فتقريوان ابا بكر رضى الله تعالى عنه قد اختار المثنى بن حارثة الشيباني لقتال الفرس - لانه كما يفهم من المعياره من القبيله التي حاربت الفرس في يوم ذي قار وانتصرت عليه - خطأ بعض لعدة امور .

الاول : أنه لا علاقة للمسلم بما حدث قبل اسلامه بمعنى انه لا تربطه اى رابطه بما كان منه او من قومه قبل الاسلام ، الا معرفة التاريخ ، وهو في ذكره لتاريخه قبل الاسلام يذكره ذكر تحسر على ضلاله القديم ، وابوبكر التميمي الاول في مدرسته رسول الله صلى الله عليه وسلم والصاحب الاول ، والصديق هو بعد الناس عن التعصب للعرب ولغيرهم حتى يكون هدفه من بعث الجيش الي فارس او غيرها هو لابقاء مهابة العرب ، فقد انتهى هذا العهد بالنسبة الى بكر بمجرد نطقه بالشهادتين واصبح همه هو واصحابه الاول والاخير العمل على نشر دين الله في الارض .

الثاني : ان الجهاد <sup>تمتع</sup> شرع في الاسلام لقتال المشركين والكفار على اختلاف قنوط كفرهم ولم يشرع ليقا تل العرب غيرهم من الامم واكتفي هنا بذكر آية واحده . وحديث واحد والا فالآيات والاحاديث في بيان هذا المعنى كثيرة .

قال تعالى : " ... انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل

الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون <sup>المؤيد</sup> ٤٢/١

فهذا النص قد حدد الله به غاية الجهاد وهو ان يكون في سبيل الله لا في سبيل العرب او الفرس او الروم .

" وعن انصار ابن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
" جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم " اخرجہ ابو داود والنسائي .

وفي اخرى للنسائي : جاهدوا بأيديكم والسنتكم وأموالكم ، ( ١ )

الثالث : ان واقع التاريخ الاسلامي لا يؤيد هذا الذي ذكره المؤلفون  
فالتاريخ يقول ان موقعة القادسية كانت في زمن عروبة قيادة سعد بن ابي وقاص ( ٢ )  
وفي نفس المقرر حديث عن معركة القادسية فيه ما يلي :

" هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الاسلام كانت سببا في سقوط دولة الاكاسرة  
واحتلال العرب للعراق وبلاد فارس .

بعد ان احتل العرب الحيرة وهزموا جيش الفرس العرابط فيها جن جنون الفرس  
فهاجموا المسلمين في معركة الجسر . . . ( ٣ )

فتفسير وتحليل معركة القادسية بهذا الاسلوب خطأ واضح فلم يكن العرب  
لمروبتهم فتحوا بلاد فارس فقد كانوا مستدلين قبل الاسلام للفرس ( \* ) والروم  
والحبشة فلما اعتنقوا الاسلام اعزهم الله . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية كيف  
يفسر للطلاب احتلال العرب لبلاد فارس والعراق ايفسر على انه للثأر من الفرس ،  
او على انه لنشر دعوة الاسلام عن طريق ازالة الحواجز التي تمنع الناس من الاستماع  
لدعوة الاسلام ، وهذا الحواجز هي السلطة السياسية التي كبرت وعاندت حتى  
قضى عليها . ومن ناحية ثالثة كيف يمكن ان توفق بين زرعنا في روع الطلاب بنفسي  
الاحتلال الانجليزي والفرنسي ، ثم نقول لهم في نفس المقررات ان العرب احتلوا  
بلاد فارس دون بيان لمغذى هذا الاحتلال او بالتعبير السليم الصحيح " الفتح "

( ١ ) انظر ليربثن ابي داود ( رقم ٢٥٠٤ ) باب كراهية الغزو وسنن النسائي :  
٢/٦ في الجهاد ( باب وجوب الجهاد )

( ٢ ) انظر كتاب مختصر سيرة الرسول ( ص ) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ( ص ٢٣٠ )

( ٣ ) القراءة العربية / الصف السادس : ١٩٢

( \* ) انظر الحديث الذي كان . . . بين يزدجر وبين اعضاء الوفد الذي ارسله  
سعد بن ابي وقاص للفرس . . . ففيه بيان لهذا الامر ( الكامل  
في التاريخ لابن الاثير ٢ / ٣١٥ وانظر قول عمر لابي عبيدة في البدايه  
والنهاية : ٦٠ / ٢٠ )

فان عبارة الاحتلال عبارة سيئه المعنى ، فلم تكن حروب المسلمين في واقع الحال كما يشهد بها التاريخ احتلالاً وإنما كانت فتحاً للقلوب قبل البلاد . ويؤكد ذلك ما قاله احد جنود سعد بن ابي وقاص وهو " ريمي بن عامر " الذي بعثه سعد لمفاوضة الفرس قبل القتال علي الاسلام او الجزية او الحرب فلما دخل علي رستم " اقال له ترجمان رستم . . . ما جاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الي سعتها ومن جور الاديان الي عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الي خلقه ( لندعوهم اليه ) فمن قبله قبلنا منه وبجعنا عنه وتركناه واراضه دوستا ، ومن ابي قاتلنا حتى نقضي الي الجنة والظفر . . . " ( ١ )

وبهذا النص يتضح ان هذا الجندي لم يعرف من دينه انه يقاتل ليوقع رايضة العرب او العرويه او الوطن والوطنيه وإنما عرف ان مهمتهم هي اخراج الناس من جوار اديان الي عدل الاسلام ، وليس اخراجهم من سلطان فارس " وطني " الي سلطان عربي غريب .

ومن هذا القبيل ما يتردد في كتب التاريخ المعاصرين عند الحديث عن الدولة الامويه والعباسيه ، فانهم يذكرين للدولة الامويه رفعت <sup>الاركان</sup> أن المصوب ولما جاءت الدولة العباسيه ( رفعت شأن الفرس في اول الامر ثم شأنه في آخر الامر ، واعتبار ارتفاع شأن الاتراك والفرس انه كان سبباً من اسباب زوال العباسيين لنقرأ ما يقوله مؤلفوا التاريخ في الصف الثاني المتوسط .

" . . . لقد وصل العباسيون الخلافة بمساعدة الفرس ، وقد قدر الخلفاء العباسيون لهم ذلك فقلدوهم المناصب العاليه المدنيه والعسكريه ، وقد استقل الفرس ذلك وحاروا منازعة الخلفاء واعادة المركز القديم لبلاد فارس الا أن الخلفاء وخاصة في الدور الاول كانوا لهم بالعصا ، حيث قتلوا بعضاً منهم ونكبوا البعض الآخر .

ومع ذلك لم يكن العرب ليروضوا بتخلف مركزهم فكثيراً ما كانوا ينتهزون الفسوس



لإعادة مجدهم الذي كان لهم أيام الامويين ولما جاء الممتصم ابعد العرب والفرس  
لماذا ؟ واستعان بالترك الذين استغلوا نفوذهم أسوأ استغلال وأشرفوا علي شئون  
الدولة حتى أصبح بيدهم تولية الخليفة أو عزله مما اضعف هيئة الخلافة واضلّع  
مكانتها . ( ٢ )

فتحليل وتفسير هذه الحوادث بهذا التفسير تفسير عنصرى ، ان أنسه  
يركز علي أن العرب كان لهم المجد أيام الامويين ، وامام الفرس والترك فلا يسمي  
توليهم لمناصب في الدولة العباسية نجد وانما يعدهم مستقلين لمراكزهم ، والحق  
ان التفسير والتحليل الصحيح هو الذي يقول أن الخفاء الذين اعتمدوا علي  
عنصر واحد من الشعوب التي انضوت تحت لواء الاسلام واهملوا العناصر الاخرى  
قد جانبوا الصواب ، فذلك أن دولة الاسلام للمسلمين كلهم لا لعنصر واحد  
من العناصر العرقية ، فالاسلام انما جاء ليحارب التجمع حول اى شعارا ومهد  
غير الاسلام ، واما بالنسبة للعباسيين فقد كان من اسباب اعتقادهم <sup>الفرس</sup> <sup>ي</sup> <sup>في</sup> <sup>بهم</sup>  
سأعدوهم علي الوصول الي الحكم .

( ٢ ) تفسير حوادث التاريخ تفسيراً مادياً واقتصادياً : - ومن هذا القبيل النصوص الاتية :

" معركة اليرموك : كانت دولة الروم دوماً تهدد الدولة الاسلامية

وتعرض القبائل العربية الموالية لها علي المسلمين

قلما تولي الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، اراد ان يؤمن حدود

الدولة الاسلامية فأرسل اربعة جيوش لقتال الروم " ( ٢ )

فالقول بأن ابا بكر ارسل الجيوش للشام ، لان دولة الروم كانت تهدد

الدولة الاسلامية ، فأراد ابو بكر ان يؤمن حدود الدولة الاسلامية فأرسل اربعة

جيوش لقتال الروم قومجاف للصواب ، وتحليل وتفسير يحصر الجهاد بالماديات

والواقع ان ارسال الجيوش لقتال الروم او الفرس لم يكن لتأمين حدود الدولة الاسلامية كما ذكر المؤلفون بل لنشر الاسلام والادلة علي ذلك مايلي :

١- ان القرآن والسنة مليتان بالنصوص التي تدعوا الي الجهاد في سبيل الله وتوجيه علي المسلمين وهي طامة في الزمان والمكان ، فالجهاد وما زالت فرضيته حتى الان ، ويختص بمكان دون مكان فالمسلمون حين حرروا الجزيرة كلها من الحواجز المادية المتخللة في الطواغيت الذين يمنعون الناس من الاستماع الي الدعوة وقبولها او رفضها عن طواعية لم ينته دورهم وقد فهم الرسول صلي الله عليه وسلم وفهم اصحابه وولي رأسهم ابو بكر ان الجهاد لا يجب بزمن ولا بمكان ولذا فقد ارسل ابو بكر أربعة جيوش الي الشام لنشر الاسلام بالقضاء علي الحواجز المادية التي تمنع من استماع الناس للدعوة .

٢- ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان قد ارسل رسائل الي عدد من طوك وحمصا\* العالم في ذلك الوقت فقد ارسل الي كسرى امبراطور الفرس ، والي قيصر عظيم الروم ولي المقوقس عظيم مصر ، والي النجاشي ملك الحبشة ، والي ملك اليمن ، والي والي البحرين وغيرهم يدعوهم فيها الي الاسلام . (١)

٣- ان المؤرخين المسلمين لم يذكروا ان سبب ارسال ابي بكر المصديق رضي الله عنه للجيش الاربعه للشام ان الجيوش العراق - هو كون الروم او الفرس هددوا الدولة الاسلامية .

٤- ان هذه الجيوش لو ارسلت لتأمين الحدود ليقية علي حدود الجزيرة المتاخمة للشام لحماية الحدود اما ان تدخل الجيوش في عمق الشام فظن ذلك ليس تأميناً للحدود وانما فتح للبلاد .

ومثل هذا المعنى نجده في كتاب تاريخ الدولة الاسلامية للصف الخامس الابتدائي ان يقول المؤلفون .

\* أولا : فتح العراق : العراق ارض خصبة يوربها نهرا دجلة والفرات وكان سكان العراق خاضعين للفرس \* عزم ابو بكر أن يفتح بلاد العراق لينشروا

بين سكانه الدين الاسلامي . واختار ( خالد بن الوليد ، ليكون قائدا لهذا الجيش " ( ١ )

الذين قالوا : وارض الشام كلها خصبة وترويه انهار فلما اذا لم يحل فتح بلاد الشام بهذا التعليل ، وهم قد تكلموا بعد فتح العراق مباشرة ان تعليل الفتح الاسلامي للبلاد التي فتحها بهذا التعليل <sup>المسلم</sup> <sup>تفسير</sup> مادي اقتصادي للتاريخ ، وهو يتطابق مع نظرية الشيوعيين التي تقول ان تاريخ الانسان هو تاريخ البحث عن الطعام . والمؤلفون <sup>رأى</sup> بهم ان يتأثروا بهذا الفكر ، ولكن قولهم هذا يفسد مفاهيم الطلاب ويجعلهم يتصورون خلاف الواقع ان الجهاد الاسلامي هو من اجل العنصر وفي حد يشتم عن فتح الشام ما يرد علي كلامهم الوارد في فتح العراق فهم يقولون :

" ثانيا : فتح بلاد الشام ومعركة اليرموك : عند ما فكر ابو بكر في فتح العراق وارسل خالد بن الوليد ليفتحها ، فكر ابو بكر ايضا في فتح بلاد الشام لنشر الاسلام بين سكانها .

اعد ابو بكر أربعة جيوش لهذا الغرض ووضع علي كل جيش قائدا . . . . . وصلت اخبار الزحف العربي الي سامع ملك الروم ، فأخذ يستعد لحربهم واعد جيشا كبيرا جدا ، وارسله الي سهل قرب نهر اليرموك حيث كانت جيوش المسلمين مجتمعمة هناك " ( ٢ )

نعم ارسل ابو بكر الجيوش الي الشام والعراق لنشر الاسلام ، ولكنني أسأل المؤلفين لماذا لم يكن هناك زحف عربي قبل الاسلام ؟ لم يكن للعرب شأن من النواحي الدينية او السياسية او العسكرية ، كما كان لفارس والروم والحشاه شأن في النواحي السياسية والعسكرية والمدنية ومع ذلك فقد كانوا جميعا في ضلال . . ومن قبيل التفسير الاقتصادي للتاريخ القوى بأن السبب الرئيسي في الحروب . الصليبية هو طمع الاوربيين في خيرات البلاد اسلامية ، وقد اتطلي هذا التفسير علي المؤلفين لمقرر التاريخ في الصف الخامس الابتدائي ان قالوا :

( ١ ) تاريخ الدولة الاسلامية : الصف الخامس : ١٠ ، ١١

( ٢ ) نفس المصدر : ١١ - ١٢

" اسباب الحروب الصليبية : اطماع البابا في بسط نفوذه علي الكنائس الشرقية ٢- طلب الامبراطور الروم البيزنطي من البابا النجدة ضد المسلمين السلاجقة في تركيا . ٣- التعصب الديني عند الاوربيين .

٤- طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه : ان السبب الحقيقي السذي جعل هؤلاء الاوربيين يعتدون علي بلادنا هو طمعهم في خيرات البلاد الاسلاميه فقد كان تجار اوربا يأتون الي الاسكندريه والى المواني السورية ويشترون البضائع . وكانوا يعرفون ان بلادنا غنيه ، فأحبوا ان يحسنوا احوالهم الاقتصاديه السيئه بوضع بلادنا تحت حكمهم وسلب خيراتها .

٥- طمع الحكام الاوربيين في تأسيس امارات وممالك في البلاد العربيه الاسلاميه \* (١)

والواقع التاريخي يؤكد ان السبب الرئيسي ليس هو ما ذكر من طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه ، وانما هو الروح الصليبيه والحقن الصليبي والرغبة في الانتقام من المسلمين لحكمهم لبلاد الشام ومنها بيت المقدس . ودليلي علي ذلك ان " البابا اربان الثاني هو أول من دعا الي الهجوم علي البلاد الاسلاميه في مؤتمر عقد في " كيرمونت " بجنوب فرنسا عام ١٠٩٥ م اي عام ٤٨٨ هـ - وقد خطب البابا في جمع من رؤساء الاساقفه والاساقفه ورؤساء الادويه ، وفيه خطب ودعا " لاستخلاص القبر المقدس وانقاذ مسيحي الشرق " وقد اثارت هذه الخطبة حماسه السامعين وتعالصحتهم " هكذا أراد الله " (٢)

٣- الادعاء بان الجهاد انما شرع للدفاع : وقد انطلقت هذه الدعوى علي مؤلف كتاب التاريخ للصف الثالث المتوسط ان يقول :

" ان اول جيش في الاسلام كان في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم وكانت مهمته الدفاع عن الاسلام والمسلمين من تحرشات الكافرين وموافراتهم وبخاصة مشركي قريش . وقد امر الله سبحانه المسلمين ان يكونوا دائما علي جانب من القوة ان يتسلحوا ليرهبوا اعداءهم ، لقوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة

(١) تاريخ الدوله الاسلاميه الصف الخامس : ١٠١ ، ١٠٢

(٢) معاصر في الحروب الصليبيه السنه الثالثه كلية الاداب جامعة الطسك

عبد العزيز قسم التاريخ / ٦ ، ٧ .

ومن رفاط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم \* ( ١ )

والحق ان الجهاد شرع لفتح البلاد وازالة الطواغيت التي تنفع الناس من استطاع الحق ، ونحن نسأل المؤلف الفاضل ، واذا لم يتحرض الكافرون بالمسلمين فهل تبطل شرعية الجهاد وهو كما قال رسول الله (ص) " ذروة سنام الاسلام " ولو كان الامر كما ذكر المؤلف لما كان لقول الرسول (ص) الاثف الذكراى محنى ، ومن الشواهد غير ما سبق ان ذكرته علي وجوب الجهاد دخل ابتداءه لا دفاعا فقط . هذا الحديث :

" عن ابي هريرة : ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرر بشعب فيه عينة ماء عذب ، واعجبه طيبه ، فقال لواقت في هذا الشعب واعتزلت الناس ولا افعل حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " لا تفعل فإن مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاما خالياً ، الاتحيون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجنبت له الجنة " رواه الترمذى ، والحاكم والبيهقي واحمد \* ( ٢ )

ع - تفسير حياة الانسان تفسيراً مادياً : في كتاب الجغرافيا للصف الاول الثانوى كتب المؤلفون تحت عنوان " التفاعل بين الانسان والبيئة " مايلي :

" كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعاً شديداً ، قد يموت اذا اشتد الحر أو قسا البرد وقد يفترسه حيوان . وقد لا يجد ما يأكل ، لكن الانسان بحكم طبيعته التي فطره الله عليها ظل يحاول دائماً أن يقلل من التأثيرات الضارة التي يتعرض لها من العوامل الطبيعية ، فاهتدى بذكرو الذي كرمه الله به الي الاحتباء من عناصر المناخ بالالتجاء الى المأوى وتنظيفه جسمه بالملابس ، وتنقل من مكان الي مكان آخر هارباً من حيوان مفترس او قاتلاً لغذاء يأكله ، واخذت قدرة الانسان علي التقليل من تأثيرات العوامل الطبيعية

( ١ ) تاريخ الحضارة الاسلامية / الصف الثالث المتوسط / ( ١ )

( ٢ ) سنن الترمذى : ٨٤ / ٣ ، مستدرک ، الحاكم : ٦٨ / ٢ ، سنن البيهقي

١٦٠ / ٩ وسند احمد ٥٢٤ / ٢

غير المرغوب فيها تزيد شيئا فشيئا كلما تقدم الانسان في ارتقاء الحضارة \* (١)  
 فالقول بخضوع الانسان لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعا شبه تام ، والقول  
 بأن الانسان اهتدى بذكره الى الاحتيا من عناصر المناخ بالالتجاء الى الصلابة  
 قانصا وتغطيته جسمه بالملابس وان الانسان تنقل من مكان الى مكان هاربا  
 من حيوان مفترس أو لفذاءه . غير صحيح لان الله سبحانه وتعالى ذكر عن ابي  
 البشر آدم عليه السلام وزوجه قبل ان يهبطهما الله من الجنة بعد ان تسبب  
 عليهما من خطيئة الاكل من الشجرة انهما بدت لهما سوءاتهما ، فغطياها بسورق  
 الجنة . قال تعالى :

" ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها من حيث شئتما ولا تقربا ههنا  
 الشجرة فتكونا من الظالمين ( ١٩ ) فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما مآرؤ  
 عنهما من سوءاتهما وقال لهما كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او  
 تكونا من الخالدين ( ٢٠ ) وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ( ٢١ ) فدلهم  
 بفرور غلمانا قرا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضعان عليهما من ورق الجنة  
 وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو  
 مبين ( ٢٢ ) الاعراف \* ( ٢ )

وقال تعالى "

" . . . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك  
 لا يبلى ( ١٢٠ ) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضعان عليهما من  
 ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ( ١٢١ ) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ( ١٢٢ ) طم ( ٣ )  
 هذا عن قضية تغطية الجسم باللباس ، قاله سبحانه وتعالى : ذكر لنا آدم وحواء  
 لما اكلا من الشجرة التي نهيا عن الاكل منها بدت لهما " سوءاتهما " ومعنى ذلك  
 انهما كانا ساترين لهما ، فالبدو لا يكون الا بعد السترة .

اما عن قنص الغذاء ، وانه بدأ الانسان الاول الصيد ، او ما يسمى بعمرولة

( ١ ) الجغرافيا الصف الاول الثانوى : ٦١

( ٢ ) انظر تفسير هذه الايات في تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٣ - ٣٩٤

( ٣ ) نفس المصدر لتفسير الايات ٥ / ٣١٥ - ٣١٨ .

الصيد ، فإن القرآن الكريم يوضح لنا عن ابني آدم انهما قد قدما قربانا وذكر المفسرون أن قربان هابيل " كان شاة " أي أنه كان يربي وأن قربان قابيل كان " طعاما " أي أنه كان يزرع . قال تعالى .

" واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قلنك قال انما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت الي يديك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (٢٨) المائدة (١) فالقول بخضوع الانسان في الماضي لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعا شبه تام فتفسير مادي لحياة الانسان ودعوى بأن الانسان خاضع لعوامل البيئة ، كما أن القول بأن الانسان في الماضي كان يعيش علي القنص هو زعم يورده الماديون فهم يقولون إن حياة الانسان مرت بمراحل عدة هي (١) مرحلة الصيد (٢) مرحلة الرعي (٣) مرحلة الزراعة (٤) مرحلة الصناعة .

وفي فقره أخرى يقول المؤلف نفسه تحت عنوان " الانسان والموقع " " كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات عامل الموقع خضوعا كاملا ، وقد أدرك الانسان بفطرته التي زوره الله بها أنه يستطيع استخدام عضلاته لتغيير موقعه فمشي واصبح بالمشي قادرا علي التقاط غذائه من هنا وهناك ، وجرى فأصبح بالجرى قادرا في بعض الاحيان علي الهروب من الحيوانات المفترسة ، ثم اهتدى الانسان الي استخدام الحيوان في الانتقال من مكان الي مكان ، فعضلات الحيوان اقوى من عضلات الانسان ومن ثم يستطيع ان ينتقل لمسافات ابعد من المسافات التي يستطيع قطعها ان يقطعها الانسان ويستطيع ان يحمل علي ظهره اشياء أثقل مما يستطيع ان يحمل الانسان ، واستفاد الانسان من الحيوان للتقليل من تأثيرات الموقع " (٣)

فهذا تفسير مادي واضح لحياة الانسان فالانسان ليس خاضعا خضوعا كاملا لتأثيرات عامله لموقع والا لما استطاع ان يزول ويهدم ويشيد .

(١) شعرا بن كعب : ٢٥/٣ - ٢٩ .

(٢) الجغرافيا للصف الاول الثانوي : ٦٢

○ - وصف الجاهليات بالحضارة : ورد في كتاب التاريخ العربي والسير النبوية للصف الاول المتوسط ما يلي :

" حضارة القساسنه : كانت حضارة القساسنه اعلي مستوى من حضارة الحضارة  
اذ ان حضارتهم امتزجت بالحضارتين اليونانية والرومانية .  
وكان من ابرز مظاهر الحضارة عندهم فن البناء . . . . . " (١)  
وفي نفس المقرر جاء ما يلي :

" حضارة تدمر : كانت حضارة تدمر مزيجا من حضارات عدة اقوام كالفرس  
واليونان والرومان والسوريين والتدمريين كانوا غريبا بلاجدال الا ان لغتهم آرامية  
. . . وأسماء الالهة عندهم هي نفس الاسماء البابلية التي كان يستعملها الانباط  
والسوريون . . . واشهر الالهة الشمس ولا تزال بقايا المعبد الشمسي ماثلة  
للعيان في تدمر . كما كان التدمريون يعبدون القمر . اما اشهر الالهات الاناث  
فهي اللات . . . . . " (٢)

فوصف هذه الجاهليات الوثنية بالحضارة خطأ واضح ، ذلك الوصف بالحضارة  
ثناء علي من يوصف بها والوثنيون اشركوا مع الله غيره فهم ريستحقون هذا الوصف  
لان من يستكف عن عبادة الله لا يستحق هذا الوصف " ذلك لان الحضارة هي  
مجموع المثل والقيم والمعتقدات والاعمال المدنية كتشديد وبناء المصانع والزراعة .  
فعلي هذا لا يصح وصف هذه الجاهليات بالحضارة .

٦- استخدام وصف رجال الدين والاطلاق علي علماء الاسلام والكهان من  
الامور التي اصبحت معروفة لدى جمهرة الشافقين أن وصف رجال الدين " كان  
من الاوصاف التي تطلق علي " رهبان " النصارى وقسا وستها ، وقد ارتبط بهذا  
الوصف في العصور الوسطي في الغرب معاني الظلم والطغيان الفكرى والعلمي ،  
والسياسي ، والديني فاطلاق أى مسلم علي علماء المسلمين لفظ " رجال الدين " <sup>١</sup>  
يوحي لهؤلاء الجمهرة بأن علماء المسلمين كهؤلاء الرهبان ، هذا من ناحية  
ومن ناحية ثانية فانه لا يوجد في الاسلام أشخاص مخصصون بالدين ، واشخاص



مخصوصون للدنيا . فكل مسلم يجب عليه وجوباً عديداً أن يعلم من الدين الاسلامي الكليات التي لا يعذر المسلم بجهلها في كافة شئون <sup>حياته</sup> أما تفصيلات علوم الشريعة فيتخصص فيها طائفة من الناس . وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة <sup>ليتفقهوا في الدين</sup> ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون \* التوبة : ١٢٢

ويوصف هؤلاء المتخصصون بعلوم الشريعة المجتهدون فيها بعلماء الاسلام ، أو الدين والعجيب ان يوجد هذا الاستعمال في كتابين من مقررات التاريخ ففي احدهما يوصف الكهان برجال الدين . وفي الاخر يوصف علماء الاسلام برجال الدين .

يقول مؤلفوا كتاب " تاريخ سيرة الرسول (ص) طابلي عند الحديث عن والسيد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

" ... وكانت القرعة تقع علي عبد الله مراراً . وهنا أشار عليه - اي علي عبد المطلب - <sup>بأن يترك</sup> وأشار عليه احد رجال الدين - اي احد الكهان - أن يحصل القرعة بين عبد الله واعداد من الابل ... " (١)

ويقول مؤلفوا كتاب " تاريخ المملكة العربية السعودية " عند الحديث عن نظام الحكم العثماني تحت عنوان " ديوان الباشا " " ديوان الباشا : ويتألف من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين ومن رجال الدين " (٢)

فالوصف هنا برجال الدين لعلماء المسلمين في الدولة العثمانية .

٧- نسبة الحضارة الاسلامية <sup>في التاريخ الاسلامي</sup> : يتكرر في المقررات المدرسية نسبة الحضارة الاسلامية التي شارك في بنائها العرب ، واليوبر ، والترك وغيرهم من الاجناس - او نسبة الابتكارات او غيرها من جزئيات الحضارة ، الي العرب فخلا في كتاب المطالعة للصف الاول الثانوي <sup>هنا</sup> موضوعات كبيرة كيف ينبغ المبتكرون \* وفيما الحديث عن نبوغ المسلمين في العلوم التطبيقية ، وحضارة

(١) تاريخ سيرة الرسول الصف الرابع الابتدائي : ٣٢

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية : الصف الثالث المتوسط : ٣٣

العرب في الاندلس ، وفيه الحديث عن حضارة المسلمين في الاندلس .  
 وفي نفس الكتاب موضوع بعنوان " صفحة مشرقه من تاريخ العرب العلمي " وفيه الحديث عن تاريخ المسلمين في العلوم .  
 وموضوع ثالث بعنوان " الطب عند العرب " وفيه الحديث عن تطور علم الطب عند المسلمين وشيئا من اسهاماتهم في الطب . ومعارك النصر العربي وفيه الحديث عن غزوة بدر الكبرى بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . ( ١ )  
 وفي كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوى موضوع بعنوان " اثر العرب في الحضارة الاوربيه " وفيه الحديث عن اثر المسلمين في العلوم والمدنيـــــــــــــــــه الغربيه . ( ٢ )

وفي كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي مايلي :  
 " تأثير العرب علي اسبانيا واوروبا : جعل العرب اسبانيا على رأس الممالك الاوربيه . وكانت مدن الاندلس وجامعاتها العظيمة مقصد الطلبة في جميع انحاء اوروبا " ( ٣ )

فتسبب الحضارة الاسلامية الي العرب خطأ واضح لا موهي :  
 ١- انه ظلم للاجناس الغرى التي شاركت في بناء هذه الحضارة ويكفي ان نذكر الامام البخارى ( محمد بن اسماعيل ) صاحب كتاب " الجامع الصحيح " فقد جمع فيه اصح ما ثبت عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده العلماء المسلمون اصح كتاب بعد كتاب الله ، وهوليس عربيا ، والظلم محسوم في الشرع .  
 ٢- انه خلاف للواقع التاريخي المسطور في الكتب ، وخلاف للواقع كذب والكذب محرم في شرع الله .

---

( ١ ) المطالعة للصف الاول الثانوى : ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٠٤  
 ( ٢ ) المطالعة للصف الثالث الثانوى : ٢٣ - ٣١ والمقال لعباس محمود الحقاد  
 ( ٣ ) تاريخ الدولة الاسلامية للصف الخامس ٧٤

- ٣- أنه في سياق وراء ادعاءات المستشرقين وإحياءاتهم بأن الحضارة الإسلامية حضارة عربية وهم أول من أطلق هذه التسمية .
- ٤- أن الحضارة الإسلامية ليست حضارة جنس من الاجناس وإنما هي حضارة تتطلق من منطلقات دينية وفكرية حضارة اسلامية لا عنصرية .

٨- عدم التأدب مع بعض قادة المسلمين ، ووصف بعض المفسدين بالصلحين! - حدث  
 خلاف بين الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعاوية  
 بن ابي سفيان رضي الله عنه ، بعد قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان  
 رضي الله عنه ، وكان سبب الخلاف أن معاوية طلب من علي القصاص من المعتدين  
 علي عثمان بأقصى سرعه ، ولكن عليا رضي الله عنه رأى ان يقتص منهم بعد ان -  
 تستقر الاوضاع ، وكان كلاهما مجتهداً ولكن علي ابن ابي طالب رضي الله  
 عنه كما يعتقد اهل السنه والجماعه كان مصيياً ، وكان معاوية رضي الله عنه  
 كان مجتهداً ولكنه اخطأ ، وعلي رضي الله عنه من الصحابه السابقين الي الاسلام  
 ومعاوية أسلم متأخراً عن علي ولكنه كان من كتاب الوحي فقد استأمنه رسول الله  
 صلي الله عليه وسلم علي كتابة وحي الله اليه القرآن فلا مجال لسوء الظن به . ولكن  
 المجيب أن بعض المؤلفين في التاريخ تأثراً منهم بالشيعه الذين يبخسون معاوية  
 وغيره من الصحابه شوهو سمعته فسرى ذلك الى المسلمين في العصور المتأخره  
 ولعل مؤلفي كتاب " الادب نصوصه وتاريخه " قد تأثروا بشي من ذلك . فهم  
 يقولون .

\* ابتداء العصر الاموي باستيلاء معاوية رضي الله عنه علي الخلافة سنة  
 ٤٠ هـ وانتهى سنة ١٣٢ هـ بسقوط الدولة الاموية علي يد بني العباس . وبهذا  
 يكون العصر الاموي قد امتد قرابة تسعين سنة \* (١)

وجاء في كتاب " تاريخ العالم الاسلامي " للصف الثاني المتوسط طابلي :  
 \* رأيت فيما سبق كيف أن معاوية بن ابي سفيان استغل ولايته الطويله  
 علي الشام في تكوين حزب يناصره ويتقاني في نصرته ، ثم رأيت معارضة لعلي  
 بن ابي طالب وتغلبه عليه منذ موقعة صفين ، وما بعدها وبعد مقتل علي  
 وتنازل ابنه الحسن سنة ٤١ هـ ٦٦١ م تولي معاوية الخلافة وقد عرف هذا العام  
 بأسم عام الجماعة ..... \* (٢)

(١) الادب نصوصه وتاريخه : الصف الاول الثانوي / ١٩٧ .

(٢) تاريخ العالم الاسلامي للصف الثاني المتوسط : ٥٤ .

ومن جملة الاشخاص الذين أسي بهم ولم يتأدب معهم السلطان عبد الحميد وذلك بتأثير اليهودية العالمية التي حاولت اغواءه بالمال - ليسدد ديون الدولة العثمانية ، وليأخذ شيئاً لحسابه الخاص علي أن يمنحهم قطعة ارض في فلسطين ولكنه رفض وابي رد هم رداً عنيفاً احقد هم عليه فأخذوا يكيدون له لاسقاطه وعزله وتشويه سمعته ورفعوا من قدر المفسدين رجال حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسهم الطاغوت الكبير مصطفى كمال ومن المدهش أن تثطلي هذه الدعايات على كثير من مثقفي المسلمين في هذا العصر ، وقد انطلت علي مؤلفي كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس هذه الدعايات الكاذبة فهم يقولون :

" وقد ثار احرار الاتراك علي حكاهم الضعفاء برعامة مصطفى كمال الذي اطلق عليه اسم " كمال اتاتورك " اي ابو الاتراك . وقد استطاع ان يحارب اليونان ويسترد الاراضي التركية التي استولت عليها ، فكانت الحدود التركية المضمرة حالياً . ثم قضي علي الخلافة العثمانية وغير نظام الحكم السلطاني واسس الجمهورية التركية الحديثة " ( ١ )

ويقولون في نفس الكتاب وعن من سموهم بالصلحين - مصطفى كمال ورفاقه مايلي :

" قام بعض المصلحين من الاتراك في محاولة ناجحة لانقاذ الدولة العثمانية من هوة الضعف التي انحدرت اليها ، فثاروا ضد استبداد السلطان عبد الحميد وايدهم في هذه الثورة احرار العرب . وفازت الجمعيات التركية باعلان الدستور وخلع السلطان . وكان احرار العرب يهدفون من وراء تأييدهم هذا إصلاح بلادهم تبعاً لإصلاح الدولة العثمانية . الا أن الاتراك اهلوا صالح العرب واستعروا في سياسة تنريك الامة العربية لتقوية الامبراطورية الاسلامية علي اساس المنصرية التركية . فأغضب ذلك العمل احرار العرب الذين تعصبوا لعروبتهم والغاء الجمعيات والاحزاب السرية لحفظ كيان الامة العربية ومناهضة السترك وايقظوا الشعور العربي بالخطب والمقالات . ( ٢ )

( ١ ) ( ٢ ) . تاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس الابتدائي : ٢٨٤ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ .  
\* لم يطلق عليه الاتراك " اتاتورك " وانما هو الذي اطلق علي نفسه ذلك اللقب ولم يكن هو الذي استطاع هزيمة اليونان ، وانما حلت الدعاية له . راجع فسي ذلك كله كتاب الرجل الصنم

اين هؤلاء المؤلفين من قول " ليفي ابو عسل " عن مصطفى كمال " الموسوم  
بالمصلح " . . . . . ولقد قام بفتح تركيا علي مصراعيل ليدخل منه علماء اليهود الذين  
نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما اوتي من حسن الكياسة ونيل الفرائز . . . . .  
واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية علي الاساس لليب العلمية المصرية ، واستدعي  
مايزيد عن أربعين أستاذا منهم لتوسيع اقسام تلك الجامعة " ( ١ )

ليس في حد يشهم هذا عن معاوية ، وحد يشهم عن عبد الحميد ، وحد يشهم  
عن مصطفى كمال ، سوء أدب مع الاولين ، وتعجيد لا يستحقه الاخير . بل في  
لقد اصبح امر مصطفى كمال واضحا بعد أن عمي علي المسلمين في أمره فستره .  
من الزمن ، ولا زال في تركيا من يتعرض له بنقد يتعرض للحبس والمحاكمات  
الجائرة ، واما من يتعرض لذات الله اورسوله ( ص ) او الاسلام فهو حر طليق ،  
وما قصة محاكمات " نجم الدين اربكان " وغيره الا شاهد علي ذلك .

غير أن كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى قد أنصف عبد الحميد وأوضح  
اعماله وفساد مصطفى كمال . فجزى الله مؤلفيه خير الجزاء .

٩ — نسبة الاشياء الى غير سببها : الاصل في الشيء ان ينسب الي سببه  
فحين يبر انسان من جانب مبنى جميل ويشأل من الذى صم هذا المبنى ؟ فانه  
سيجاب بأنه المهندس فلان . فاذا اجيب بغير ذلك وقيل له بأنه العامل فلان  
فان ذلك يعد ظلما للمهندس الذى صم هذا المبنى . هذا هو المفسر  
التافه اليسير الذى لا يترتب عليها ضرر في الاعتقاد فكيف ينافي المقررات الدراسيه  
التي نقرها علي طلابنا ننسب ما لا يستطيع فعله الا الله الي المخلوقات انه افسترا  
عظيم . ومن المؤسف ان يقع شيء من هذا في بعض المقررات . واليك امثلة  
منوعه علي ذلك .

قال مؤلفوا علم الاحياء للصف الثاني الثانوى تحت عنوان " التوازن في  
الطبيعه " ما يلي :

يحدث التوازن نتيجة عوامل طبيعيه مثل الماء والغذاء والشمس والغلات  
والمعادن ، ويسمى بالتوازن الطبيعي ، او يحدث نتيجة عوامل حيويه كالافتراس  
والتطفل . فاذا لم تتوفر الكمية اللازمة من الطاقة الشمسية وغاز ثاني اكسيد الكربون  
فإن الكمية المنتجة من المواد الكربوهيدراتية ستكون محدودة ، وبالتالي فإن ذلك  
سيؤثر علي المستهلكات الاولي (آكله النبات) ومن الطبيعي ان ينعكس ذلك علي  
كائنات المرتبه التي تليها في السلسله الغذائية (أي المستهلكات الثانويه او آكله  
اللحوم) وهكذا حتى نصل الي قمة السلسله الغذائية " ( ١ )

وجاء في الفصل الثالث من نظريته عن العوامل الطبيعية الأحيوية  
التي "تؤثر على حياة الكائنات الحية" ما يلي :

"... وهي مجموعة العوامل غير الحية التي تؤثر على حياة الكائنات الحية  
أن مجموعة هذه العوامل تحدد نوعية الكائنات الحية التي تعيش في مناطق معينة  
كما تحدد كذلك نوعية العلاقات بين الحيوانات والنباتات في تلك المناطق" (٢)

وفي الحديث عن عامل الرطوبة في نفس الكتاب جاء طيلي :

" ... فمثلا تختلف الكائنات التي تعيش في الصحراء عن تلك التي تعيش في مناطق عالية الرطوبة في كونها تغطي نفسها بطبقة تمنع تبخر الماء كما فسي النباتات الصحراوية ) او تخزن الماء في داخلها كالجمال مثلا . وسبب كسـون الماء ( الرطوبة الجوية ) ذات أهمية بالغة بالنسبة لحياة الكائنات الحية فان بعض الكائنات استطاعت التكيف ضد التغيرات التي تطرأ علي نسبة الرطوبة الجوية بحيث تحافظ علي النسبة اللازمة من الماء بداخلها . . . ( ٣ )

وعن الضوء يقول المؤلفون ما يلي :

" اما بالنسبة للحيوانات فقد لعب الضوء دوراً هاماً في نمو أعضائها خاصة للرويا لها فمعظم الحيوانات لها أعضاء خفية خاصة تستجيب للضوء ، وتتراوح هذه الاعضاء بين اجزاء بروتوبلازمية محدودة وبسيطة كما في البوجلينيا مثلا الى أعضاء

(۱) علم الاحياء الصف الثاني الثانوى : ۱۹۸

(٢) نفس المصدر : ١٦٣

(٣) كتاب الاحياء للصف الثانوى: ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٢.

### معقدة التركيب كالمين .

وللضوء تأثير على تناسل بعض الحيوان فنضوج البويضات والحيوانات المئوية لبعض الحيوانات يحصل بسرعة أكثر اذا ما تعرضت هذه الحيوانات لفترة ضوئية طويلة ولذلك فانه من المعتاد إطالة فترة الاضاءة في الحاضنات الحديثة لاثارة عملية تكوين البويضات \* (١) .

وجاء في نفس الكتاب عند الحديث عن حيوانات المناطق اليابسة ما يلي :  
 " مواطن اليابسة : تتأثر الكائنات الحية التي تعيش على اليابسة بما طمس رئيسيين هما : ١- وقرة الامطار ٢ - التغيرات الحرارية  
 ولذا فان الاختلاف الكمي بين هذين العاملين ينعكس على اختلاف السووع الكائنات الحية . (٢)

وجاء في نفس الكتاب عند الحديث عن الثدييات - هذه العبارات :  
 " الثدييات هي ارقى الكائنات الحي فوجد استطاعت بما تمتلك من مميزات وخصائص أن تسود على سطح الكرة الارضية . تمتاز الثدييات عن غيرها من الحيوانات السابقة برفق في جهازها العصبي . كما تمتاز بطريقة تكاثرها فهي حيوانات واردة تلد صغارها كاملة النمو ترضعها الام من حليبها المتكون في الثدي \* (٣) .

وجاء في كتاب الاحياء للصف الاول الثانوي عند الحديث عن التغذية الذاتية ما يلي :

" ان النباتات الخضراء هي الكائنة الحية الوحيدة التي تستطيع أن تصنع غذاءها بنفسها دون الاعتماد على مصدر آخر والمقصود بصنع الغذاء هنا هو تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية .



فالنبات الأخضر يحصل على الماء وثاني أكسيد الكربون ويحولها بعملية التركيب الضوئي الى مركبات عضوية بسيطة .

وهذه المركبات تحول بدورها الى مركبات عضوية اكثر تعقيدا . . ان مجموعة التفاعلات الكيميائية التي يتم بواسطتها تحويل المواد غير العضوية الى مواد عضوية لا تحدث الا في النباتات التي تحتوى على البلاستيدات الخضراء " (١)

وجاء في كتاب " الجيولوجيا - علم الارض " للصف الثانى الثانوى عند الحديث عن الزلازل ما يلى :

" الزلازل هي أخطر العوامل الطبيعية التي تهدد حياة الانسان وعمران بلاده فهي من مفاجات الطبيعة التي لا قوة للانسان عليها . صحيح ان الوسائل العلمية اصبحت تمكن من تحديد المواقع المعرضة للزلازل ولكن ليس بحقدور العلم ان يمنع حدوث الزلازل . . " (٢)

وفي كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط جاء ما يلى :

" وللمشايين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها وتسمى هذه العملية عملية الانسلاخ وهي تحدث خمس مرات او ست مرات في السنة وذلك عند ما تنمو اجسامها دفعة واحدة " (٣) .

وفي كتاب العلوم للصف الثانى الابتدائى كتبت تحت صورة فيها ضفدعة وصفارها هذه العبارة : " بعض صفار الحيوانات كالضفادع تغير شكلها اثناء النمو " (٤)

( ١ ) كتاب الاحياء للصف الاول الثانوى : ٧٣ .

( ٢ ) الجيولوجيا ( علم الارض ) للصف الثانى الثانوى : ٩٠ .

( ٣ ) كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط : ٦٧ .

( ٤ ) كتاب العلوم للصف الثانى الابتدائى : ٥٣ .

فانما انتقلنا الى كتب الادب والانشيد فاني نجد في كتب الادب للصف

الاول الثانوى ما يلى :

" ولا شك ان الانسان هو ابن الارض تطبعه بطباعها وتغذيه بخيراتهم  
وتكون اخلاقه ومزاجه وعاداته يلون تضاريسها حتى لقد قال احد علماء الاجتماع  
صفوا الى طبيعة ارض اصف لكم سكانها ومن هنا فقد طبعت الصحراء اخلاق  
العرب بطابعها فتحلوا منذ القديم بالشهامة والكرم والوفاء والنجدة وحب الحرية  
واباء الضيم وكراهة الخسوف الصغار. " (١)

اما في كتاب الانشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى فقد جاء

هذا النشيد عن " الممرضة " :

نشيطه خفيفة	" رأيتها نظيفة
وعطفها عظيم	فؤادها رحيم
تعمل في نظام	لطيفة الكلام
في الصباح والمساء	تطوف بالدواء
بغاية المهارة	وتأخذ الحيرة
بيعه الرجاء	في كفها الشفاء
بيته اللسان (٢)	في قلبها حنان

( ١ ) الادب نصوصه وتاريخه للصف الاول الثانوى : ١٣٠

( ٢ ) الانشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى : ٧٠

فنسبة التأثير على التناسل الى الضوء - فحين تتعرض الحيوانات السس  
 فترة ضوئية طويلة يتم نضوج البويضات والحيوانات المنوية بسرعة - هو من نسبة  
 الاشياء الى اسبابها واغفال المسبب لها . فالضوء خلق من مخلوقات الله  
 كما ان الظلمة كذلك ولذا فان الاصح ايضاح ما للضوء من أثر بقدره الله السبب  
 للاشياء والخالق لها . ولذا فالضوء الذي تحتاجه الحيوانات قدّره الله  
 بنسبة معينة ان زاد عنها أو نقص عنها اختل الناموس - القانون - الذي وضعه  
 الله لهذا السبب .

قال تعالى : " قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يسوم  
 القيامة من اله غير الله ياتكم بضياء آفلا تسمعون . قل ارايتم ان جعل الله  
 عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكون فيه  
 افلا تبصرون . " ( القصص : ٧١ ، ٧٢ ) .

وقال تعالى : " انا كل شئ خلقناه بقدر " القمر : ٤٩ .  
 كما ان القول بتأثير كائنات اليابسة بحاطينها وفرة الامطار والثلجات  
 الحرارية . دون ربط ذلك بقدره الله المنشئ للامطار والثلجات الحرارية  
 هو من نسبة الاشياء الى اسبابها .

والقول بان الثدييات - ومنها الانسان كما يمتدّد المؤلفون وغيرهم ممن  
 يعتقدون بصحة فرضية دارون - قد استطاعت أن تسود على سطح الكرة  
 الارضية بما تمتلك من خصائص ومميزات ، دون الاشارة الى من وهبها هذه  
 الخصائص والمميزات - الله سبحانه وتعالى - خطأ واضح كما ان الواقع ينفي  
 هذه المقولة فالذي يسود على سطح الكرة الارضية هو الانسان وهو الذي يكرمه  
 الله .

قال تعالى : " ولقد كرّمنا بنوادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم  
 من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " ( الاسراء : ٧٠ ) .

وسخر له ما فى السموات والارض .

قال تعالى : " الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأسره  
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض  
جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " ( الجاثية : ١٢ ، ١٣ ) .  
وايضا فان اقول بأن النباتات الخضراء تصنع غذاءها بنفسها دون اعتماد  
على مصدر آخر بمعنى تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية الخ . فيه اغفال للذكر  
واضح هذه النواميس - الله جل وعلا - التى عن طريقها يتم هذا الامر .

وانظر معنى الى هذه الفقرة التى تشرح نفس المظنية التى شرحها  
مؤلفوا الكتاب دون اغفال لقدرة الله ودون اخلال بذكر الحقيقة الظاهرة  
للناس فى قول اصحاب الكتاب

" ومن آيات الله تكوين الغذاء فى النبات وتعرف هذه المظنية بالتمثيل الكربونى  
يدخل ثانى اكسيد الكربون من الجو الى النبات عن طريق الثغور فيقاسم  
المادة الخضراء والماء وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء  
اما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثانى اكسيد الكربون فهى عملية كيميائية  
معقدة لم يقل العلم عنها الا ان وجود المادة الخضراء والماء والحرارة  
ينتج عنها تغييرات تنتهى بتكوين المواد الغذائية ولا يتم الا فى الضوء ولذا  
فهى تسمى ايضا " بالتمثيل الضوئى " (١) .

والزعم بان الزلازل من مفاجآت الطبيعة زعمها بطل ذلك لأن فيه ايضا  
اغفال لسبب هذه الزلازل - وهو الله سبحانه وتعالى - .  
وكذا الادعاء بأن للشعابين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها  
وأن الضفادع تغير شكلها أثناء النورادعاء باطل لاغفاله لمن وضع فيها هذه  
الخاصية رب العزة سبحانه وتعالى .

( ١ ) الله والعلم الحديث : ٨٩ . وانظر كتاب " آيات الله تعالى " ٢ / ٢٧٨ -

والزعم بأن الانسان يتلون متضار من بيئته وتؤثر في اخلاقه ومزاجه وعاداته . فإن كانت جبلية أصبح الساكن فيها قاسيا قضا في تعامله ، وان كانت سهلة كان رقيقا في طباعه سمحا في تعامله ، زعم لا يقوم عليه دليل ، ان القضية لا تنطبق بالارض التي يعيش عليها الانسان وانما تتعلق بما ركبه الله عليه من المزاج والاخلاق وما يكتسبه من اخلاق من المجتمع الذي يعيش فيه . فإننا نجد الاخوة الاشقاء يختلفون في طباعهم بل نجد اختلافات وتقاربات في الطباع بين الاب وابناؤه .

واما نسبة الشفاء الى الممرضة فنسبة الشفاء الى من لا يملكه فالشفاء بيد الله سبحانه وتعالى ولو كان الشفاء بيد البشر لوهبه كل قريب لقريبه وكم يذل اطباء محاولات من أجل ان تعود الصحة الى اشخاص ولكنهم عجزوا فمات من حاولوا إعادة الصحة اليه واستمروا في عللهم دون جدوى .

إن عرض هذه المعلومات بهذه الطريقة يرسخ في نفوس الطلاب تفسير الخلق والاحداث تفسيراً آلياً مادياً دون أن يشعروا بذلك فهمقوا في مستقبل أيامهم فيما وقع فيه الغربيون حين فسروا الخلق تفسيراً آلياً لما هربوا من الكنيسة وبالتالي من الدين .

يقول : جون هرمان راندال تحت عنوان التفسير الآلي في علم الحياة ما يلي " بينما كان علماء الفيزياء والكيمياء يصيغان التعميمات التي توصفها اليها كانت ذات المبادئ الآلية في التفسير تدخل علوم الحياة وقد عنى هذا في علم الحياة تفسير جميع أعمال العضويات الحية بمصطلحات كيمائية خالصة . وكان الكيمائي الألماني ليبغ Liebig رائدا في الكيمياء العضوية وقد أدخل مع تلميذه يوحنا مولير Johannes Miillier والعالم الفرنسي كلود برنارد دراسة كيمياء الكائن الحي في منتجاتها وعملاتها . ولم يكن يعتمد

هذه البداية سوى خطوة لفكرة تحرى الحياة كسلسلة من التفاعلات الكيماوية المعقدة . اما الاسماء فيكثر تعدادها . فجاك لويب (Jacques Loeb) " مثلاً يعتبر بالنسبة للامريكيين رمزا للماثراتي نستقى علم الحياة التجريبي مؤداها أن جميع الافعال العضوية في الاشكال الدنيا للحياة على الاقل فسي اجزائها وفي سلوكها الكلى مما يمكن تفسيرها بمصطلح كيماوى فحسب . " (١)

إن كل شئ في هذا الكون يسير وفق نوااميس وضعها الله سبحانه وتعالى لا محيد عنها ابداً حتى يأذن الله بزوال هذا الكون وقيام القيامة التى يكون يحدها الحساب والجزاء والتدبير والتقدير من خالق الكون سبحانه .

يقول اودين فامت :

" والمهم هنا هو ان جميع هذه القوانين الطبيعية التى تضعها الطبيعة ونستخذ منها ليست الا مجرد وصف لما يحدث او مايشاهد فى ذلك ليست تدبيراً او الزاماً فليس الوصف فى ذاته سبباً لحدوث ظاهرة من الظواهر او توضيحاً لاسباب حدوثها .

وعندما تحاول العلوم أن تفسر لنا منشأ الكون نجدها تبين لنا ، ففى ضوء ما لدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية كيف تتفاعل الجزيئات الاساسية لكى تكون لنا جميع العناصر المعروفة . فجميع العناصر التى يتألف منها هذا الكون تبدأ ببروتونات لها خواص معينة وقوة جاذبية تجعلها تنضم بعضها الى بعض . اما كيف نشأت هذه البروتونات ذاتها ولماذا كان لها هذه الصفات بالذات فليس ذلك ما لم نستطع أن تقدم له العلوم شرحاً او بياناً .

ومبني بالفنا في تحليل الاشياء وردها الى اصولها الاولى فلا يفسد أن  
نصل في نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا  
الكون . وبعد ذلك في ذاته دليلا على وجود اله قادر مدير هو الذي قسدر  
لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون ان تسير في طريقها المرسوم . وقد خلق الله  
الالكترونات والبروتونات والنيوترونات وجعل لها خواصها المميزة فرسم لها  
بذلك سلوكها واقدارها \* (١) .

...

---

( ١ ) اللاميتجلى في عصر العلم ، ٩٣ ، ٩٤ . وانظر ايضا كتاب : آيات الله

١٠ - حسن الظن ببعض المنظمات الدولية : من المنظمات التي كُسر

الحديث عنها

المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" فقد جاء مقرر

القراءة العربية للصف السادس الابتدائي . (١) **التأني** **الأساسي** **للسرائر**  
كذلك تكرر الحديث عنها في مقرر **للتأني** **للتأني** **للتأني** (١)

وقد اشتهر أن بعض كبار من تولوا مناصب في هذه المنظمة كانوا يهودا (٢)

ومن المعروف أن هذه عداوة اليهود للمسلمين لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا

وقد اصدرت هذه المنظمة كتاباً بعنوان " تاريخ الجنس البشري " وتاريخ

البشرية . وقد امتلاء المجلد الخاص بالاسلام والمسلمين في المجلد الثالث

" الحضارات الكبرى في العصر الوسيط الفصل العاشر " **امتناع** **بلا** **افتراء** **علي** **سيوة**

الرسول (ص) وخلفائه الراشدين ، والتشوية لتاريخ الاسلام .

من ضمن هذه الافراءات **التأني** **للسرائر** **للتأني**

١- أن الاسلام تركيب مطلق من المذاهب اليهودية والسيحية بالاضافة السي

التقاليد القومية الوثنية العربية .. التي أبقى عليها كطقوس قبلية ..

تجعلها أكثر رسوخاً في العقيدة . (٣)

٢- ان دور المرأة في المجتمع الاسلامي علي جانب كبير من الضآلة ، وان

ضآلة مرتبتها كانت أمراً مسلماً به في جميع مظاهر الحياة .. حتى

أنه في مسألة الميراث لم يكن نصيبها الا نصف نصيب الرجل .. (٤)

٣- أن الاسلام لم ينصف أهل الذمة ، وأن الاسلام عمل علي أن يظل الوضع

الاجتماعي للذميين وضعاً سيئاً مهيناً .. (٥)

٤- ان الشريعة الاسلامية متحله بعد القرن الاول وأنها في القرن الأول لم

يكن وجود بالمعنى الدقيق لهذه العبارة . (٦)

(١) القراءة العربية الصف السادس : ١١٢ وتأنيج الملكة العربية للمعروف للصف السادس : ١٥٥

(٢) انظر كتاب سر الطسونيه : ٤٧ ، ٤٨

(٣) انظر كتاب مفتريات اليونسكو علي الاسلام : ١٩ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٣



وقد استتكر الازهر ماورد في هذه الموسوعة وفي إحدى اجتمعات المنظمة  
العربية للتربية والثقافة والعلوم تلقت رسالة شيخ الازهر في ذلك . ولكم لهم يتخذ  
أي قرار حاسم .

وكان الواجب علي مؤلفي الكتب المقرره أن يوضحوا الحقائق لهؤلاء الشباب  
عن هذه المنظمة فيذكروا مالها وما عليها أما ان يكون الكلام عنها يتخذ صيغته  
سليمة فإن ذلك لا يليق فإن أبناء المسلمين أمانة في أعناقنا ويجب أن يعرفوا  
الحقائق واضحة لا لهم فيها ولا غموض .

١١- تعجيد العروبة والوطنية والدعوة المبها :- من الامور التي تلفت الانظار في المقررات الدراسيه توكيز المؤلفين علي العروبة والوطنية ، حتى عند الحديث عن الاسلام ، او احد قواده ، او احدى الممارك الاسلاميه الفاصله ، فاذا تحدث بعض المؤلفين عن الاسلام تحدث عنه علي انه نتاج العروبة ، واذا تحدث آخرون عن بعض قواده تحدثوا عنهم علي انهم قادة العروبة ، واذا تحدث آخرون عن بعض الممارك الاسلاميه تحدثوا عنها علي انها معارك عربيه ، وسيمرطينا لون من هذه الافكار ، واذا تحدث بعض المؤلفين عن الوطن تحدث عنه بالمحني الاوربي الحديث للوطن دون ربط ذلك بالمبادئ والمقائد والقيم الاسلاميه ، بل مع مخالفة المبادئ الاسلاميه فلنستعرض بعض هذه النصوص ونشير الي بعضها الآخري .

جاء في كتاب الطالعة العربيه للمصنف الثالث المتوسط ما يلي :

" ... ان المسلم العربي عربي اينما يحل وحيثما استقر العربي المسلم عربي سلم إن آنجد أو أنهم ، وأن أمراً أو أعرق ، ان العربي المسلم وطنه بلاد العرب والاسلام ، وقومه العرب ، وبلاد الاسلام وطن لكل عربي تجرى في عروقه دم العروبة والاسلام .

ان بلاد العرب ... كل لا يتجزأ ان بلاد العرب ... قطعة واحدة لا تقبل ولا تقطع ... وان الامة العربيه امة واحدة لا تقبل التفرقة والانقسام .

ان الجزيرة العربيه خالية من اى حاجز طبيعي يقطعها او يقسمها او يفصلها فمابالنا نخضع لتقسيم العدو الذى يرى ان تعزيزنا ضرورى لحياته ولا نرى ان القضاء عليه واجب لبقائنا وحياتنا .

ان بلاد العرب والمسلمين خلقت للوحدة فيجب ان تكون لما خلقت له اليوم وغدا وبعد غد ، والى ان يوث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ان العرب من اصل واحد ، ومن سلالة واحدة ومن دم واحد وان من العار المشين ان يتفرق العرب او يتجزأ بلاد العرب وان تفرق العرب قضاء علي العرب وان تجزئة بلاد العرب ضياع لبلاد العرب والاسلام ، وان تقسيم البلاد العربيه داء فتاك سيدهب ببلاد العرب من ايدي العرب .

وعند ذلك ويل للمعرب من اعداء المعرب .

ان كل ابناء الامة العربية العريقة ، كل الذين يعيشون على ارض الوطن العربي الكبير المعتمد من ساحل الاطلسي الى الخليج العربي ، قد أقسموا أن يعيشوا كما يريدون لانفسهم لا كما يريد لهم عدوهم \* ( ١ )  
وجاء في نفس المقرر مايلي :

" ان الامة العربية - وهي مائة مليون من البشر - تريد أن تحقق وجودها وان تشعر بمكانها ، وان تتنفع بكل امكاناتها ، لتكون بين الامم امة موحدة حسنة ذات رأى و ارادة ، ذات جيش وراية ، ذات قوة يعتدل بها ميزان السلام فسي العالم .

العربي في الجزائر ، وفي تونس ، وفي ليبيا ، والصرى والسودانسي في وادي النيل . والسوري واللبناني والفلسطيني ، والاردني ، والحواقسي ، والسعودي ، والبنيني ، كل اولئك امة واحدة ، ليس بين ارض بعضهم وبعض حدود ولا فواصل ، ايوهم واحد ، ولسا تنهم واحد ، وعقيدتهم واحدة ، واهدافهم واحدة فمن حقهم ان يعيشوا امة واحدة .

وذلك هو هدفنا الاول : امة عربية متحدة في وطن عربي . \* ( ٢ )

ان الدعوة الي التجمع حول العروبة وغيرها من الشعارات دعوة جاهلية وذلك لأمور منها :

- ١- ان الله سبحانه وتعالى ورسوله (ص) حرما الاجتماع حول هذه الشعارات وجعلوا الوحيد الذي يفلح به البشر في حياتهم هو الاجتماع حول الدين الحق \* الاسلام \* وقد امن الله سبحانه وتعالى علي العرب الذين بحث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلموا امنوا عليهم بالاسلام الذي خرجوا بسببه من الفرقه ، ووقاهم الله من النار باسلامهم . قال تعالى :
- " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار

( ١ ) المطالعة العربية للصف الثالث المتوسط : ٣٠ ، ٣١ .

( ٢ ) نفس المصدر ص ٦٨

فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» العنبر: ١٠٣

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعتصام بالكتاب والسنة هو  
المخرج والنجى للامة من الضلال .

"عن مالك - **الشيخ** - بلغه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة **رَسُولِهِ** " .  
أخرجه في الموطأ ( ١ )

٢- ان القرآن الكريم مليء ببيان ان لارابطة تربط المسلم بالكافر ، ولا في شئون  
الحياة الدنيا من الميراث والنفقة ونحوها ، ولا في الشئون الخالصة -  
والخاصة بالآخرة ، من الحب والموالاة . وسوف اذكر بعضاً من هذه  
النصوص .

#### واليوم الآخر

قال تعالى : " لا تجد قوما يؤمنون بالله أيادون من حاد الله ورسوله  
ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم  
الأيمن وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنفت تجري من تحتها الأنهار خالدين  
فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " .  
المجادلة : ٢٢

وإذا علمنا ان سبب نزول هذه الآية هو قتل أبو عبيدة لابيه اتضح لنا  
فساد دعوة القوميين عرباً كانوا أو غيرهم ، فقد كان أبو عبيدة يقاتل أباه فسي  
أحدى الفخوات فحاول أبو عبيدة تجنب أبيه ولكن أباه صار يلاحقه فلما لم يكن  
بد من مقاتله أبيه قاتله فقتله فنزلت هذه الآية توضح السبيل وتبهي **عَلِي**  
أبي عبيدة صنيعه وتعدده الجنة ، لقد نفت الآية الأيمان عن كل من  
يحارب الله ورسوله وابتدأت باقرب الناس الأب ، فالأبن ، فالأخ ، ثم العشيرة ،  
فكيف يصبح التجمع حول العروبة ، وهي تجمع المسلم والنصارى واليهودى أموراً  
سواء بعد هذا . ان للنصارى واليهود في المجتمع الاسلامي اذا وقعوا الجزية -  
حقوقاً مضمونة في شريعة **الاسلام** اذا لم يظاهروا علي المسلمين .

( ١ ) موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي : ٦٤٨ الحديث رقم : ١٦١٩

وقال تعالى : " ثبت يد ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلي ناراً ذات لهب وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من سد " سورة السد .  
نزلت هذه الآية في الذم والوعيد لا قرب الناس لرسول الله (ص) وهو  
عنه ابا لهب .

وقد بينت آية من سورة الفتح ، واخرى من سورة الحجرات ، وثالثة من سورة الانفال أن الرسول (ص) والذين معه وهم المسلمون اشداء على الكفار حتى ولو كانوا من اقاربهم رحماً بينهم ، وان المؤمنين اخوة ، وليس المصرب ولا العجم ولا الترك لمجرد هذه الاوصاف الجنسية اخوة ، وان الله قد السف بين العرب يبعثه رسول الله (ص) وما كان بالامكان التأليف بينهم .

قال تعالى : " محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماً بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود وذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزراع ليغيض بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً " سورة الفتح : ٢٩ .  
فهذه الآية تنص على أن المؤمنين اشداء على الكفار رحماً بينهم مصرب كانوا اوفرسا وواحباشا اوروما او<sup>ك</sup>جنس .

وقال تعالى : " انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " الحجرات : ١٠ .

وقال تعالى : " وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايمدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم لو انفتحت ما في الارض جميعاً ما الفت بينهم قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم " الانفال : ٦٢ ، ٦٣ .

فهذه الآية اوضحت ان ما كان بين المؤمنين من الاضغان والاحقاد وعدم الائتلاف قبل اسلامهم وكان اكثرهم من العرب لم يكن ليستطيع الرسول صلي الله عليه وسلم ان يوelf بينهم ولو انفق ما في الارض جميعاً ، ولكن الله السف

بين قلوبهم ،

٣- ان الواقع التاريخي للام كلها يشهد انها لم تجتمع وتتحد لمجرد اتحاد  
العنصر العرقي في البلد ، وانما كان اتحادها لرابط آخر هو المعتقد سواء كان  
صحيا او فاسدا كما ان الاحزاب السياسيه " وعي موضة هذا العصر " لم يجتمع  
المنتسبون لها الا علي معتقد معين يسير الجميع وفقا له وما الاحزاب اليساريه فسي  
بلاد العرب التي نكبت بها امتنا المسلمه الا مثلا حيا علي ذلك ، فان ولاها ليس  
لما يسمونه الصروه رغم ان منتسبيها ينتمون الي العنصر العربي ، وهذا اكبر  
رد واقعي علي الدعوه القومية .

ويظهر ان مؤلف المقرر متأثر بالشعار الذي رفع في عهد جمال عبدالناصر  
والذي صيغ في تشييد تخني به فترة وجوده وهو :

من المحيط الهادر السـي الخليج النائر لبيك عبدالناصر

وانه متأثر بشعار احد الاحزاب القوميه التي كان وما زال لها اثر سي في  
حياة الامة المسلمه الا وهو " امة عربيه واحدة ذات رسالة خالده " لكن المؤلف  
صاغه في النص الثاني بصياغة اخرى ( امة عربية متخذة في وطن عربي موحد ) .  
وهكذا يتضح ان <sup>بذور</sup> القومية في نفوس الشباب عن طريق المقررات الدراسيه  
خطأ ، شرعا ، وواقعا ، فالواجب تربيتهم علي معاني الاسلام ومبادئه التي لا تفرق  
بين عرب وعجم .

علي ان هذين النصين رغم ملاحظته عليها اهون ما كنا ندرسه في الفترة  
التي كنت ادرس فيها في المرحلة الابتدائية ، وهي عشر الثمانينات . فقد كنا  
ندرس هذا التشيد .

بلاد العرب اوطانـي من شام لبفـدان

ومن نجد الي يـمن الي مصر فـتـوان

فلاحـد يفرقـنا ولا دين يباعدنـا

لسان الضـداد يجمعنا يقـطـعـنا وعدنان \*

\* لقد سألت مجموعة ممن درسوا في البلاد العربية الاخرى فذكروا لي أنهم درسوا  
وحفظوا هذا النشيد .

ولكنه قد حذف من المقررات الدراسيه الاخيره والله الحمد .

وفي مقرر القراءة للسنة الرابعه الابتدائية نجد موضوعا عن خالد بن الوليد

(ض) وفي بدايته يقول المؤلفون :

" قائد من اشهر قواد العرب والمسلمين . وكان علي جانب كبير من الشجاعة والاقدام . تولي قيادة الجيش في غزوة مؤتة فأنقذ الجنود من الفناء فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيف الله السلول " (١) وبقي الموضوع ممتاز .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس الابتدائي موضوع بعنوان " بطولات عربية " وفيه الحديث عن بطولات ابنا الخنساء وموقف الخنساء رضي الله عنها بعد ما جاءها الخبر بنعيمهم ، وكيف صبرت . (٢)

وفي مقرر المطالعة للسنة الثانيه المتوسطة موضوع بعنوان " المرأة العربية وآثارها العلمية " والموضوع يتحدث عن النساء المسلمات وطلبهن للعلم . وموضوع بعنوان " المرأة العربية صانعة الأبطال " وفيه حديث عن عبد الله بن الزبير واهله اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهم .

وموضوع آخر بعنوان " ذوات الشجاعة ولدها الصفيو " وفيه تركيز علي عرويتها .

وموضوع " شباب العرب " وفيه الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن بن زائدة وقصة في محاربة الترف مع اولاده وابن اخيه .

وموضوع " شجاعة الصغار عند التعريب " وفيه الحديث عن قصة علي بن ابي طالب رضي الله عنه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) حين تأمر المشركون علي قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد في علي رضي الله عنه الفتى الشجاع الذي قام محله .

(١) القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي : ١٢٦ .

(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس : ١٦ .

وموضوع " أولئك آباءني " ( ١ ) وفيه الحديث عن العلوم التي اتقنها المسلمون من علوم الطبيعة والطب وغيرها وقد ركز علي نسبة ذلك التقدم الي العرب فقط دون الاجناس الاخرى التي شاركت في صنع الحضارة الاسلامية .  
ان البطولة من ابناء الخنساء ، والصبر منها علي فراقهم وهو فضيلتي البطولة ليس السبب فيها كونها عربية او كونهم عربا ، فقد كانت الخنساء عربية قبل ان تسلم ومن المعروف انها جزعت حين توفي اخوها صخر وبقيت عاما كاملا شعثا لا تعتشط ولا تهتم بنفسها ، فلما دخلت الاسلام تغير حالها ودعت الجزع جائها . وفي معركة القادسية ودعت ابناءها الاربعة واوصتهم بالثبات فلما نموا اليها لم تجزع بل قالت :

" احمد الله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني الله بهم في مستقرو رحمة " ومن المعلوم ان الابن بالنسبة للوالد اقرب الي القلب من الاخ .  
ان العروبة ليست ديننا ولكنها عنصر ونسب ، فكون الانسان عربيا ، وغيره لا يقدم في امره شيئا انما التقوى او ضدها هي التي تقدم او تؤخر . ولقد فهم الصحابة من قوله تعالى :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "

ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليهم خبير " الحجرات : ١٣

ان الاختلاف في العنصر ليس مدعاة للتناكر والتباذ ، ولذا قال عمر ( رض )

" اعرفوا من انسابكم ما تتصلون به ارحامكم " ليتفاخر به الانسان علي غيره

من البشر .

اما فيما يتعلق بالوطنية فسوف استعرض بعض النصوص ، واشير الي الاخرى

مع بيان وجه الحق في القضية ان شاء الله .

يقول مؤلفوا كتاب القراءة العربية للصف السادس الابتدائي ما يلي :

" ان حب الوطن من الايمان . والقتال في سبيل الدفاع عنه من الجهاد "

( ١ ) المطالعة للصف الثاني المتوسط : ٩٥ - ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥

وانظر الاناشيد والمحفوظات للصف السادس : ٥٧



وحبه والدفاع عنه لا يكون بالادعاء الاجوف ، والاماني النائية ، وانما يكون بالاخلاص في العمل ، والامانة في الحقوق وتقدير المسئولية .

وانذا حق للانسان ان يحب وطنه ويفديه ، فقد حق لابناء المملكة العربية السعودية ان يتفانوا في حب وطنهم ، وان يفدوه بكل غال . وفيه الاراضي المقدسة التي جانب ماضي عظيم يقف الزمان امامه مطأطيء الرأس اعجابا واكبارا (١)

وجاء في كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوى مايلي :

" وليس ماورد في القرآن الكريم حول الديار التي هي الاوطان الا من الحمية فقد ذكر الله تعالى علي لسان نبيه الكريم الديار عشر مرات في عشتايات . فكان مقال تعالى :

" وانذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون (٢) ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوك اسارى تقادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم اقتوؤنهم ببعض الكتب وتكفرون ببعض فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الي اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) .

ولقد صور لنا القرآن الكريم في تلك الايات كلها صورة الوطن كيف تكون واحلها من القلوب مكانها ، ومن الانفس منزلتها ، فماذا هي كما يصورها القرآن الكريم الوجود كله لانها مناط الامن . ومن لا امن له لا حياة له . ومن اجل ذلك حض القرآن الكريم علي الهجرة وامر بها حين يفقد الانسان امنه حيث هو فسي موطنه ، وهو يريد له بهذا الخروج قوة يرتد بها علي العادى عليه في ارضه وهو لهذا جعلنا هجرة كترك التي خرج اليها نفر من الصحابة الي الحبشة حين لم يأمنوا علي انفسهم في ديارهم . ومانطن الرسول العظيم ومانطن القرآن الكريم ارادها خروجا كما يخرج الدليل ، وانما ارادها نزوحا الي حين ، آمننا

علي رأى ودين ، ثم عودة بعد حين بعد ان يكتب الله لهم قوة ولعدوهم صنعا (١)  
ورأى في النص الاول يتلخص في الآتي :

بالنسبة " لسألة ان حب الوطن من الايمان " ان كان المؤلف يعتقد  
انها حديثا كما هو شائع بين طوائف من الناس ، فالواقع انه ليس حديثا بل وقد  
اختلفت عبارات العلماء في الحكم عليه ولكنها اتفقت علي انه ليس حديثا عن  
الرسول صلي الله عليه وسلم ، فقد قال بعضهم " لم اتف عليه " اي فسي  
احاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم . (٢)

وقال بعضهم انه موضوع . (٣) وقال بعضهم : لا اصل له عند الحفاظ (٤)

واما بالنسبة لفدائه بكل غال . فان حديث رسول الله (ص) يوضح للمسلم  
غاية القتال عند المسلم ومتى يكون في سبيل الله فقد قال (ص) حين سألته رجل  
عن الرجل يقاتل حمية او الرجل يقاتل شجعة والرجل يقاتل لموى مكانة فسي  
الصف أي ذلك في سبيل الله فقال (ص) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا  
فهو في سبيل الله " (٥)

فالتوجب تنجيه معنى الجهاد في سبيل<sup>الله</sup> لنشر دعوة الاسلام وللدفاع  
عن ديار المسلمين ومنها هذه البلاد اذا دهمها عدو يريد استباحة بيضه  
الاسلام ودياره ، وهذه الديار في مقدمتها لوجود قبلة المسلمين ومسجد  
رسول الهدى صلي الله عليه وسلم فيها .

وهذا ما نصت عليه السياسة العامة للتعليم في المادة "٢٦" والمادة

"٦٠"

واما بالنسبة للنص الثاني فان ما يؤخذ عليه هو دعوى المؤلف بأن ما ورد

(١) المطالعة للصف الثالث الثانوي : ١٠٣ .

(٢) انظر الكتب الآتية : تذكرة الموضوعات ، المقاصد الحسنة في بيان كثير

من الاحاديث المشتهرة علي اللسان : ١٨٣ ، تمييز الطيب من الخبيث

فيما ورد علي السنة الناس من الحديث : ٦٨ ، والفوائد الموضوعه فسي

الاحاديث الموضوعه : ١٠٣ .

(٣) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعه : ٥٥ / ١ وكشف الخفاء : ٣٤٥ / ١

(٤) ٣٤٦ . (٥) المصنوع في معرفة الموضوع (١٨) ٥٥١ ، جامع الاصول : ٥٨١ / ٢

باعتبار رتبته في الاعطاء

في القرآن حول الديار هو من باب الحمية ، وهذا من اوجب الامور ، فطردنا  
حكاية حالهم انهم اخرجوا من بلادهم التي يعيشون فيها ولهم فيها اهل ورحم  
لاغير ، وقد نقض المؤلف من حيث يريد ان يبنى للوطنية منارا ، نقضها بايضاحه  
ان الانسان يهاجر من ارضه حين يفقد امنه ، ولا شك ان أمن الانسان على  
عقيدته هو اعز ما يسمى اليه .

وجاء في النصوص الأدبية للصف الثاني المتوسط عن الوطن ما يلي :

" أنت يا وطني تاج رصعته يد الله يلائي " القداسة والخلود وتوجت  
به جبين الانسانية . ( ٩ ) \*

منك يا وطني انبثق الفجر الذي يد دليل الهمجية والوحشية الذي ظلت  
تتخبط في دياجير الانسانية قرونا طوالا " . ( ١ )

" ابطالنا العرب في التاريخ خلدوا بشي " واحد فقط . . . هو ان -  
بطولا تهم لم تكن وراء دوافع ضرر او اضرار . كانت اعمالهم - كل اعمالهم -  
تتسم بنزاهة القصد وقوة الارادة ، ونيل الهدف واقتحام الصعاب في سبيل  
المبدأ الصاعد والمقيدة الراسخة ، وعلي هذا الاساس وحدة تشايع  
ان تحدد مفهوم البطولة وترسم شخصيتها ونهتف ونصفق لاصحابها في كل  
زمان ومكان .

وما كانت بطولة الفتح في تاريخنا العربي الا سببة الي ، اسماء البشيرة  
وانقاذها من براثن العبودية والانحلال والوثنية " ( ٢ )  
ولي علي هذا النص ملاحظات ثلاث .

١- اطلاق لفظ القداسة على الوطن قول مجاوز لحدود الادب والشعر  
فالقداسة لله تقديست اسمائه .

٢- القول بأن الاسلام انبثق من الجزيرة قول يوافق دعوى المستشرقين ان

( \* ) اذا كان كل عربي يسكن في مصر من الامصار العربي يدعي ان وطنه  
تاج رصعته يد الله ، واذا كان الفارسي كذلك او التركي كذلك ، والا مريكي  
كذلك فمن المحق ياترى او ان يحيى وصلاي " ليلي " ولكنها لا تغفلهم بهذا ان

( ٢٤١ ) انظر ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨

الاسلام انما نشأ في البيئة العربية فصار يمثل البيئة العربية فقد <sup>مرياً</sup> يتكرونها  
 عموم رسالة النبي (ص) فلا يصح هذا الاطلاق ذلك لان الاسلام ومما نزل  
 به الروح الامين علي قلب محمد صلي الله عليه وسلم . وكونه نزل عليه  
 في الجزيرة العربية لا يغير من الامر شيئاً فقد نزل جبريل بوحى الله  
 علي الانبياء الآخرين في الشام والعراق ومصر .

٣- ان نسبة الفتح الاسلامي للبلاد التي فتحت الي العرب يوهي للطلاب  
 ان الفتوحات الاسلاميه انما هي لاجل العربيه ، وواقع التاريخ يشهد  
 بأن العرب لم يكن لهم فتوحات قبل الاسلام . فلماذا هذه الدعوى  
 التي لا أساس لها ، ان العرب الذين فتحوا البلاد انما فتحوها بصفتهم  
 مسلمين ، ولذلك كانوا يخبرونهم بين الاسلام والجزية والقتال ، ولم  
 يطلبوا منهم الايمان بحروبهم .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الرابع الابتدائي نفس المعاني السابقة

في نشيد بلادي :

قالوا : أسبُ بلادي	اليك ؟ قلت : بلادي
ابي وامى فيهما	ومهجيتي وفؤادي
وقد حماها جددى	يعززه وعطاء
فكل شبر عزيز	تغديه بالاجساد
وقد نذرنا لتحيا	ما قد غلاقي الحب
فليس في الكون ارض	غفوق شأن بلادي (١)

وفي نفس المقرر ايضا جاء هذا النشيد :

نشيد الطيار

" فداك الروح يا وطني	سلمت علي مدى الزمن
عشت لاجلك الخطي	ونلت بفضلك الطف
أطرت بسبح النس	بلا خوف ولا ذعر



الاساسي للتربية الاسلامية هي اعداد الانسان الصالح وتربيته ، ونصوص القرآن والسنة توضح ذلك ، وما الامر حتى مع الاعداء الاجرة من هذه التربية ،  
 " ولا يجزئكم شأن قوم علي الا تعدلوا عدلوا اهو اقرب للتقوى "  
 اما احترام القانون فانه لا احترام الا لقانون الله وشريعته اما مساواهها  
 ما يحكم شئون الناس وفي غير الامور المادية " المدنية " الصرفة فلا احترام  
 له ولا طاعة .

وجاء في نفس المقرر كذلك ان هدف التربية الاجتماعية هو تكوين المواطن  
 الصالح . ( ١ )

وما ذكرته في هذه الفقرة قليل من كثير ولكنه يمثل اخطرها معان وفكرا ، ولا  
 في اناشيد الصف السادس ص ٥٧ اعتزاز وافتخار يوم العروبة وهو نشيد قصيده  
 الحديث عن فلسطين ، وماضيها الا العرب حين انحرفوا عن دين الله ، وفي  
 الصفحة ٦٠ من مقرر الصف الخامس نشيد بعنوان " بلاد العرب " فيه التفخني  
 ببلاد العرب وفداها .

اما ما يتعلق بالوطنية . ففي الهجاء للصف الاول نشيدان في الصفحه  
 ٨٩ ، ٩٠ .

وفي القراءة للصف الثاني نشيد بعنوان حصاني ص ٢٥ ، وفي مقرر القراءة  
 العربية للصف الثالث موضوع بعنوان " الوطن " ص ٩٠ ، ١٠٠ وفي مقرر الاناشيد للصف  
 الثالث نشيد بعنوان " يارب " وفيه الدعاء للوطن والعرب فقط ص ٣٧ .  
 وفي مقرر القراءة للصف الثالث في الصفحة ٣٩ ، ٤٠ نشيد بعنوان رجال  
 الغد . وفيه ما يندرج في الاطفال معاني البروز والطهور والسمي لذلك .  
 وفي مقرر القراءة العربية للصف الرابع موضوع بعنوان وطني ص ١٩ .  
 وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس نشيد " الجندى " وفيه ان الجندى  
 يعد للوطن ص ٢٨ .

وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس ص ٩٧ ، ٩٨ نشيد بلادي .

وفي الاناشيد للصف السادس ص ٣٣ موضوع نثرى بعنوان " الوطن " وفيه بيان حدود الوطن الذي يعرف للتلاميذ .

وفي مقرر القراءة العربية للصف السادس موضوع بعنوان من قصص الوطنيه ص ١٥٣ - ١٥٦ .

ونريد ان نعرف الان هل الدعوة الي الوطنيه ، او السمي لاعداد المواطن الصالح ؟ هل هي من اهداف التربية الاسلاميه ام لا ؟ وهل تصح الدعوه الي الوطنيه .

والاجابه علي ذلك كالا جابه علي حكم الدعوة الي العرويه ، فالدعوة الي الوطنيه لا تصح وهي دعوة غريبه علي المجتمعات الاسلاميه ( وان شاع بين الناس ان حب الوطن من الايمان ، وهو كلام لا تصح نسبه للرسول (ص) (كما بينت) فالايان انما يكون بعدى تغل الانسان بالشريحة فيتمذر ما يمثل من شريحة يكون حصه من الايمان ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان حب الوطن لذاته ليس امرا مشروطا ، ولا هو واقعي .

١- اما انه ليس مشروطا فلعل النصوص التي ذكرتها في موضوع العرويه كافيه لهذا الموضوع فاذا كان الله سبحانه جعل الرابطه بين الناس رابطه المعقده " انما المؤمنون اخوه " واذم رب المزة اقرب الناس الي رسول الله (ص) ابا لهب ، ومن المعروف ان ارتباط الانسان بأقاربه اشد من ارتباطه بالوطن فاذا كان الغريب غير مسلم فلا رابطه تربط بين المسلم وقريبه الكافر ولعل اصدق مثل علي ذلك سير الصحابه فقد كان الواحد منهم يكون مسلما ويكون اياه او ابنه او اخاه من المشركين وعلي ملتهم فلا يمنعه ذلك من قتله كما فعل ابو عبيده رضي الله عنه مع ابيه حين اخذ يتابعه يريد قتله فلما لم يجد مسلما ان يختار بين الاسلام وابيه اختار الاسلام فقتل اياه ولم يبالى بذلك .

٢- واما انه غير واقعي فلامر عدة منها :

(١) ان الانسان يسير مع مليمعتقد من مبادئ وافكار ، ولا يرتبط بالارض ارتباطا

تعظيم ، وما الهجرة النبوية الي المدينة وهجرته الي الصحابة الي الحبشة  
وهجرة الصحابة الي المدينة ، واللجوء السياسي - الذي شاع في هذا العصر -  
الي دول اخرى الا دليل علي ان الانسان يرتبط بما يعتقد ويسمي لتحقيق الله  
فالرسول (ص) واصحابه كان بإمكان قريش ان ترضي لهم بأن يقوموا بشعائرو  
التعبد كما يحلو لهم دون دعوه الناس الي هذا الدين الجديد الذي يشوع  
لكل نواحي الحياة ، وفعلنا عرض علي رسوله (ص) مغريات الدنيا ، وعروض  
عليه ان يعيد اليه قريش يوما ويعبدوا الهه يوما (اي يادون الطقوس العبادية  
وتبقي حياتهم سائرة علي النسق السابق ، ولو كان الرسول يهتم بان يبقى  
في وطنه لقبل ذلك من قريش ولكن الرسول (ص) <sup>مكلم</sup> ان يبلغ الرسالة لكافة  
الناس . وهكذا اللاجئون السياسيون اذا لم يتح لهم في بلادهم تحقيق  
ما يعتقدون من افكار وحوارها في افكارهم ومعتقداتهم فانهم يتركون وطنهم  
ويسمون من خلال ذلك لتحقيق ما يريدونه في وطنهم .

(ب) ان حب الوطن مرتبط في واقع الناس المعاشي ببقاء اقارب الشخص  
في الوطن الذي عاش فيه الانسان او عاش فيه والده او احد اقاربه ويمتثل  
ذلك في الزيارات المتكرره ، فاذا لم يبق للانسان اي قريب في البلد فمن  
النادر ان يزور ذلك البلد وقد يما قال الشاعر العربي .

وما حب الديار شغفــــن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وعامة الناس يقولون " بلدك هي ماتزق فيها وليست ماتولد فيها " .

(ج) ان هذا المفهوم مفهوم غربي جديد علي المسلمين ، فلم يكن المسلمون  
يعرفون الوطن المحدود بحدود جغرافية معينة بل كان كل مسلم يستطيع  
ان يسافر عن اقصى الصين الي اقصى المغرب ، ومن قصي آسيا الصغرى  
ويلاي التركستان الي الحبشة واليمن دون ان يجد حرجا في ذلك . ولم  
يكن الجيش الاسلامي الذي فتح البلاد ليقتصر في الدفاع عن بلد معين  
دون آخر ، بل كانت كل بلاد الاسلام سواء في حمايتها ودفع الاعداء عنها



وقد سبق ان اوضحت ان هذا المفهوم غربي في عند استعراض افكار الترويين  
( د ) ان اول من رفع مفهوم حب الوطن من الايطان كشعار المسيحي اللبناني  
"ابطرس البستاني" ان جعلها شعارا لجلته الجنان التي انشأها عام

١٨٦٠ م .

( هـ ) ان الدعوة الي العروبة او الوطنية والتجمع حولها او حول احد هــــــــــــــ  
لا يفترق في شي عن مدلوله العربي الجاهلي الذي قال

" وهل انا الا من غزيه ان صحت غزيت وان ترتد غزيه ارتد "

ولقد اتضح للاوربيين وهم الذين سبقونا في هذا الامر ، وبدأوا يجتمعون

علي الافكار والبادئ\* هذا المعنى فهذا احد هم يقول :

" ومن ناحية اخرى نجد " الوطنية " وقد تمثلت في معظم الاحيان

في صور تعمل علي تشجيع الناس علي اتباع سياسة بلد هم ولا نقياد لها دون جدلي

او نقاش : " بلدي ان اصاب وان اخطأ " وعلي طمس الخيال فلا يستطيع

تصور حاجات او حقوقها او اتجاهاتها . وكان من آثار ذلك ان تمحضت

روح الوطنية عن اضعاف روابط الفهم والمشاركة والتعاون بين الامم والشعوب

وعلي تشجيع ذلك النوع من العزلة التي تغذيها مشاعر <sup>الاراء</sup> والعداء\* ( ١ )

ومن المعيب ان المسلمين تنتشر بينهم الدعوة الي القوميات والوطنية

واليهود رشذان الارقاق - اجتمعوا في فلسطين ولا زالوا بسبب اعتقاد

ديني فقد اجتمع الشرقي والغربي من اقصى الارض وادناها ولا رابطه بينهم

ولا وطن يجمعهم وانما العقيدة تجمعهم فيجتمع اليهود اصحاب العقائد المحرفة

علي الدين المحرف ولا يجتمع المسلمون علي الدين الحق ويدعوا عنهم القوميات

والوطنيات . ولكننا للأسف لا يمكننا ان نتخلص من القوميات والوطنيات المخرقة

مادامت مناهج ومقررات الدراسة في بلاد الاسلام تركز هذه المعاني ، ومن

الغريب ان مؤلفوا كتاب تاريخ المملكة كتبوا عن الحركة الصهيونية ووضحوا انها

حركة دينية ، وهم في مؤلف آخر قد مجدوا العروبة والوطنية - قالوا -

الحركة الصهيونية مايلي :

" . . . والحركة الصهيونية ما هي الا حركة الاستعمار واستغلال وتسليط من شرادم من اليهود الذين لا تربطهم وحدة الجنس ولا وحدة الوطن ، والذين يعملون علي اقامة دولة اسرائيلية في قلب الوطن العربي ، وقد وجد الاستعمار في هذه الحركة وسيلة لاضفاف العرب وتفريق جموعهم فتآمر مع هذه الحركة وايدها بنفوذها ومساعداته المادية .

وقد دوت اولي الصيحات الصهيونية لايجاد وطن قومي لليهود فسي كتاب نشره يهودى فرنسي يدعو فيه ابناؤا دينه المشتتين في اقطار العالم الي التجمع في وطن واحد ، وقام بعده يهودى مجرى هو " هرتزل " الذي السف كتابا عام ١٨٩٦م اسماء " الدولة اليهوديه ، نادى فيه بخلق الوطن اليهودى فلسطين . وكان لكتابه هذا اثر كبير في الاوساط اليهوديه في اوروبا " ( ١ )

---

( ١ ) تاريخ المملكة للصف السادس الابتدائي : ١١٤ ، ١١٥ .

﴿التأثر بتقييم الاوربيين للسلطان الي \* تشريعية وتنفيذيه \*﴾

يعد فوتسكيوا اول من قسم السلطات الي تشريعية وتنفيذيه وقضائية (١) وقد تأثر العالم بهذا التقسيم ومنه للاسف العالم الاسلامي في المجالين الفكري والتطبيقي ، ففي المجال الفكري نجد كشيوا من الكتاب والقانونيين متأثرين بهذا التقسيم . وفي المجال التطبيقي فإن الحكومات في البلاد الاسلامية تسيرو علي هذا التقسيم .

وقد جاء في كتاب علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى تقرير لهذا المعنى ان يقول المؤلف مايلي :

" السلطة التشريعية : تمثلها هيئة تشريعية هي التي تشرع القوانين وتراقب السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في البلاد الاسلامية تختلف عن السلطة التشريعية في الدول الاخرى لانها مقيدة بالنظام الاسلامي تستمد قوانينها من مصادر ثابتة وهي القرآن الكريم ويستنبطون من الشريعة الاحكام والتشريعات التي يجب علي الدولة ان تسوس الشعب بموجبها " (١)

في الاسلام ليس هناك سلطة تشريعية فالتشريع لله ولرسوله ﷺ والله عليه وسلم وقد حفظت الشريعة بقراءتها وسنتها ، وهي صالحة لكل زمان ومكان وانما عمل المسلمين او علمائهم بالاصح هو استنباط للسائل المستجده من عموميات النصوص القرآنية والنبويه ، فوضع هذا الامر في مقرر علم الاجتماع يجعل الطلاب مسلمون ان بالامكان ان يشرع المسلمون لانفسهم دون النظر الي القرآن والسنة وفي هذا خطورة كبيرة .

١٣- تقرير حيوانية الانسان : تقرر فرضيات التطور لدارون وولاس وغيرهما  
 انحدار سلالة الانسان من الحيوان - علي اختلاف بيوئنها في الكيفية - وقد  
 سادت هذه الفرضيات في الغرب فترة من الزمن ثم كشف علماء الاحياء والجيولوجيا  
 زيف هذه الفرضيات وسبق ان نقلت بعضها من آراء هؤلاء العلماء في تزيفها فسي  
 فصل " فرضية التولد الذاتي " وانتقلت هذه الفرضية مع ما انتقل من جرائم الضوب  
 الي العالم الاسلامي ، واعتنق بعض من أبناء المسلمين هذه الفرضية ونافوا  
 عن صحتها مع سقوطها في الغرب ، ولكن وجد في علماء المسلمين من فند هذه  
 الفرضية ، كان منهم مفكرون ، كالمودودي رحمه الله ، وكان منهم متخصصون فسي  
 العلوم الطبيعية مثل الدكتور زغلول راغب النجار - وسوف انقل عن الدكتور زغلول  
 مقاطع من مقالات له مسلسله نشرت بمجلة المجتمع الاسلامية التي تصدر بالكوييت  
 لانه هو ابن بجدتها واعرف من غيره يزيف هذه الفرضية انه هو يتحدث من واقع  
 مشاهد وابحاث قد يكون شارك فيها ، ولا يمكن ان يقال بانه من " رجال الدين " .  
 فلا يعرف شيئا عن هذه الفرضيات ولكنه عالم متخصص في العلوم الطبيعية يؤمن  
 بالاسلام ويعلم كرامة الانسان عند الله .

والكتب التي سوف استعرض نصوصا منها الفت للأسف من قبل الجامعة  
 الامريكية ببيروت ، وم معروف للقاصي والداني ماهي وجهة الجامعات الاجنبية  
 ومنها الامريكية وما هو هدفها في العالم الاسلامي . ان لدى المسلمين علماء  
 يجمعون بين هذا العلوم وصحة الاتجاه والبعد عن هذه الانحرافات في التصور  
 لقيمة الانسان ودوره في هذه الحياة وانه ليس حيوانا كما يزعم اصحاب فرضيات  
 التطور ، وكما يحاول ان يقررها مؤلفوا كتب الاحياء والجيولوجيا بطريقة لا يشمر  
 بها الا من عرف شيئا عن فرضيات التطور .

وتد اقتصر في هذا الجزء علي استعراض نصوص من مقرر الاحياء للسنوات

الثلاث وعلي مقرر الجيولوجيا ومقرر العلوم للصف الثالث الاعدادي

وابداً بنقل فقرات من ماكتبه د . زغلول النجار ، فهو يقول في بيان حجج

الذين يكتبون العلوم من منطلق مادي صرف مايلي :

" تكتب العلوم اليوم - في غالبيتها - من منطلق مادي بحث منكر لكل ما هو فوق المادة وذلك بحجة انها : (١) بمفهومها المحدود تتعامل مع المادة فقط . (٢) او بدعوى انه اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعيه فلا ينبغي ان تنسب الي اسباب فوق الطبيعه . (٣) او انطلاقا من قاعدة خاطئه هو ادعاها ان الاعتقاد بدين ما قد يفقد المشتغل بالعلوم قدرا من حريته في التفكير " (١)

وفي معرض حديثه عن الاخطاء في كتابه العلوم تحدث النجار عن قضية تطور الانسان عن حيوان ، وعن تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت بالانتخاب الطبيعي ، وعن قضية حقيقة الطبيعة وقوانين الطبيعه ، وعن التطور العضوي .

اما عن تطور الانسان من حيوان فيقول عنه النجار مايلي :

" . . . وتعرض القضية في الكتب المدرسيه وتدور في اذهان طلابنا الصغار على انها من الحقائق العلميه المسلّمه علما بأن عالما غريبا بارزا مثل " بورن كيوتن " استاذ علم الحياة القديمة بجامعة هلسنكي يسجل في كتابه " ليس من القرده " الذي نشر في لندن سنة ١٩٧٢ . ان اصل الانسان منفصل تماما عن الفرد منذ زمن طويل وان الانسان لم ينحدر عن القرده بكل تأكيد - وفي سياق عرضه للموضوع يؤكد كيوتن ان عملية التطور عطية موجهة ولا يمكن ان تكون عملية عشوائية او نتيجة للصدفه ، ثم ان البقايا الاحفوريه الرئيسيه التي شتم العثور عليها والطرق التي تم استخدامها في تزيف بعضها على صورة شاعت بين الناس ، ثم اضطروا الي التسليم لمجرد رواجها ؟ لا على اساس علمي ملموس والاستنتاجات المستقاه منها بأن للانسان صلة مباشرة بالقرده - ليست دليلا على صحة الدعوى بل تنقضها وتدهضها . (٢)

ويقول تحت عنوان " تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت تلقائيا

بالانتخاب الطبيعي .

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه . العدد / ٢٩٨ في ١٠ جمادى الاولى عام ١٣٩٦ هـ .  
(٢) نفس المصدر العدد / ٢٩٩ في ٢ جمادى الاولى عام ١٤١٣ هـ .

" وما صاحب ذلك من تعبيرات مثل الانتخاب الطبيعي ، التطور بلا انتخاب الطبيعي ، انتخاب الطبيعة . وهي عبارات انشئت في كتابات المشتغلين بعلوم الحياة وبقضية التطور بصفة خاصة ولكن دون فهم حقيقي لمدلولها ، فمن السذى يختار وينتخب ؟ هل هي الطبيعة ؟ وإذا كان ذلك فما هي الطبيعة ؟ وما هي قدرتها علي الاختيار ؟ هل هي كيان عاقل يمكنه ان يختار وينتخب ؟ وإذا كان كذلك فهل يعقل انها قد اوجدت نفسها بنفسها ثم وضعت من القوانين ما يحدها ويحيط بها ؟

هذا كلام لودق فيهِ الانسان ما قبل ان يورده ابداء . ولكن علي الرغم من ذلك فإننا نجد هذه العبارات وامثالها تملأ صفحات كتب العلوم وتورد في مسي مختلف مجالات العلوم الانسانية والفلسفية بل تتناقلها الصحف والمجلات والمنابر والاذاعات دون ان يجادل كاتبوها والناطقون بها ان يقفوا عندها وقفة قصيرة متبصرة . (١)

ويقول عن " الطبيعة وقوانين الطبيعة " مايلي :

" وهذه عبارات قد نقلت الي كتابات المسلمين دون وعي حقيقي لابعادها فلما هي الطبيعة ؟ وما هو تعريفها ؟

يختلف العلماء في تعريف الطبيعة فمنهم من ينادي بأنها الصفات الاساسية للاشياء ومنهم من يقول بأنها القوى الطبيعية التي تسبب ظواهر العالم المادي ، وهنا يبدو واضحا انه قد يكون من الافضل ان تسمي فطره الله التي فطر الله الاشياء عليها ، او انها مجموع القوانين التي وضعها خالق الكون ، وادعها المادة الصماء ، وكل الاحياء ، وعلي اساسها يدور الكون كله من ادق دقائقه الي اعظم وحداته . وفي ذلك يقول احد العلماء الامريكيين ان الطبيعة لا تفسر شيئا من الكون ، وانما هي نفسها بحاجة الي تفسير . . . فالدائم لا يكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانينا ؟ وكيف قامت بين الارض والسماء

علي هذه الصورة المفيدة المدهشة حتى ان العلماء يستطيعون ان يستنبطوا منها قوانين علميه \* (١)

ويقول ايضا عن التطور العضوى وتبي ان يكون حقيقة علميه ثابتة :  
 " . . . وما صاحب ذلك من تعبيرات مثل - حقيقة التطور - وهو تفتيشي  
 يتردد كثيرا ، ويقصد صفحات الكتب والدوريات التخصصيه والعامة ، وهو  
 لا يكتف لنا حقيقة ابدأ ، لان عملية التطور كما يفسرها المنادون بها عطية  
 بطيئة جدا ، ولا يمكن اخضاعها لتجربة معملية ولا الي مشاهد حسيه مباشرة  
 او غير مباشرة ، فكيف اذن يمكن ان تكون حقيقة ثابتة ؟ انها مجرد محاولة  
 لتفسير تدرج الحياة مع الزمن علي سطح كوكبنا الارضي ، وقد تكون صحيحه  
 وقد لا تكون ، وعلي ذلك فمن الخطأ اشاعتها بين الناس علي انها حقيقة  
 مؤكده ، ومن التحليل من استخدامها بطريقة شيطانية لهدم معتقدات الناس  
 وايمانهم ، خاصة وان ادلتها في معظمها محل جدل كبير ولا مجال لاستعراضها

ولكن تكفي الاشارة الي ان فكرة التطور كما قدمها داروين - ولم يكن اول  
 المنادين بها - تقوم علي اسس ثلاثة هي - التكيف - التخصص ، الانحزال  
 الجغرافي . وهي تعبيرات لا معنى لها في الحقيقة لان كل مخلوق متكيف  
 مع البيئة التي يحي فيها ، وهو في نفس الوقت متخصص لنوع الحياة التي  
 يحياها ، والا لما امكنه ان يحيا ابتداءً ، اما فكرة الانحزال الجغرافي  
 بذاتها فلا يمكن ان تكون سببا للتطور خاصة وانه من الثابت جيولوجيا  
 ان معظم الكتل الارضية كانت اكر تقاربا في الماضي ما هي عليه الان . . وان  
 لمعظم الكائنات الحيوانيه وحتى النباتيه قدرة هائلة علي الهجرة حيث تحصل  
 الرياح حبوب اللقاح للاف الكيلومترات بينما تستطيع بعض الطيور الهجرة  
 لمسافات طويلة جدا . ومن ذلك يتضح أن اسم الداروينيه خاويه من وجهة  
 النظر العلمي ، ولكن علي الرغم من ذلك نعرض علي انها من البراهين

العلمية علي النظرية . ومن العبارات التي تردت كثيرا في مجال الحديث عن التطور الجذلة الشهيرة التي صاغها داروين بان " البقاء للأصلح " وهنـا يرد التساؤل الاصلح من اى جهة ولأوشي ؟ هل المقصود بها الاصلح للحياة من حيث القدرة ام من حيث المواءمة ؟ ام كليهما ؟ علما بأنه من المعروف عن بقايا الكائنات القديمة في طبقات القشرة الارضية انه كلما زاد حجم نوع من انواع الحياة ( وبالتالي زادت قوته ) كلما قربت نهايته ، بينما كثير من المخلوقات التي عاشت لأمد طويلة كانت ضئيلة الحجم دقيقة البنية ولم يمتعها ذلك ان تـمر . وإذا كان المقصود - بالأصلح - الانسب للبيئة ، فماذا عن الكائنات التي تتأثر بالحوادث الطارئة او بواسطة الامراض الداهية او عن طريق الطوفان المفاجيء او الافتراض بواسطة غيرها من الحيوانات ، او الاصطياـد بواسطة الانسان ؟ كل هذه عوامل نسي دعاة التطور او تناسوا دورها الهام في بقاء كائن من الكائنات واندثاره ، فهب ان مجموعة حية تتمتع بقوة ملحوظة وتتواءم مع البيئة التي تحيا فيها ، اهاهم بركان ثائر فقضي عليها علي الرغم من قوتها ومواءمتها للبيئة فأين مكان البقاء للأصلح هنا ؟ ان كل امور هذا الكون تتحكم فيها قوة عليا هي التي توجه وهي التي تختار ولا ارادة لمخلوق مقابل ارادتها ، واذن فليس البقاء للأصلح . ولكن البقاء لمن ارادت له القوة العليا ان يـبقى ( ١ )

بعد هذه النقول الطويلة التي توضح لنا رأى واحد المتخصصين فـي العلوم الطبيعية ابدأ باستعراض بعض ما وجدت في كتب الاحياء ما يدل علي تقرير المؤلفين لنظرية حيوانية الانسان .

في الدرس الخامس من الوحدة الثانية " بيئة الكائنات الحية " من مقرر الصف الثالث الابتدائي " حيوانات فقيرة وحيوانات لا فقيرة " مايلي :

" اذا تحسست ظهرك تجد في وسطه العظام الفقيرة " الفقرات التي تكون العمود الفقري في جسمك ( الشكل ١١ ) وهناك بعض الحيوانات ايضا لها عمود فقري في اجسامها .



في الدرس السابق صنفنا الحيوانات الي داجنه وبريه  
 نستطيع ايضاً ان نصنف الحيوانات الي فقريه ولا فقريه ، من حيث وجود  
 العمود الفقري في اجسامها ، او عدم وجوده ،  
 فمن الحيوانات الفقريه :

الاعنام ، والشعابين ، والدجاج والاسماك . . . . ( ١ )

والشكل ( ١١ ) العمود الفقري في الانسان ،

في هذا النص يراد ان يقال للطلاب بطريقة غير مباشرة ان الانسان حيوان  
 فقري لوجود التشابه بينه وبين الحيوانات التي لها " فقار " ثم يصرح لهم بأن  
 الانسان من الحيوانات الفقاريه ، من صف الثدييات كما سيأتي بيانه في الصفحات  
 الاتيه :

في الفصل العاشر " التكاثر في الحيوان " يتحدث المؤلفون مقرر الاحياء  
 للصف الاول الثانوى عن المحافظة علي الصغار في الحيوانات . ويتحدثون عن  
 المحافظة علي الصغار في الحيوانات البيوضة ، والحيوانات الولوده ، وفي فقره  
 الحديث عن الحيوانات الولوده يتحدثون عن الثدييات ويقسمونها الي مجموعات  
 منها " مجموعة الثدييات المشيميه والحقيقيه " فيقولون مايلي :

" والمجموعة الثالثة من الثدييات هي الثدييات المشيميه او الحقيقيه ومنها  
 يحدث الاخصاب الداخلي وتنمو الاجنه داخل رحم الام ، وتلتصق بجدار  
 الرحم بواسطة الحبل السرى والمشيمه ويحصل الجنين علي غذائه من دم الام بواسطة  
 المشيمه ويطرح فيه الفضلات .

وبعد ان تقضي الاجنه في فترة داخل رحم الام تسمى فترة الحمل ، وتولد  
 كاملة النمو وتختلف مدة الحمل في افراد الثدييات فهي في الانسان ٩ اشهر وثمان  
 الحصان ١١ شهرا والبقر ٩ اشهر .

وتنتشر الثدييات انتشارا واسعا علي سطح الكرة الارضية ومن الامثلة علي  
 الثدييات الحيوانات آكلة اللحوم مثل الاسد والنمر والقط . . والحيوانات القارضة

مثل الارنب . والحافريات كالحصان . والرئيسيات كالانسان . وسندرس فيما يلي التكاثر والجهار التناسلي في الانسار كمثل علي التكاثر في الثدييات المشيمية (١) ثم تحدث المؤلفون عن الجهاز التناسلي في الذكر مع وضع صورة الانسان

(انظر شكل (١٥-١٠) (١٤٤ ١٤٥٤) .

وفي السنة الثانية يتحرز المؤلفون في تعبيراتهم ويحاولون الاستدلال ببعض الايات . يقول المؤلفون مقرر الصف الثاني عن اسم تصنيف الكائنات الحيه الفصل السابع مايلي :

" ماهي الاسم والمعايير التي تستعمل لتصنيف الكائنات الحيه في مجموعات سوف لاندرس هنا جميع الاسس وسنكتفي بأساس واحد رئيسي وهو التناظر في اوالاعضاء المتشابهة في الاهل . فمثلا جميع الاطراف الامامية في الفقاريات وان كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد فجناح الخفاش وقدم الحصان وزعنفت الحوت مثلا لها نفس التركيب فهي تتركب بشكل عام من عضد وساعد ورسخ ويد كما تتشابه هذه الاطراف في تركيب العضلات ايضا " (٢)

وفي الشكل (٣ = ٢) الموجود اسفل هذا النص يوجد <sup>(كم)</sup> يد انسان ومن التضليل لا يمثل المؤلفون بالانسان ، وانما يضعون صورته .

ويقول المؤلفون في نفس المقرر في الفصل الحادي عشر " المملكة الحيوانية " ومع ان الانسان يملك كثيرا من صفات الثدييات ، الا انه فريد من نوعه بين سائر الخلق قال تعالى في كتابة الكريم ( لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ) فالانسان بما حياه الله من ميزات - سواء في دماغه النامي لدرجة كبيرة ومقدرته علي استعمال يديه في صنع الاشياء ، او استعمال اللغة للتحدث بها ونقل المعرفة والتراث من جيل الي جيل آخر استطاع ان ينشي " حضارة انسانيه علي مر المصور " (٣)

وقد كانوا في الصفحة ٥٣ من المقرر اي في نفس الفصل " المملكة الحيوانية "

(١) علم الاحياء الصف الثاني الثانوي : ١٤٤ .

(٢، ٣) نفس المصدر : ١٠٨ + ١٠٩ + ١٥٧ + ١٥٨ .

الذى قسموا فيه المملكة الحيوانية الى شعب ، قد قسموا شعبه الحلييات الى نوعين " حلييات ابتدائية " وحلييات راقية مثل العقاريات . وقسموا هذه الى خمسة صفوف هي :

١- الاسماك ٢- البرمائيات ٣- الزواحف ٤- الطيور ٥- الثدييات ومنها الانسان طبعا كما مر .

وفي الكتاب نفسه تقرير لحيوانية الانسان بالمقارنة بين المركبات العضوية فيه وفي الحيوان والنبات ، يقول المؤلفون في ذلك .

" . . . ومن ناحية اخرى تكون البروتينات نسبة طالية في الانسجة الحيوانية

مقارنة بغيرها من المركبات العضوية ففي الانسان مثلا تشكل البروتينات ١٥٪

والدهنيات ١٥٪ بينما تشكل المركبات الاخرى نسبة ١٪ وبين الشكل ( ٢ - ١ )

مقارنة بين الخلايا الحيوانية والنباتية بالنسبة لمحتوياتها من المركبات العضوية " ( ١ )

ويقرر المؤلفون حيوانية الانسان ونظوره عن الحيوان من طريق آخر هو

ما يسمى عند بعض التطوريين ( بالطفرة " يقول المؤلفون في ذلك تحت عنوان

" الطفرات الجينية " في فصل " الاساس الجيني في الدراسة "

" ان كلمة طفرة تعنى تغير مفاجي وثابت في التركيب الكيميائي للجسيم

يؤدي الى تغيير الصفات الوراثية ، الناتجة عن هذا الجنين ينتقل هذا التغير

من جيل الى آخر ولذا يكون ثابتا ووراثيا " ( ٢ )

وفي الفصل السادس من الكتاب تحسين الانتاج الحيواني والنباتي " كلام

واضح في تقريرهم لنظريه " الانتخاب الطبيعي " وبقا الاصلح ، ان يقولون تحت

عنوان " الانتخاب "

" لاحظ الانسان في الماضي التنوعات الكبيرة في الكائنات الحية فانتخب

كأبا للجيل الثاني تلك الكائنات الحية التي تملك الصفات المرغوبة بالنسبة لـ

فهو انتخب يقوم به الانسان وذلك لتركيز الجينات او الصفات الوراثية المرغوبة

والتي يريد بها الانسان لاغراضه الخاصة ، ويسمى مثل هذا الانتخاب بالانتخاب

الصناعي . . . تميزا له عن الانتخاب الطبيعي . . . حيث نترك الافراد هنا لتتزوج علي حالتها الطبيعية دون تدخل الانسان ، فتموت الافراد الضعيفة التي لا تتكيف مع البيئة وتبقى الافراد القوي ، وعلي هذا الاساس كانت الطبيعة العامل الاساسي في تحسين النباتات والحيوانات منذ ملايين السنين \* (١) <sup>كلام</sup> وفيما نقلت عن الدكتور زغول الشجار ما يوضح ان هذا الكلام هو نفس ما يأتى اصحاب فرضيات التولدا الذاتي .

ومن الامور التي يذكرها المؤلفون التشابه بين العضلات القلبية انفسها في الانسان والحيوان ففي الفصل الاول من مقرر الصف الثالث الثانوي للاحياء \* التنظيم التركيبي والوظيفي في الحيوانات \* تحدث المؤلفون عن الانسجة الموجودة في النقيات ومنها \* الاسد والتمر والحسان \* ومن ضمن الانسجة العضلات القلبية \*

\* . . . وكما في الالياف العضلية الاخرى فان الالياف القلبية محاطة بضميمة لحمية . ومن مميزات الالياف العضلية القلبية انها تتقبض بانتظام ويحصل ذلك ايضا لمدة محدودة في حالة وجودها خارج جسم الانسان \* (٢) فاذا كان المؤلفون يسمون الانسان بما عرف به فلم يتحدثون عنه مـــــــع الحيوانات الفقارية افلا يمكن الحديث عنه من كافة النواحي في باب مستقل ام انهم الاتباع للفرضيات التي تدعي الانسان تظهر عن حيوان .

وفي فصل آخر يتحدث المؤلفون عن القلب في الحيوانات ومنها الفقاريات فيقولون \* تتركب عضلات القلب في الانسان من الياف عضلية مغطاة عريضا الا انها تختطف عن العضلات الهيكلية السابق ذكرها بأن اليافها اقصر واصغر وتتفرع هذه الالياف وتلتحم فيما بينها عن طريق هذه الغرف (انظر شكل ١-١٦) لتتوالف شبكة متصلة وكل ليفة عضلية قلبية تحتوى علي نواة واحدة \* (٣)

ويقرر المؤلفون حيوانية الانسان عن طريق الانسجة الوعائية والتشابه الحاصل

(١) نفس المصدر : ٨٧ .

(٢، ٣) علم الاحياء \* للمصنف الثالث الثانوي : ١٤، ١٥، ١٦٨

بين الثدييات ومنها الانسان وهو ارقها كما ذكرنا . فيقولون .

\* تتكون الانسجة الوطائية (الدم) من الخلايا والمادة الهلامية (البلازما)

اما الخلايا فانها نوعان ١- كريات الدم الحمراء ٢- كريات الدم البيضاء .

..... وفي الانسان يبلغ طول

الخلايا الحمراء حوالي ٧ ميكرون وعددها حوالي خمسة ملايين في المليمتر

الواحد من دم الرجل وهو (٥٤) مليون في المليمتر الواحد من دم المرأة (١)

وتحت عنوان \* تلام تركيب الانسجة مع وظائفها \* جاءت هذه الصبغات

\* ... ان الجلد في الانسان كما في الحيوانات الثديية يحتوى على

الشعر المتصل بعضلات لا ارادية لها دورها الوظيفي في احداث القشعرية التي

تعتبر امرا وظيفيا يساعد في اعطاء الجسم نوعا من الدفء عند البرودة الشديدة (٢)

وفي الحديث عن انماط التغذية في الحيوان يقسم المؤلفون الحيوانات الى

انماط ذاتية لتغذية ، وانماط غير ذاتية لتغذية . ومن النوع الاخير النقرات

ومنها الانسان فهو عندهم من انواع النقرات من صف \* الثدييات \*

\* اما الكائنات غير ذاتية التغذية فهي الكائنات التي لا تستطيع الاعتماد

علي نفسها في تجهيز غذائها من مواد بسيطة تأخذها من الوسط المحيط بها

وكذلك تعتمد هذه الكائنات في تغذيتها علي النباتات الخضراء . اما بشكل

مباشر وبشكل غير مباشر حيث تأخذ المواد العضوية من النبات الاخضر مباشرة

او تتغذى علي حيوان آخر يعتمد في تغذيته علي النبات الاخضر وتقسم الكائنات

غير ذاتية التغذية الى ثلاثة انواع :

١- الكائنات المتاوله للغذاء وهي الكائنات التي تتناول غذائها وتبتلعها

عن طريق الفم وينقل هذا الغذاء الي جهاز هضمي خاص يقوم بهضم الطعام

وامتصاصه . ومن الامثلة علي حيوان هذا النوع من التغذية النقرات وكثير

## من اللافتاريات \* (١)

وعند الحديث عن عطية الهضم في الحيوانات جاء هذا النص:

"... من أي جزء في جسم الكائن الحي تفرز الانزيمات الهاضمة ؟

تفرز الانزيمات الهاضمة في دوده الأرض من الخلايا <sup>المبطنة</sup> للمعدة .

أما في الحيوانات الأكثر تعقيدا مثل الفقاريات فتوجد أعضاء خاصة تفرز هذه الانزيمات تسمى بالغدد الطحقة بالجهاز الهضمي مثل البنكرياس والكبد تفرز الكبد مواد كيميائية تحول الدهن السلي مستحلب دهني (نقاط صفيرة) ثم يندمج لتتضمنه انزيمات البنكرياس والأمعاء الدقيقة . وبعد أن يتم هضم الطعام في جسم الكائن الحي يحدث امتصاصه في الأمعاء الدقيقة ويكون سطح الأمعاء عادة متموجا كثيرا ليزيد سطح الامتصاص وفي الحيوانات التي تحتوي على جهاز دوري تتكرر الشعيرات الدموية في سطح الأمعاء وتتضمن هذه الشعيرات داخل زوائد تسمى بالزغبات وتقوم الزغبات بامتصاص الغذاء المهضوم ودفعه في تيارات الدم الذي يوزعه على جميع خلايا الجسم \* (٢)

وعند الحديث عن الجهاز الدوري للحيوانات يقسمها المؤلفون إلى قسمين "جهاز دوري مفتوح" و "جهاز دوري مغلق" ومن ضمن من له جهاز دوري مغلق "الإنسان يقول المؤلفون في ذلك .

"... ويستأثر الجهاز الدوري المغلق بفعاليته الوظيفية ، ويفوق في ذلك الجهاز الدوري المفتوح ، حيث أن الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدوري المفتوح يسير ببطء بينما يسير الدم بسرعة أكبر في الحيوانات ذات الجهاز الدوري المغلق ولذلك يحدث تبادل المواد الغذائية والأكسجين والفضلات في الحيوانات

ذات الجهاز الدوري المغلق بسرعة أكبر من الحيوانات ذات الجهاز الدوري <sup>المفتوح</sup> مما يتيح لهذه <sup>الحيوانات ذات الجهاز الدوري المغلق</sup> قيام الحيوانات بفعاليته ومقدره عليه (شكل ٤ - ١٠) (٣)

وشكل (٤ - ١٠) هو شكل إنسان وقد كتب تحت الشكل الجهاز الدوري

(١) علم الأحياء للصف الثالث الثانوي : ٦٣ ، ٦٤

(٢) نفس المصدر : ٦٨

(٣) الأحياء للصف الثالث الثانوي : ٩٣

في الانسان . عن

وعند الحديث الجهاز اللعائقي للحيوانات جاءت هذه المبارات .

" . . . يسير الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدوري المغلق ضمن اوعية

دمويه مغلقة ولا يوجد اتصال مباشر بين الشعيرات الدمويه وخلايا الجسم اذن

كيف يحدث تبادل المواد بين الدم وخلايا الجسم ؟ " ( ١ )

ثم يأتي بعد ذلك شكل ( ١٤-١ ) وهو لبيان الجهاز اللعائقي للانسان

وعند الحديث عن الاخراج في الحيوانات يتحدث المؤلفون عن الاخراج عنس

طريق الكلي فيقولون :

" في اجسام الحيوانات النقيية جهاز متخصص لتصفية اجهزتها الدمويه

من المواد الضاره وطردها للخارج ويسمى هذا الجهاز بالجهاز البولي ، وقد

تؤدي بعض اعضاء الجهاز البولي وظائف اخرى اضافة الي وظيفة تجمع البول

يتركب الجهاز البولي في النقييات ومنها الانسان من كيتين وخالين ومثانة

بولية لنقل البول حيث يطرده للخارج . وقد يختلف هذه الاعضاء في اشكالها

وحجومها من حيوان لاخر ويبين شكل ( ٦-٨ ) تركيب الجهاز البولي في الانسان

وهو الجهاز الذي سندرسه هذا <sup>بشيء</sup> من التفصيل " ( ٢ )

ومن تكوين البول واخراجه في الحيوانات جاءت هذه المبارات :

" . . . اما الحيوانات التي تعيش علي اليابسة فلا بد لها من تحويل

هذه المادة السامة الي مواد اقل سماً وهو البولينا او حامض البوليك ، وقد

تكيفت الحيوانات التي تستطيع الحصول علي كميات كبيرة من الماء لتحويل الامونيا

الي البولينا التي يمكن تخفيفها بالماء ، ثم طردها للخارج كما هي الحال

في الانسان " ( ٣ )

وفي فقرة الحديث عن الجهاز الدعامي في الحيوانات جاء هذان النصان

" يخدم الهيكل الدعامي في الحيوانات اغراضا مختلفة منها انه يحصل

كدعامة لتقويم الجسم الهلامي وتزداد الحاجة الي الهيكل الدعامي كلما

ازداد حجم الحيوان كما ان الهيكل الدعامي يعمل علي حماية الحيوان . وهذه المهمة تظهر جلية في الحيوانات التي تحيط نفسها بهياكل خارجية تقيها من الصدمات الميكانيكية والهياكل الداخلية ايضا تخدم غرض الحماية فالقفص الصدري للانسان يحمي القلب والرئتين من الصدمات الخارجية . كما ان الجمجمة تقي الدماغ من مخاطر الصدمات الخارجية . ايضا ، والهياكل الدعامية ذات اهمية كبيرة فسي تولد حركة الحيوان الراقي وضمانها بسهولة وذلك لكون بعض اجزائها تعمل على الروافع ويتصل بها العضلات الهيكلية المتصلة بها وانبساطها وتحريك هذه الاطراف يستطيع الحيوان ان يمارس نشاطاته في بيئته كالسعي لتحصيل غذائه او هربه من عدوه الخ وهنا يجدر الذكر انه يجب ان يكون هناك نوع من التوازن بين كبر العظام وسماكتها لزيادة الوقاية والحماية ومن هفتها لتسهيل حركة الحيوان وسأخذ فيما يلي أمثلة على الهياكل الدعامية لبعض المجموعات الحيوانية . ( ١ ) ثم جاء الحديث عن الهيكل الدعامي العظمي في الفقاريات فقال الخولفسون :  
 " .. تتكون دعامة الفقاريات من جهاز عظمي داخلي ينشأ من الحبل الظهرى الجيلاتيني . وتشترك جميع الهياكل العظمية للفقاريات بوجود الجمجمة والعمود الفقري والقفص الصدري والاطراف ، وكشال علي الجهاز الدعامي في الفقاريات سندرم فيمايلي الجهاز الدعامي في الانسان ( شكل ٨٣٧ ) يتكون هذا الجهاز في الانسان من جمجمة وعمود فقري وقفص صدري وعظام الحوض والاطراف ويبلغ عدد النظام في الجهاز الدعامي للانسان ( ٢٠٦ ) ( ٢ )  
 وعن الهيكل العظمي في الحيوانات جاءت هذه العبارات .  
 " يتميز الجهاز العظمي في الثدييات ومن ضمنها الانسان بوجود القفص الصدري الذي يتكون من الفقرات الصدرية خلفا ومن عظم القفص اطرافا ومن ازواج من الاضلاع الاثني عشر تصل بين كل زوجين منها مفاصل غضروفية ليفية تسمح للصدر بالتوسع بعض الشيء ( شكل ١٠٠-٢ ) ( ٣ )  
 وفي الحديث عن التنظيم الهرموني في الحيوان جاء هذا الكلام :



\* في جسم الانسان توجد الغدد الصماء ويظهر موقعها (شكل ٩-٩)

١- الغدة النخامية ٢- الغدة الدرقية ٣- الغدد جارات الدرقية ٤- جـنـز  
لانجرهانز في البنكرياس ..... (١)

وفي مقرر الجيولوجيا للصف الثانوى الثانوى تحدث المؤلفون عن تصنيف الكائنات العضوية فجعلوا الانسان من الحيوانات الفقارية .

\* ان ابسط تصنيف شعولي للكائنات العضوية يتداول فيه طده في علم الاحافير هو التصنيف المبين في الجدول (١٠٦) فمن الكائنات ما يشبه الحيوان ويتكون من خلية واحدة فقط مثل المنحزيات والقاعيات والحيوانات عديدة الخلايا اللافقارية : مثل المحاريات والقشريات والحيوانات عديدة الخلايا الفقارية مثل الاسماك والطيور والانسان \* (٢)

ومن اهمية " الاحافير " وهي احد ادلة القائلين بالتطور تحدث المؤلفون عن ان هذه الاحافير دلت على التطور الناتج عن الصراع بين الحياة والبيئة فقالوا \* برهنت الدراسات التي اجريت على الاحافير على وجود الحياة على سطح الارض منذ مئات الملايين من السنين وساعد ما لوحظ من تغيرات تدريجية فسي اشكال الكائنات التي عاشت في الازمنة الفايوزية على فهم انواع التطور الناتج من الصراع بين الحياة والبيئة وتوفرت من هذه الدراسات براهين عديدة على نظريته تطور الكائنات الحية \* (٣)

وأقرأ هذا النص ففيه تقرير لنظرية التطور في احد حججها ان البقايا  
للاصلح :

\* ... منذ ما قبل عصر الكامبرى حتى الوقت الحاضر ظهرت مجموعات ضخمة من الحيوانات والنبات ، بعضها اكمل مسيرة حياته وبعضها لم يقو على الحياة وانقرض في الطريق راجع الجدول (٢٨٦) (٤) ففي هذا الجدول وضع الانسان ضمن الفقاريات .

(١) المرجع السابق : ١٧٩

(٢، ٣، ٤) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوى : ٧٨ ، ٧٢ ، ٧٩ ،

وتقسيم المصير الى المصير الكبرى ، والك لاثي ، والرباعي وهي تقسيمات اصحاب النظرية التطورية وهي من ادلتهم على التطور (انظر التطور بين العلم والدين (٥٤ - ٧٧)

وعن التطور في الكائنات الحية قال المؤلفون :

" . . . وفي منتصف العصر الثلاثي نما حجم الحصان وقل عدد اصابعه  
وغير من طريقة تغذيته فاصبح اكل عشب ومرار الزمن ضمرت اصابع الحصان واصبحت  
اصبعاً واحداً اي حافزاً واحداً كما في الحصان الحديث المعروف باسم "كبروس" راجع  
الشكل (٦-١٢) " (١)

ثم يختتم المؤلفون الحديث عن تطور مجموعة الحيوانات اللبونة الحقيقية  
بالحديث عن الانسان ، ويذكرون في آخر الحديث ان الانسان سيطر بقدرته الله  
" وقد نشأ الانسان في عصر الرباعي واخذ رويداً ، رويداً مكاناً مرموقاً بين  
الاحياء قاطبة حتى اصبح يسيطر على خيرات الارض بقدرته الله تعالى وفضله " (٢)  
وهكذا يتضح ان مقررات علم الاحياء والجيولوجيا قد قررت بطريقة غير مباشرة  
نظرية انحدار الانسان عن الحيوان ، وقد كانت في المقررات الماضية تدرس عن  
طريق واضح بدراسة نظرية او فرضية التطور والتولد الذاتي . ان هذه الفرضية  
قد نقضت من قبل علماء الغرب فلم يعد لها من دليل صحيح فكيف تقدر بهذا  
الشكل . ان الله سبحانه وتعالى بين لنا انه خلق آدم وهو ابوالبشر من توا ب  
خلقا مباشرا ثم تأتي ونقرر نحن في مقررات الاحياء بأن الانسان انحدر من الحيوان  
ان المفروض ان تؤول العلوم ( الاحياء ، الكيمياء ، الفيزياء ، الجيولوجيا )  
من وجهه نظر اسلاميه صافيه ، ولن يعجز المسلمون عن ذلك ، فالحقائق التي  
تتضمنها هذه العلوم ، تحقق ايمان الشاب المسلم بالله اذا صيغت بقوال السبب  
فكره اسلاميه ، ولا خشية على الحقائق فالحقائق تبقى كما هي ولكن ما تدل عليه  
الحقائق الثابتة ثبوتاً صحيحاً هو الذي تريد ان يصاغ صياغة صحيحة . ولعل  
اكبر خطأ يوتكب هو تقسيم الكائنات الحية الى قسمين الحيوانات والنبات . والحق  
الذي لا مرا فيه ان اقسام الكائنات الحية ثلاثة اقسام ( ١ ) الانسان وهو اشرفها  
واكرمها عند الله ( ٢ ) الحيوانات ( ٣ ) النبات .

( ١ ) نفس المرجع السابق ٦٠ / ٨٧  
( ٢ ) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوي : ١٠١

لقد استطاعت روسيا وهي تمتثل عقيدة مناقضة للفطرة وهي الاتحاد  
استطاعت عن طريق العلوم ان تبرز بذور الاتحاد وفي هذا يقول :  
" س . ا . فافيلوف ، رئيس اكاڤيميه العلوم في الاتحاد السوفيتي  
" ان الفيزياء السوفيتية ، كالعلم السوفيتي ، وخلافي حياة الدولة من  
زمن بعيد ، ووجهها كل قواها الي خدمة بلدنا هذا ، لاستيفاء كل الحاجات  
اللازمة لبنا " مجتمع شيوعي .

والفيزياء الشيوعية تبني عليها علي ما اعتق العالم من الطائفة المنطقية  
تلك التي رفع من امرها تأليف لينين وستالين ، وهي تأليف امرتها المبقرية  
بروح منها " ( ١ )

وبدحض الشيخ المودودي رحمه الله دعوى ان العلوم عالمية ليس لها  
علاقة بدين : فيقول تحت عنوان " العلوم التجريبية لها ناحيتان "  
" . . . اما القول بأن العلوم التجريبية علوم عالمية تتجاوز لدين من  
الاديان ، فهذه غلطة كبيرة وجمل فاحش . ان العلوم التجريبية لها  
ناحيتان الاولى : عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرف طبيعتها  
الانسان بعد ان اجتاز مراحل عديدة من التجربه والاختيار والملاحظة ، وهذه  
الناحية لا يشك في احدث كونها عالمية . والناحية الثانية تتمثل في العقلي  
التي تدون هذه الحقائق والمعلومات ، وتضع علي اساسها النظريات ، كما  
تتمثل الناحية الثانية في اللغة التي تختارها هذه العقلي كأداة للتعبير  
عن هذه النظريات ، فهذه الناحية ليست شيئا عالميا ، بل لكل داع من دعاة  
الحضارات المنوعة في العالم اسلوب يخصه ويفرد به ، وهذا امر طبيعي  
ونحن اذا دعونا الي التفسير في العلوم التجريبية لانريد الناحية الاولي ،  
وانما نريد الناحية الثانية فقط .

واغرب لكم مثلا : من الحقائق العلمية ، ان كل شي " في العالم حينما  
يبود ويتقلص ما عدا الماء ، فانه اذا اخذ في التجمد يمتد ، واذا تحول الي

ثلج يخفف وزنا ، ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء . هذا امر يدل عليه الواقع العلمي والتجريبي . وهناك شخصان ، يعلل احدهما الظاهرة بأن الماء له هذه الخاصية ، وهذا واقعة . والثاني يقول في تعليقه : ان الله اودع في الماء هذه الخاصية بحكمته البالغة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع أن يعيش ما في الاحواض والانهار من مخلوقات وانه لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان الماء كلما تجدد رسب السيل الاسفل وانتهى به الامر الى تحول الاحواض والانهار والبحار بأسرها صخوراً من الثلج المتراكمة وما استطاع كائن حي أن يعيش فيها .

تفكروا : واقع بعينه يعبر عنه شخصان بأسلوبين مختلفين ووفق فكرتين متباينين كل من هذين الأسلوبين يترك في ذهن القارئ او الطالب أسأرين مختلفين : أسلوب يعبر عن الواقع ، وثبت في الوقت نفسه في ذهن الطالب عقيدة وحدانية الله وحكمته وربوبيته ، واسلوب آخر يعبر كذلك عن الواقع الا ان الفرد لا يمكنه ان يستمد منه تصوراً للإله بل فوق ذلك يصور هذا الأسلوب في الفرد فكرة تقول : ان الذي يجري في هذا الكون يجري بنفسه ، لا يد فيه لحكمة الصانع الحكيم ، ولربوبيته الرب القدير .

ولكم ان تعرفوا من ذلك كيف أن إحدى الطريقتين لتدريس العلوم التجريبية تعد العلماء الماديين بينما الثانية تعد العلماء المسلمين (١)

بقيت ملاحظة أخيرة على مؤلفات علم الأحياء . فعند حديث المؤلفين عن أسس تصنيف الكائنات الحية أوضحوا ان العالم السويدي " ليونوس ١٧٠٧ - ١٧٧٩ " وضع الأسس العلمية الحديثة لتصنيف الكائنات الحية وهي كالآتي :

" ١ - اوجه الاختلاف والتشابه في المظهر والتركيب الخارجى للكائنات الحية بما في ذلك وسائل تغذيتها .

( ١ ) دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الاسلامي : ٣٣ - ٣٦ .

- ٢ - البنية الداخلية للكائن الحي ووجه تشابهها أو اختلافها مع غيرها من الكائنات الحية ( لقد كان اسهام ليننيوس في هذا المجال محدودا )
- ٣ - طرق تكاثر الكائن الحي \* (١) .

هذه هي المعايير والاسس التي على اساسها تصنف الكائنات الحية ، وحين تراجع ما كتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية فيما كتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية في مجموعات معتمدين فقط على اساس واحد ومن ثم قرروا جعل الانسان في مجموعة واحدة ——— الحيوانات تسمى " الفقاريات " وكان الاساس الذي اعتمدوا عليه في التصنيف هو " التشابه في المظهر والتركيب الخارجى " وقد صرحوا بذلك في احد الكتب المقررة فقالوا :

" . . . ما هي الاسس والمعايير التي تستعمل لتصنيف الكائنات الحية في مجموعات ؟

سوف لا ندرس هنا جميع الاسس وسنكتفى باساس واحد رئيسى وهو ——— التناظر في التركيب " Homology " او الاعضاء المتشابهة في الاصل . فمثلا جميع الاطراف الامامية في الفقاريات ( شكل ٧ - ٢ ) وان كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد ، فجنح الخفاش وقدم الحصان ، وزعنفة الحوت مثلا ، لهما نفس التركيب ، فهى تتركب بشكل عام من عضو وساعد ورسغ ويد كما تتشابه هذه الاطراف في تركيب العضلات ايضا . . . . "

وفي الشكل ( ٧ - ٢ ) تركيب الاطراف الامامية في بعض الفقاريات ( جاءت صورة يد الانسان ٢٠ . (١) )

---

( ١ ) مقرر المعلوم للصف الاول المتوسط : ١٢٣ .  
( ٢ ) علم الاحياء للصف الثانى الثانوى : ١٠٨

وقد سبق ان اوضحت عند الحديث عن فرضية التطور سقوط المزمع القائل بانحدار الانسان من اصل حيوانى ، وذلك بذكر آراء علماء الاحياء المعاصرين لدارون واللاحقين له وبالتالى يسقط الزعم بتشابه الانسان مع اى من الحيوانات .

٤- اما اللغة الانجليزية فقد تضمنت مقرراتها الحديث عن السحرة والسحر ، واختلاط الرجال بالنساء ، وشرب الخمر ، وسوف استعرض شيئا ما ورد فى هذه المقررات (١) .

ففى مقرر الصف الثالث الثانوى القسم الادبى " الاسهل " وهو مجموعة قصص جاء فى الصفحة السابعة قصة فتاة اسمها اليكسندرينا زوجت من رجل بخيل تزور أمها وتشكو لها من معاملة زوجها ، وتقول لها : " اذا لم تستطيع مساعدتى فائى سابحث عن المساعدة فى مكان آخر " .

" If you cannot help me , I will look for help  
elsewhere " .

والمكان الاخر فى عرفهم الانحراف والتحلل اى تصاحب لها رجلا يساعدها

على التخلص من هذا الزوج . <sup>قصة</sup>

وجاء فى الصفحة الستين عن " الشلن " الذى يحكى قصته مع من يملكه

فيقول : " ارسلت الى دكان لشراء بعض الخمر "

" I was sent to a shop for some wine " .

وفى الصفحة الحادية والستين تمكين لهذا المعنى بالسؤال عن الاتى :

" لماذا ارسل الشلن الى دكان الخمر ؟ "

"8" Why was the shilling sent to wine-shop?

( ١ ) تدور قصص ومسرحيات الكتب المقررة حول هذه القضايا . وقد رأيت ان انقل فقرات مختصرة تدل على ما تحويه بقية القصة او المسرحية .

وجاء في الصفحة السابعة والثمانين قصة بعنوان " قصة حلم " وهو تحكى  
 حفل رقص مختلط بين الرجال والنساء جاء فيها مانصه على لسان صاحب الحلم  
 " كنت احد الضيوف المدعوين الى حفلة رقص خاصة فى منزل ضخم جميل "  
 " I was one of the guests at a private dance at a large  
 and pleasant house " .

ثم جاء في آخر الصفحة ما يلى : " لقد تعرفت على الفتاة التى ترقص مع  
 الرجل " .

وجاء في الصفحة السابعة عشرة بعد المائة قصة رجل قابل امرأة جميلة  
 فهو يصف محاسنها بقوله :  
 " . . رأيتها لأول مرة فى المساء عند العشاء ، كان لابد أن تكون جميلة ،  
 وجمالها واضح - الابيض والاسمر والاحمر وجهها يشع بياضا - شعرها اسود ،  
 شفتيها حمراوين ، وأصبعها طويل رقيق " .

" Int the evening at dinner I saw here for the  
 first time ..... "  
 She had to be beautiful, and her beauty was clear  
 white, black, red, the face was shining white ,  
 the hair very black, the lip s very red. Her figure  
 was tall and rather thin. "

وفى الصفحة الخامسة والاربعين بعد المائة - قصيدة شعرية جاء فى احد  
 ابياتها ما يلى :

هب للرجل فتاة يحبها      كما انى يا حبيبى احبك  
 Give a man a girl he can love,  
 As I, O my love, I love thee;

وجاء فى مقبر القصة للصف الثالث ثانوى ، علمى ، وادبى وهو بعنوان " حول  
 العالم فى ثمانين يوما " ما يلى :

فى الصفحة الثالثة والاربعين يصف الكاتب عطية انقاذ امرأة هندية  
من الحرق من قبل الاوروبي صاحب الرحلة حيث كانت ستحرق بالنار مع جثة  
زوجها فى الهند ، ويقول عن الرجل الذى انقذها انه :  
" توجه مسرعا نحو المسافرين حاملا المرأة بين ذراعيه وقال هيا بنا " .

" in his arms , he came quickly towards the travellers,  
came up to them and said " Let us go!"

وفى الصفحة الخامسة والاربعين يتحدث مؤلف القصة عن المرأة الهندية  
التي انقذت من الحرق فيقول :  
" كانت جميلة بكل تأكيد تتكلم الانجليزية بطلاقة . امرأة فائنة مثقفة "

" She was certainly beautiful. She spoke English  
perfectly, and was in every way a charming and  
educated woman".

وفى الصفحة السادسة والاربعين يقول مؤلف القصة مخاطبا القارى :  
" والتحيل افضل من الوصف - لد هشتها - اى المرأة - حين وجدت نفسها  
ترتدى ملابس اوروبية فى عربة قطار مريحة بين رفاق غرباء عليها "

" It may be better imagined than described how  
surprised she was to find herself dressed in  
European clothes, in a comfortable railway carriage,  
among companions who were quite strangers to her !".

وتتضمن شخصيات القصة الخادم واسمه " باسبرتو " وسيد اسماء  
" فلك آفوك ( ورجل المباحث واسمه " فيكس " بالاضافة الى المرأة الهندية  
المنقذة من الحرق ومن الصفحة الخامسة والستين حتى الصفحة السبعين من  
الكتاب حديث عن الخادم ورجل المباحث وشربهم للخمر . فقد جاء فى الصفحة  
الخامسة والستين ما يلى :



" ذهبوا - الى الخادم ورجل المباحث - الى صالة شرب في نهياتها فواش كبير  
ينام عليه العديد من الناس ويوجد بها ما يقرب من ثلاثين شخصا يشربون  
الخمير .

" They went into a sort of drinking-hall. At the  
end of the room there was a big bed on which several<sup>1</sup>  
people were lying a sleep. There were about thirty  
people here sitting at tables and drinking .

وفي الصفحة السادسة والستين جاءت هذه العبارة :  
" وأمر فيكس " بزجاجة اخرى "

" Here fix ordered another bottle."

وفي الصفحة التاسعة والستين جاءت هذه العبارة عن الخادم :  
" لقد شرب " باسبرتو " حتى الثمالة "

" 14. Passepartout has drunk too much."

وفي الصفحة السبعين جاءت هذه العبارة من قول رجل المباحث للخادم  
" اشرب هذه الكاس " فإنها ستنتفعك .

" Drink this, it will do you good " .

وفي الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائة جاءت هذه المحادثة بين السيد  
الذي اتقذ المرأة الهندية والمرأة الهندية ثم حضور الخادم اليهم .

" قالت المرأة الهندية : اتقبلني زوجة لك ؟

فأظق عينيه ثم فتحهما وقال : انى احبك نعم انى احبك وانا لك .

ولما حضر الخادم رأى سيده والمرأة متشابكن الايدي .

" Will you have me as your wife? ....

" I love you. Yes , I love you and am yours!"

He at once ealled passepartout. He came .

He saw his master and Aouda holding hands".

وفى مقرر الصف الثانى الثانوى القسم الادبى وهو عبارة عن " مسرحية بمنوان  
العكس بالعكس " وهى تتحدث عن رجل اورى اسمه " برادىن " ذهب الى الهند  
وحصل من رجل هندي مقدس !! على حجر الامانى وهو حجر اذا استعمله  
انسان تحقق له ما يتمناه وكان لهذا الاورى ابن اخت لا يحب الذهاب الى  
المدرسة ويتمنى ان يتحقق له ذلك وان يذهب عوضاً عنه والده فلما رجع الاورى  
" برادىن " الى بلده أخذ ابن اخته هذا الحجر واستعمله فتحول الى اب وتحول  
ابوه الى ابن وذهب عوضاً عن الابن الى المدرسة .

وتدور مشاهد حول الاورى وابن اخته وحفلاتهم الراقصة المختلطة  
وحجر الامانى بالاضافة الى اشخاص آخرين مثل مدير المدرسة التى يدرس  
فيها ( دك ) ابن بول وابن اخت " برادىن " و" بول " وابنته ( بربارا ) واكتفى  
هنا بنقل ترجمة نصين من المسرحية

جاءت فى الصفحة السادسة هذه المحادثة بين " برادىن " وابن اخته  
عن الهند كوال مقدس !! وحجر الامانى

" انه رجل مقدس اعطانى هذا الحجر ( حجر الامانى ) .

الطفل يسأل : ايمكن ان يشفى المرضى .

الخال : ربما يستطيع انه يعطيك ماتمنى .

" He was a holy man and he gave me this stone  
because I helped him "

.....

Dick: can it make sick people well again?

Paradine: Perhaps it can .....

this stone will give what you wish for".

وفى الصفحة السادسة والستين يدعو الاب " بول " الدكتور " جريم " لمراقبة

ابنته .

" يقول " بول " الاب : إنهم يرقصون يا دكتور " جريم " ستشارك في الرقص  
سترقص مع ابنتي ( باربارا ) ."

يجيب الدكتور جريم : لا احسن الرقص

تجيبه البنت باربارا قاطلة : أنا أعلمك ( ويناول ذراعه لها )  
Music is heard,

" Paut: Ah, they are dancing. Dr% Grimstone, you will  
join the dance, won't you. you shall dance with my  
daughter, Barbara .

Grimstone: I do not dance very well,  
but . He offers his arm to Barbara,

Barbara: I'll teach you Dr. Grimstone and Barbara  
go out.

أما مقرر الصف الثالث المتوسط فإنه يدور حول أربعة من الاخوة اثنان  
منهم من العرب هما " سمير وسلمى " واثنان من الانجليز هما " جورج " و " ميرى "  
وهم من طلاب الصف الثالث المتوسط وقد قاموا برحلات الى كل من تد مر  
بسوريا، وبريطانيا فقد سافر كل من جورج وميرى الى تد مبروهناكالتقوا بسمير  
وسلمى . كذلك سافر كل من سمير وسلمى الى بريطانيا وفي الايام التي لا يخرجون  
فيها الى رحلات كانوا يجلسون سويا وكل منهم يروي للاخر قصة .

هذا ملخص ماتدور عليه دروس الكتاب وهذه نماذج مما يحتويه الكتاب .

في الدرس التاسع من الصفحة الثامنة والخمسين الى الصفحة الثالثة والستين

حدث عن رحلة قام بها الى حلب . هؤلاء الأربعة ومعهم السيد كرم زاروا  
خلالها الآثار وامتضوا يوما متعبا في حلب .

وفوالدرس العاشر تأتي قصة يقصها احد هؤلاء على زملائه . وهي قصة

حدثت في اسكتلندا :

مزارع له حقل وأراد أن يستصلح منطقة من هذا الحقل وهي منطقة ومرة فلما بدأ في ذلك خرج عليه من تحت هذه الأرض رجل غريب يسكن تحت الأرض وهو بلحية سوداء وعينان مخيفتان وقال : ابتعد عن أرضي لقد حطمت منزلي، ولكنهما اتفقا أخيراً على زراعة المنطقة المستصلحة والواقعة فوق بيت هذا الرجل الغريب بشرط أن يكون المحصول الناتج من الزراعة فوق الأرض لا حدهما فوالسنة الأولى والجذور للآخر وفي السنة الثانية بالعكس وهكذا .

وفي الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائتاتى قصة أخرى من القصص التي يقصها هؤلاء الفتيان على بعضهم وهي قصة حدثت في النرويج طغصها كالاتى :

"اقطاعى غنى ولكنه بخيل له دين على فلاح والفلاح لديه بنت جميلة فأراد الاقطاعى أن يتزوج البنت مقابل الدين الذى للاقطاعى على الفلاح ولكن البنت رفضت ذلك وعزمت ووالدها على السخرية بالاقطاعى . وفي ليلة الزفاف أرسل الاقطاعى خادمه الى الفلاح ليرسل معه ما اتفقا عليه وهي "البنت" فقال الفلاح للغلام اذهب الى الحقل وخذها الى سيدك فلما قابل الفتاة قالت له تلك المهره خذها فذهب بها الى بيت سيده ودون أن يراها امره بادخالها في غرفة خاصة وأن يلبسوها أحسن الثياب وحضر الضيوف وشاهدوا الحروس".

كانت هذه نماذج مما يدرسه الطلاب في مقررات اللغة الانجليزية لقد تخرج عدة اجيال على دراسة مثل هذه النماذج ، حديث عن السحر والشعوذة وعن اختلاط الرجال بالنساء والمراهقين بالمراهقات وعن حفلات الرقص المختلط المصحوب بشرب الخمر كأم طبعى لاشبهة فيه . هذا في الوقت الذى يدرس فيه الطلاب ما يناقض ذلك في مقررات العلوم الدينية ويعيشون واقعاً ليست فيهم هذه الرذائل امورا طبيعية وانما هي امور مقوتة مقوت من يفعلها .

يدرس الطلاب في كتاب التوحيد حق الله على العبيد المقرر على المرحلة المتوسطة لمؤلفه الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . حرمة السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم واحكام من يتعاطى هذه الامور ويفعلها في ابواب سبعة هي

الابواب الاتية : باب ماجاء في السحر ، باب بيان شيء من انواع السحر  
باب ماجاء في الكهان ونحوهم ، باب ماجاء في النشرة ، باب ماجاء في  
التطير ، باب ماجاء في التنجيم ، باب ماجاء في الاستسقاء ، باب لانواء .

كما يدرس الطلاب في المرحلة الابتدائية ما يدل على تحريم الاختلاط بين  
الرجال والنساء ووجوب تستر المرأة عن الرجل الاجنبي فمن ذلك حديث  
" مروا اولادكم بالصلاة وهم ابنا سبع واضربوهم عليها وهم ابنا عشر وفرقوا  
بينهم في المضاجع " (١) .

الذي يدل على وجوب التفريق بين الاخوة في المضاجع عند بلوغهم سن  
العاشر ذلك في حال النوم بالنسبة للاخوة . فكيف بالاختلاط في حال  
اليقظة بين الرجال والنساء الاجانب وغيره من الاحاديث هذا بالاضافة الى  
انهم ولله الحمد يدرسون منفصلين فهناك مدارس للبنين وهناك مدارس للبنات .  
كما انهم يدرسون في المقررات الدراسية للعلوم الدينية في الفقه والحديث  
حكم شرب الخمر وحد شاربه ويعلم الطلاب ان من يثبت عليه شرب الخمر باقراره  
او الشهاد قعليه في المحاكم يقيم عليه الحد .

فكيف يوفق الطلاب بين ما يوجد في مقررات اللغة الانجليزية ومقررات العلوم  
الدينية ؟

على انه قد غيرت مقررات اللغة الانجليزية في السنتين الاولى المتوسطة والاولى  
الثانوية وهو افضل حالا من سابقتها (٢) .

( ١ ) مضع تخريجه عند الحديث عن الاختلاط في التعليم .

( ٢ ) ستتغير بقية مقررات اللغة الانجليزية فسوف يغير عام ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ مقرر

الصف الثاني المتوسط والثاني الثانوي وعام ١٤٠٣ / ١٤٠٤ مقرر الصف

الثالث المتوسط والثالث الثانوي .

بيد ان مؤلفي الكتابين غير مسلمين وكان المفترض ان يؤلف هذه الكتب جماعة من المسلمين ولا تعد وزارة المعارف ان تجد المتخصصين في اللغة الانجليزية من المسلمين. وان تكون الموضوعات التي تدرس تتفق وتتسجم مع ما يدرسه الطلاب في مناهج العلوم الدينية وان تشتمل على موضوعات معينة مثل :

١ - الحديث عن شخصيات اسلامية مع التركيز على مواطن القدوة في سلوكهم  
٢ - معارك اسلامية مع التركيز على ان الجهاد باق الى يوم القيامة يقف عقبه في وجه انتشار الاسلام بالدعوة وانه ذروة سنام الاسلام.

٣ - دور المسلمين في رقي العلوم بكافة انواعها وان الغربيين قد استفادوا من المسلمين .

٤ - موضوعات عن تصرفات سلوكية ينبغي التحلي بها وتصرفات سلوكية ينبغي البعد عنها .

٥ - موضوعات عن البلاد الاسلامية من كافة النواحي مع بيان مدى دخلها في الاسلام .

٦ - موضوعات عن المملكة والنهضة التعليمية والزراعية والصناعية التي تعيشها .

٧ - موضوعات تنمي في الطالب الولاء لله ولرسوله ولاخوانه المسلمين في كافة

انحاء المعمورة وهذا ما تنص عليه آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول

صلى الله عليه وسلم وقد تبنته السياسة التعليمية للمملكة في اكثر بنودها .

وغيرها من الموضوعات وكل ذلك يكون عن طريق القصة والحوار والمسرحية

لألا أسلوب المباشر وهذا نحقق الهدف الذي نصبو اليه وتبنته السياسة التعليمية

في المملكة من اعداد الطالب كإنسان صالح - والإنسان الصالح هو المسلم المطبق

بدينه - دون اخلال بالمتعة الفنية في عرض الموضوعات .

آثار العلمانية في التربية والتعليم

كان لعلنة التعليم التي بدأ بها المستعصرون ثم اكمل المسيرة بعدهم تلاميذهم كان لها آثار سيئة على المجتمع الاسلامي ، وعلى مناهج الدراسة ، وبالنسبة الى الدارسين على النمط الغربي . ولا ادعى ذلك جزافا ، فأقوال المستشرقين والمفكرين المسلمين الذين سيروا غور التعليم العلماني وعاشوه توضح ذلك .

فالمستشرق " جب " يقول :

" .. واذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح الذي نسير به غور التأثير الذي أحدثته الثقافة الغربية في العالم الاسلامي يجب أن ننفذ الى الباب الامور وأن ننفذ أولاً الى الحركات التي تقوم على تشرب الافكار الغربية تشرباً يبعث على الابتكار ، بعد استعداد داخلي قوى وكل ما عدا هذا فهو سطحى .

ومهما شق الامر ، فلا بد أن نهذل الجهد في أن نتبين تلك العناصر التي تكون حقاً صرح ثقافة جديدة من مجموعة العناصر المنقولة ، التي تراكمت في العالم الاسلامي ، والتي كثيرا ما تكون قشورا زائفة .

والتعليم هو اكبر العوامل التي تعمل على " الاستقراب " والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة تعليم كل ما تدل عليه ، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستقراب في العالم الاسلامي الا بمقدار دراسته للفكر الغربي ، وللمبادئ الغربية والنظم الغربية ولكن هذا التعليم ذو انواع كثيرة وتقوم به جهات متعددة ، وبالطبع لا بد أن هناك بالفعل قليلا من التعليم على الأسلوب الاوربي ، في المدرسة وهي الكلية الفنية وفي الجامعة وعلى هذا التعليم يتوقف ما عداه .. " (١)

ثم يقول : " رأينا مراحل دخول هذا التعليم في بلاد الاسلام المختلفة ورأينا الاثر الذي احدثه في عقول الزعماء العلمانيين وقليل من الزعماء الدينيين في العالم الاسلامي ، ولكن اذا سلمنا بما يقال عادة من أن ٩٥ في المائة من المسلمين أميون ( وان كان هذا التقدير بخس بالنظر الى الجيل الناشئ ، والى سرعة نشر التعليم الاوروى في كل البلاد الاسلامية ، وتنبؤنا أحدث الأرقام أن أكثر من خمسمائة الف طفل يتعلمون في المدارس الأولية في مصر ) وان لم يكن بد من التسليم ايضا بأن نصف المتعلمين على الأقل تلقوا العلم على الأسلوب القديم وحده فإن الثلثة الباقية من المتعلمين على النسق الاوروى قليلة جداً حتى أنها لا تكفى - رغم مكانتها الفائقة في تحليل النزوع الى الروح الغربية نزوعاً عاماً نكاد نشاهده في كل اصقاع العالم الاسلامي ، ثم ان انتشار التعليم سيبحث بازدياد في الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستقرار وتعميقه ولا سيما لاقتراحه بالعوامل التعليمية الأخرى التي تدفع الى شعوب الاسلامية في نفس الطريق . . . . " (١)

ويختم المستشرق " جب " حديثه بقوله :

" . . . كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية أنها حررت ، بقدر ما كان لها من تأثير نزع الشعوب الاسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالباً . وهذا وحده تقريباً جوهر كل نزع غربية فعالة في العالم الاسلامي وهو يوثقنا المقياس الذي نقيس به قوة الرأي الحديث والرأي المحافظ أحدهما بالنسبة للآخر . ان الاسلام من حيث هو دين قديم قليل من القوى ، واما من حيث المظهر على الساحة الدولية فإنه عرض للنزول عن عرشه ، ذلك أنه الى جانب قوى جديدة يصدر عنها سلطان يناقض تقاليد الاسلام وأوامره الاجتماعية ، بعض الأحياء ولكنه رغم هذا - يشق طريقه بالقوة غير هال بتلك الأوامر ولكي نصف الموقف في أبسط العبارات نقول ان ما حصل هو هذا : الى عهد قريب لم يكن للرجل العادي بسين الرعايا المسلمين مآرب أو أعمال سياسية ولم يكن له أدب قريب الضال الا الأدب



الدينى ، ولم تكن له أعياد ولا حياة اجتماعية الا مقترنة بالدين ، فكان الدين عنده كل شىء ، اما الآن فقد اتسع مدى مصالحه فى كل البلاد الراقية ولم يعد نشاطه مقيداً بالدين ، وضعت المسائل السياسية تحت نظره وقرأ أو قرئ له عدد من المقالات فى موضوعات متنوعة لا علاقة لها بالدين وربما لا تتعرض لوجهة النظر الدينية مطلقاً ، كما أن الحكم عليها قد يكون مقيداً بمبدأ مختلف عن مبادئ الدين ، كل لا اختلاف ، هو يجد أن الرجوع الى المحاكم الشرعية لا يغنيه شيئاً فى كثير من مصاعب حياته شيئاً فى كثير من مصاعب حياته ومشاكلها بل يجد نفسه خاضعاً لقانون مدنى قد لا يعلم له مصداً صحيحاً يستمد سلطانه منه ، ولكن لا شك أن هذا القانون لا يستمد سلطانه من القرآن ولا من السنة ولم يعد الدين هو الرابطة الاجتماعية الوحيدة أو على الأقل الكبرى بينه وبين اخواته ، وإن أن مهام أخرى لا تمت الى الدين بصلة ترغمه على الالتفات اليها وهكذا ترى سلطان الاسلام قد انقصت عراصة عن حياته الاجتماعية وهذا السلطان ينحسر شيئاً فشيئاً حتى يقتصر على دائرة صغيرة من الأعمال حدث كثير من هذا فى غفلة من الناس ولم يفتن اليه ادراك الا عدد قليل من المتعلمين ولم يعتمد الى تحقيقه الا عدد اقل من ذلك ولكن التيار سار جارفاً لا يلوى على شىء ، وحيثما رسخت قدمه لم يعد رد ممكن ويظهر من المستحيل الآن ولا سيما اذا راعينا ازدياد المطالبة بالتعليم والا زدياد فى اتخاذ الأنظمة العربية ان تنعكس الآية وان يعود الاسلام الى استئنائه بالسلطة الاجتماعية والسياسية استئنائه لا يناع فيه . . " (١)

استمر تأثير الواقع التعليمى - المتمثل فى التعليم العلمانى - الذى تحدث عنه "جب" حتى الآن ، فالنظريات والأفكار فى مجال التربية والتعليم والاجتماع وعلم النفس تدرس فى جامعات العالم الاسلامى من وجهة النظر الغربية الصرفة للأسف . ويتمصب لها معلموها كما لو أنها من بنات أفكارهم وهذه هى التبعية الفكرية بمعناها . وقد ناقشت بعض أفكار وآراء المختصين بالتربية من أبناء المسلمين فيما مضى من البحث ، وليت هؤلاء حين يدرسون

هذه الأفكار والنظريات يدرسونها كأفكار ونظريات قابلة للنقاش لهن الأمر .

ويقول المستشرق ولفرد كانتول سميت في سياق حديثه عن حركة التحرر  
الاباحية التي سادت العالم الاسلامي ما يلي :

" . . أن من أهم أسباب حركة الحرية الاباحية التي تشود اليوم في  
العالم الاسلامي ومن اكبر عواطفها نفوذ الغرب ، فقد بلغت هذه الحركة  
أوجها في أوروبا من أواخر القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ،  
وهكذا شأن نهضة أوروبا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم الى  
الغرب ، والملمعوا على روح أوروبا وقيمها واعجبوا بها الى حد ، وينصبق هذا  
بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع  
الايام وهم الذين سببوا اتسيران كثير من أفكار الغرب وقيمته الى العالم الاسلامي  
وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية  
جيل يأكله على النمط الغربي الحديث ، وكان مما صدره الغرب الى العالم  
الاسلامي تلك الافكار المتعددة الجديدة التي تقع من الأهمية والدقة بمكان ،  
والاتجاهات العقلية الدقيقة الغجة والميول الحديثة التي كان في نشرها  
أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب  
الحقوقية والسياسية والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ومنها ما يسلط  
اجباراً ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار  
رحب به البعض الآخر ، ان بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً ،  
بعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، واثمج ذلك ان كثيراً من  
المسلمين اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة وخضعوا لها بالتدريج ،  
وهكذا استمر عمل التقريب بسرعة وقوة بالفتين " (١)

ولا يحتاج هذا النص الى تعليق أو اضافة فهو واضح المعنى يتأيد  
بما قاله الأستاذ محمد أسد محذراً من التقليد الاعمي لنظام التعليم الغربي

( ١ ) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٤ .

" واذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمى فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربى من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمى ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذى سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربى فى قوى الاسلام الدينيمة الكامنة ، اذا أردنا ان نحتفظ بحقيقة الاسلام على انها عنصر ثقافى ، فيجب علينا ان نحترس من الجوف الفكرى الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ~~و~~ تقليد عادات الغرب وزيمه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجيا مضطرين الى الأخذ بوجهة النظر الغربية .

ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئا فشيئا الى تقبل الميل العقلى  
المصاحب لذلك " (١)

هذه بعض آثار العلمانية فى التربية والتعليم على مستوى العالم الاسلامى كله ، وحيث أنه قد تختلف احوال البلدان الاسلامية عن البعض الآخر ، فإننى أذكر هنا بعض آثار التعليم العلمانى على بعض البلاد الاسلامية كل على حدة مستشهدا بأقوال المؤرخين لهذه الفترة وخاصة الغربيين - الذين يظهرهم غيظتهم احيانا بهذه الآثار -

يقول صاحب كتاب الدين فى الشرق الأوسط عن طمته التعليم فى تركيا -  
مقر الخلافة العثمانية - وعن أثره ما يلى :

" . . . ان عطية عطية التعليم التى بدأت فى القرن التاسع عشر وصلت الى نتيجة منطقية . فلقد أزيلت كل آثار التعاليم التقليدية وأغلقت المدارس القديمة فلم يعد هناك مكان لتدريس التشريع الاسلامى ومنذ هذه اللحظة فصاعداً لم يعد هناك سوى نظام واحد فقط للتعليم الأورو - أمريكى الحديث .

( ١ ) نفس المصدر : ٢٧ ، ٢٨ .

لقد تأكد انتصار النظام الجديد وانتصار العلمنة بشكل دراماتيكي في عام ١٩٢٨ بالتحول عن الحرف العربي الى الحرف اللاتيني . ولقد كانت هذه خطوة أساسية أكثر مما هو ملاحظ عموماً . وقد أنهت هذه الخطوة وكأنها مجرد تكتيك للتحديث وربطت بحزمة معرفية شاملة - وهو هدف جديد جداً بالثنا . ولكن الكثير غير هذا كان مستلزماً .

لقد اعتمدت الأوجه الدينية للثقافة العثمانية ليس فقط على مجرد الكتب باللغة العثمانية التركية المكتوبة بالخط العربي ولكن أيضاً على كتب عربية .

إن الأساس في الكل وهو القرآن ، كان يدرس ويقرأ باللغة العربية . وحيث أن اللغة العثمانية التركية كانت تحتوى على نسبة كبيرة من المفردات العربية وخصوصاً تلك المتعلقة بالدين والتشريع فإنه كان من السهل لمن يستطيع قراءة اللغة العثمانية التركية أن يتعلم ويقرأ اللغة العربية .

ولقد بدّل تبنى الخط اللاتيني جنباً الى جنب مع تبديل المفردات العربية بأخرى تركية بحته ، لقد بدّل ذلك كل هذا . ومن ثم أصبح القليلون فقط من المفكرين المتخصصين أو بعض الذين كرسوا أنفسهم هم فقط الذين يرغبون في تعلم العربية . أما المثقف العادى فبالإضافة الى أنه لا يتلقى أى تعليم دينى فقد قطعت امكانية تعلمه مباشرة (بواسطة القراءة ) أى شىء من التراث الدينى الاسلامى والثقافى . لقد كانت العلمنة مهيمنة (١)

وفى اندونيسيا يحدثنا أحد أبناءها فيقول :

" . . . إن خريجي التربية الاسلامية التقليدية من النمط القديم أقوياء في ايمانهم في المقام الأول ولديهم الاستعداد للتضحية من أجل الاسلام ، غير أنهم انحراليون من ناسرهم .

(١) الدين في الشرق الأوسط : ٦١٩ ، ٦٢٠ .

غير أن خريجي التربية الحديثة قد يكونوا مثقفين ثقافة عالية ويتمتعون  
بآفاق فكرية واسعة ولكنهم أقل تمسكا بعقيدتهم الدينية ويميلون للتفويض عن  
عقائدهم الإسلامية بالاتجاهات غير الإسلامية السائدة عن محيطهم " (١)

والمقصود بخريجي التربية الحديثة الذين تعلموا على النمط العلماني  
لا على النمط الإسلامي .

ويحدثنا ك.ك. برج الأستاذ بجامعة ليدن بهولندا عن أثر التعليم  
العلماني في اندونيسيا فيقول :

" . . . إن التعليم الأوروبي يعمل على قلب وجهة نظر الناس قلبا لا  
يقف عند حد ، وقوة الضربة التي تعانيتها الثقافة الأهلية كل يوم إنما يحس  
بها تمام الاحساس الاندونوسي الذين هم اكبر سنا ، أما الجيل الجديد فقد  
شب بين أحضان النظام الجديد ، ولم يظهره المعلم الأوروبي على شيء من  
الثقافة الأهلية ، حتى أن هذا الجيل لا يحس بما بين الثقافتين من فرق  
إحساسا قويا . . . " (٢)

ثم يقول في بيان اثر التعليم العلماني على الشباب المتعلم ما يلي :

" لكثير من صغار الشباب المثقفين مسلك إزاء الإسلام يختلف عن مسلك  
الجيل السابق أتم الاختلاف ، فقد أصبحوا بتأثير التعليم العلماني لا يعجبون  
بالدين في الجملة وإذا احتكوا بالإسلام فكيرا ما يميلون لقبول سلطان العلم ،  
والعلم بما في طبيعته من روح النقد ومن عدم اختصاصه بجماعة ما اظهره  
الاندونوسي على نقائص الإسلام وكثرة خداعه الديني - ومن ثم كان تمسكهم

---

( ١ ) تقارير وحوث مؤتمر التعليم العالي الإسلامي الأول : ٤/٨ ، ٥ ، من  
بحث مقدم عن اندونيسيا .

( ٢ ) وجهة الإسلام : ١٨٩ ، ١٩٠ ، وأما ما ادعاه المستشرق  
ك.ك. برج من نقائص الإسلام وخداعه الديني فهو كلام يبنى " عن الحقد  
والغيب " في نفس هذا المستشرق ولن نجد ما يستطيع ان يمدّه نقيصة  
او خداعا فيما شرعه الله سبحانه وتعالى .

ببعض التقاليد الاسلامية لا يعد وكثيرا مجرد عادات باقية ، (١)

وفى ماليزيا يعترف بروفيسور/ عبد الجليل حسن رئيس قسم الفلسفة والعقيدة الاسلامية بالكلية الاسلامية ، بأن الحكومة فى ماليزيا لا تعترف بأهمية التعليم الاسلامى فى البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامى ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحقة ، ولأن الروح الاسلامى أمر خاص بالأفراد . ثم يقول : " وهذا هو سر ما وصلت اليه فى الوقت الحاضر ، فإننا لا بد من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الغرض الهام<sup>(٢)</sup> " ولا ريب أن عدم الاعتراف بالتعليم الاسلامى فى البلاد أثر من آثار العلمنة كذلك عدم الاعتراف بالقضاة الاسلامى أثر من آثار العلمنة .

وفى الهند اعترف الزعيم الهندى محمد طو بأثر التعليم العلمانى فى اهمال التعليم الاسلامى - كما اعترف بذلك بروفيسور عبد الجليل فى ماليزيا - ان قال :

" ولقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الدينى الكامل ، فقد اقصدت دراسة مادة الدين حتى دراسة الاخلاق تماما من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عطيا فى ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية الا ما يطلقه الطلاب بأنفسهم من الكتب الانجليزية أو الكتب الدراسية المولفة بلغات الشرق .

كما أن نظرية التعليم التى وصفتها الحكومة للشباب الهندى ، كانت " هديته " وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة الى أن يتربى فى الطالب شعور خاطئ " بعلمه وكبرائه ، يقضى على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التى يرجع تاريخها الى ما قبل قرون ، وما لا شك فيه أن هذا التعليم سبب اثاره دافع التحقيق والبحث عن الحقيقة مع سايرته

(١) نفس المرجع السابق : ١٩٢

(٢) تقارير وحوث مؤتمر التعليم العالمى الاسلامى الاول : ٣/٨ من بحث

للزمان ، غير أنه كان هداما في حملته على الديانة والأخلاق ، أما ما أعطاه بدلا مما قضى عليه من " الأوهام الدينية " ( كما يقول الغربيون ) - فلا يقوم أيضا الا على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن هذه الثقافة السطحية يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك " . (١)

ويتحدث الأستاذ محمد أسد عن أثر مناهج التعليم ومقرراته على النمط الغربي العلماني - على الناشئة المسلمة التي تعلم على هذا المنهج فيقول :-  
 " . . . لقد بسطنا في الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيدة للرأي القائل بأن الاسلام والمدنية الغربية - وهما يقومان على فكرتين في الحياة متناقضتين تماما - لا يمكن أن يتفقا ، فإذا كان ذلك فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ، تلك التنشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوروبية وعلى مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادي للاسلام .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، وإنما إذا استثنينا بعض الأحوال النادرة التي يتاح فيها للعقل نير للغاية ان يتغلب على مادة التعليم ، فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ، ستفضي حتما الى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم ممثلوا الحضارة الالهية الخالصة التي جاء بها الاسلام ، وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الانحلال بسرعة بين " المتنورين " الذين نشأوا على أسس غربية . " (٢)

ويتحدث أسد عن تأثير تدريس الأدب الأوروبي في الجامعات الاسلامية فيقول :

" . . . ان تعليم الادب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا في عيون الناشئة

( ١ ) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٢ ، ٣٣

( ٢ ) ، الاسلام على مفترق الطرق : ٦٧ ، ٦٨ .

المسلمة ، ومثل هذا - ولكن الى حد أبعد - يصدق على التعليل الأوروسى للتاريخ العام ، إذ لا يزال الموقف القديم فيه : " رومانىون هرابرة " يظهر بجلاء ، ثم أن لمثل هذا العرض فى التاريخ هدفاً خفياً ذلك أنه يدل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شىء جاء ، أو يمكن أن يجرى الى هذا العالم ، وهكذا يمكن خلق نوع من التحرير الأدبى لسمى الأوربيين الى السيطرة والى القوة المادية " (١)

ثم يتحدث عن تأثير تدريس مادة التاريخ على النقط الغربى فيقول :  
 " أما التأثير الوحيد الذى يمكن ان يتركه مثل هذا التثقيف التاريخى فى عقول الاحداث من غير الشعوب الأوروسية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة ، وماضيهم التاريخى الخاص ، والفرص السائحة لهم فى المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم اللهم الا اذا كان مستقبلاً مستملاً للمثل العليا الغربية " (٢)

---

(١) نفس المصدر : ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) نفس المصدر : ٧٦ .



# الاشائنة

وتتضمن مايلي :

- ١- هل يوجد لدى دعاة العمانية أى مبرر لدعوتهم ؟
- ٢- حكم الدعوة الى العمانية في العالم الاسلامي ؟
- ٣- كيف السبيل للتخلص من العمانية وآثارها ؟

### الخاتمة :

تحدثت في الفصول الماضية عن عوامل العلمانية في العالم الغربي ، وفي العالم الاسلامي ، ووضحت انها نشأت في العالم الغربي نتيجة لعوامل أدت الى ظهورها ، وأنها من بعد ذلك انتقلت الى العالم الاسلامي نتيجة لوجود عوامل معينة ساعدت على تقبلها بل وعلى أن يعتنقها كفكرة وفقيده نقر من أبناء المسلمين يكافحون عنها ويدعون اليها صراحة أو تحت شعارات كالقوميسية والوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، أو أي شعارات أخرى من الشعارات المطروحة على الساحة الفكرية .

وفي هذه الخاتمة لابد لي أن أجيب على تساؤلات معينة تتعلق فني

الاتي :-

- ١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم الاسلامي أي مبرر منطقي مقبول للدعوة الى العلمانية ؟ وإذا كان يوجد فما هي هذه المبررات ؟
- ٢- إذا لم يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم أي مبرر ؟ فما حكم الدعوة اليها في بلاد الاسلام ؟
- ٣- وإذا كان الحكم ان الدعوة الى العلمانية مخالف لمنهج الله فكيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية مبررات مقبولة ؟

=====

تبين لنا مع سبق عوامل نشوء العلمانية في الغرب ، وعوامل انتقالها  
الى العالم الاسلامي ، وعرفنا نماذج من أثر العلمانية في المجال التربوي  
والتعليمي في العالم الاسلامي .

وقد كانت هذه العوامل في العالم الغربي من نوع التفسير لما حصل  
في الواقع الاوروبي ، ولم تكن من نوع التبرير ، فإنه لا مبرر للخروج على الديين  
الى الـ "لادين" ، فقد كان يوسع مفكرى اوروبا البحث عن الدين الصحيح ،  
اذ أنه ليس حتماً على اى مجتمع ابطالى بدين محرف قام على تحريفه من محسبون  
حماته - أن يخرج عنه ليصبح مجتمعاً لادينية بل الافتراض الصحيح هو ان يبحث  
عن الدين الصحيح بيد ان ما حصل هو خروج مفكرى اوروبا عن الدين المحسوف  
الى اللادين ، كرد فعل عاطفي ضد رجال هذا الدين المحرف ، وبسبب  
انتقلت اوروبا بسبب هؤلاء المفكرين من جاهلية وانحراف يتسح بسوح الديين  
الى جاهلية ترتدى سوح التحرر من الدين ، ولو ان مفكرى اوروبا فكروا بما وهبهم  
الله من عقول في البحث عن الدين الصحيح لاهتدوا اليه ، ولدخل الناس بسببهم  
في دين الله افواجا .

واذا سلمنا جدلاً بأن ما حدث في اوروبا يبرر نشوء اللادينية في تلك  
البلاد ، فما التبرير الذى يتعلق به دعاة العلمانية من ابناء المسلمين ، مفكرين عا  
وتربويين خاصة ، حين يرفعون عقيلتهم بالدعوة الى العلمانية بوضوح ، او تحت  
شعارات ، كالوطنية والقومية والديمقراطية ، والاشتراكية .

هل يوجد في الاسلام عقيدة مستقله على الافهام ، كمعقيدة التلث  
هل وجد في تاريخ الاسلام امثال بولس وقسطنطين وهل وجدت مجامع تمسارس  
التحريف في المعقيدة كما وجد عند النصارى ؟ هل تعرض القرآن الكريم

للتحريف كما تعرض الانجيل لذلك حتى اصبح عدة اناجيل ؟ وهل تعرضت  
الشريعة الاسلامية للتحريف كما تعرضت الشريعة التي ارسل بها عيسى عليه السلام ؟  
هل ابتداع علماء المسلمين بدعا من امثال ما ابتدعه رجال الكنيسة ؟ من بدعة  
رجال الدين التي بدعه الرهبنة ، التي بدعة الخطيئة الموروثة ، التي بدعة  
صكوك الفقران ؟ وهل يوجد في القرآن ما يوحى بذلك ، فضلا عن ان يقسم  
ذلك ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي طفيان العلماء الذين كما حصل فسي  
الغرب حيث طفئ رجال الكنيسة على الناس الطفيان الذي ذكرت بعضا من  
صوره ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي مهازل صكوك الفقران ؟ وهل يوجد  
في العقيدة الاسلامية ما يسمي بالخطيئة الموروثة ؟

وابداً : بالاجابة على هذه الاسئلة مرتبة مستنداً الى القرآن والسنة

ووقائع التاريخ ؟

لقد ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارسل غيره من الانبياء

بعقيدة التوحيد قال تعالى :

" ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . النحل ٣٦

وهي عقيدة موافقة للعقل ومقتضى مع الفطرة ، بل هي الفطرة بذاتها

التي يحد ماعداها ضلالا وانحرافا .

" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " الروم : ٣٠ .

هذه العقيدة الفطرية السهلة غير المستغلة على الافهام - التوحيد -

تشرحها سورة الاخلاص التي نزلت جوابا لسؤال اليهود او مشركي مكة : يا محمد

هذا الله خلق الناس فمن خلقه ؟ ( ١ )

( ١ ) جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن ٣٠ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

وقد تنوعت اساليب القرآن في نفي الشرك ومنه - التثليث -

قال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهسب

كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " المؤمنون : ٦١ .

وقال تعالى : " أم اتخذوا الهه من الارض هم ينشرون لو كان فيهم مسا

آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون " سورة الانبياء : ٢٢ ، ٢١ .

ونعى الله سبحانه وتعالى على النصارى عقيدة التثليث التي اخترعها

رجال الكنيسة .

قال تعالى : " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا طسسى

الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم ،

وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد

سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً " آل عمران : ٧٠ .

وهكذا لم يتضمن القرآن انكار الشرك عموماً بل افرد الحديث عن قضية

التثليث في عدة مواضع من سورة القرآن ( ٢ )

ولم يوجد في تاريخ الاسلام امثال بولس ولا امثال قسطنطين يحرفون

العقيدة الاسلامية الصافية - التوحيد - ولم توجد في تاريخ الاسلام ايضاً

مجامع تمارس مثل هذا التحريف الذي حدث في النصرانية .

اما القرآن فلم يتعرض للتحريف كما حصل ذلك للإنجيل والتوراة وذلك لان

الله تكفل بحفظه قال تعالى :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر : ٩

أما الانجيل والتوراة فقد وكل الله حفظها الى علماء دينها \* (١) غير  
انهم فرطوا في ذلك ، بل انهم حرفوا التوراة والانجيل بالزيادة والنقصان والكتمان  
ودليلي على عدم تحريف القرآن مايلي :

(١) لو اخذ انسان نسخة مطبوعة من القرآن من اقصى المغرب الاسلامي واخرى  
من اقصى المشرق وثالثة من اواسط افريقيا ، ورابعة من اوروبا وامريكا  
وقارن بينها فانه لن يجد اى اختلاف بينها ، ولو قارن بين اجسدي  
هذه النسخ المطبوعة ونسخة مخطوطة من القرآن في اى مكتبة في العالم  
فسيجد انها متطابقة تماما وليس بينها اى اختلاف . (٢)

(٢) اخبر البيهقي عن يحيى ابن اكرم خير اليهودي الذي حكى للمأمون  
قصة إسلامه التي تلخص في انه : اراد ان يمتحن الاديان ، فعمد  
الى كل من التوراة والانجيل والقرآن ، وكتب من كل ثلاث نسخ زاد فيها  
ونقص ، ثم ادخل الانجيل الى الكنسية ، والتوراة الى البيهقي ،  
والقرآن الى الوراقين ، فاشتريت التوراة والانجيل منه ولم يشتر  
الوراقون القرآن بل اكتشفوا الزيادة والنقصان قال : فعملت ان هذا  
كتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي . (٣)

بل ان السنة النبوية حفظت من عبث العابثين فقد قبض الله لها رجسالا  
يحفظون آلافا من الاسانيد والاحاديث عن ظهور قلب حتى ان احدهم لو شك  
في كلمة او حرف لم يكتشف ذلك في روايته اذ الامانة وتبرئه للذمة ، ولم يكتشف  
المعلم بذلك بل استتبطوا علما يسمى " علم مصطلح الحديث " الذي يتضمن

(١) انظر سورة المائدة : ٤٤

(٢) وما يؤيد ذلك ان الجهات المعارضة للاسلام تخرج بين الفينة والفينة  
طباعات من القرآن فيها تحريف ، او قد يحصل خطأ طباعي ولكن  
سرعات ما يكتشف ذلك .

(٣) الخصائص الكبرى ١٢٨/٣ .

اصولاً وقواعد يمكن من طريقها كشف المزيف من الاحاديث المنسوبة الى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا استطاع علماء الامم كشف كل ما كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وكشال على ذلك فقد اخرج ابن عساكر عن الرشيد انه جى اليه يزيد بن فامر بقطه فقال يا امير المؤمنين : اين انت عن اربعة آلاف حديث وضعتها فيكم احرم فيها الحلال ، واحل فيها الحرام ، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفاً ؟

فقال له الرشيد : اين أنت يا زنديق عن عبد الله بن المبارك ، وابى اسحاق الغزالي ينتحلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً ؟ (١)

فالرشيد قد اوضح لهذا الزنديق ان لدى المسلمين امثال ابن المبارك وابن اسحاق الغزالي اللذان يعلمان الصحيح من المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما بالنسبة للشريعة الاسلامية فلم تتعرض للتحريف فقد حفظها الله - بحفظ القرآن والسنة - من عبث العابثين وتحريف الضالين - ان على الرغم من كثرة الفرق الهدامة الباطلة التي اخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ففسد عجزت جميعا عن تحريف الشريعة وبقيت الشريعة الاسلامية شامخة كالطهور ضد جميع المحاولات واستمرت الى هذه الساعة وستستمر الى ان يرث الله الارض ومن عليها غصه طريه .

لقد وقع في حياة الامة الاسلامية انحرافات كثيرة سبق ان اوضحت شيئاً منها - ولكنها كانت انحرافات شخصية عليه اهلها الا هو - ولم تتخذ طابعاً التشريع العام للمجتمع المسلم . ان الشريعة ظلت سليمة محفوظة وبقيت منهجاً

ترتقى اليه الامة في فترات التجديد واليقظة ، وبقي الانحراف في حسن المسلمين  
انحرافا وان طال عليه الزمن ،

ولم تعر على الاسلام الظروف التاريخية السيئة <sup>التي مرت</sup> على النصرانية وحالست  
دون تطبيقها . ( ١ ) فلم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى الا  
وقد قامت للاسلام دولة يقوم كل امر من امورها على هدى الله ، واستتوت تعمسو  
وتتسع حتى شطت بحكمها ثلثي المعمورة في ذلك الحين في مدى زمني يقسدر  
بأقل من نصف قرن .

اما البدع فلم يحصل في تاريخ الاسلام ان ابتدع علماء الدين بدعا  
من مثل الرهبنة وغيرها ولا يوجد في نصوص القرآن والسنة ما يوحى بذلك فضلا  
عن ان يقررها .

فالعلماء المسلمون لم يبتدعوا الرهبانية وكيف يكون ذلك وهم يقرأون نصي  
الله وتوبيخه للنصارى الذين ابتدعوها من عند انفسهم زعما منهم انهم بذلك  
يتقربون بها الى الله قال تعالى :

” ... وجعلنا في قلوب الدين اتبعوه رافة ورحمة ، رهبانية ابتدعوها  
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فاعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا  
منهم اجرهم وكبر منهم فاسقون . . . ” الحديد : ٢٧

ويقرأون نصي الرسول صلى الله عليه وسلم لمن اراد ان يترهب في عهد  
عن ذلك .

عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : رد رسول الله صلى الله

---

( ١ ) الظروف التاريخية هي عطيات الاضطهاد التي مارسها الوثنيون حتى عام  
٣٢٥م ضد النصارى ما كان سببا في اختفاء الانجيل الاصلى ، وعدم  
تمكن النصارى من تطبيق مبادئهم من شريعة بالاضافة الى تحريفات بولس  
في التشريع وقد سبق ذكر طرف منها .



عليه وسلم على عثمان بن مضمون التبتل ، ولو اذن له لا خصمنا \* اخرج البخاري  
وسلم \* (١) ورواه الدارمي بلفظ .

\* لما كان من امر عثمان بن مضمون الذي كان من ترك النساء بحث اليه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا عثمان اني لم اؤمر بالرهبانى ، ارجعت  
عن سنتي ؟ قال : لا يا رسول الله قال : ان من سنتي ان اصلى وانا ، واصوم  
واطعم ، وانكح واطلق ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، يا عثمان ان لا هلك عليك  
حقا ، ولنفسك عليك حقا \*

وعن انس : \* ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا ازواج  
النبي صلى الله عليه وسلم عن عطه في السر ؟ فقال بعضهم : لا تزوج النساء ،  
وقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا اناام على فراش ، فبلغ النبي صلى  
الله عليه وسلم ذلك فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ما بال اقوام كذا وكذا ؟ ولكني  
اصلى وانا ، واصوم وافطر ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني \*  
متفق عليه \* (٢)

واما ما حصل من انحراف عن هذا ما تحدث عنه في الانحراف الذاتى ،  
فقد بقى في حجه انحرافا وليس اصلا .

اما فيما يتعلق بالخطيئة الموروثة فان موقف الاسلام منها واضح وصريح .  
ان اصل هذه العقيدة عند النصارى ناشى عن اعتقادهم بأن آدم طيسه  
السلام لما اكل من شجرة المعرفة التي نهى عن الاكل منها عوقب بالطرد من  
الجنة وانزل الى الارض ، ولم يكف الله - تعالى عن ذلك - بهذه العقوبة

(١) انظر صحيح البخارى كتاب النكاح ، باب ما يكبره من التبتل والخصاء : ١٨٨/٦ ،  
١١٩ ، وصحيح مسلم كتاب النكاح : ١٠٢٠/٢ باختلاف يسير في  
الالفاظ .

(٢) صحيح البخارى كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح : ١١٦/٦ ،  
وصحيح مسلم كتاب النكاح : ١٠٢٠/٢ .

لآدم وإنما ظل البشر يشعرون بالذنب والخطيئة فمن المحتم على الانسان ان يقتل نفسه لينجها الخلاص من هذه الخطيئة التي تلاحقه منذ آدم .

أما في الاسلام فقد ذكرت قصة آدم في القرآن-المصدر الاول للاسلام -

مذيلة بذكر توبة آدم واستغفاره وبيان ان الله قد قبل التوبة وغفر الخطيئة .

قال تعالى : " . . . وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها

رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما

ماكانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين .

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم " البقرة ٣٥ - ٣٧ (١)

وهكذا يتبين ان الله قد تاب على آدم وهو لا يزال في الملاء الاعلى قبل

ان يهبط الى الأرض ، وان خطيئة آدم ليس لها الحجم المهل الذي تعطيهما

اياها الكنيسة المحرفة ان هي حادثه وقعت لآدم وهي من الامور التي تتعرض للبشر

حياتهم ، تمحوها التوبة والاتابه الى الله .

هذا . ومن ناحية ثانية فلو فرض بدلاً ان آدم عليه السلام لم يتب ممن

ذنبه فإنه وحده الموءخذ بذنبه ان لم يغفر الله له ولا ذنب للبشر في ذلك لا المسيح

ولا غيره .

وهذا يندرج تحت مبدأ العدل الالهي ، فالله لا يؤاخذ احداً بذنب

ارتكبه غيره مهما كانت الصلة بينهما ، فلا يجزى حسب هذا المبدأ ان يؤاخذ احداً

غير آدم بخطيئته وذنبه حتى ولو كان ابن الشيطان الى اغواء بارتكاب هذه الخطيئة

فضلاً عن ان يكون ابن الله - كما يقول رجال الكنيسة قاتلهم الله - او اى من بنى

آدم .

يوضح ذلك عدة آيات من القرآن الكريم التي تقر ان كل انسان يحاسب

---

(١) وانظر سورة الاعراف : ١٨ - ٢٥ وسورة طه ١١٦ - ١٢٣ .

على سعيه فقط ، وان اوزار كل انسان عليه وحده فقط .

قال تعالى : ( ولا تذروا وازرة وند اخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير " فاطر : ١٨ .

وقال تعالى : " وابراهيم الذي وفى . الا تذروا وازرة وز اخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يورى . ثم يجزاه الجزا الا وفى " النجم ٣٧ - ٤١ . ( ١ )

وقد سبق علماء المسلمين فلاسفة عصر الانوار فى نقد هذه العقيدة وكسبان من كتب فى ذلك الامام ابن القيم رحمه الله . ( ٢ )

اما مهزلة " صكوك الغفران " التى تعد صفحة سوادا فى تاريخ الحالم الغربى ، فليس باستطاعه احد من اعداء الاسلام الصريحين او المخفتين تحسنت شعار الدعوة الى العلمانية ان يزعم ان هذه المهزلة قد وقعت من علماء المسلمين كما وقعت فى التاريخ الاخرى من قبل رجال الكنيسة ، ذلك لان علماء المسلمين يعلمون من آيات القرآن الكريم ان الله هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين ، وان رسل الله جميعا اوضحوا هذه الحقيقة ايضا كما لا ليس فيه .

قال تعالى : " ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويحذب

من يشاء " والله غفور رحيم " ال عمران : ١٢٩ .

وقال تعالى : " وانى لغفران لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى "

طه : ٨٢ .

وقال تعالى : " نبي عبادى انى لا الغفور الرحيم . وان عذابى هسو

المذاب الاليم " الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

( ١ ) وانظر سورة الانعام : ١٦٤ ، سورة الاسراء : ١٥١ ، سورة الزمر : ٧ .  
( ٢ ) اغاثه اللها من مزايد الشيطان ٢٨٠ / ٢ .

فكيف بهم يزعمون لانفسهم مثل ذلك ، وعلى هذا فان هذه الممثلة لم يعرفها المسلمون حتى في احط عصورهم .

اما بدعة رجال الدين : " الاكليريس " التي جمعت لرجال الدين فسي الغرب سلطة على خلق الله نشأ عنها طغفانهم ، السياسى ، والاقتصادى والدينى ، والعلسى فانه لا وجود لها في تاريخ الاسلام فضلا عن ان يوجد ما يوحى بها في نصوص القرآن والسنة . انما الذى يوجد في نصوص القرآن والسنة الدعوى الى ان يوجد في المسلمين طائفة تعلم شرع الله سبحانه لتوجه الناس الى اتباع هذا الشرع .

قال تعالى : " وما كان المؤمنون لينتقوا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبة : ١٢٢ .

قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " من يرد الله به خيرا يفقه في الدين " اخرجه البخارى وسلم . ( ١ )

اما ان يكون لهم او يزعمون لانفسهم مازعه رجال الكنيسة لانفسهم من حقوق الخفران حيث يجلس المذنب على كرسى الاعتراف ليعترف بذنوبه ويلتس الخفران منه ، او ان يكون لهم الحق في اعفاء من يرون من بعض الاحكام وهو ما يسمى بحق الثلث فليس شيئا من ذلك لهم ، ولم يزعمه احد من علمائ المسلمين حتى في احلك عصور التاريخ الاسلامى ظلمة وجهلا .

---

( ١ ) البخارى في كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين : ٢٥ / ١ ، ٢٦ وسلم في كتاب الزكاة باب النهى عن السألية : ٧١٨ / ٢ .

ان كلمة رجال الدين لم تكن تعرف عند المسلمين حتى بداية عصر  
الاستعمار للبلاد الاسلامية ، فقد كان الناس يطلقون على علماء الشريعة الفقهاء  
او العلماء او المشايخ ، بل لا زال عوام المسلمين يطلقون هذه العبارات على  
العلماء . واما كلمة رجال الدين فلا يستعملها الا من تأثر بالثقافة الغربية  
من المثقفين المسلمين ، او من كان ساذجا لا يعلم ماذا يقصد باطلا من هذه  
الكلمة ، ان التصور الاساسي يرفض فكرة وجود اشخاص او مجالات دينية لا علاقة  
لها بالحياة او دينية لا علاقة لها بالدين .  
ان الامر كله لله . ما يتعلق <sup>بالدين وما يتعلق</sup> بالدنيا - فهو صاحب الامر كله في تصريف  
شئون الخلق ولا وجود لاحد يشاركه في ذلك .

قال تعالى : " ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام  
ثم استوى على العرش يفضي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم  
مسخرات بامره الا له الخلق والا مر تبارك الله رب العالمين " الاعراف ج ٤ .  
كما ان كل اعمال المسلم يجب ان تكون لله سبحانه وتعالى :

" قل ان صلاة ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له  
وبذلك امرت وانا اول المسلمين " الاقام ١٦٢ ، ١٦٣ .

لقد نشأ عن هذه البدعة ، سلطة كهنوتية لرجال الكنيسة تعثت فسي  
ادعاء رجال الكنيسة احقيتهم في تفسير الاناجيل ، وفي حق الفقران والحرمان  
والثقله ، ومارس رجال الكنيسة عن طريق هذه البدعة التي ابتدعوها لانفسهم

انواعا من الطغيان على جماهير البشر - ذكرت نماذج لها سابقا .  
فهل حرم الله من ذلك في تاريخ الاسلام ؟  
لا يوجد في نصوص القرآن ولا في نصوص السنة ما يعطى العلماء الديسين  
سلطة كهنوتية لا بالشكل الذي وجد في العالم الغربي ولا بغيره ، لان الاسلام  
يفترق عن النصرانية المحرفة بفارقين اساسيين هما .

الاول : ان الاسلام هو عقيدة التوحيد الخالص انزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتحرير العباد واخراجهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده دون سواه ، سواء في تلقى التشريع او فى الاتباع ، وجاءت النصوص القرآنية صريحة فى تحريم صرف اى نوع من انواع العبادة لغير الله ، سواء كان ملكا مفتريا او نبيا مرسلا او طاغوتا متألها ويكفى ان نقرأ الاية التالية - التى توضح ان من يدعو الناس الى عبادته باتباعهم له فيما يشرع لهم كما فعل رجال الكنيسة فهم كافر .

" ما كان لبشر ان يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اياكم بالكفر بعد ان انتم مسلمون " آل عمران : ٧٩ ، ٨٤ .

فهذه الاية توضح انه لا وجود لسلطة كهنوتيه فى الاسلام تشرع لخلق الله امرا او نهيا سواء فى الاعتقاد وفى التشريع كما حدث من رجال الكنيسة فى مراسيمهم البابويه ، او قراراتهم المسكونيه ، او منشوراتهم الكنيسيه .

وخير ما يوضح ذلك قوله تعالى : " يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون " آل عمران : ٦٤ وقد ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته الى هرقل عظيم الروم هذه الاية . (١)

وعن عدى بن حاتم : " أنه سمع النبی صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه

الآية : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم " الآية ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : ( ليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلون ) ؟ فقلت : بلى ، قال : فترك عبادتهم " رواه احمد

والترمذى وحسنه .

الثاني : انه لا يوجد في الاسلام واسطه بين الله وخلقه مطلقا ، كما هو الحال عند النصارى اذ رجال الكنيسه قد جعلوا انفسهم وسطا بين المذنبين واللىسه سبحانه وتعالى اذ استحدثوا كرسى الاعتراف الذى عن طريقه يعترف المذنب بسبب بذنبه فيتوسط القس فى غفران ذنب المذنب باعتباره مثل المسيح فى الارض ، الذى يملك مفاتيح الملوكوت - كما يزعمون -

ان الرسل عليهم السلام ، لا يملكون هذا الحق ولم يدعه احد منهم ، لقد كانت مهمه الرسل هى التبليغ عن الله ما يوحى به اليهم فاذا ساءهم احد ممن الناس وسائط بهذا الاعتبار ، اى وسائط فى تبليغ الدين فلا بأس اما ان يكونسوا وسائط فى غفران الذنوب فلا .

يقول الامام بن تيميه :

" . . . ومن يوى الرنبيا من مشايخ العلم والدين فمن اثبتهم وسائط بين الرسول وامته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب قسسي ذلك .

وهو لا اذا اجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة ، لا يشبتمون على ضلالة ، وان تنازعوا فى شىء ردوه الى الله والرسول ، اذا الواحد منهم ليس بمحصن منوم على الاطلاق ، بل كل احد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله (ص) وقد قال النبى (ص) العلماء ورثه الانبيا فان للانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر .

وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يوفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهذى عباده ويوزقهم بتوسطهم ، فالخلق بسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الطبيبوك

يسألون الطوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ادبا منهم  
ان يباشروا سوءال ملك ، اولان طيلهم بن الوسائط أنفع لهم من طلبهم من  
الملك ليكونهم اقرب الى الملك من الطالب للحوائج ، فمن اتهمهم وسائط على هذا  
الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب ولا قتل وهو لا مشبهون للمسه  
شبهوا الخلق بالخالق وجعلوا الله اندادا ( ١ )

لقد حفظ الله الاسلام واهله من الملابس التي حدثت في العالم  
الغربي وادت الى وجود من يسمون " رجال الدين " الذين حرفوا النصرانية  
التي ارسل بها عيسى ، فلم يوجد مثل هؤلاء في واقع الحياة الاسلامية ، ولم  
يوجد ما يبرر وجودهم في نصوص القرآن والسنة ، كما اوضحت ذلك .

وتبعاً لذلك فان الطفبان الذي مارسه هؤلاء في الحياة الغربية وكسان  
احد عوامل نشوء العلمانية لا وجود له في التاريخ الاسلامي .

فالطفبان الديني الذي تمثل في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله ،  
وتسيير الجيوش لمحاربة المخالفين في الرأي ولو كانوا من المسيحيين كما حدث  
مع الكاثاريون " و " الوالدونيون ، واقامة محاكم التفتيش لعلماء الطبيعة وللمخالفين  
لهم في الدين كمحاكم التفتيش التي اقيمت للمسلمين في الاندلس ، كل ذلك  
لم يوجد في التاريخ الاسلامي ولا يوجد ما يوصي به في نصوص القرآن والسنة .  
والطفبان السياسي الذي استدل به رجال الدين الكنيسي الافسوان  
الحكام والامراء - والشعوب ، والذي مر ذكر نماذج منه ، لم يكن في التاريخ  
الاسلامي مثله ابداً ، بل ان العكس هو الصحيح فقد تعرض العلماء المسلمون  
للاندى من بعض الحكام المسلمين متأولين او طاغين ظالمين ( ١ ) ولا يوجد  
في نصوص القرآن والسنة ما يوصي بذلك فضلاً عن ان يقرره كما يوجد في الاناجيل  
المحرقة .

---

( ١ ) انظر نماذج من ذلك في كتاب : الاسلام بين العلماء والحكام .



وكذا الطفيلان الاقتصادى الذى تشل في القطاعات الكبرى التى يستندل فيها رجال الكنيسة البشر بالعمل المجانى ، والاوقاف التى كانت توقف طمسى رجال الكنيسة من اقوات البشر ، والمعشور والضرائب التى يستحصلها رجال الكنيسة من المزارعين والرعاة واصحاب الحرف وغير ذلك مما مر ذكره، كل ذلك لم يوجد مثله في التاريخ الاسلامى ، ولم يوجد ما يبرره او يوحى به فى نصوص القرآن والسنة ، بل يوجد ما يتدد به فقد قرر الله فى القرآن ان الاحبار والرهبان ياكلون اموال الناس بالباطل .

قال تعالى : \* يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل \* التوبة : ٣٤ .  
وفى ذلك معنى التحذير من <sup>منازل</sup> لعلماء المسلمين من سلوك سبيل النصرى واليهود في اكلهم لاموال الناس بالباطل .

اما الطفيلان الفكرى والعلمى الذى تشل في حرق مجموعة من علماء الطبيعة ومطاردة اخرين منهم والذى وقف حجر عثرة في سبيل الرقى المسمى لاوروبا ، هذا الطفيلان لم يوجد فى تاريخ المسلمين ، والا لمارست العلوم التطبيقية - الطب ، والهندسة ، والرياضة - فى مدارس المسلمين فى العصور الماضية كالا زهر وغيره ، كما مر بيان ذلك . ولا يوجد فى نصوص القرآن ولا فى نصوص السنة ما يوحى <sup>بأن</sup> فضلا عن ان يقرره .

ان العلم كما ورد فى نصوص القرآن والسنة على درجات منه ما يعد تعلمه فرض عين ، ومنه ما يعد تعلمه فرض كفايه ، وهذا ما فهمه العلماء المسلمون من هذه النصوص . (١)

واكتفى هنا بذكر بعض آيات القرآن التى ترشد الى تعلم علوم بحينها .

ففى علم النبات قوله تعالى :

" وهو الذى انزل من السماء ماء فخرجنا به نبات كل شئ ، فخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجثث مسن اعناب . والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون " الانعام : ٩٩

والخضر هنا المقصود به ما يسميه علماء الاحياء " البلاستيدات الخضراء " وهى مصانع الغذاء في النبات . التى يصل اليها ما يحتاجه النبات من الماء والهواء وضوء الشمس .

وفى علم الحيوان قوله تعالى

" ... افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " الفاشيه : ١٧

وفى علم الكيمياء قوله تعالى :

" وان لكم فى الانعام لمعبرة تسقيكم ماء فى بطونه من بين فرث ودم لبناسا

خالصا سائقا للشاربين " النحل : ٦٦ .

ففى هذه الايات اضافة الى ارشادها الى التفكير فى عجب صنع الله بالنظر والتأمل العادى من كل انسان ، فانها ترشد الى تعلم ومعرفة ما يتعلق بالنبات وما يتعلق بالحيوان ، وما يتعلق بمعرفة مركبات الاشياء الكيماوية ليحصل بذلك نتيجتان هما :

الاولى : التفكير الواعى المتبصر فى مخلوقات الله الناشئة عن العلم بهما ، وذلك لاشك قدر زائد على تفكر وتدبر وتأمل الانسان العادى الذى لا يعلم عظم شيئا .

الثانية : الاستفادة من نتائج المعرفة لهذه العلوم فى خدمة البشر .

والاسلام لا يفرض في ذلك فليس في نصوص القرآن والسنة ما يمنع ذلك ،  
بل ان في نصوص القرآن ما يدعو الانسان الى النظر الى ما حوله وما مثا الطعام  
الذي يأكله . قال تعالى :

" ... فليَنظر الانسان الى طعامه انا صيينا الماء صبا . ثم شققنا  
الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا وتخلا وحدائق غلبا وفاكهة  
وأبا " سورة عبس : ٢٤ .

ولاريب ان العلم بالنبات وخصائصه ومركباته من اقوى انواع النظر ، فالنظر  
الناشي عن هذا العلم <sup>يُطَرِّقُ</sup> يتبصر وعميق وواعي ،

وهكذا تبين لنا من خلال ما سبق انه لا يوجد لدى دعاة العلمانية  
في العالم الاسلامي اى مبرر منطقي لدعوتهم الى اتخاذ العلمانية منهجا للحياة  
ببداية بلاد الاسلام او مع الاسلام يجعل الاسلام محصورا في شمائر التعبد - الا  
اتباع الاهواء التي تأثروا بها من الثقافة الغربية . قال تعالى :

" ... ارأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا " الفرقان : ٤٣  
وقال تعالى مخاطبا الرسول (ص) والحكم يشمل المسلمين : " ... ولئن  
اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " البقرة : ١٤٥  
واذا كان لا يوجد لدعاة العلمانية مبرر لدعوتهم ، فما حكم الدعوة الى  
العلمانية في بلاد الاسلام ؟ هذا ما سوف اوضحه في الفقرة التالية .

## ٢- حكم الدعوة الى العلمانية في العالم الاسلامي

ان العلمانية - كما سبق بيانه١ - تعنى قيام الحياه على اساس استبعاد الدين عن التوجيه والهيمنه على الافراد والمجتمعات ودساتير وقوانين وانظمته الدول - خاصة التربية والتعليم -

وعلى هذا فهي تعنى انها اتباع الغير ما انزل الله . ومن ثم فهي نظام جاهلي ومن يدعوا اليها فهو متبع للهوى . وقد نهى الله عن اتباع الاهواء ، وامر باتباع ما انزل الله اليها في القرآن وامر بطاعة الله ورسوله . وحكم على من الذين يتبعون اهواءهم بالضلال .

قال تعالى : \* . . . ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا

وضلوا عن سواء السبيل \* الطائفة : ٧٧ .

وقال تعالى : \* اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اوليساء

قليلا ما تذكرون \* الاعراف : ٣ .

وقال تعالى : \* يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا احسابه

وانتم تسمعون \* الانفال : ٢٠ .

وقال تعالى : \* . . . ومن اضل ممن لاتبع هواه بغير هدى من الله

ان الله لا يهدي القوم الظالمين \* القصص : ٥٥ .

واتباع الهوى هو من التحاكم الى غير منهج الله ورسوله الذي وضحه

في القرآن والسنة ، والتحاكم الى غير ذلك هو من التحاكم الى الطاغوت والتحاكم

الى الطاغوت كفر . قال تعالى :

\* يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم

فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

ذلك خير واحسن تأويلا ، الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل الله

وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويؤسسد  
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . . . الى قوله جل وعلا :

" قلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم

حرجا مما قضيت ويسلمو تسليما " النساء ٥٩ هـ ٦٥ .

ولاريب ان من يدعوا الى العلمانية شهجا للحياة في المجتمع الاسلامي  
ويدعى الايمان والاسلام هو من يتولى عن منهج الله ورسوله ، ومن يتولى عن ذلك  
فليس بمؤمن وان ادعى الايمان .

قال تعالى : " ويقولون آمنا بالله وبالرسل واطعنا ثم يتولى فريق منهم  
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق  
منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأنوا اليه مذعنين . اغنى قلوبهم مخرام ارتابوا  
ام يخافون ان يحيف عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون - انما كان قول المؤمنين  
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم  
المفلحون " النور : ٤٧ هـ ٥١ .

وقد وردت اكرالايات التي نصت على تكفير من لم يقبل حكم الله  
وملحه وفقى الايمان عنه في سياق الحديث عن الذين يدعون الايمان من اهل  
الكتاب او الذين يتظاهرون بالاسلام من المنافقين ، ولعل الحكمة في ذلك  
ان من لم يدع الايمان بشئ من منهج الله الوارد في القرآن والسنة فهو كائن  
بالضرورة ، وقضية قبوله للتحاكم الى غير منهج الله واضحة لليس فيها وانما  
اللبس قد يصيب بعض من ينتسب الى الاسلام ويحسبون انهم مؤمنون مع انهم  
لا يحتكمون الى ما انزل الله في القرآن بل يطيعون غير الله معه ، او من دونه .  
قال تعالى : " يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا  
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم . . . الى ان قال تعالى :

\* اتحكم الجاهلية ينفون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون \* المائدة

(١) ٥٠ - ٤١

ان هذا الحشد من الايات وامثالها كثير في القرآن - تدل دلالة واضحة

على نفي الايمان عن ابتغى غير منهج الله حكما في اى شأن من شئون الحياة  
والحكم عليه بالكفر او بالنفاق ، وان ورود اكثر هذه الايات في حق من يدعى  
الايمان بالله وكتبه لما يجعل هذه القضية واضحة بطلية . لا بل قد حكم الله

بالشرك على من يطيع المشركين في قضية فرعية هي الاكل مما لم يذكر اسم الله  
عليه <sup>قَالَ تَعَالَى: وَلَا تَأْكُلُوا مما لم يذكر الله عليه</sup> وان اطمعتموهم  
انكم لمشركون \* الانعام : ١٢١ (٢)

فهل يبقى بعد هذه النصوص الواردة في حكم من يحتكم الى غير شرع

الله ومنهجه مجال للشك ؟

ان من يدعى الايمان او الاسلام ويرى ان بإمكانه ان يتحلل من احكام  
الله وشرعه ومنهجه او بعضها ويكتفي من الاسلام باللفظ بالشهادتين يكابر حقائق  
التاريخ ، والا فهل تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الضيق والشدة والحسب  
من اعداء الاسلام مدة ثلاثة وعشرين عاما ؟ وهل نزل القرآن الكريم على النبي  
صلى الله عليه وسلم آمرا وناهيا طوال هذه الفترة من اجل ان ينطبق الجاهليون  
بالشهادتين - باللسان فقط - ويؤدوا الشعائر التي يسمح بها دعاة العلمانية  
ومطبقوها ؟

ما الفرق بين ما قالته قريش لرسول صلى الله عليه وسلم : يا محمد امسك

الهيئت سنة ونعيد الهتك سنة (٣) وبين قول دعاة العلمانية بلسان حالهم

(١) انظر تفسير هذه الايات في : تفسير ابن كثير : ١٠٥/٣ - ١٢٣

(٢) انظر تفسير هذه الاية في : تفسير ابن كثير : ٣١٦/٣ - ٣٢٢

(٣) انظر في بيان ذلك تفسير ابن كثير : ٥٢٧/٨ .

او بلسان مقالهم نعبد الله في المسجد ونطيع غيره خارج المسجد ؟  
لقد قال تعالى : " يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا  
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " البقرة : ٢٠٨ . والسلم كما قرر ابن جريسو  
الطبري هو الاسلام . ( ١ )

وقال : " وقاطوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهسوا  
فان الله بما يعملون بصير " الانفال : ٣٩ .

وقال : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله  
ورسله ويقولون ثؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا  
اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .  
ان هذه الآيات وغيرها كثير توضح بما لا يدع مجالا للشك ان مجسود  
التلفظ بالشهادة لا يكفي في ان ينتسب الانسان الى الاسلام ، وانما الواجب  
ان يلتزم الانسان بالاسلام في كل شئونه ليعد مسلما حقا . والا لو كان مجسود  
التلفظ او اداء بعض الشعائر هو الاسلام لمكن كفار قريش الرسول صلى الله عليه  
الله عليه وسلم من القيام بذلك ، ولقبل الرسول منهم ذلك .

ان الشهادة لا اله الا الله وللإسلام شروطا ونواقص ، فمتى انتفى شئ  
من هذه الشروط ، او وجد احد النواقص . فقد انتقض الاصل .

اما شروطها فهي : \* ( ١ ) - العلم بمعناها نفيا وإثباتا ، ٢ - الإعتقاد  
وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب ٣ - الإخلاص المنافي للشرك .  
٤ - الصدق المنافي من النفاق . ٥ - المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور  
بذلك . ٦ - الانقياد بحقوقها وهي الاعمال الواجبة اخلاصا لله وطلبها لمرضاته .

---

( ١ ) انظر في بيان ذلك تفسير الطبري : ٣٢٣ / ٢

٧- القبول المنافي للرد \* (١)

وأما نواقض الاسلام فهي عشرة نواقض منها :

١- الاعتقاد بأن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هديسه  
أو ان حكم غيره احسن من حكمه ، كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

٢- الاعتقاد بأن بعض الناس يسمه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى عليه وسلم السلام .

فمن اعتقد ذلك فهو كافر . (٢)

أفليس دعاة العلمانية غير منقادين لحقوق لا اله الا الله ؟

أوليسوا ممن يعتقد ان غير هدى الرسول صلى الله عليه وسلم اكسسل  
من هديه ، وانهم ممن يعتقد ان بعض الناس يسمه الخروج عن شريعة  
الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لقد افقأ الامام ابن تيمية بوجوب قتال كل طائفة خرجت من شرائع  
الاسلام الظاهرة ، كالتتار وحكم بكفرهم رغم اخذهم ببعض شرائع الاسلام ولكن  
لانهم شرعوا شرائع مخالفة للاسلام اعتبرهم كفارا . (٣)

واستشهد الامام محمد بن عبد الوهاب باجماع العلماء على تكفير المبيدين

المعروفين بالفاطميين . (٤)

يقول الدكتور عماد الدين خليل في وصف حال المتبع لغير منهج الله

ومع ذلك يدعى الاسلام مايلي :

---

(١) مجموعة التوحيد : ٣٥٩ من رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن فسي

الكلام على الا اله الا الله ؟

(٢) نفس المصدر : ٢٧١ / ٢٨٢ من رسالة للامام محمد بن عبد الوهاب عن

نواقض الاسلام .

(٣) انظر كلام ابن تيمية عن التتار في كتاب مجموعة التوحيد : ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٤) نفس المصدر : ٢٢٩ .



" . . . وفي الجهة المقابلة يقف الاسلام ، هذا المنهج الالهي المنفرد والذي يعرف كيف يخاطب الانسان ، ويتعامل مع تكوينه المعقد وتسيجه الدقيق ، وينتج المعجونه من طينة الارض والممزوجه بنور السماء . . . المنهج الذي يتميز بخصائص تجعله يختلف - أساسا - عن كل مذهب وضعى خطه براع انسان وهسى الخصائص ذاتها التي تجعل من السخف والبلادة المتناهية ما يدعيه البعض من أنهم يؤمنون بالاسلام باعتباره دينهم الروحي فحسب ، تلك هي التكميل والتداخل والتوازن .

فالذين يدركون حقيقة الاسلام ، ويمشون تجربته ، يعرفون تماما انه نسيج وحده ، وان قطع اى خيط من خيوطه المحبوكه باعجاز رائع كليل بتعزيق هذه الوحدة المتجانسه ان الانسان الذي يؤمن بالاسلام ذلك الايمان المشوه سرعان ما يجد امامه هوة سحيقة تمنعه من الاندماج والتعامل الصحيح مع هذا الدين ، ذلك انه محال الايمان - في قرارة نفسه - من بعض عناصر ومقومات الاسلام واكده في عناصر ومقومات اخرى وهو يحمله هذا لم ينل من وحدة الاسلام الدائم شيئا ، ولكنه وجه ضرباته الى صميم الكيان الانساني ، والى وحدة الذات الانسانية ، ذلك انه سيجد نفسه غطرا الى الاستعاضه عن العناصر والقيم السلي رفضها بعناصر وقيم اخرى يجي " بها من هنا وهناك ، ويوصها رصا . . . عناصر لا تلك - بمجموعها - توحد القيم الاسلاميه وتكاملها ، لانها لم تثبت عن تصور الاصيل . . . ثم هي فيما بينها تعاني تناقضا محزنا لان كل عنصر او كل مجموعة من القيم جي " بها من تصور فرد من الافراد انسان من ملايين الناس ، وماهى فسي الحقيقة سوى نتاج ردود فعل نفسيه فكرية لهؤلاء الافراد مع واقع بامدائهم المحدوده بحدود الزمان والمكان . . . ومن ثم سيتشتت هذا الانسان ( الآخذ ) ويضيع . . . انه آمن بوحدة عقائديه متكاملة ظاهرا ، لكنه - في حقيقته - تكامل زائف ، لانه سعى الى رص عناصر الانسجام فيما بينها ولا تألف في تركيبها ،

وحاول - جهلا وعنادا - ان يجعل منها منهجا موحدا لحياة موحدة لا تقبل التجزئة . ( ١ )

وبذا يتضح لنا خطورة الادعاء بأن الاسلام رابطة روحية - متشله في شعائره التعبد فقط - بين الانسان وربّه ولا صلة له بحركة الانسان في هذه الحياة - فردا او مجتمعا - وهو ادعاء باطل يكفي الاسلام من اساسه ويهدم العباده - بالمعنى الشامل - من جذورها .

ان دعاة العلمانية يقسمون نشاطات البشر الى جانبين :

الجانب الاول : ما يسمى بالنشاط الروحي ويعنون به شعائر العبد .

الجانب الثاني : ما يسمى بالنشاط المادي - ويشمل حركة الانسان في هذه الحياة .

فاما الجانب الاول فانه يسير <sup>بما جاء</sup> في شرع الله ويسمح به ، شريطة

ان لا يؤدى الى النهي عن الفحشاء والمنكر .

" ... واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ونذكر الله اكبر

والله يعلم ما تصنعون " المنكوت : ٤٥ .

واما الجانب الثاني فانه يسرحب ما سن من قوانين البشر المخالفة لهدى الله .

ويصدق عليهم قول الله تعالى في حكايته عن المشركين .

" .. وجعلوا الله معاذرا من الحرت والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم

وهذا الشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم

ساء ما يحكمون " الانعام : ١٣٦ .

وبعد ان عرفنا آثار العلمانية في التربية والتعليم ، وعرفنا انه لا يوجد لدعاة

العلمانية في العالم الاسلامي ما يبرر دعوتهم اليها تبيرا منطقيا مقبولا وعرفنا حكمهم

الدعوة الى العلمانية بقى ان نقول كيف السبيل الى التخلص من اثار العلمانية فسي

العالم الاسلامي ؟ وهذا ما سأتحدث عنه باختصار في الفقرة التالية :

## ٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

=====

اتضح لنا ما سبق في الفصول الماضية مايلي :-

- ١- أن العلمانية مذهب فكري وعقلي مستورد من الغرب ، نشأ لظروف وملابسات عوامل - وأن هذه العوامل هي من نوع التفسير لما حدث .
- ٢- انتقلت الفكرة العلمانية من الغرب الى العالم الاسلامي ووجدت عوامل ساعدت على تقبل المسلمين أفراداً وأحزاباً وحكومات لهذا المذهب تمثلت في - الانحراف الذاتي ، والمفكرون/الأوائل الذين كان لهم أثر في نقل العلمانية عن طريق الافكار التي تأثروا بها ، والمفكرون المستغريون ، والنصارى في العالم الاسلامي ، والمخططات الصليبية واليهودية ، وأن هذه العوامل هي أيضا من نوع التفسير لما حدث فقط .
- ٣- أنه لا يوجد مبرر منطقي ولا تاريخي مقبول لاعتناق العلمانية كمذهب للأفراد أو الأحزاب أو الحكومات في العالم الاسلامي .
- ٤- أن اعتناق العلمانية كمذهب فكري للأفراد أو الأحزاب ومذهب للتطبيق في الدول هو من اتباع الاهواء . واتباع الاهواء هو اتباع لغير شرع الله واتباع غير شرع الله كفر .

ومناء على ذلك فان السبيل الى التخلص من العلمانية وآثارها فسي

العالم الاسلامي يتمثل في الآتي :-

١- أن يقوم علماء الشرع الحنيف ومفكرو المسلمين بمحاربة كل انحراف عن العقيدة الصحيحة ، سواء أكان انحرفاً في فهم الألوهية - الطاعة والاتباع ، والعبادة - او انحرافاً في فهم معنى الايمان بالقدر أو فهم معنى التوكل .

ذلك ان الانحراف في فهم معنى الألوهية ، بالانحراف في مفهوم الطاعة والاتباع يؤدي الى أن يصرف الناس هذا النوع من العبادة أو جزءاً منه الى الحكام والعلماء ، أو مكايح الطرق الصوفية ، وهذا الذي ضل بسببه كثير من أجيال المسلمين المتأخرة .

كما أن الانحراف في فهم معنى العبادة بالمعنى الشامل لها ، يؤدي الى أن يصرف نوع من انواعها لغير الله ، كالأضرحة والقبور التي يُعْتَبَرُ فيها احد الأولياء أو الصالحين أو من يُدَّعى له ذلك ، وهذا ما افرس المتقنين بالثقافة الغربية المتأثرين بها الى ان يدعوا الى العلمانية زعماً منهم ان هذا هو الاسلام .

كما أن الانحراف في فهم معنى الايمان بالقدر ، وفهم معنى التوكل يترك العمل بالاسباب ، يدعو ان ما قدر سيحصل ولو عمل الانسان السبب أغرى المثقفين بالثقافة الغربية بالدعوة الى العلمانية ، زعماً منهم أن هذا الواقع الاسلامي المنحرف ، هو ما يدعوا اليه الاسلام .

وكل ما سبق ساعد على تهيب المسلمين لتقبل العلمانية كما سبق ان أوضحت ذلك .

٢- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان خطأ الافكار التي دعا اليها- عن حسن نية - بعض المفكرين الاوائل الذين نشأوا في اوائل عهد الاتصال بالغرب ، في عهد كان المسلمون قد وصلوا فيه الى مستوى فكري مترد ساعد على تقبلهم لهذه الافكار . وكذا بيان خطأ الافكار التي دعا اليها المستغربيون من المسلمين ومخالفتها للاسلام حتى يحذر ابنا المسلمين من هذه الافكار التي تتضمنها كتبهم .

٣- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور النصارى في بلاد المسلمين في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي ، حتى يحذر ابنا المسلمين من كتابات وابحاث النصارى في العالم الاسلامي .

٤- أن يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور قوى الاختلال في نقل تطبيقات الفكر العلماني الى العالم الاسلامي المتمثلة في سن القوانين المخالفة لسلام في حياة الفرد والاسرة والمجتمع والدولة ، وان يقوموا برحاض الافكار والمفاهيم التي يشيعها المبشرون والمستشرقون في ابحاثهم وكتاباتهم عن الاسلام ورسوله والتي تتركز في ادعاء عدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في هذا العصر ، ومن ثم الدعوة الى اتخاذ قوانين مما يسنه البشر لتحل محل الشريعة الاسلامية أو الادعاء بان ليس هناك رابط بين الدين والحياة ، فالدين - كما هو المفهوم الغربي - عبارة عن صلة بين المبد وربه في الكنيسة ، ثم لا علاقة له بشئون الحياة ولا هيمنة له عليها ،

ولذا فيجب أن يبحث المسلمون عن قوانين يسبغون بها حياتهم اما من تجارب الامم المتقدمة !! أو من اجتهاداتهم أو منهما معا ، وهذا يتنبه المسلمون لخطورة هذه الافكار على مجتمعاتهم .

هـ- أن تعود حكومات العالم الاسلامي الى رشد ها باتخاذ شريعة الله لها منها وتظاما ونهذ جميع الافكار والقوانين والتشريعات المخالفة للاسلام . ان لا يصح ان تحكم بلاد المسلمين في كافة شئونها بغير شرع الله الذي شرعه لنا في القرآن والسنة وامرنا باتباعه ونهاينا عن اتباع الهوى - والعلمانية من الهوى - قال تعالى " وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهليه يبقون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون " . المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .

تلك في نظري أهم السبل العامة للتخلص من آثار العلمانية في العالم الاسلامي ، خاصة السبل الخاصة بذلك " لان الله يزع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن " . كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فاذا وجد سلطان يحكم شرع الله في كافة شئون الحياة سارت حياة الافراد والمجتمع سعيدة هنيئة مباركة .

يكون هناك سبلا خاصة تتعلق بالتربية والتعليم فما هي هذه

السبل ؟ .

قبل أن نعرف ذلك أود أن أوضح أن الغاية الأساسية التي تسعى إليها التربية الإسلامية تتمثل في إعداد الإنسان الصالح ، بخلاف المناهج التربوية غير الإسلامية شرقية كانت أم غربية فهي تسعى لإعداد المواطن الصالح على اختلاف كبير في مواصفات هذا المواطن ، " فبعضها يرى أن المواطن الصالح هو من يقدس العمل والانتاج ، وتقاس قيمته ومواطنيته بقدر ما يعمل " .  
 بعضها يرى أن المواطن هو من يكفر بالله <sup>الصالح</sup> ويقدر من الحزب الحاكم فإذا كان بعكس ذلك أصبح مجرماً لا يستحق صفة المواطنة الصالحة .

بعضها يرى أن المواطن الصالح هو من يتعصب لجنسه وأصله  
 فيرى غيره <sup>والصالح</sup> دينا لا يستحق صفة المواطنة <sup>التي</sup> (١)

لكن ماهي صفات الإنسان الصالح الذي تسعى التربية الإسلامية لإعداده ؟ لقد حددت سورة العصر صفات الإنسان الصالح في الآتي .  
 ١- أنه إنسان مؤمن بالعقيدة الإسلامية وليس متبعاً للأهواء .  
 ٢- أن إيمانه يتجسد في عمل الصالحات وهو تعبير قرآني يعنى كل ما يصلح به حال الفرد والجماعة ويصلح به الدين والدنيا .

---

(١) معالم في التربية : ١٤٣ بتصرف .

٣- انه يسمى الى مد شعاع الحق الذي آمن به في المجتمع والدعوة

اليه وهذا هو معنى التواصي بالحق .

٤- انه مستعد ان يحمل مع اهل الحق باعاء التواصي به صابرا على

البلاء موصيا بذلك وقابلا للخصية به وهذا معنى التواصي بالصبر<sup>(١)</sup>

اما السبل الخاصة المتعلقة بالتربية والتعليم فاني اكتفى هنا بذكر

بعض السبل .

١- يجب أن تتضمن مناهج التعليم تعميق روح الولاء للإسلام، بالبراءة

من كل نظام أو مبدأ يخالف الإسلام ، وذلك كما تضمن عدم انتشار

أمثال المذاهب التربوية المخالفة للإسلام كالمذهب البراجماتسي

والمذهب الوضعي المنطقي وغيرها من المذاهب ، وكالدعوة الى

جعل الولاء للوطن او القومية ، او الدعوة الى اعتناق واتخاذ

الاشتراكية ، او الرأسمالية او الديمقراطية أنظمة للدولة اقتصاديا

وسياسيا وغير ذلك من الافكار التي تموج بها الساحة الفكرية

والعقيدة ، وقد تضمنت السياسة التعليمية للملكة العربية السعودية

النص على هذا في المادة التاسعة والعشرين .

---

(١) الحل الاسلامي فريضه وضرورة : ٥٧ بتصرف .



٢- بناء المناهج في المراحل كلها وفي شتى المواد ، بحيث تتميز التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة ، وتوضح دور الانسان المسلم في هذه الارض ، وتنقيشها من كل الافكار ال " لادينية " التي تتضمنتها هذه المناهج ، كالدعوة الى اعتناق المذاهب الفلسفية التبروية كالمذهب البراجماسي ، والمذهب الوضعي المنطقي في التعليم الجامعي . او الدعوة الى الوطني والقومي والاشتراكية والديمقراطية وغيرها من الافكار في مراحل التعليم العام والجامعي . وتوجيه عناية خاصة الى العلوم الانسانية التي تتضمن من الافكار المخالفة للتصور الاسلامي الشئ الكثير بحيث يهيمن عليها التصور الاسلامي ، وتأليف الكتب لذلك بحيث تفرس في نفس الناشئة العلم والايمان معا .

٣- اعادة كتابة العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية ( البحوث والتطبيقية ) بخاصة ، بحيث تصاغ صياغة موافقة للعقيدة الاسلامية ، وذلك حتى يتعمق في الناشئة الوجدان الديني الذي يشعرهم بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته المعجزة ، ومن ثم يتحقق في الناشئة المتعلمة قوله تعالى " انما يخشى الله من عباده العلماء " وتزول بذلك تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية من ناحية والعلوم البحوث من ناحية اخرى تلك التي سرت عداها الى المسلمين من اتخاذ المناهج ال " لادينية " في تدريس

تلك العلوم بمعزل عن الدين ، ولا بد من التنبه الى ضرورة الفصل بين الحقائق النهائية - وليس فيها ما يخالف العقيدة الاسلامية - وبين الفروض او النظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا ، وكمثال على ذلك فرضية التطور المتعلقة بخلق الانسان ، والتي مر مناقشة أفكارها .

والتنبه كذلك الى الفرق بين حقائق العلم ، والفلسفات العقديه والفكرية التي توجهه كما وضح ذلك فيما نقلته عن المودودي عند الحديث عن مقررات العلوم في المملكة العربية السعودية .

وقد تضمنت سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية التأكيد على هذا في المواد الثانية عشرة ، والثالثة عشر ، والرابعة عشرة \* (١)

كما تبني ذلك ودعا اليه المؤتمر العالي الاول للتعليم الاسلامي في قراراته وتوصياته التي صدرت عنه \* (٢)

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم في مكة ( ملحق سياسة التعليم في المملكة العربية

السعودية ) : ٣١٥ .

(٢) كتاب المؤتمر : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

٤- اعداد المعلم الصالح ، والمعلم الصالح هو الانسان المطرزم بالاسلام عقيدته وسلوكه ان هو الذى يستطيع تحويل المنهج والكتاب الصالحين الى واقع ملموس . ويكون قدوة عطية لطلابه . وقد تضمنت السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية تبني ذلك والتأكيد عليه فى المواد الثالثة والستين بعد المائة ، والرابعة والستين بعد المائة ، والخامسة والتسعين بعد المائة " (١) كما تبني ذلك ودعا اليه المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فى توصياته وقراراته . (٢)

٥- اعطاء المواد الشرعية نصيبها المناسب لمكانها وقيمتها واهميتها فى حياة الانسان والانسان المسلم على الاخص - من الخطة التعليمية اقول ذلك لاننا عرفنا من استعراض نصيب المواد الشرعية فيما سبق من البحث ان نصيبها هو من اقل الانصبة فى خطط الدراسة فى كافة انحاء العالم الاسلامى ما عدا المملكة العربية السعودية . ذلك لان المواد الشرعية تتضمن المنهج الذى يجب على المسلم سلوكه .

ومن المؤسف حقا ان يعتنى اليهود وهم أهل ديانة محرفة بتعليم التلاميذ فى المدارس والجامعات الدين فى الوقت الذى تكون فيه انصبة مواد الدين الدين فى اكثر البلاد الاسلامية ضئيلا .

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم فى مكة المكرمة : ٣٣٧ ٣٤٢٠ .

(٢) انظر كتاب المؤتمر : ٩٨ ١٢١٠ ١٢٢٠ ١٤٩٠ .

يقول رودريك ماثيوز ورفيقه :

" ان أهم ما يسترعى الانظار في المدارس الاسرائيلية في فلسطين أن  
لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية ، فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية  
والعربية والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجمال  
التعليم الديني أساس الصهيونية ونقطة لها " (١)

و" جاء في مقال " التعليم العالي في اسرائيل في مجلة فلسطين  
مقتبسا من الدراسة التي قد متها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العليا  
لفلسطين ما يلي : " ان سياسة التعليم العالي تهدف الى تنمية العقيدة  
اليهودية والولاء لها ، بالإضافة الى الدعاية لاسرائيل وكسب الاصدقاء " (٢)  
وقد تضمنت السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية تبني  
ذلك والتأكيد عليه في المادة الحادية عشر من السياسة " . (٣)

كما اوصى المؤتمر العالي للتعليم الاسلامي بالعناية بالثقافة  
الاسلامية في جميع مراحل التعليم وفي جميع انواعه المدنية والمسكينة " (٤)

(١) التربية في الشرق الاوسط العربي : ٣٥٤ .

(٢) نحو التربية الاسلامية الحرة : ٧٧ .

(٣) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٤ ، ٣١٥ ، (٤) كتاب المؤتمر : ٩٤ .

ولا ريب ان اهمال تدريس العلوم الشرعية أثر من آثار العلمانية  
ومظهر من مظاهرها .

٦- ازالة الانفصال بين الواقع الاسلامي الذي تعيشه الامة الاسلامية  
ومين ماتضمنه مقررات العلوم الشرعية من احكام تتعلق بالحياة الاجتماعية  
او الاقتصادية وغيرها ، يخالفها الواقع الفعلي في العالم الاسلامي  
وكمثال على ذلك يدرس الطلاب في مقررات العلوم الشرعية حرمة الربا وان  
من الكبائر ، وتنتشر في واقع المسلمين المصارف الربوية . ولا يزال الانفصال  
الا بالعودة الى تحكيم شريعة الله في كافة شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية  
والفكرية والسياسية ، وعندنا يكون الدراسة العلوم الشرعية معنى وفائدة ،  
اذ ما الفائدة من كثرة حصص المواد الشرعية والواقع يخالف ما يدرسه الطلاب  
في هذه المقررات .

٧- الفناء التعليم المختلط الذي يعد اثراً من آثار العلمانية ومظهراً من  
مظاهرها وذلك لان الاختلاط كما اوضحت محرم شرعاً في التعليم والعمل  
ولان الامم التي طبقت الاختلاط في التعليم والعمل بدأت تعاني من نتائج  
ذلك فساداً في الاخلاق وتشرداً للأجيال الناشئة وهيئوا منها الى  
الاجرام والشذوذ وهذا أمر تأباه شريعة الاسلام وتنفر منه الفطر السوية ، لذا  
فلا بد من أن يكون تعليم البنات مستقلاً تماماً عن تعليم البنين حتى في  
الاشراف بحيث يكون الاشراف على التعليم النسوي خاضعاً لادارة مستقلة

كما هو الشأن في المملكة العربية السعودية كما يجب أن تكون مناهج التعليم للبنين والبنات بما يوافق التخصصات الوظيفية الفطرية التي خص الله بها كلاً من الذكر والانثى ، وقد سبق ان نقلت نصيبين للدكتور الكسيس كارييل عن الفروق بين المرأة والرجل التي ينبغى ان تلاحظ في التعليم والعمل .

" وقد ادرك رجال التربية المسلمون اهمية الفصل بين الجنسين فأكدوا عليه . فهذا الامام سحنون يقول : " واكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان لان ذلك فساد لهم " وهو رأى يدعاه القائل بقوله : ومن صلاحهم ( اى طلبة العلم ) ومن حسن النظر لهم ، الا يخلط بين الذكران والاناث (١)

هذا بالإضافة الى ان بعض الامم التي سبقتنا في تطبيق النظام المختلط قد برز رأي تنشى مدارس غير مختلطة وجامعات غير مختلطة ومن ضمن هذه البلاد امريكا كما سبق ان ذكرت عند الحديث عن الاختلاط .

وقد تهنت السياسة التعليمية للمملكة هذا وأكدت عليه في المواد تسعة ، ومائة وثلاثة وخمسين ، ومائة وأربعة وخمسين ، ومائة وخمسة وخمسين ، ومائة وستة وخمسين . كما تبني ذلك ودعا اليه المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى (٢)

(١) التربية في السنة النبوية : ٨٣ .

(٢) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

٨- قصر البعثات الى خارج البلاد الاسلامية على ما يعد المرحلة الجامعية وللتخصصات النادرة نظراً للاثار السيئة التي تحدثها الاقامة في بلاد غير اسلامية على الشباب المسلم المبتعث في سن المراهقة ، فكربا وسلوكيا ذلك أن احد الماير التي عبر عنها الفكر الغربي - والفكر التربوي والتعليمي منه بخاصة - الى العالم الاسلامي ، وأثر في افكار المسلمين ونظمهم ، هم بعض المبتعثين الذين تأثروا بالفكر الغربي ويكفي ان نذكر بعض اوائل المفكرين الذين تأثروا تأثراً بالغاً بالفكر الغربي ، يشهد بذلك ماسطوره من افكار في كتبهم لا عهد للمسلمين بها ، من امثال قاسم امين ، وطى عبد الرازق ، واحمد فتحي زغلول ، وطه حسين وغيرهم ؛ (١)

ويجب ان يكون الابتعاث اجراء مؤقتا لا اجراء دائما مستمرا وقد تنبه المؤتمر في المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي الى خطورة الابتعاث فقصروا على احدى توصياتهم على قصر الابتعاث على الدراسات العليا للتخصصات النادرة .

---

(١) انظر لبيان اثر البعثات على فكر المبتعثين وسلوكهم وعقيدتهم كتاب : الفكر العربي في مائة سنة : ٤٦ ، ٤٧ . وكتاب وجهة الاسلام : ١٨٩ - ١٩١ . وكتاب الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٢٧٥ .

٩- عدم السماح بفتح مدارس أو جامعات غير اسلامية في بلاد المسلمين وذلك لأنه كان وما زال للمدارس والجامعات الأجنبية آثار سيئة على الدارسين فيها وعلى المجتمع الذي تكون فيه فكراً وعقيدة ، ويمكن ان نذكر ان المدارس الأجنبية كان لها اثر في :

١- نشوء القومية العربية ، باعتراف المؤرخين لذلك ، والنصارى العرب منهم خاصة . (١)

٢- في اضعاف عقيدة الولا والبراء التي تجعل المسلم يعتز بدينه ولا يرضخ لكافراً ويفضله على مسلم ، وفي اعطاء بعض الدارسين الذين تأثروا بمناهج هذه المدارس الفكرية والعقيدة ولا هم للغرب . (٢)

٣- اضافة الى اثرها في اضعاف اللغة العربية (٣)

وقد تنبه الى خطر المدارس الأجنبية المؤتمرون في المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي <sup>المجمع</sup> في احدى توصياتهم التي الدعوة الى عدم <sup>المجمع</sup> بوجود المدارس التبشيرية والمشبهة التي تعمل على ابعاد المسلمين عن دينهم . (٤)

(١) انظر لبيان اثر المدارس الأجنبية في نشوء القومية العربية كتاب محاضرات

عن القومية العربية : ٢٩ . وكتاب حصوننا مهددة : ٣٦٧ .

(٢) انظر في بيان هذا قول اللورد لويد في كتاب الاتجاهات الوطنية : ٢/ ٢٨٥-٢٨٧

(٣) انظر في بيان هذا كتاب تاريخ التعليم الاجنبي في مصر : ١٩٠٤

١٢٦٠-١٢٧٠

(٤) انظر في هذا كتاب المؤتمر : ١٢٩ .



١٠ - ان تتضمن مناهج ومقررات كليات التربية دراسة موسعة لنظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة ودور الانسان في هذه الحياة ، ودراسة موسعة لفلسفة الاسلام التربوية مستخرجة من نصوص القرآن والسنة وفقه علماء الامة لهما . ذلك لان التطليم انما قصد به اعداد الانسان الصالح الذي يسمى لان ينشر الحق والخير في اكبر قدر ممكن من البشر وهذا يتحقق مايريد به الاسلام من اعداد الانسان الصالح ، لا الانسان الوطني او القومي او الديمقراطي ، ام الاشتراكي او الليبرالي - المتحرر - .

١١ - ان تتضمن مناهج كليات التربية دراسة المذاهب الفلسفية التربوية الغربية دراسة نقدية فاحصة على ضوء نظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة بحيث يتخرج المتخصصون في التربية بفروعها المختلفة وقد تقهوا هذه المذاهب على حقيقتها في نظرتها الى الانسان والكون والحياة وهذا يتمكن المسلمون من الاطمئنان الى أنه لن يوجد من يعتنق هذه المذاهب والنظريات ويتأفق عنها ويدعوا اليها في العالم الاسلامي كما هو الحال الان .

ولن يمكن تحقيق ما ذكرت الايات تنبئه الحكومات في العالم الاسلامي ولن يكون ذلك الا بالعودة الى اتخاذ الاسلام منهاجاً للحياة في المجتمع . هذا واكتفى بما ذكرت من السبل ، وأقف عند هذا الحد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## قائمة المراجع (\*)

أولا : المراجع العربية

١- كتب التفسير:

١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الجزئين الثاني، والثلاثين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده، القاهرة ط ٣/١٣٨٨ هـ.

٢- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، الأجزاء الأولى والثالثة، والرابع والخامس، والسادس والثامن، دار الشعب

القاهرة (د. ت) حققه عبد العزيز غنيم محمد أحمد  
عاشور، محمد إبراهيم البنا.

٢- كتب الحديث:

١- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، الجزئين السادس والثامن،

المكتبة الإسلامية باستانبول، ط ١٩٧٩ م.

٢- البيهقي، أبو بكر أحمد، كتاب السنن الكبرى، دار صادر بيروت، عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند

حيدرآباد الدكن الجزء الثالث ١/١٣٤٧ هـ

الجزء التاسع ط ١/١٣٥٦ هـ.

(\*) اثبتت المراجع على اساس اسم المؤلف، يذكر الاسم الاخير من اسم المؤلف ثم الاسم الاول ثم الثاني وهكذا، الا اذا كان المؤلف مشهورا باسمه الاول فاذكره تحت اسمه الاول فمثلا، احمد أمين، سيد قطب، يكونان في حروف الالف، والسين وقد اكتفيت بذكر اسماء الكتب التي نقلت عنها نصين فاكتر، اما ما نقلت عنه نصا واحدا فقط فلم ادرجه في هذه القائمة، وكذا ما اشهر اليه فقط، ما عدا المراجع الاجنبية فقد ذكرت. كذلك لم ادرج في هذه القائمة اسماء المجلات والصحف.

٣- الترمذى ، أبو عيسى محمد  
بن عيسى بن سوره

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى الجزء الثانى  
الجزء الثانى المكتبة الاسلامية - القاهرة

الجزء ( د . ت ) تحقيق وتخريج احمد محمد شاكو

الجزء الثالث ، المكتبة الاسلامية - القاهرة

( د . ت ) تحقيق وتخريج وتعليق محمد فسو

عبد الباقي .

٤- الحاكم النيسابورى ، محمد  
بن عبدالله

المستدرك على الصحيحين مكتبة النصر الحديثه  
الرياض صورة عن طبعة مطبعة دائرة المعارف  
العثمانية بالهند ، حيدرآباد الدكن ط ١٣٤٤  
ويذيله تلخيص المستدرك للذهبي .

٥- ابن حنبل ، ابو عبدالله احمد  
بن محمد

مسند الامام احمد ، وبها مشه منتخب كثر العمل  
في سنن الاقوال والافعال ، الاجزاء الاول والثانى  
والرابع والخامس والسادس ، المكتبة الاسلامية  
بيروت ط ١٣٩٨/٢ هـ

٦- ابن ماجه ، ابو عبدالله محمد  
بن يزيد القزوينى

سنن ابن ماجه ، مطبعة عيسى البابى الحلبي  
وشركاه القاهرة ( د . ت ) حقق نصوصه ورقم كتبه  
وابوابه واحاديثه وعلق عليه محمد فواز عبد الباقي

٧- مسلم بن الحجاج القشيرى  
النيسابورى

صحيح مسلم ، الجزئين الثالث والرابع دار احيا  
الكتب العربية ، القاهرة ( د . ت ) حقق نصوصه  
وصححه ورقمه محمد فواز عبد الباقي .

### ٣- الكتب العامة :

١- ابراهيم ، عبداللطيف فواز

٢- \_\_\_\_\_

مصر ، القاهرة ط ١٩٧٦/٧٥/٤

٣- \_\_\_\_\_

واحمد ، سعد موسى

٤- ابن الاثير ، ابى الحسن على

بن ابى الكرم محمد بن محمد

الشيخانى .

الكامل فى التاريخ ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ

- ٥- احمد جمال : مفتریات على الاسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر  
والنوزيح بيروت ط ١ / ١٣٩٢ هـ .
- ٦- احمد ، سعد موسى . على ، سميع اسماعیل : تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب القاھـ  
ط / ١٩٧٤ م .
- ٧- احمد ، سفرین عبد الرحمن : الحماة واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ،  
رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الاولى " الماجستير "  
في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية  
بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة عام ١٣٩٩ / ٩٨ هـ  
بإشراف الاستاذ محمد قطب .
- ٨- احمد ، لطفى بركات : فلسفة الوضعیه المنطقية والتربية . . . . دار النهضة  
العربية ، القاھـ ط / ١٩٦٧ م .
- ٩- احمد ، نازلى صالح : حول التعليم الابتدائي ونظمه ، دراسات مقارنة ،  
مكتبة الانجلو المصریة القاھـ ط / ١٩٧٣ م .
- ١٠- الادارة الثقافية بجامعة الدول : حلقة اعداد المعلم العربی ، المحققة ببيرون عام  
١٩٥٧ م ، مطبعة ( . . . ) لجنة  
التأليف والترجمة والنشر القاھـ ( د . ك )  
الدعوة الى الاسلام ، مكتبة النهضة المصریة ،  
القاھـ ط ٣ / ١٩٧٠ م .
- ١١- آرنولد ، توماس : آيات الله تعالى ، الجزء الثاني ، دار الرضوان  
حلب ( د . ت )  
يقظه العرب ( تاريخ حركة العرب القومية ) دار  
العلم للملايين بيروت ط ٤ / ١٩٧٤ م ترجمة ناصر  
الدين الاسد واحسان عباس
- ١٢- الأمیری ، محمد وفا : تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي  
( ١٩٣٠ - ١٩٧٠ ) ضمن سلسلة عالم المعرفة  
الصادرة عن المجلس الوطنی للثقافة والفنون  
والاداب بالكويت رقم ( ٢٥ ) مطابع الانبساط ،  
الكويت ط ١ / ١٩٨٠ م .
- ١٣- انطونيوس ، جورج : تعولات الفكر والسياسة في الشرق العربي  
( ١٩٣٠ - ١٩٧٠ ) ضمن سلسلة عالم المعرفة  
الصادرة عن المجلس الوطنی للثقافة والفنون  
والاداب بالكويت رقم ( ٢٥ ) مطابع الانبساط ،  
الكويت ط ١ / ١٩٨٠ م .
- ١٤- الانصاری ، محمد جابر : تعولات الفكر والسياسة في الشرق العربي  
( ١٩٣٠ - ١٩٧٠ ) ضمن سلسلة عالم المعرفة  
الصادرة عن المجلس الوطنی للثقافة والفنون  
والاداب بالكويت رقم ( ٢٥ ) مطابع الانبساط ،  
الكويت ط ١ / ١٩٨٠ م .

- ١٥- برنتين ، كرين  
افكار ورجال ( قصة الفكر الغربي ) مكتبة الانجلو  
المصرية القاهرة ، ط ١٩٦٥ م ، ترجمة محمود  
محمود .
- ١٦- البهي ، محمد  
العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ( مطبق مجلة  
التفكر الاسلامي ) ( د . م . ت . ن )
- ١٧- \_\_\_\_\_  
الفكر الاسلامي الحديث وصلت به الاستعمار الغربي ،  
مكتبة وهبه ، القاهرة ط ٤ ( د . ت )
- ١٨- تشيس ، ستيوارت  
الانسان والملاقات البشرية ، مكتبة مصر بالقاهرة  
ط ١٩٥٥ ، ترجمة احمد حموده .
- ١٩- التل ، احمد يوسف  
طور نظام التعليم في الاردن ( ١٩٢١-١٩٧٧ )  
ط ١٩٧٨ م ( د . م . ن )
- ٢٠- ، ، عبدالله  
جذور البلاء ، دار الارشاد ، بيروت ط ١/١٣٩٤ هـ
- ٢١- التوم ، بشير حاج  
تأصيل تربية المعلم ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة  
ط ١/١٤٠١ هـ .
- ٢٢- التونسي ، خير الدين  
اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، مطبعة  
الدولة بتونس ط ١/١٢٨٥ هـ .
- ٢٣- التونسي ، محمد خليفة  
الخطر اليهودي ( بروتوكولات حكماء صهيون ) ( د . م . ن . ت )  
" مترجم "
- ٢٤- ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم المبرور ، المكتبة الاسلامي ، بيروت ط ٤/١٣٩٧ هـ  
بن عبد السلام
- ٢٥- \_\_\_\_\_  
الواسطة بين الخلق والحق ، مطبعة الامام القاهرة  
ط ٢/١٣٧٦ هـ .
- ٢٦- جب ، هاملتون  
دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين  
بيروت ط ٢/١٩٧٤ م ، ترجمة احسان عباس ، محمد  
يوسف نجم ، محمود زايد .
- ٢٧- \_\_\_\_\_  
وجهة الاسلام ، المطبعة الاسلامية بالقاهرة ط ١  
ترجمة محمد عبد الهادي ابوريده ( د . ت )
- ٢٨- الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن  
عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، دار الجيل  
بيروت الجزء الاول ط ٢/١٩٧٨ م .

- ٢٥- جريشه ، على . الزبيق ، محمد . اساليب الغزو الفكري ، دار الاعتصام القاهرة  
ط ١٣٩٧/١ هـ . شريف
- ٣٠- الجندى ، انور . التربية وبناء الاجيال فى ضوء الاسلام ، دار الكتاب  
الليباني ، بيروت ط ١٩٧٥/١ م .
- ٣١- \_\_\_\_\_ الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني بيروت  
( د . ت )
- ٣٢- جولد تسهيو ، اجنتس . العقيدة والشرعية ، دار الكتب الحديثة القاهرة  
ط ٢ ( د . ت ) ترجمة محمد يوسف موسى وطى حسن  
عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق .
- ٣٣- جيلفورد ، ج . ب ( اشراف ) . ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، المجلس  
الاول \* الميادين النظرية \* دار المعارف بمصر ،  
القاهرة ط ١٩٦٢/٢ م ترجمة احمد زكى صالح  
واخرون باشراف يوسف مراد .
- ٣٤- حسون ، على . تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامي ، بيروت  
ط ١٤٠٠/١ هـ .
- ٣٥- الحصرى ، ساطع . البلاد العربية والدولة العثمانية ، محاضرات  
القاها على طلاب معهد الدراسات العربية العاليه  
مطبعة الرسالة القاهرة ط ١٩٥٧ م
- ٣٦- \_\_\_\_\_ جولة الثقافة العربية ، طبعت على نفقة الادارة  
الثقافية بجامعة الدول العربية .
- II وليه الاولى : ١٩٤٩/٤٨ ، مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر القاهرة ، ط ١٣٦٩ هـ
- الحوليه الثانيه : ١٩٥١/٥٠ م دار الرياض للطبع  
والنشر القاهرة ( د . ت )
- الحوليه الثالثه : ١٩٥٢/٥١ م مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر القاهرة ، ط ١٩٥٣ م .
- الحوليه الرابعه : ١٩٥٣/٥٢ م مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر القاهرة ( د . ت )
- الحوليه الخامسه : ١٩٥٦/٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣/٥٢ م  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ( د . ت )





- ٥٠- الرافعى ، مصطفى صادق  
 وحى القلم ، الجزء الثالث ، المكتبة التجارية  
 الكبرى ، القاهرة ( د . ت ) .
- ٥١- رحمة الله خليل الرحمن  
 الهندى
- ٥٢- رسل ، برتران
- ٥٣- رضا ، محمد رشيد
- ٥٤- رمضان ، محمد مصطفى
- ٥٥- رو ، جان بول
- ٥٦- الزركلى ، خير الدين
- ٥٧- ابوزهره ، محمد
- ٥٨- سلطان ، محمود السيد
- ٥٩- سليمان ، منير عطا الله
- ليب ، رشدى ، شفشق ،  
 محمود عبدالرازق
- ٦٠- السمان ، محمد عبدالله
- ٦١- سهيل ، اصلاح
- ٦٢- شابلو ، هارلو . رايرت ،  
 صمويل ، رايت هلمين
- ٦٣- شاتليه ، ا . ل
- ٦٤- العلم اسراره وخفاياه الجزء الثالث ، مكتبة  
 غريب القاهرة ط / ١٩٧١ ترجمة محمد صابر سليم ،  
 محمد جمال الدين الفندى ، مصطفى عبدالعزيز  
 القاره على العالم الاسلامى ، الدار السعودية  
 للنشر جده ط ٢ / ١٣٨٧ هـ ترجمة مساعد الباقى ،  
 محب الدين الخطيب .

- ٦٤- شاخت ، جوزيف . يوزوت ،  
كليفوراد مون
- ٦٥- الشحلت ، على احمد
- ٦٦- شقفه ، محمد فهر
- ٦٧- شلبى ، احمد
- ٦٨- شلبى ، احمد وآخرون
- ٦٩- ال الشيخ ، عبدالرحمن  
بن حسن
- ٧٠- صالح العبود
- ٧١- صروف ، فواد " محرر "
- ٧٢- صليبا ، جميل
- ٧٣- الصواف ، محمد محمود
- ٧٤- طه حسين :
- ٧٥- الطهطاوى ، رفاعه رافع
- ٧٦- \_\_\_\_\_
- ٦٤- تراث الاسلام ، القسم الثانى من سلسلة عالم  
المعرفة الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة  
والفنون والاداب الكويت العدد ( ١١ ) ترجمة  
حسين مؤنس ، احسان صدقى الحميد
- ٦٥- نظرية التطور بين العلم والدين ، مؤسسة  
الخانجى القايره ( د . ت )
- ٦٦- التصوف بين الحق والخلق ( د . م . ن ) ط ٢ / ١٣٩١ هـ
- ٦٧- المسيحية - ضمن سلسلة مقارنة الاديان رقم " ٢ "  
مكتبة النهضة المصريه القايره ط ٤ / ١٩٧٣ م
- ٦٨- الازهر تاريخه وتطوره ، دار ومطابع الشعب  
القايره ط / ١٣٨٣ هـ .
- ٦٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مطبعة السنة  
المحمدية ، القايره ، ط ٧ / ١٣٧٧ هـ .
- ٧٠- فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ، رسالة  
مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من كلية  
الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الطوك  
عبد العزيز فرع مكة لعام ١٣٩٨ / ٩٧ هـ باشراف  
الاستاذ محمد قطب .
- ٧١- الفكر العربى فى مائة سنة ، مؤتمر هيئة الدراسات  
العربية المنعقد فى تشرين الثانى ١٩٦٦ م فسي  
الجامعة الامريكية فى بيروت مطابع الدار الشرقية  
للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٧ م .
- ٧٢- مستقبل التربية فى العالم العربى ، منشورات  
عويديات بيروت ط ٢ / ١٩٦٧ م .
- ٧٣- المخططات الاستثمارية لمكافحة الاسلام .  
( د . م . ت . ن )
- ٧٤- مستقبل الثقافة فى مصر ، مطبعة المعارف ومكتبتها  
القايره ( د . ت )
- ٧٥- المرشد الامين للبنات والبنين ، مطبعة المدارس  
الملكية القايره ١٢٨٩ هـ .
- ٧٦- مناهج الالباب المصريه ، ( د . م . ن ) ط ١٢٨٦ هـ

- ٧٧- الطويل ، توفيق  
قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مكتبة مصر ،  
القاهرة ط ١٩٥٨ / ٢ م
- ٧٨- عبد الله ، عبد الرحمن صالح  
تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، دار الفكر للطباعة  
والنشر والتوزيع بيروت ، ط ١ / ١٣٩٣ هـ
- ٧٩- عبد الوهاب ، احمد  
المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة  
وهبه ، القاهرة ط ١ / ١٣٩٨ هـ
- ٨٠- العثيمين ، محمد صالح  
رسالة الحجاب ، مطابع القصيم ، الرياض ط ١ / ١٣٨٨  
سوانحلل الامة العربية ووهن المسلمين ، مؤسسة  
الرسالة ط ٢ / ١٣٨٦ هـ .
- ٨١- العرضي ، محمد سعيد  
أين محاضن الجيل المسلم ، الدار السعودية  
للنشر جده ط ٢ / ١٣٩٧ هـ .
- ٨٢- العظم ، يوسف  
في اصول التربية (الاصول الفلسفية للتربية)  
مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ط ١٩٨٧ م
- ٨٣- عفيفي ، محمد الهادي  
التربية ومشكلات المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية  
القاهرة ط ٢ / ١٩٧٣ م
- ٨٤- عفيفي ، محمد الهادي .  
جلال ، عبد الفتاح . علي ، سعيد  
اسماعيل
- ٨٥- العقاد ، عباس محمود  
الانسان في القرآن ، دار الكتاب العربي ،  
بيروت ط ٢ / ١٩٦٩ م .
- ٨٦- عمارة ، محمد  
الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى مع دارسة  
عن الافغانى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف  
والنشر القاهرة ( د . ت ) .
- ٨٧-  
الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطميطاوى ، الجزء  
الثاني المؤسسة العربية للدراسات والنشر  
القاهرة ١٩٧٤ / ٧٣ م
- ٨٨-  
الاعمال الكاملة لقاسم امين ، الجزء الثاني ،  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة  
ط ١٩٧٦ م
- ٨٩- الفاياتى ، منيره على  
مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين ،  
مكتبة وهبة القاهرة ( د . ت )

٩٠. الخزالي ، ابو حامد  
 ٩١. الفاسي ، علال  
 ٩٢. الفاسي ، محمد بن الحسين  
 الحجوي الثعالبي  
 ٩٣. الفقي ، حسن  
 ٩٤. فيشر ، ه. ا. ل  
 ٩٥. القرطاس ، قيس  
 ٩٦. كاريل ، الكسيس  
 ٩٧. كوسون ، اندريه  
 ٩٨. كوثراني ، وجيه  
 ٩٩. كونانت ، جيس . ب  
 ١٠٠. كيلاني ، اسماعيل  
 ١٠١.  
 احياء علوم الدين ، الجزئين الاول والرابع مكتبة  
 ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ( د . ت )  
 دفاع عن الشريعة ، منشورات العصر الحديث بيروت  
 ط ٢ / ١٩٧٢ م  
 الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، الجزء  
 الثاني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ط ١ / ١٣٩٧  
 تخريج وتعليق عبد العزيز القاري .  
 التاريخ الثقافي للتعليم في مصر ، دار المعارف  
 القاهرة ط ٢ / ١٩٧١  
 تاريخ اوربا في العصور الوسطى الجزئين الاول والثاني ،  
 دار المعارف ، القاهرة ط ٤ / ١٩٦٦ ترجمة محمد  
 مصطفى زيادة ، السيا الباز العريني ، ابراهيم احمد  
 العدوي .  
 نظريه داروين بين مؤيديها ومعارضيهها مؤسسة  
 الرسالة ط ١ / ١٣٩١ هـ .  
 الانسان ذلك المجهول ، مكتبة المعارف بيروت  
 ط ١ / ١٩٧٤ ترجمة شفيق سيد غريد .  
 المشكلة الاخلاقية والفلاسفة ، دار الكتب الحديثية  
 القاهرة ، ط ٢ / ١٣٨٤ هـ ، ترجمة عبد الحليم محمود  
 ابو بكر زكوي .  
 الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والشرق  
 العربي - ( ١٨٦٠ - ١٩٢٠ ) نشر معهد الانماء  
 العربي ط ٢ / ١٩٧٨ م .  
 مواقف حاسمة في تاريخ العلم ، دار المعارف القاهرة  
 ط ٢ / ١٩٦٣ ترجمة احمد زكي .  
 فصل الدين عن الدولة ، المكتبة الاسلامي بيروت  
 ط ١ / ١٤٠٠ هـ  
 الكتاب المقدس ( اي كتب العهد القديم والعهد  
 الجديد ) وقد ترجم من اللغات الاصلية وهي اللغة  
 العبرانية ، واللغة الكلدانية ، واللغة اليونانية  
 طبع في عام ١٨٧٠ م في بيروت ( د . ن ) .

- ١٠٢- اللقاني ، احمد حسين .رضوان ، تدریس المواد الاجتماعية عالم الكتب ، القاهرة  
مجلس احمد  
ط ٣/١٩٧٩ م
- ١٠٣- لوپون ، غوستاف  
حضارة العرب ، دار احياء التراث العربي بيروت  
ط ٣/١٣٩٩ هـ ترجمة عادل زعيترو
- ١٠٤-  
حياة الحقائق ، مطبعة دار احياء الكتب العربية  
القاهرة ط ١/١٣٩٨ هـ ترجمة عادل زعيترو.
- ١٠٥- لوپون ، بولارد  
الغرب والشرق الاوسط ، ( د . م . ن ) ١٩٦٥ م  
ترجمة نبيل صبحي
- ١٠٦- ماثيوز ، رودريك  
وعفراوى ، متى .  
١٠٧- المجلس الاعلى لرعاية الفنون  
والاداب
- ١٠٨- المحافظة على  
الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة  
( ١٢٩٨ - ١٩١٤ ) الاهلية للنشر والتوزيع  
بيروت ط ٢/١٩٧٨ م
- ١٠٩- الحامى ، محمد فريدك  
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل  
بيروت ط ١٣٩٧ هـ .
- ١١٠- محمد اسد  
الاسلام على مفترق الطرق ، دار العلم للملايين  
بيروت ط ٧/١٩٧١ م
- ١١١- محمد بن عبد الوهاب واخرون  
مجموعة التوحيد ، مطبعة السنه المحمديـه  
القاهرة \* د . ت \*
- ١١٢- محمد الغزالي  
قذائف الحق ، منشورات المكتبة المصرية ببيروت  
( د . ت )
- ١١٣-  
معركة المصحف في العالم الاسلامي ، دار الكتب  
الحديثه القاهرة ط ٢/١٣٨٣ هـ .
- ١١٤- محمد قطب  
النظم والثبات في حياة البشرية ، مكتبة  
وهبه ( د . ت ) .

- دراسات في النفس الانسانية ، دار القلم ( د . ت )  
 معركة التقاليد ، مكتبة وهبه ط ٢ / ١٩٦٢  
 الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر دار الارشاد  
 بيروت ط ٣ / ١٣٨٩ هـ  
 الاسلام والحضارة الغربية ، المكتب الاسلامي  
 للطباعة والنشر ، بيروت ط ١ / ١٣٩٩ هـ  
 الله واحد ام ثلوث ، دار النهضة العربية  
 القاهرة ( د . ت ) .  
 تاريخ التربية في الشرق والغرب ، عالم الكتب  
 القاهرة ط ١٩٧٧ م  
 التعليم العام في البلاد العربية ، عالم الكتب  
 القاهرة ط ٢ / ١٩٧٤ م مزيدة ومنقحة ،  
 تاريخ الفكر في نشوئه وتطوره ... دار الكاتيب  
 العربي بيروت " د . ت "  
 الحجاب ، دار الفكر بيروت ( د . ت )  
 العلم يدعول لايامن ، مكتبة النهضة المصرية  
 ط ٥ / ١٩٦٥ م توجه محمود الفلكي .  
 الله يتجلى في عصر العلم ، مؤسسة الحلبي  
 القاهرة ، ط ٣ / ١٩٦٨ م  
 احمد لطفى السيد ( استاذ الجيل ) ضمن سلسلة  
 اعلام العرب ، رقم " ٣٩ " المؤسسة المصرية  
 العامة للتأليف والانباء والنشر القاهرة ( د . ت )  
 مقدمة فلسفة التربية ، مكتبة الانجلو المصرية  
 القاهرة ط ٢ / ١٩٦٧ م  
 نحو التربية الاسلاميه الحرة ... مؤسسة الرسالة  
 بيروت ، ط ٢ / ١٣٩٧ هـ  
 ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الكتاب  
 العربي ، بيروت ط ٦ / ١٣٨٥ هـ

١١٥- محمد قطب

١١٦- محمد محمد حسين

١١٧-

١١٨- موحان ، محمد مجدى

١١٩- موسى ، محمد مشير

١٢٠-

١٢١- مظهر ، اسماعيل

١٢٢- المودودي ، ابو الاعلى

١٢٣- موريسون ، أ . كريسي " محرر "

١٢٤- مونسم ، جون كلوفر " محرر "

١٢٥- النجار ، حسين فوزى

١٢٦- النجیحی ، محمد لبيب

١٢٧- الندوى ابو الحسن على الحسنی

١٢٨-

١٢٩- نوار، عبدالعزيز سليمان

١٣٠- نيلز، ج. في

١٣١- هاموتن، جون. أ.

١٣٢- وافي، علي، عبد الواحد

١٣٣- ولز، ه. ج

١٣٤- يسن، نبيه

١٣٥- يوسف، محمد، علي

#### ٤- المطبوعات الحكومية:

١- جامعة الملك عبد العزيز

٢- \_\_\_\_\_

٣- اللجنة العليا لسياسة التعليم

٤- صلح، احمد منير

التاريخ الحديث (الشعوب الاسلاميه)

دار النهضة العربية بيروت ط/ ١٩٧٣م

في فلسفة التربية، عالم الكتب القاهرة ط/ ١٩٧٢م

ترجمة محمد منير موسى، محمد عزت عبد الموجود،

يوسف ميخائيل

تاريخ العالم الاجزاء الثالث، الرابع، الخامس،

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ترجمة ادارة

الترجمة. بوزارة المعارف العمومية بصرى. (د. ت)

الاسفار المقدسة في الاديان السابقة على الاسلام،

دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ط/ ١٩٧١م

معالم تاريخ الانسانية الجزئين الثالث والرابع

لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ترجمة

عبد العزيز توفيق جاويد ط ٣/ ١٩٦٧م.

ابفاد متطوره للفكر التربوى، مكتبة الخانجي القاهرة

(د. ت)

الجفوة المفتعله بين الدين والعلم، دار مكتبة

الحياة بيروت ط ١٩٦٦م.

تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى

المنعقد عام ١٣٩٧هـ الاجزاء السادس، الثامن،

التاسع، مطبعة جامعة الملك عبد العزيز بجده

كتاب المؤتمر "يتضمن قرارات وتوصيات المؤتمر

العالمى الاول للتعليم الاسلامى" المنعقد في مكة

المكرمة في الفترة من ١٢ - ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣٩٧

منهج المرحلة المتوسطة (بنين) (د. م. ن)

ط/ ١٣٩١هـ.

نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن

العربى، مطبوعات جامعة الرياض رقم ٨ "الرياض

عام ١٣٩٤هـ.

- ٥- وزارة الثقافة والارشاد القومي  
سلسلة تراث الانسانية . . . ، الجزء  
الاول الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة ( د . ت ) الجزء السادس دار الكاتب العربي  
للطباعة والنشر القاهرة ( د . ت )  
الجزء التاسع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر  
القاهرة ، ط ١ / ١٩٧١ م اشرف احمد أبوزيد .  
٥- وزارة المعارف ( ادارة الابحاث  
والمناهج والمواد التعليمية )  
منهج المرحلة الثانوية اعتمد بموجب قرار اللجنة  
العليا لسياسة التعليم المبلغ لمعالى وزير المعارف  
برقم ٢٣٣ / ٩ / ١ ، المطابع الاهلية للاوقفت  
الرياض ( د . ت ) .  
٧- وزارة المعارف  
المجموعة الاولى ، منهج التعليم الابتدائي لمدارس  
البنين ، عام ١٣٨٨ هـ صادر عن اللجنة العليا  
لسياسة التعليم ، مطابع الرياض بالرياض ( د . ت ) .  
٥- دوائر المعارف والقواميس :  
١- الياس ، انطوان الياس . الديار  
ادوار . ا .  
٢- الجلبكي ، منير  
المورد " قاموس انجليزي عربي " دار العلم للملايين  
ط ٦ / ١٩٧٣ م .  
٣- الريحاني ، البرت وفريق من  
الاساتذة ( رئيس التحرير نجيب  
فرنجيه )  
٤- السابق ، جروان :  
الكنز قاموس انجليزي عربي " دار السابق للنشر  
بيروت " د . ت " .  
٥- مجمع اللغات " عربي - فرنسي . انجليزي - انجليزي .  
فرنسي - عربي ، فرنسي - انجليزي - عربي " دار  
السابق للنشر بيروت " د . ت " .  
٦- الشنتاوي احمد وآخرون  
( اشرف وادارة وترجمة )  
دائرة المعارف الاسلامية ( د . ن . ت )



- ٧- عبدالنور ، جبور ، ادريس ، سهيل ، المنهل ، قاموس فرنسي عربي " دار الاداب ،  
دار العلم للملايين بيروت ط ٣ / ١٩٧٣
- ٨- غريال ، شفيق " اشراف " الموسوعة العربية الميسرة دار الشعب القاهرة  
ط ٢ / ١٩٧٢ م

---

ملاحظة : وردت في هذه القائمة رموز هي : " ( ١ ) ( د . ت ) اي لا يوجد للطبعة تاريخ  
( ٢ ) ( د . ن ) اي لا يوجد على الكتاب بيان للنشر ( ٣ ) ( د . م . ن ) اي لا يوجد  
على الكتاب بيان الناشر ولا مكان النشر ( ٤ ) ( د . م . ت . ن ) لا يوجد على الكتاب  
اي بيانات عن النشر .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1. ARBERY A.J. :  
Religion in the Middle East (2) Islam  
Cambridge University Press  
CAMBRIDGE. LONDON. NEWYORK. MELBOURNE 1969.
2. BABCOCK GOVE'PHILIP AND MERRIAM WEBSTER  
Editorial staff. Springfield, Mass:  
Webster's third new International Dictionary  
of the English Language, Unabridged.  
Editor in Chief:  
G & C. Merriam Co. (1971) "III"
3. HORNBY A.S., COWIE A.P. and LEWIS J. WINDSOR:  
Oxford advanced Learner's Dictionary of  
Current English (by) (3 ded)  
London, Oxford University Press (1974)
4. THE NEW ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA in 30 Volumes  
AMACROPAEDIA VO HELEN HEMING WAY BENTON,  
Publisher, 1973 - 1974 (C) 1975.  
Buencyclopedia. Briannica. Inc.  
Copyright under International  
Copyright Union Printed in U.S.A.
5. WEBSTERS NEW WORLD DICTIONARY  
OF THE AMERICAN LANGUAGE  
Legeed Cleveland, World Pub. Co. (1968)